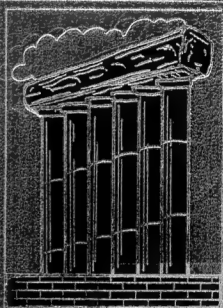


تَسْرِجُ الْأَبْصَارَ
فِيمَا يَحْتَوِي لَبْنَانُ
مِنَ الْآثَارِ

تأليف
الأب هنري لامنس اليسوعي

٢-١

دار البصائر - بيروت



تَسْبِيحُ الْإِبْرَاهِيمَ
فِي مَا يَجْتَوِي الْبَيْتَانِ مِنْ الْأَشْأَارِ

تأليف
الأب هنري لامنس اليسوعي

الجزء الأول
في قسم لبنان الشمالي

نقلاً عن مجلة المشرق -

دار الرائد اللبناني

الطبعة - لبنان
ص. د. ب. ٩٣

تمهيد

لبنان غني بآثاره التي تشتمل عليها مدنه وقراه ، ولكن معظم هذه الآثار مجهول من الكثرة الكاثرة من أبناء شعبنا ، وهو ما حدا بالمؤلف الأب هنري لانس اليسوعي الى وضع مجموعة مقالات وأبحاث نشرها في مجلة « المشرق » بعنوان « تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » ضمنها من الاخبار التاريخية والوصاف الجغرافية ما يساعد على الكشف عن آثار لبنان وإلقاء الاضواء الساطعة عليها .

وقد رأيت دار الرائد اللبناني انطلاقةً من مبدأ الاهتمام بتاريخ البلاد ومآثر الاجداد أن تقدم الى الأجيال الجديدة هذه المقالات مرة ثانية منشورة في كتاب يحمل العنوان نفسه الذي نشرت المقالات في مجلة « المشرق » به ، ليطلعوا من خلالها على ما مر على مسقط رأسهم من أمم وشعوب مختلفة تركت بصماتها الحضارية في كل مكان منه ، ولتزودهم بقسط من المعرفة بندر أن يقبوا على مثله ، لا سيما وأن المؤلف الى جانب حديثه عن الرسوم والآثار فهو يهتم بالكلام على الأنهار والسواحل والوديان والاعوار والاحوال الجوية والحيوانات المفقودة والمعادن والسكان ومدى انتشارهم فيه واللغات التي كانوا يتكلمون بها .

من البديهي أن لا تشمل هذه البحوث والدراسات ، وقد وضعت مطلع هذا القرن ، ما اكتشف من آثار بعدها ، الا انها والحق يقال قامت بدور مهم وبارز هو أنها حفظت كثيرا من الرسوم والآثار التي درست بعد نشرها ، وكان لها فضل الابقاء على أخبار هذه الآثار وتعريفنا بها وانقاذها من النسيان والغياب في بطون التاريخ والازمنة ، ومن هنا ميزتها . وهذا هو الذي دفع بنا الى أن نبادر الى نشرها لتكون اسهاماً في المكتبة التاريخية اللبنانية وتعريفاً للأجيال اللاحقة بما فعلته الأجيال السابقة .

الناشر

الفصل الأول

قسم لبنان الواقع في شمالي بيروت

إذا ما خرج السافر من بيروت سائراً نحو المشرق أول ما يلقاه في طريقه نهر بيروت . وهو مجرى ماء ربما اضحى في الشتاء سيلاً جارفاً . واكثر الكتاب المحدثين يوتأون انه هو النهر الذي دعاه بلينيوس الطبيعي نهر ماغوراس وانه كان من انهار الفينيقيين المقدسة دعوه بذلك اشتقاقاً من اسم الاله ماقاد وهو اسم زحل بلقيهم (١) وقد عارض هؤلاء الكتبة غيرهم فانكروا ان نهر بيروت هو نهر ماغوراس للذكر (٢) واحتجوا لذلك بحجج لا يسعنا هذا بسطها

وإذا اجتازت النهر وجدت في طريقك اوعلى مقربة من الطريق قرى ومزارع نطنتها حديثه العهد اللهم الأسن الفيل التي ورد ذكرها في تأليف الصليبيين مصعقة سينسيل (Senesfil) (٣) . ثم تقطع سهلاً مستطيلاً على سيف البحر يودي بك الى نهر انطلياس الذي بجواره موقع القرية المدعوة به

واسم انطلياس كما لا يخفى معرب وقد تضاربت في اصله الآراء فن العلماء من زعم انه نسب الى النبي الياس واهل القرية يعظمون هذا القديس ويكرمونه اي اكرام ويقدمون لكتيبته المشيدة في قريتهم النذور ويأمنون ان يحلفوا باسمه وإذا حلفوا كرهوا الحنث بايمانهم فقيل ان الضيقة دُعيت لذلك باسم هذا النبي . ألا ان في هذا التفسير شبهة لانه لا يبين معنى أول لفظة « انطلياس » ولم يحاول بعد احد شرحها . وجاء في تقليد اهل لبنان ان انطلياس دعيت باسم بعض المشاهير او المعبودات ولم يمكننا تحقيق ذلك

ولعل انطلياس مشتقة من الكلمة اليونانية (ἀντλιάς) اي مواز للشمس لان انطلياس تقابل الغرب بينما تواجه بيروت جهة الشمال . وهذا الشرح لا يتجاوز حد

(١) راجع تاريخ الفينيقيين Movers : *Phœnicier*, I, 262 et 666.

(٢) راجع مجلة الدراسات ١, 13, *Note* ١, 1878, I, 13, *Revue Archéologique*.

(٣) Rey : *Colonies franques* p. 524, راجع

جوار عظمى إندونيسيا - المادة والتبع



الحفوس والرجحان . وعلى كل حال ان انطلياس قرية قديمة العهد يشهد بقدمها ما وجده علماء العاديات من الآثار الجلية كهولميد ذوت حجر واحد من الرخام المحبب ونواويس وبقايا بنايات قديمة . فلا شك ان العمد يدل ان ثبتت كان هيكل للمادة كما ان النواويس للكثشة تشهد بوجود مدفن قديم وبقايا الابنية تبين وجود القرية القديمة سواء تدعى بانطلياس او باسم آخر مقود وموقع انطلياس حسن جدا لا بد انه استقلت منذ قديم الزمان انظار الاهلين فسكنوه وعثروه ولا نظن ان قراءنا نسوا ما كتبه في اعداد المشرق (١٠٤:١) حضرة الاب زموغن بخصوص محلة انطلياس القديمة وما وجد فيها من الآثار التي تقدمت مهد التاريخ . والذي حمل الاقمنين على ايثار انطلياس وتفضيلها على ما سواها انما هو نهرها ذو الماء العذب الزلال الذي يولي البقعة الجاورة للضيعة نضارة وخصبا

وكانت المسكة الرومانية الواصلة بين نهر الكلب وبيروت تجدي سكان انطلياس منافع جمة تسهل لهم نقل كل خيرات المدينة ولا غرو ان الرومان اقاموا هناك نضبا للدلالة على المسافة بين بيروت والقرية التي نحن بصدها وهي مسافة خمسة اميال اي نحو سبعة كيلومترات ونصف

فهذا جل ما نعرفه الآن عن انطلياس . وقد زعم البعض ان هذه الضيعة هي مدينة لاوتترويليس القديمة (١) وهو رأي واهن لا يمكن اثباته ببرهان صحيح . والصواب ان لاوتترويليس كانت في جنوبي بيروت على طريق صيدا .

٢ صربا وجونية

ثم تعبر نهر الكلب الذي كان يدعوه الاقمنون ليكوس ومعناه الذنب وكثير مدة متصل الى ضيعة موقها شمالي النهر تدعى صربا وهي متسعة فوق الصخور المشرقة على كور جونية . وهو شرم في البحر يبعد من احسن خليجان سودية ولو لراد احد ان يحرق الى مرسى كتيبا ذلك دون مشقة . وليس في كل ساحل الشام من غزة الى الاسكندرونه ميناء طيبة سواء . وهو في جهة الشمالية

عريق الثور فلا بأس على السفن اذا ألقت هناك مراسيلها لان هذه الجهة الشمالية آمن من الجهة الجنوبية التي قهرها رملٌ . وخور جونية بجزل عن الرياح الحطرة الشديدة المبوب كريح الشمال وريح الجنوب والصابا . ومع كل هذه الحصائص بقيت جونية قرية لا يُعبأ بها مدة احيال طويلة ولا علة لذلك سوى صعوبة الوصول اليها وانحصار اطرافها بين جبال عالية تُطلّ عليها شرقاً ومضيقيّ نهر الكلب والمعامتين شمالاً وجنوباً . وعليه لم يمكنها ان تنبسط في السهول المجاورة وتُوسع نطاق ارباضها كغيرها من المدن مثل بيروت وطرابلس وصور وصيدا .

ورغم أن هذه العوائق قد اخذت جونية منذ أمد قريب تحفل بالسكان وتزد التساعاً . وقد قالت نصيباً كبيراً من الحظ منذ أنشئت السكة الحديدية على ساحل البحر إلا أنها تقتصر لثقي في معارج التباح الى شبتين اعني الى مياه عنبة يجلبها اليها اهله من احد الينابيع القريبة والى بعض تحسين سهل في مرفأها بأن يُحسل في رصيف لثقل البضائع الى البرّ وتزول الركاب وتعميق بعض اطراف الخليج . فلو اخرج اهل جونية هذه اللشروعات الى حيّ العمل اضمت ببلتهم من ابلج البلاد واشبه شي . مع صغرها بمرفأ ثانوي للمدود من ابدع مناه الدنيا

هذا ما يختصّ بنحور جونية اما البلدة نفسها فقد اشتق اسمها من خليجها فنُصبت به جونية جونا او حوراً . ولها ذكر في تواريخ القرون للتوسطة . وكانت في الامم باقوت الرومي من اعمال طرابلس (١) . وقال الادريسي (٢) وهو من كتبة القرن الثالث عشر : « ان جونية حصن على البحر واهله نصارى يعاقبة » . وذكر لها في محل آخر كورة (٣) وذلك بما يشيرونوع جلي الى اهميتها . وقد ورد ايضاً اسم جونية في تأليف الصليبيين وهم يدعونها جويته (Juine) . لما قدماء الجرافيين من اليونان والرومان فلم يرووا شيئاً عنها ولا عن صربا التي كانت تُعَد من ارباضها متعلقة بها . ولذلك لم نَحْ نحن ايضاً ان نفصلها عن بعضها

قال بليبيوس الطيبي : « ان بين نهر ليكوس (نهر الكلب) ونهر ادونيس



(نهر ابرهم) مكاناً يُدعى باليبيلوس (Palaebyblos) . وزاد عليه ايضاً اسطرابون الجغرافي قال : « اذا سرت من بيلوس (جبل) جنوباً لتلق في طريقك اولاً نهر ادونيس ثم جبل كليكس (Κλεικός) ثم بعدها باليبيلوس واخيراً نهر ليكوس » . فاذا اعتبرنا كلام اسطرابون لا نجد بين نهري الكلب وابرهيم سوى حلين احدهما في الزمان القديم شهرة بمدد سكانها وهما « برجا » و « جونية صربا » . وما من موقع الاهما يحسن ان يكون مريبطاً للسفن . وتعين المراقبي كما لا يخفى من شأنه ان يبين موقع المدن القينيقية القديمة خلق القينيقين بنين الامة وتفرغهم للتجارة (١)

واول ما يفيدنا اسطرابون ان باليبيلوس هذه في جنوبي جبل كليكس فاذا تحققتنا موقع هذا الجبل استدلتنا ايضاً على مكان باليبيلوس . ونظن ان الجبل المذكور هو الجبل للشرف على البحر في شمالي جونية بقرب العامتين وهو عبارة عن صخور مرتفعة يمر في وسطها طريق الساحل . وتسمية اسطرابون لها بكليكمس موافق جداً لان كليكمس (Κλεικός) باليونانية معناه المرتقى والدريج . وقد أثر بعض العلماء (٢) رأياً آخر في تعيين جبل كليكمس فقال انه هو الجبل للشرف على جونية الذي تطلوه قريتا حريصة وغطا . ومما فيه من المراقبي الصعبة لشبه شيء بدرج السلم فدعي لذلك كليكمس . وكلا الرأيين محتمل فتدع قرأتنا ان يرجحوا الواحد على الآخر . وبناء على هذين الرأيين لا بد من القول ان باليبيلوس هي صربا لوقوعها في جنوبي جبل كليكمس

ولا غرو ان يكون موقع جونية وصربا استألفت منذ القدم انظار القينيقين وهم في حاجة الى نقل بضائعهم بحراً . وعلاوة على ذلك اننا نعلم ان اكبر المدن القينيقية كانت مبنية في سائر الزمان على كُثوز او على رؤوس كُثرف على البحر كما ترى في جبل وصيداء وبيروت وصور وهلم جرا . فلا ريب اذن ان صربا

(١) راجع مجلته المباحث (Etudes, 1861, p. 524) وفيها مقالة ذات شأن في آثار سورية للاب برنارد اليسوعي . إلا اننا لا نوافق كاتبها في رأيه من باليبيلوس . ومباني ذكر هذا المبحث في مرسى كلانبا عن برجا

(٢) راجع مجلته المباحث 1878, I, 3 et 15 Revue Archéolog.,

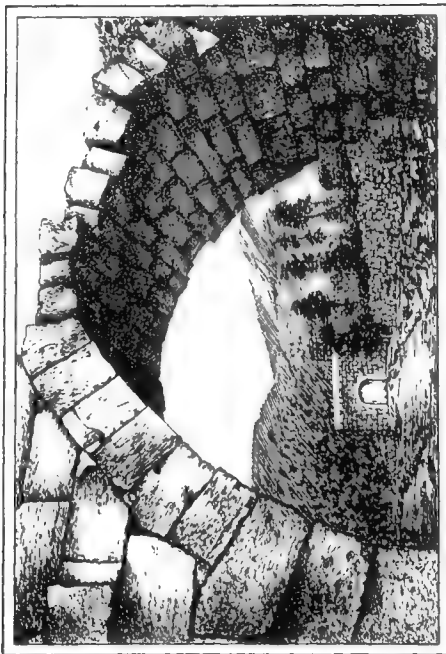
وجونية اضمتا قديماً مقاماً للقيثيين ومرفأ لسفنتهم وما وُجد في هذه السنين الأخيرة من الآثار القديمة بصريا يؤيد رأينا . إلا أن النباتات الحديثة قد أُنبت كثيرًا من تلك البقايا الجليدية التي وصفها السائح منذ بضع عشرين . ومن هذه الآثار منارة يكرم فيها اليوم القديس جرجس ويظهر انها كانت سابقاً هيكلًا لمدينة الاصنام . ومنها القبر المعروف بقبر بنت الملك وهو مدفن قديم . ومنها ايضاً قبور ومعاصر قديمة الى غير ذلك من الاخوة الدارسة ولكن اعظم هذه الآثار قلعة صريا التي لم يبق منها غير قسمها الاسفل وهو عبارة عن حجارة ضخمة تشبه حجارة دير القلعة . وكان سابقاً يجولر تلك الهارة اعمدة ودؤوس اعمدة وبقايا أثر من هيكل قديم (١) لأن هذه القلعة كانت مبدأً لوثنيين ولعلها كانت مخصصة لعبادة سيرابيس . وقد اشتق الكاتب كونًا سكُلدي (Ceccaldi) اسم صريا من اسم سيرابيس اله هذا الهيكل . وقد اكتُشف ايضاً في صريا وجونية على مسكوكات فينيقية وقنايل وكتابات من جملتها كتابة يونانية في ركن بعض التايل كتب فيها (Ζεὺς ἐσουλός) اي « للشقي الماوي » فيظهر اذن بما تقدم ان جونية وصريا شيدتا في موضع مدينة قديمة يرجع انها بالينلوس وكان مُطعمها فوق الصخور في محل صريا وكانت جونية كرفاً لها منذ أيام القيثيين

٣ نهر الكلب

ان طريق جونية كما ذكرنا في مقالنا السابقة يقطع نهرًا طامًا ورد ذكره في تاريخ سواحل فينيقية وهو نهر الكلب . وليست خطارة هذا النهر بعمق غور مياهه او طول مسافة سيله لأن اصله كما لا يخفى من منارة في سفح جبل جيتا تبعد عن البحر ستة اميال فقط وتختلط مياهه عند خروجه بالمياه المنحدرة من اعالي لبنان من نبعي اللبن والسل فيجري من ثم مرغياً مزيداً حتى يتجهي الى البحر فيصب فيه .

(١) وقد قل البناؤون كثيراً من هذه الحجارة فلتقذوها النباتات المستحدثة كما فعلوا في دير القلعة . وهذا امر لا شك يؤسف عليه فاذا دأبوا الاهلون على خرقهم في تحميم هذه الرسوم لم يتقوا عما قليل في لبنان شيئاً من الآثار القديمة

جسر للمسلمين الروماني



وانما نهر الكلب شأن في طريق الفتوحات العظمى القديمة لأن عند مصبه مضيقاً لا بد من قطعه لمن حاول المرور في سواحل سورية ولذلك اضحى هذا المكان في كل الأزمنة كالأثر به اصطلت نيران الحروب بين الملوك الفاتحين وسكان البلد المدافعين عن وطنهم

وقد قدمنا ان اسمه باليونانية « *Almos* » اي ذئب فرب نهر الكلب. ولكن أتى في هذه التسمية وما سبب هذا اللقب ؟ نجيب ان الانماضيس الشائعة بين العامة تروي عن اصل هذا الاسم اموراً غريبة منها ان كلباً هائلاً كقول كان يحرس هذا الممر الحرج فلا يدع احداً يجتاز ما لم يحل في منزلاً يعرضه عليه . وهذه الرواية شبه شيء بحكاية اليونان عن لي المول (*Sphinx*) الذي كان يفتدس من لم يستطع الى فك احاجيه سيلاً . ومنهم من زعم ان النهر دُعي كلباً لأن الوثنيين قديماً نصبوا هناك صنماً على هيئة كلبه يعبثونه ويدعون أنه اذا واقام العدو ينسح الكلب فيحذرهم من هجمته . ويقولون ان بعض الصغور الجاورة للنهر تجل جسم هذا الصنم بيد ان رأسه قطع فألقي في البحر . ولا نظن ان في هذه الاحاديث شيئاً من الصحة لأن العلماء لم يقروا بعد البحث على اثر للتشال المذكور فضلاً عن ان الكتب الاقدمين لم يذكروا شيئاً من امره . والرأي الصواب عندنا ان النهر يُسمى ذئباً او كلباً لصنابة صوته عند انصبابه في البحر حيث تصطدم مياهه بالامواج للتلاطمة فيسمع في دوي عظيم (١) ويشبه هذه التسمية اسم الليطاني الذي دعاه القدماء نهر الاسد (*Alavros*) فرب بالليطاني وهو الذي يصب في البحر بين صور وصيدا . ويسمى عند مصبه نهر القاسية

وبالقرب من النهر أكثر الطريق الرومانية التي نُحِتَتْ في وسط الصغور المعلقة على النهر جنوباً وقيل ان مرقس اوريليوس انطونينوس الملك (٢٦ بين سنتي ١٧٧ و ١٨٠

(١) راجع Ritter : *Bruckende*, XVII, 92 ولهذا المؤلف تفسير آخر لا حاجة لذكره هنا

(٢) قد وهم الشيخ طئوس الشديقي في اخبار الاعيان في جبل لبنان (ص ١٦) اذ نسب هذا الممرع الى انطونيانس قيصر في سنة ١٤٧ والصواب كما ذكرنا . والشاهد على ذلك كتابان عند ضيق نهر الكلب يذكر في الاول تمجده للعريق

وَرُحِ هَذِهِ الطَّرِيقَ وَوَسَّعَهَا فِدَعَاها بِاسْمِهِ « Via Antoniniana »
 لما أُلْجِسَ فَكَانَ سَبْعَةً إِلَى بَشَانِهِ أَنْطِيوخُوسَ الْأَوَّلَ الْمَعْرُوفَ بِسُوتِيرٍ مَلِكِ
 سُورِيَّةٍ فِي سَنَةِ ٢٥٠ قَبْلَ الْمَسِيحِ ثُمَّ هُدمَ وَأُصْلِحَ مُرَارًا (١) . وَالْمَعْبَرُ الَّذِي يُعْرَفُ
 الْيَوْمَ بِالْجَبْرِ الْقَدِيمِ هُوَ الَّذِي أَقَامَهُ السُّلْطَانُ سَلِيمُ خَانُ الْأَوَّلُ فَاتَحَ الشَّامَ كَمَا
 يُسْتَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ بِكَتَابَةِ عَرَبِيَّةٍ رُقِيتْ فِي عَهْدِهِ ثُمَّ جَدَّدَ بِنَاءَهُ أَمِيرُ لُبْنَانَ الشَّهِيدُ
 بِشِيرِ الشَّهَائِي الْكَبِيرِ . وَقِيلَ أَنَّ الْجَبْرَ الْبَاقِيَ هُوَ جَسْرُ ثَلَاثِ نَصَبِ الْأَمِيرِ بِشِيرٍ
 بِقَرَبِ الْجَبْرِ الْأَوَّلِ بَعْدَ هَبْوَطِهِ (٢)

وَمِنَ الْأَخْبَةِ الْقَدِيمَةِ مَا تَرَاهُ عَلَى الضَّمَّةِ الثَّمَالِيَةِ مِنَ الْأَثَرِ وَهِيَ بِقَالَا قَنَاقَةَ عَظِيمَةٍ
 كَانَ الرُّومَانُ يَنْوِيهَا لِنَقْلِ الْمِيَاهِ إِلَى السَّهُولِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ نَهْرِ الْكَلْبِ وَجُوفِيَّةٍ وَقَدْ
 انْتَحَقَهَا أَصْحَابُ الْأَرْزَاقِ فِي إِهَامِنَا جَلْبِ اللَّاءِ إِلَى طَوَاحِينِهِمْ
 هَذَا عَلَى أَنَّ فِي جَوَارِ نَهْرِ الْكَلْبِ أَكْثَرَ غَيْرِ الْمَذْكُورَةِ أَنْفَاقًا لَهَا فِي تَلْرِيقِ فِينِيقِيَّةِ
 أَعْظَمُ شَأْنٍ . وَمِنْ غَرِيبِ الْأُمُورِ أَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْكُتُبَةِ إِلَى أَوَسَطِ هَذَا الْعَصْرِ
 انْكُرُوا وَجُودَ هَذِهِ الْمَادِيَّاتِ (٣) مَعَ أَنَّهَا مَكْشُوفَةٌ لِلْبَيَانِ بِرَاهَا كُلُّ ابْنَاءِ السَّيْلِ .
 وَإِنَّمَا يَمُودُ الثَّرَفُ لِاثْبَاتِ وَجُودِهَا وَبَيَانِ أَهْتِيَّتِهَا لِلْمُرْسَلِ الشَّهِيدِ الْأَبِ مَكْسِيْمِيْلْيَانَ
 رِيْلُوَ الْيُسُوعِي (٤) . فَتَقُلُّ رَسُومَهَا بِكُلِّ دَقَّةٍ وَبِمِثْلِهَا لَمَاءُ أَوْرِبَةٍ لِيَجِدُوا فِي شَرْحِهَا
 وَهَذِهِ الْكُتَابَاتِ أَوْ الْأَثَرِ الْقَدِيمَةِ عِبَارَةً عَنْ خَمْسَةِ عَشَرَ أَثَرًا أَرْبَعَةً مِنْهَا خَطُوطُ
 اشُورِيَّةٍ بِالْقَلَمِ السَّالِي . وَجُدَّتْ سَنَةَ ١٨٨٢ تَحْتَ الْقَنَاقَةِ الرُّومَانِيَّةِ فَوْقَ الْحَضِيضِ بَاثْنِي
 عَشَرَ مَقْدًا عَلَى مَقَرَّةِ الْجَبْرِ الْحَدِيدِ يَمِيلُ قَلِيلَةً إِلَى الشَّرْقِ . لَكِنْ هَذِهِ الْكُتَابَاتُ
 مَطْبُوسَةٌ لَمْ يُسْتَخْلَصْ بِمَدُّ مِنْهَا قَائِدَةٌ تُذَكِّرُ

(١) وَمِنْ جِلَّةٍ مَنْ أَصْلَحُوا هَذَا الْجَبْرَ سَيِّفُ الدِّينِ ابْنُ الْحَاجِّ ارْقُطَايَ التُّسُوْرِي سَنَةَ ١٢٩٤

(٢) رَاجِعْ إِخْبَارَ الْأَعْيَانِ ص ١٧

(٣) لَوْ جَمَعْنَا كُلَّ مَا كُتِبَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُدْفَعَةِ عَنْ وَجُودِ كُتَابَاتِ نَهْرِ الْكَلْبِ
 أَوْ انْكَارِ ذَلِكَ لَحَصَلَّ مِنْ هَذَا الْجَمْعِ كِتَابٌ ضَخْمٌ الْحَجْمُ (رَاجِعْ جِلَّةَ الْمَادِيَّاتِ سَنَةَ ١٨٦١
 ص ٦٩) وَمَا يَزِيدُنَا حَبِيْبًا أَنَّ السَّلَامَةَ دِي سَمِيْعَ الْكَاتِبِ الشَّهِيدِ لَمْ يَتَنَبَّحْ بِوُجُودِهَا مَدَّةَ سَنَيْنَ .
 كَثِيرَةٍ مَعَ أَنَّ أُجْطَازَ بَرِّهَا فِي خُضُونِ مَقَرِّهِ إِلَى الشَّرْقِ

(٤) Ritter, XVII, 534



مدخل منارة حيتا ومنع ضر الكلب

أما بقية الآثار فوقها على الضفة النهر الجنوبية وهي احدى عشرة كتابة ما خلا الكتابين اللاتينيين المذكورين سابقاً

١ فأول هذه الكتابات وردت على صفيحة قديمة كبيرة بالقلم المصري الميروغليفي تَصْنَعُ تقدمة لاله « فتح » المصري . وهي الصفيحة التي نُقش عليها ذكر البعثة الفرنسية التي وردت الشام في سنة ١٨٦٠ وهذا الخط الفرنسي مع حداثة عهده كاد ان يُطسَّس رسمه مع بقاء كتابة مرقس اوديليوس بعد ستة عشر قرناً

٢ والكتابة الثانية بالقلم للسري مرقها بجانب الطريق كالاولى وهي يُثَل صورة ملك اشوري رافاً يده
٣ ويقرب هذه صورة اخرى اشورية قولى معظم رسمها فلا يُرى منها سوى الرأس

٤ واذا صعدت نحو مشرين متراً فوق الطريق القديمة الشرفة على السكة الرومانية تجد صورة اخرى اشورية طامسة الاثر

٥ ثم هناك ايضاً كتابتان يونانيتان ذهب الدهر بجوفهما فلا يُرى منها الا اليسير . وقد زعم دليل بيدبكر (١) ان احدهما لاتينية والصواب كما قلنا
٦ وتليها صورة اخرى اشورية

٨ ثم نُصِب مصري يُثَل احد القراعة متصباً يقرب قربانه لاله الشمس « راع »

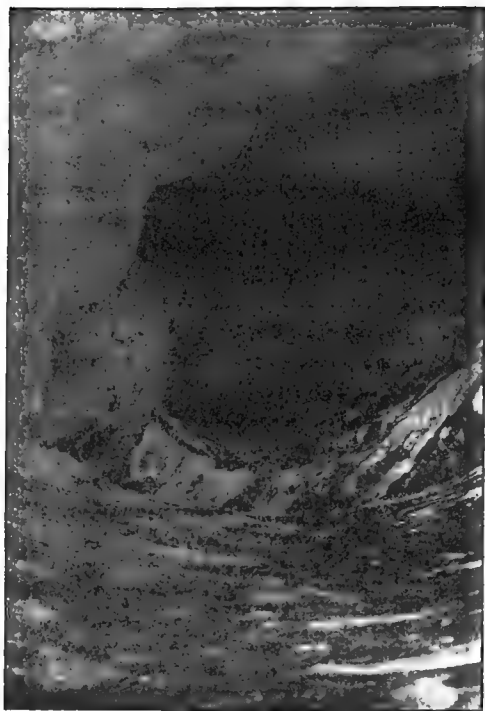
٩ وفي تلك الجهات ايضاً كتابة اشورية مع صورة ملك وكلاهما قد صبر على غابر الدهر

١٠ ثم رُفِع مصري فيه صورة بعض القراعة والاله عُثُون
١١ واخيراً صفيحة مثقبة الرسم يُثَل ملكاً اشورياً ذا حلية طويلة مجعدة لايساً رداءً سابغ الذيل وعلى رأسه تاج ملوك اشور وفي يده اليمنى بشيرة يستدعها الى صدره

(١) راجع دليل بيدبكر لهجمة الرابعة الثانية (Baedeker, p. 331)

فأقدم هذه الكتابات هي الخطوط المصرية التي امر بجمعها رعمسيس الثاني
فرعون موسى المعروف عند اليونان بيسيوسقرس وذلك في آخر القرن الرابع عشر
قبل المسيح يصف فيها غاراته وقبائعه العديدة (راجع للشرق ١: ٨٨٨ و ٨٨٩)
أما الكتابات والصور الآشورية فقد اختلف العلماء في تفسيرها قيل ان احداها
يُجَلّ سنجاريب ملك بابل الذي ذكرت التوراة غزوته وسوء منقلبه نحو سنة ٧٠١
قبل المسيح . والظنون ان بقية الصفائح تتضمن صور الملوك الآشوريين تغلات
فلاسر الاول وسلمنصر الثاني واشور بتيبال . وفي كتاباتهم المكتشفة حديثاً في
بابل قد باتوا في وصف غزواتهم لا سيما فتوحهم للشام وفتحهم لسواحل فينيقية .
فكأن اذاً هذه الصفائح دليلاً على مرورهم في هذا المضيق وتذكراً لثباتهم
وبقي هذا المضيق في يد ممالك شتى كثيرة الى ان اجتازه انطيوخوس الكبير
واجبا جيوش البطالمة ان يقرأوا امامه هاربين . وفي تاريخ الصليبيين تكرر أيضاً
ذكر مضيق نهر الكلب ولم يكن للفرنج مناص من عبوره في سيرهم على ساحل
البحر . ومما يُجبر ان بلدوين الاول لما سار من انطاكية الى اورشليم ليخلف اخاه
غدفريد في الملك كاد يذوق في هذا الممر كاس النجاة لولا حذقة وشجاعة فرسانه
وجاء في مجسم البلدان لياقوت (١: ١٧) انه كانت قلعة فوق رأس نهر
الكلب (١) ولا غرو ان ملوك الشام حصنوا هذا المركز النجى لدفع هجمات المعتدين
ومن غريب ما ذكره الجغرافيا لسطرابيون ان اهل اردول كانوا يقطعون نهر
الكلب بسفنهم فيصعدون الى داخل البلد . ولطمة شبه الامر على اسطرابيون لان
هذا التبرك كثير الصخور لا يخلو من القنات سوى عند مصبه . وليت شعري ما الفائدة
من الصعود في نهر قصير المسافة لا ترى على جانبيه ضيقة مأهولة (٢) . ومن المحتمل
ان هذا النهر كان ولسع الاطراف عند مصبه فكانت السفن ترسو عنده كما في ميناء

(١) ويقول لياقوت أيضاً ان هذا الحصن يبعد ستة اميال عن الرديسية على مسافة ثمانية
اميال من بيروت . وكذا ورد في ترمة المشتاق للادريسي (١ ص ١٧ ed. Gildemeister)
يفتح من قولها ان الرديسية بين بيروت وحر الكلب يد انا نجل موقع للرديسية هذه .
وبروك : الرديسية



باطن طارة جيتا ومنبع نهر الكلب

قصونها من الرياح الصغور المتصبة في جهتها الجنوبية . ولا يبعد أيضاً القول ان سفن البحارة الاقدمين كانت تنقل من ثم خشب الارز بعد قطعه في قسم الجبال ودفعه على وجه المياه الى هذا المكان (١)

وشرف على نهر الكلب من جانبه قرية بلونة ودير طاميش والظاهر ان في مركزيهما كان هيكل للاصنام فتكون بلونة تصيف لسم الاله ابلون (Αβλων) وطاميش منقولة عن اسم الالهة ارطاميس (Αρταμις) وهي المعروفة ايضاً باسم ديانة . وقد وجدت ايضاً مدافن قديمة قريباً من عين طرودة

٤ دير القلعة

ان آثار الاقدمين في مشارف لبنان ليست باقل شأنًا منها في سيف البحر فهنا بنا أيها القارئ اللبيب قبل تقصي البحث عن عاديّات الساحل رقى الاعالي لاستقراء بعض هذه الآثار

وليس في جوار بيروت من هذا القبيل مكان اخطر شأنًا واحسن مقامًا من الابلية المعروفة اليوم بدير القلعة . وهذه الرسوم القديمة موقعا بقرب قرية مشهورة اسمها بيت مري تعلو فوق سطح البحر نحو ٧٣٠ مترًا في شرقي بيروت على مسافة ١٨ كيلومترًا منها واليه يتقاتل اهل المدينة في وقت اشتداد القيظ عند الساحل

وليت مري اليوم طريق يوصلها ببيروت تجري عليه العربات غير أن من يركبها يكابد عناء عظيمًا ويلتصق بثوب من التربة تثيرها قوائم الخيل ودواليب العربات . وما ذلك الا قلعة الاحتناء بتوثير الطريق وحصنها بالحجارة . ففرلوا من آفتها آثارها مرارًا الصعود الى بيت مري مشياً مع علمنا ان في الشئ نفعاً للصحة وتزعة للابصار فان العين تفرّ هذه المناظر الجبيلة والاذن ترتاح لصدى الطيور ويتنفس الملتصق بالريح الطيبة في وسط غابات الصنوبر والشربين

وكان آخر مرة ترقلنا الجبل للبحث عن آثار دير القلعة في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٨٩٩ صباح يوم هب نسيبه وصفا اديعاً فما بلغ بنا السير الى غايتنا حتى اخذنا نسرّح الطرف في بقايا هذه العاديّات الخلوّة

والحق يقال إن من يسير بين تلك الرسوم الدائرة والطلول الدائرة لا يلبث أن يدرك ما كانت عليه ابنيته القديسة من العظمة والبهاء قبل خلوها ولكن ترى ماذا كانت هذه العظمة القديسة التي كُنِيَ بها هذه الآثار الطامسة المنبثة على مسافة كبيرة . ذلك سؤال لا يُجيبه كتب القدماء وتآليف المحدثين وإنما يُجيبنا عليه الحجة نفسها فإن لها لساناً ناطقاً فصيح القائل . وإن نطقها إلا بالكتابات العديدة التي حُفرت فيها . فإذا أعملنا فيها نظر الفكر وقابلنا بين الافادات المستخلصة من مضمونها وهندسة هذه الآثار القديسة ثم عرضنا ذلك على ما نعرفه من تعبدات التقيين فلا جرم لنا نحصل على معرفة اصل هذه الابنية وغايتها ومجمل اصولها

ليس من أثر يفيدنا اسم دير القلعة القديم ولعلنا لا نتصل الى معرفة في المستقبل امّا لاسم الحالي فقد اطلعت العرب على آثار أخرى في انحاء سورية فانهم يدعون بالقلعة كل بناء متسع الاراء . واتق الاركان بحكم البنيان . وقد اخبرنا احد فضلاء الرهبان الذين يسكنون الدير المجاور لهذه الاخوة ان اسم هذا المقام «بيروت الشقيقة» وجده في كتاب لبيع ملكه كتب في القرن الثامن عشر . فان ثبت على دير القلعة هذا الاسم صح عن بيروت ما اخبره بطليموس الجغرافي عن جبيل اذ قال انه كان لما مقام يُسمى «جبيل الشقيقة» (Palaebyblos) وان موقعه بعيد عن الساحل (Psephus) . وهذا قولٌ اوردناه هنا على علته ولا نجعل ان آراء العلماء متضاربة في تعيين مكان بيروت الشقيقة بل في وجوده لكن تقليد العامة ربما كان دليلاً يهتدي به العلماء لمعرفة الآثار القديسة

وعلى كل حال لا يسوغ ان ننسب هذه الابنية لهد سبق زمن ظهور التصراعية فان اقدم كتابه وجدت في هذه الاخوة نشرها الرجال يستأين (١) ذكر فيها الملك «اغريبا» ترتقي الى نحو القرن الاول بعد المسيح وقد وثقنا الله الى اكتشاف كتابه نُقشت في حجارة هذه الباني ورد فيها اسم القيصر اديان في بدء القرن الثاني للمسيح . وليس مرادنا بذلك ان هذا المقام

كان قبل ذلك خالياً من الآثار . كلاً . فأننا على يقين ان القينقيين شيّدوا فوق هذه المشارف مجدّاً كانوا يحثّون إليه او على الأقلّ مذبحاً او نصباً في غابة كانوا يقضون عنده مناسكهم على مثال المشارف والاتصاب التي ذكرها الكتاب الكريم (١) فن ثمّ نظنّ ان دير القلعة كان يقوم لبيروت مقام هيكل افنا لجليل ومقام هيكل بيتوكيكي (٢) (Beotoece) (حصن سليمان) لجزيرة ارواد . وكما ان هذين المبدئين سبقا النصرانية فكذلك تقدّسها مبد دير القلعة . وما يؤيد رأينا اسم الاله الذي عبده الرومان في هذا الهيكل فكانوا يدعونه بعل مرقد (Bani Marcod) وهو بلا شكّ اسم فينيقي

اما بقايا الهيكل للآلة الى يومنا هذا فليس فيها ما يدلّ على مثل هذا التدمر كما ان الكتابات لا تثبت بذلك . واذا قابلنا هيئة هذه البنايات والمواد المتخذة لها وطريقة بنائها وجدنا انها تدخل في حيز الابنية المعروفة بالجرّية (cyclopéens) لضخمتها وكبرها . ولا يخلو هذا الهيكل من آثار حربية كاعدة وحجارة عظيمة تضاهي بعض حجارة بعلبك وسوريها . لكن اصحاب الباديات يقتفون اليوم على أن قدم الابنية لا يناسب دلفاً عظمتها وكبرها بل ربّ بناء قديم صبر على مرّ الزمان بخلاف عمارة اخرى احدث منها ضخمة الحجارة اخفى عليها الدهر فطلس محاسنها

واذا امتدحت هنسة ابنية دير القلعة لا ترى فيها شيئاً اختصّ به القينقيين دون غيرهم . والاعرى نسبتها الى الرومان لان منها تلوح طريقتهم في البناء . ويمكن تعدادها بين الآثار الجليلية التي خلّفوها لنا في القرن الثاني والثالث للمسيح وترجع كونها سبقت عهد هيكل بعلبك الكبير . واذا تفقّدنا الباني المشيّد في قسمة هذه الروبة وقننا على غايتها الدينية فإنّ

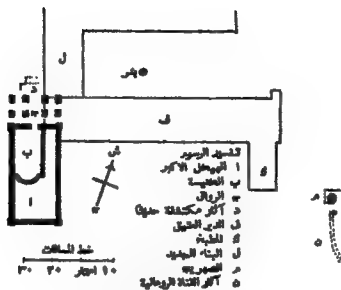
(١) راجع مثلاً سفر الملوك الرابع (١٧ : ١٠) حيث ورد عن بني اسرائيل قوله : « واثاموا لهم اصاباً وغابات على كل اكمة عالية وقمت كل شجرة خضراء »
(٢) قد تنقّدت آثار هذا الهيكل الذي وصفه البلاستان راي ودوسر :

Rey : *Archives des Mss. scient.* III, 336 ; Dussaud : *Voyage au Syrie*, p. 15, Extrait de la Revue Arch. 1897.

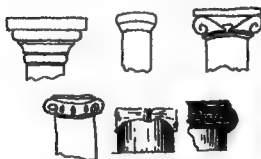
هناك خطأ صريحاً في هذا المعنى يُستفاد منها أنه بُني كُتبت هيكل على اسم بل مرقد (١) اله تلك الناحية . وربما دُعي هذا الاله باسم يوفاني (Μυφαν) لم يستدل أحد بعد الى معناه . والعلامة الخطيرة كرمون غافو يظن أن هذه الكلمة تدل على اسم الاله الشخصي وإن « بل مرقد » لقب عُرف به في هذا المكان . وأقاربها كلها تنتمي بعظم شأنه عند الوثنيين وسوم بين مصاف الالهة الوثنيّة . ويؤخذ من إحدى الكتابات المكتشفة هناك أن المأججولا يدعى أرمينوس (Ἀρμίνος) بحث المتنبئين أنه ينصبوا المذابح لبل مرقد

ومعنى اسم هذا الاله وبسبب تسميته بمرقد يُستخلص من اصل اسمه باللغة العبرانية وهي فرع من الوثنيّة فإن « مرقد » مصدر يشتق من فعل ʾṣṣ لي رقص وعليه يكون بل مرقد اله الرقص والنسج . ولا يبعد أن هذا الاله هو نفس اله الرقص المعروف عند المصريين باسم « بيس » (Bes) وإن للمصريين اتخذوه من الوثنيين . ومن القاب التي دُعي بها في الكتابات أنه ملك الآداب والولام (٢) (Κολαυε Κόλαυε) ولعل هذا الوصف دليل على أن قدماء الوثنيين كانوا يحتمون بقرب هذا الهيكل للقص وتوفير اسباب الهناء كما يصنع اليوم في تلك النواحي بعض اصحاب اللاهي يحذون بذلك دون ان يشعروا حذو اجدادهم بيتاً في ما سبق ان الاله المبود في دير القلعة كان لسمه بل مرقد . فلما استولى الرومان على الشام أدرجوا هذا الاله الوثني في مصف الهتهم بل اعتبروه كأنه هو مبودهم الكبير « المشتري » لا يفرقة عنه الأسمه فشيئوا في ذلك الهيكل العظيم الذي حجّه السوريون والرومان معاً . والكتابات اللاتينية التي فيها ذكر « المشتري بل مرقد » كثيرة . وكان اهل بيروت الدعوة في ذلك العصر

(١) والكتابات منا يوفاني على صورة تقدمه (Κυριακὸν ἱερὸν Βαλμάρκοδι) او (Βεφ Βαλμάρκοδι) ومنها لاتينية يُدعى فيها هذا الاله « المشتري بل مرقد » (Jovi) او بالاختصار (J(ovi) O(ptimo) M(aximo) Balmarcodi) . راجع : C. I. L., 155 و Waddington : *Inscrip. gr. et lat. de la Syrie*, n° 1856-1857 وكتاب كرمون غافو في الماديات الشرقية الجزء الاول ص ٩٥
(٢) راجع Waddington, n° 1855

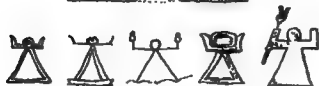


رسم ميكل البعل في دير القلمة



رابع مجلة المصريات سنة ١٨٨٦ (نومبر ١٩٦٥ و ١٩٦٦)

بقايا اعمدة دير القلمة ولشكالها المختلفة



صور الفروعيات ورمز مشهورات

« للمستعمرة يوليا اوغستا السعيدة » يقيمون فيه انصاباً للملك رومية من جهة ذلك نصب للقيصر ادريناس لستخرج حطاً من تحت الودم سنة ١٨٩٧ لسعدنا الحظ على قراءة مضمونها كما يأتي (١) :

[Imp.] CAESARI DIVI	[للامبراطور] القيصر الالهي
[Tr.] AIANI PARTHICI FIL(io)	واين [طر] ايانس القرطبي الالهي
DIVI NERV(= nepoti)	وحفيد نرقا الالهي
TRAIANO HADRIANO AV(gusto)	لطر ايانس ادريناس اوجستس
PONTIFI(ci) MAX(imo) TRIB(uitia)	الحبر الاعظم بسلطة ممثلي الشعب
POT(estate) COS III P(atri) P(atrie)	قصر للمرة الثالثة اب الوطن
COL(onia) IVL(ia) AVG(usta) FEL(ix)	المستعمرة يوليا اوغستا السعيدة
B(erytus)	بيروت

ولما عدنا الى بيروت فرحين لاكتشافنا هذا وجدنا في مجموع كتابات وادرنقون (عدد ١٨٤١) في جملة آثار بيروت كتاباً تشبه كتابتنا المذكورة كل التشبه كأنها هي التي في سنة الانفاظ المتصورة . فاخذنا من ذلك العجب كيف اتصل وادرنقون وبعده دوناني واودكي الى هذه الكتابة مع انها حديثة الاكتشاف كما قلنا . ولعل اهل بيروت رسوا منها نسختين في وقت واحد

وكانت المرتبة الاولى في هيكل دير القلعة بعد المشتري بل مرقد للالهة « جونون الملكة » (٢) وكانت تعد زوجة لاله وشريكه في جلال عزه . وزوج كون جونون هذه هي الالهة السامية بطة مشقوت وحدها الرومان بالهتهم جونون . وكان عبدتها يأتون هيكل دير القلعة ليستشفوا بجايتها ويستقروا كهنتها كما يستدل على ذلك من بعض الكتابات التي نشرها كلرمون غانو (في كتابه العاديئات الشرقية

(١) وقد وضعا بين مكثفين ما يقتضي زيادته

(٢) هذه ترجمة اللفظة اللاتينية (regina) ويوز ترجمتها بالملكة وقد ورد ذكر هذه الالهة في اسفار الانبياء باسم « ملكة الباء » (ابرياء ١٨:٣ الف) . وكان للرومان في جبل تريبوس هيكل باسم هذه « الالهة الباء المقدسة » شاعت عبادتها بعد حرب رومية مع قرطاجنة وكان اهل قرطاجنة يتهربون عاكليهم اللطى . والرومان جعلوا مشقوت هذه وجونون الالهة واحدة فصدوا الاولى بصورة الثانية (راجع مجلة Acad. des Inscript., Comptes - rendus, 1898, p. 475)

ص ١٠٧). وفي دير القلمة كتابات عديدة لاتينية تتضمن تقادم وندوداً من قبل الاهلين لهذه الالهة . من ذلك ثلاث كتابات نقشها جندي روماني يدعى « غايوس يوليوس مكسيوس » كسر منها العلامة كلرمون غانو اثنتين (ص ١٠٧ و ١١٠) ووجدنا الثالثة في جنيّة المرحوم القنس نقاش في بيت مري . وهي مكتوبة على حجر كسرت قطعتين فعواها : « ان الجندي المذكور يُعزّز كندهُ للالهة جونون بطيب قلب »

ومن عادة القدماء انهم كانوا يكرمون في المينكل الواحد عدة آلهة . مثال ذلك ان دير القلمة كان لهما وسيدها الاكظم (١) بعل مرقد ثم الإلهة جونون كما مرّ . وتروى معها ذكر آلهة آخريين وبما وجدنا في جنيّة المرحوم القنس نقاش قطعتين من كتابة طبع كلرمون غانو قسمها الاخير (٢) لهما القسم الاول فاستخرج حديثاً من الاطلال لم يُنشر بعد بالطبع وهذه الكتابة عبارة عن مقدمة قدمها شخص

يدعى مرقس ستيس للشترقي اله بطبك (L. O. M. Helipolitanus)

وبما نحبّ إلقاءات النظر اليه ان اخربة دير القلمة كثيرة الكتابة اللاتينية . وهي كما لا يخفى على من له ادنى إلمام بالعنائق لحدرة جداً في ما سواها من الامكنة الشامية . والسبب لذلك على ما نظن ان من استمر بيروت من الجنود الرومانيين (وكان منهم في بيروت فنتان الحامسة والثامنة) اتخذوا هذا المكان كصيف يقضون فيه فصل القيظ كالقريين من اهل زماننا فكروا ثقت آثراً جيّة تنبي بسكناهم وتمبدهم بعل مرقد . ولو حاولنا سرد هذه الآثار لطالت بنا المقالة طولاً مفرطاً وانحصرنا عبارة عن أعلام ليس في ذكرها كبير امر لقرائنا . وتروى بين هذه الاسماء أعلام قوم من اهل الحرف والصناعات فضلاً عن الجند ولا يحلو منها اسما بعض الاشراف من اعيان الرومان في ذلك العصر

وغاية ما يمكننا قوله انه كان في جوار هيكل البعل عدة منازل لسكنة هذا المبد وكهنته ثم للجند الرومان واهل الثروة ولبعض القصة . ولا زانا نتجاوز الحقيقة لو

(١) ونظن ان اسم القرية اشتق من عبادة هذا الاله فُدِعت لذلك « بيت مري » من السريانية كنهه ضنبأ اي بيت السيد (الجبل)

(٢) في كتاب حاديّاي الشرقيّة السابق ذكره

قلنا انه كان حول دير القلمة قرية . يستدل على ذلك بوجود محاصر قديمة ونواويس ضخمة منحوتة في الصخر . وكل ذلك يشهد بان الناس جلوا سكناتهم في تلك الهضاب . اما بيت مري فلم نسمع ان احدا وجد فيها شيئا من الآثار القديمة مع ان البناء فيها متواصل والحفر في الارض كثير

فما تقدم يسوغ لنا ان نستعيد بالتمسك ونحكي بنظر الفهم حالة دير القلمة في القرن الثاني والثالث للمسيح فنقول ان تلك الرابي كانت تكللها شجيرات وادفة الظل وكانت على منحطف ذلك الجبل اشجار باسقة الاغصان تحجب اشعة الشمس المتعددة وتطلب بفيئتها ذلك اللقائم الآزده وكان الصنوبر يغلب عليها وقد بقي منه بعض البقايا

وكان لا بُد لهذه القاعات مياه غزيرة تروي تربتها وتسمى جنودها كما ان المياه كانت ضرورية لحاجة المبكى واهل القرية وللمتنين من الحجاج والزوار وتسل النوائع . فسدأ الهمة الطامحة الماسة استجلب القدماء المياه من البيون المجاورة لاسيا من عين عرعر وراء بعمدات وكلوا اصطنعوا لذلك قناة محكمة لا تزال بقاياها ظاهرة الى يومنا هذا . وكان في ساحة المبكى احواض واسعة تجري فيها المياه وقصور الفوارات على هيات بديعة تروق النظر . ويشهد على ذلك كتابة يونانية ورد فيها وصف انبوب قدم المبكى لمصطنع في جزيرة رودس ليحصل فؤادة للماء (١)

ففي وسط هذه البقعة الجنية للنظر كان هيكلان عظيمان احدهما للبلع والآخر لليونون او عشقوت . وكان للاول رواق رحب الفناء يسند ثمانية اعمدة ضخمة من الرخام البلدي (٢) وكان يصعد الى هذا الرواق بدرج يولايه حُسنًا وسعة كما اعتاد ذلك الرومان في ابنتهم . اما هيكل يونون فقد عبثت به يد الحداث

(١) راجع مجلة الحاديّات سنة ١٨٨٦ ص ٨٠ . وكان اهل رودس يرسلون الى بيروت طُرُقًا من مناجمهم لتباع فيها (راجع 1898, 522 Comptes-rendus de l'Acad. Inscript) (٢) وقد زعم رينان (Mission de Phénicie, p. 353) ان هذا الرخام هو الرخام المصري المحبب والصواب ما قلنا . وللمسيو رينان في وصف دير القلمة اغلاط شق لا يستحق نقدها

حتى يصب على علماء العاديات بيان رسمه وصورته بل وموقعه ايضاً
وكان هيكل البعل في داخله مزيناً بتثال الإله نُصب في كوة على جانبيه
الصد من الرغام تشبه الظلّة . وقد ورد في كتابات دير القلعة ذكر تماثيل لئوردُمى
لا نعلم أكانت في داخل البناء او في الرواق (١)

أما طريقة هندسة الهيكل فان بيان صورتها ليس سهلاً فانك ترى بين البقايا
والاخرى ما يُشعر بالهندسة الكورنثية والايونية مما كما ترى في الاشكال
المختلفة للمثلة بعض أعمدة قد رسم نقوش أكتتها حضرة الاب رتقال وكان
راقتي في هذه الرحلة ودقق البحث عن آثار دير القلعة ألا أنه بقي مرتباً في
بيان صورة هندام الهيكل القديم . ولما قدّر بعد فحص الاخرى الباقية الى يومنا
هذا أن علو البناء كان يبلغ ٢٥ متراً . وذلك بلا مراؤ دليل على عظم هذا المبد
وجليل قدره.

وكانت الاشجار تقيس بافتانها حول هذه البنايات بينما كانت الوف من الطيور
تصيح فوق رؤوسها وتغرّد طرية ومن جملتها الحمام البيض رمز الإلهة عشتاروت
كانت تخلق في الهواء ثم تخط في اوكلها ساجدة . وفي وسط الاشجار كانت
تماثيل عديدة متصبة على ذلك مرتفعة وهي تجل اصناماً وأبطالاً وبينها مذابح
للضحايا والحرقات ثم اهرام صغار ومنها حجارة خروطة الشكل يطوها شبه رأس
ويتصل بها شبه ذراعين قد اختلف العلماء في شرح معناها

والمرجح أنها صورة « تانيت » مبرودة اهل قرطجنة وهي عشتروت نفسها
وقد يرد بها صورة بعسل حثون او اله الشمس وكلها من آلهة القرطاجين . وقد
بقي من هذه المنحوتات أكثر في دير القلعة الى يومنا هذا والواحد منها منصوب
امام كنيسة مار ساسين بين دير القلعة وبيت مري والذي صورناه على وجهه في
اعلى الشكل السابق

تلك كانت هيئة هذا المقام الخطير في القرن الثاني والثالث بعد المسيح فاذا
نحنت على ذلك حركة الزوَّار المتحاطرين الى هذه المابد ترى ما كان لدى القلعة من

الخطارة وعظم الشأن

ولا بد لنا قبل الختام ان نذكر شيئاً عن المدافن التي كانت بقرب دير الثلعة
لا وُجد هناك من القبور المنيدة ففي شرقيّ الدير الحالي على بعد ٥٠٠ متر منه ترى
خمسة نواويس غليظة العمل واذا اتحدت قليلاً وجدت عشرين نواويساً بقي منها
اعطيتها على شكل جُتلون فوقه قواعد تُدعى (acrotères) . واذا تزلت الى
الجهة الجنوبية ييقل الى الشرق بلغت الى مغارة يدعوها القُلاحون « مغارة الحبس »
وهو غور طبيعي في الصخر عند حضيضه ليس يتسع الا انه كافٍ لمدفن ثمانية
اشخاص

اما العبادة الجارية في هذا الميكل فلانلم من امرها شيئاً ولا نعلمها كانت
تختلف عن عبادة القيثقيين للكرهوة ينطب عليها الخلعة والدعارة . وليس بمستبعد
انه قدّمت هناك الضحايا البشرية من الاطفال للبعل كما جرى ذلك في غيره من
المعابد الشرقية وشهدت عن صحتها التواريخ الراهنة . ولعل هذه العوائد المنبئة
بسوء دين اهل ذلك العصر هي التي حملت ملوك الروم للتجسّس على هدم هذا
الميكل كما فعل قسطنطين ببيكل ثقة لا تقرر عن كهنة الوثنيين من الاعمال
الفاحشة فلم يجد سبيلاً الى قطع دابر هذه الكثرات الا بهدم المعبد المذكور

• آثار الرومانين في لبنان

اثنى صاحب سفر للكابين الاول (٨: ١-١٦) الثناء الحسن على الرومانين
وامعالمهم فقال فيهم : « انهم ذوو اقتدار عظيم ويبرزون كل من ضوى اليهم
وكل من جاءهم آتروه يورثتهم ولهم شوكة شديدة . . وكل من سمع باسمهم
خافهم . . ومع ذلك كله لم يلبس احد منهم التاج ولا تودى الارجوان مباحاة به . .
وهم يفوضون سلطانهم وسياسة ارضهم بحملتها كل سنة الى رجل واحد وجميعهم
يطيعونه وليس فيهم حسد ولا منافسة »

لمصري ان هذا مديح نعماً فاه به الله على لسان الكاتب الشريف وصدق
في وصف امة تنطلق آكلها الباقية الى يومنا عن جاهها وعلو كعبها . ولم يحرم
لبنان من شواهد عز الرومان وشوكتهم . ولو لم يختلفوا لنا سوى آثار دير القلعة

الذي مرَّ وصفه في الفصل السابق لكنني به شاهداً على صدق مقالنا اذ بينا انه معبد روماني شيدته مستمرة بيروت الرومانية . بيد ان الرومان مآثر جمّة في جميع انحاء لبنان غير هذا المبد فرأينا في ذكرها افادةً للجمهور ليطلّموا على اعمال هذا الشعب الذي اضحى لسمة مرادفاً للفخر والمظلة

ولا بدّ هنا من مقدّمة موجزة يثقف بها القارئ على احوال سورية في وقت تغلب الرومان عليها في سنة ٦٥ قبل المسيح . لما قُتل انطيوخوس الثاني عشر ملك سورية (سنة ٨٥ ق م) صارت البلاد في حالة من الضعف اطمع فيها دغران ملك الارمن فزحف اليها بجياله ورجله واستولى عليها غنيمةً باردة لم يقوَ احد على ان ينتشلها من محالبه . فبقيت تحت حوزته الى ان دارت عليه الدوائر في سنة ٦٩ لما غلب القائد الروماني لوكيوس في واقعة خُروكوكوت . فانتهر انطيوخوس الثالث عشر هذه الفرصة ليستوي على عرش آبائه الا ان ملكه لم يدُم سوى اربع سنوات . وكانت سورية في تلك الاثناء قد تضرّعت قواها وتقهّرت امورها وانتفض جبالها . وكان يحدّق بها شعوب قاموا لها بالرصاد يتطلّون اليها طامعين في ملكها . تحدّثها جنوباً ملكة اليهود من بني حشناي وهم لا يزالون في قلق متداوم . وكان النبطيون يلكون على حدودها الشرقية ويمكّمون على دمشق وضواحيها وعلى جبل الشيخ . اما قبائل البادية فكانت على ثغورها جساء ترّاحها وتشنّ عليها الغارات . ولا صار الامر الى دغران صرف همّه الى عقد العهود مع زعماء هذه القبائل فجعلهم كزّواد تجارته مع البلاد الناجحة واشتهر من جمّة هؤلاء سراً القبائل شيخان ملك احدهما على حمص اسمه سينرلم او سبيكرامس (١) . اما الثاني فيسعى غزيراً وكانت دولته على بادية شمالي سورية

ومن الدول الرعيّة التي لشتهرت في ذلك الوقت دولة الايتوريين ملكت على لبنان وعلى ساحل فينيقية . وكان هذا الشعب محكّماً في آداب الحرب يُحسن الرمي بالبال . وكان اصالة من الجبال الصخرية التي موقها في شرقي دمشق للعرفة اليوم بجبل حوران او جبل الدروز والنبأ . فلم يزل امره يطو ويقرى حتى تعدّى

حدود وطنه فاستولى على جبل الشيخ وبقاع الفريز فحضر ثمت خيامه واقام في دولة صفرى جبل عين بر (Chalcis) كماصتها . وما عثم ان تسور قم لبنان وحصنها بالقلاع ثم هبط الى سواحل الشام فانحذه في دولة ايتورية ثنية اصبحت طرابلس مركزها . وكان هولاء الفزاة يهيئون كسيل جفاف من مشارف لبنان فيفزون وينهبون دون ان يقوم في وجههم حاجز . واكثر من كلوا يا ذونهم بكمروهم اهل جبيل ويبيوت فلا يقوون على النود عن حمى ديارهم ومزروعاتهم وسنهم . ولا غرو ان الاسماء العربية المصنة الواردة في كتابات يونانية وجدت في نواحي جبيل ويقوون ترتقي الى عهد دولة الايتوريين هولاء (١)

فتلك كانت حالة سورية لما ارسل بيبس قواده ليحتلها وما لبث ان سار اليها هو بنفسه سنة ٦٤ فنظما في سلك املك الدولة الرومانية وجعلها اقليماً قائماً بذاته . ثم قلم اظفار القن وفتح معاقل الصفا ورد قبايل البادية الى مساكنها الاولى واعاد السلم والنظام الى مجاريها . ولما سعى اليه اهل طرابلس متظلمين من ملكهم الايتوري ديونيس امر به قتل بعد ان تثبت ظلمه ثم واصل بيبس سيره في سواحل سورية ظافراً وتوغل لبنان واخذ حنوة قلعة جيبوتا (Tyre) الاكي ذكورها فأنقها كما انه هدم قلعة وجه الحبر (Beaumont) وقوض ابنية بقرون لطلول اصحاب الجنايات في ضواحيها . ولما قدم جبيل مثل ملكها كيتيراس كما فعل بصاحب طرابلس ونفس كزية اهلها وجبل مدينتهم مستقلة تحت حمى الرومان

ثم تخوف بيبس وشك الشتاء فيتم سهول البقاع ورياض دمشق ليحل جنده في بساطها الرائعة لينالوا هناك نصيباً من الراحة بعد الاتهاب التي تجسوها . قطع جبل لبنان (٢) وافتتح في طريقه قلعتي برومة (Borroma) وسنان (Sinnan) الولد ذكوما . فما دخلت السنة ٦٣ ق. م حتى اتم الرومان فتح البلاد السورية واستقر لهم الامر في انحاء لبنان

(١) راجع 199, 200 Mission de Phénicie,

(٢) لعل بيبس تلقى جنوده لبنان من جهة جبيل ماراً بالقرية فاليمشولة الى بعلبك

ومن شروط المعاهدة التي عقدها الرومانيون مع اهل الشام ان يَليزم سكان البلاد شرائعهم وسنتهم ويخضعوا على نظامهم القديم ولا يُغصّبون في لسانهم ودينهم وعاداتهم . اما المدن الساحلية فجعل الرومان امرها سُودي يدبّر شؤونها نُجبةً من اشراف البلد وابطلوا بذلك ما كان لملوكها من السلطة المطلقة . ثم ضربوا الجزية على الاهلين يؤديها لهم المذكور منذ سنتهم الرابعة عشرة والالف منذ الثانية عشرة الى السنة ٦٩ من عمرهم جميعاً (١) وفرضوا عليهم خراجاً جبوه من الاملاك يبلغ في السنة واحداً . ورسوموا ايضاً ضرائب ومكوساً على الواردات والصادرات من السلع الا ان هذه الرسوم مع ثقلها كُلت اخف على عاتق السوريين من الخادم والشعر التي حملهم اياها ملوكهم سابقاً وكثرتا يتقاضونها دون نظام معلوم وفي اي آن شاوروا

فامر على سوربة الزمن اليسير حتى التأم صدعها وانجبر كسرهما وانتظم شمل السكّن فرتعوا في مجبوحة الأمن . وكان الرومان قد احيوا معالم العدل واما تو سفن الجور يأخذون للضعيف من للتسدر وينشطون الجميع على الاعمال الشريفه والشروعات الفيدة التي تعود عليهم بالنافع العظيمة لاسيما التجارة والبحارة والصنائع والفنون

لما لبنان فأصاب من هذه الاصلاحات نصيبه الحسن . وكان هذا الجبل الشهيد لما قتمه الرومان قليل السكان فزاد اهله بعد مدة ونصبت تربته (٢) وعاش اللبنانيون في الرغد والهناء في حومة رومة يشكرون لسياسة ولائهم ويثمنون في ظلمهم والوفاء وهم مع ذلك يجرون على سنتهم ويتصرفون في تدبير امورهم كيف شاوروا

ومنذ ذاك الحين اخفت العواثر الرومانية تتنل على البلاد الشامية وانكسرت اللغة اليونانية في للراكز الكبرى حتى نبي كثيرون اللغة الفينيقية واللغة الآرامية لاسيما بين الاشراف واصحاب القوة . لما اللغة اللاتينية فبقيت محصورة في الدوائر

(١)راجع Ulpiani Digesta, Lib. I, leg. 2, n. 3

(٢) وكذلك جرى في حوران . راجع للمجلة الفلسطينية ZDPV, XXI, 21

الحكبة لم يشع منها بين الجمهور غير مفردات تتعلق بالموزونات والمقايس والتقود والادارات السياسية وامور الحرب كهذه : البريد والسجل والزلل والدينار والاوقية والبرج والاطريون والبوق والقومس والفسطاط والشرطي وما شاكلها . ولعل كثيراً منها وصل الى العرب مجتازاً على ألسنة المتكلمين باليربانية . وفي بعضها مسحة من اللغة الآرامية (١) . وبما بلغنا من آثار اللغة اللاتينية كتابات قلائل سَطَرَت على بعض القبور بيد ان المستعمرات الرومانية في سورية دأبت على التكلم باللاتينية ومن جعلتها مستعمرة بيروت . اما العامة فلم يزالوا يحافظون على لغتهم الفينيقية او السريانية يؤخذ ذلك من الاسماء الآرامية الواردة في الكتابات القديمة

ولما كانت السنة ٤٧ ق م قدم الشام يوليوس قيصر فقتل في ساحل عكة مع جنوده ثم سار الى فينيقية ولبنان فتقاطر اليه الشعب واستقبله استقبالاً شائعاً عمل في قلبه وحمله على افاضة نعمه على الاهلين فصنّف من عبّ الضرائب ومنع المكن التي طاف فيها مواهب وأطافاً عديدة وألف القلوب النافرة واعطى مدينة بقرون الاستقلال

وسار لسيده وحلفه اوغسطس قيصر على مناهجه واختص لبنان بنعم سابعة ووهب جبيل أفضالاً عيمة . فقام اهل بقرون وجبيل بخروض الشكر لولي نعمتها وأرخوا تقودها بتاريخ اكسيوم (٢) ذكر الانتصار اوغسطس على خصمه انطونيوس (٣١ ق م)

ومن اجل آثار الرومانيين في فينيقية اختارهم بيروت كستعمرة رومانية . فلما كانت السنة ١٦ ق م قدم الشام اغريبا صهر اوغسطس قيصر وهو مثقل بالسلطان

(١) راجع ما قلنا من اصل هذه الالفاظ في كتابنا القروق . اطلب ايضاً لمقالة ابي حرملة في المشرق (١ : ٤٤٠ - ٤٤١) . وتزيد هنا من اصل كلمة « الشرطي » اننا وجدناها في كتابة يونانية مكتوبة بصورة (Xapov) منقولة اليها من اللاتينية (cohors) . وهي قريبة من لفظة « الشرطي »

(٢) ورد هذا التاريخ في كتابة جبيلية تُعرف بكتابة البلاط (Mission de Phénicie, 224) . وقد وجد الدكتور جول روفي هوداً أخرى تثبت هذا الامر لجبل والبقرون ما

الطابق على كل أنحاء سورية . فكان أول ما صرف إليه نظره ان يقيم مستعمرة يُجِلُّ فيها الجلود المتقاعدین ثَمَّ امتازوا في خدمة الوطن . فلم يجد موقعاً صالحاً شأنًا وانسب مقاماً من بيروت فجعلها سكنى لثنتين (١) من الجند وهما الخامسة والثامنة للمروتين بالقنة للقدونية والقنة الاوغسطية . وكالت كتابهما أبلت بلاء حسناً في واقعة اكسيروم فأثابها القيصر باقطاعها مدينة بيروت

ولعل الكتابة التي وجدها سیتزين (راجع ص ١٤) بين اطلال دير القلعة والوارد فيها اسم اغريبا تشير الى هذا القائد مكثي مستعمرة بيروت . ويُحتمل أيضاً نسبتها الى الملك هيرودس اغريبا الاول الذي زَيَّن بيروت بعد ذلك بمدةً بالابنية الفاخرة فشكل هذه الكتابة اثرًا يشهد لاهل المدينة بمعرفة الجليل والشكر

وما لا يُختلف في صحته ان صهر اوغسطس اعاد لبيروت زهاءها القديم بعد ان عبث بها ايدي الزمان واخرها الطاغية تريثون . فاوز الى جند بان يشهدوا فيها بالباقي الحسن ويؤثروا فيها اسباب الهناء . فباشروا بذلك في السنة ١٥ ق م وواصلوا شغلهم بهذه أفعالها الرومانيون في كل اعلمهم . وما حُتت بيروت ان صارت مركزاً خطيراً لادارة شؤون رومة في البحر المتوسط الذي كان غلب عليه سابقاً النفوذ اليوناني واصبحت مرقباً يوصدون منه كل من يماضي قترحاتهم الجديدة فيطمعون للعالم دابر اصحاب الفتن (٢)

وكان الفضل في رفع قَدْر بيروت لاغريبا المذكور ولعلهُ هو الذي تولى بنفسه هذا العمل الاثير والمنجزه بوقت قريب (٣) ودُعيت بيروت مذ ذاك الوقت « المستعمرة يوليا اوغسطا السعيدة » خَصَّها الملك اوغسطس بهذه الاسماء للشجرة باسم يوليوس قيصر وابنته يوليه ولسه الشخصي وازاد الى ذلك لقب « السعيدة » هوذناً بحسن موقع بيروت وصفاء جوها وكثرة خيراتها . وضررت في بيروت تقود للمستمرات تجلّ جديداً يفلح الارض

(١) وأرسلت فرقة منها الى بعلبك لتستمرها فاحتلت هذه المدينة الشهيرة

(٢) راجع تاريخ الرومانيين للامّة مُسِين Mommsen: *Röm. Geschichte*, V, 459

(٣) راجع ما كتبهُ في ولاية اغريبا في الثام الموزّع ج. رالغ H. Gerlach: *Die röm.*

Statthalter in Syrien u. Judaea p. 16

فلم يضر على بيروت إلا زمن قليل حتى امتلح سكانها الاقلمون بالمستعمرين
الرومان امتزاج الماء بالراح فكان من يمتلح البلدة يحسبها مدينة رومانية لتطلب
عوائد الرومان ولسانهم ولسلوهم عليها . والشاهد على ذلك الكتابات اللاتينية
العديدة المكتشفة في بيروت . ولا ترى من المخطوطات اليونانية إلا اليسير وهي
احدث عهداً من الكتابات اللاتينية (١) . بل ظهر ايضاً في بيروت نفوذ آلهة
رومة فاخذ النيقينيون شيئاً من شعارهم الدينية كما اثبتنا ذلك في اثنا . كلانا عن
دير القلعة

ولم تكن الاطاعات للوقوف على المستعمرة البيروتية منحصرة في ضواحي
البلدة والبسائط المجاورة بل كانت تشمل الجبال الشرقية على المدينة وتمتد من ثم
الى ان تبلغ قسماً من البقاع الى جهات منبع نهر العاصي

ونالت بيروت بارتقائها الى رتبة مستعمرة رومانية امتيازات عديدة منها ان
اهلها لم يدفعوا الجزية ومنها استقلالها عن حكم والي الولاية . فاضحت كأنها دولة
صغيرة في ضمن الاملاك الرومانية في الشرق تصرف باحكامها كالعاصمة نفسها .
وكان لها على مثال رومة حاكمان (duumviri) يرجع اليها في التدبير يحلان
ويستدان ويأمران وينهيان كقناصلة رومية السنويين ولها دار ندوة يجلس فيه
للبحث عن مصالح المدينة مئة من رؤساء الاقشار (decurions) . وما لزدائن
به المدينة من البنائات على شبه رومية ساحة كبرى (forum) يجتمع فيها
الجمهور وملعب للملاهي الصومية ولها ايضاً نُصبت بهيكل كهيكل المشتري
في رومة (Capitoile) . وكان الاهلون يختارون بنفسهم ولائهم وحكامهم دون
ان تتدخل العاصمة في شؤنهم ما لم يضطروا الى ذلك الشغب واقتراك الكلمة
بين السكان

فكل هذه الامتيازات التي ظفرت بها بيروت اثرت في اهل المدن المجاورة
لها الرغبة في نوال رتبة الاستعمار

(١) وقد عثرنا بعد ذلك على كتابين جديدين على مقربة من البلد شرهما
بالبحر

وقد زعم بعض الكتبة أن مدرسة الفقه الروماني التي اشتهرت بها بيروت بعنذر (١) كان انشاؤها في هذا الزمان . الا أننا نرجح قول الذين ذهبوا الى ان هذه المدرسة القرب عهداً فأُنشئت في اواسط القرن الثالث للمسيح . وانما كانت بيروت منذ حلول المستعمرين فيها محطاً للطلبة الدارسين وصار منذ ذلك الحين لمدارسها شهرة عظيمة . ومن جملة الفنون التي كان يمكن الاحداث على اتقانها العلوم الادبية بفروعها . وقد اصاب احد لساتذة بيروت لسمه مرقس قاليريوس يرويس قصة السبق بين علماء زمانه في المعارف وفنون الادب (٢) حتى ان بيروت عُدت بسببه كعاصمة العلوم في الشرق (٣)

وكان الرومان يتقاطرون الى بيروت لترويج النفس يثرونها على ما سواها من المدن الساحلية . وفيها كان ولاية الشام يقيمون الحفلات والحاكم القضائية كما فعلوا في قضية سيلاي (Scilla) وهيرودس الكبير قضاوا على سيلاي وهو وزير ملك النبط جوداس ان يدفع لهيرودس خمسين وزنة فضة (٤) وان يكسح جماع قبائل البدو من العرب . وفي بيروت ايضاً قضى هيرودس المذكور ظملاً على لسكند وارسطابولس ابنيه من مريضة المكايبة

ومن المدن التي نالت من سجال فضل الرومانيين مدينة جبيل وان كانت حصتها دون حصّة بيروت بكثير وآثار الرومانيين في المدينة العادية بيّنة من جملتها خطوط لاتينية وجنت بين اطلالها الدارسة (٥)

وكذلك ترى في قرية جنوبية مع ما يحيط بعورها من الضياع دلائل تنفي مرور الرومانيين بها فن ذلك الاتصاب التي كانت تقام في جوانب الطرق للدلالة على المسافات ومنها جسر الماملتين الذي سيأتي ذكره . وفي اسامي القرى دلائل اخرى على الآثار الرومانية واليونانية في لبنان مثل غسطا (Augusta) ودفنة (Δάφνη)

(١) Nonnus : *Dionysiaca*, 391-398 راجع

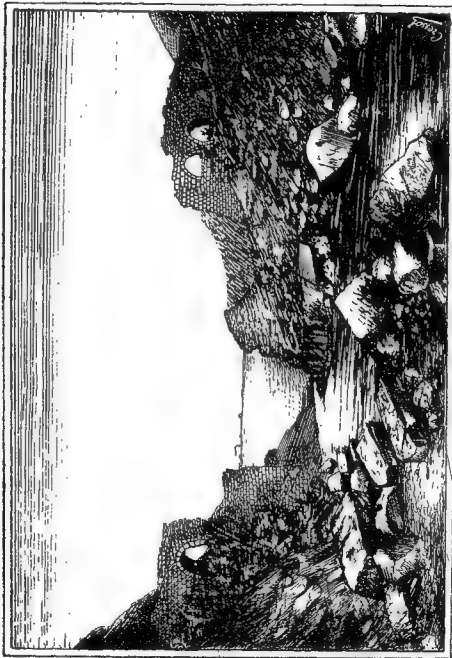
(٢) Suetonius : *De illustr. Grammaticis*, XXIV راجع تاريخ سويتون

(٣) Mommsen, l. c. 459 راجع المؤرخ مومسين

(٤) كانت وزنة الفضة تساوي في ذلك العهد ٩٧٢٠ فرنكاً

(٥) Mission de Phénicie, pp. 164, 192, 280 راجع

قناة نهر يهودا (قناة زبدية)



وبلونة . ومن ذلك أيضاً نولويس عليها كتابات لاتينية تُرى في لبنان . وفي دير بيت خشبو واحد منها ^(١)

ألا أن الرومانين لم يكتفوا بتدوين الكتابات الدالة على ملكهم . فلما كان الله جلهم على السياسة والعمل لم يحتلوا بلداً دون أن يباشروا فيه اشغالاً خطيرة وامالاً اثيرية تؤول كلها لمنفعة رعاياهم كالقني تجلب بها المياه الى اهل المدن من منابعها البعيدة . وقد سبق لنا ذكر قناة دير القلعة (ص ١٠)

وفي لبنان قني غير هذه المذكورة بل هي اعظم منها شأنًا وامتن بنياناً . فن ذلك القناة الضخمة التي كانت تجري بها مياه نهر بيروت وتُعرف اليوم بقناطر زبيدة وهي بلا شك من آثار الرومانين

وقد بُنيت هذه القناة بنحيت الحجارة الكبرى وكانت تمرّ بوادي النهر فوق جسر عظيم ذي ثلاثة صفوف قناطر راجبة بعضها فوق بعض لا يزال منه الى يومنا بقايا حسنة تبعد نحو سبعة كيلومترات عن بيروت في شاليها بيد ان الصف الثالث من القناطر قد تهدم وهبط ايضاً وسط الجسر فلا سبيل الى ان تجري فيه المياه . وكان طول هذا الجسر يبلغ عند تمامه خمسين متراً وطولهُ ٢٤٠

اما زمان بنائه فليس من دليل عليه فانه لم يُكتشف حتى يومنا شيء من الكتابات المترجمة عن احواله . الا ان متانة شغلِه وحيأة بنائه للحكم تنطق بلسان حالها عن اصله الروماني وما يبين ان هذه القناة بقيت قروناً طويلة تجرّ المياه الى بيروت ان في مستودعها وجدواتها الداخلية راسباً سيكاً من المواد الكلسية التي ابنتها المياه في مرّها . ولعلّها خربت في الزلّة التي حدثت في ايام يستيان لذلك لما صادرت بيروت رحماً تنفق عليها الترابان

وكانت المياه بعد ان اجتازت الجسر المذكور تلج في نفق (سرب) ينفذ في الجبل مسافة طويلة ويتهي الى السهل حيث صبرت منه بقايا على الزمان وكانت تجري المياه في منطف الاشرافية فوق سيرة السكة الحديدية الحالية . وكانت القناة تقضي

(١) Ibid., p. 328. راجع ايضاً في تاريخ شيب (ص ٩٤٧) الفصل الذي يورين ما كان لاهم سوريتي ضد الرومانين من الاحبار والحجارة

الى المدينة مارةً تحت مدرسة الحكمة للمواردنة . وقد حسب حضرة الاب جوليان اليسوعي ان هذه القناة كانت تغني البلدة في كل ثانية بمتر مكعب من الماء اعني خمس عشرة مرة ازيد من ادوات الشركة الانكليزية حالاً (١)

وكان الرومان قد ابثوا في سورية قناة رابعة كانت غايتها اجتلاب المياه من نهر ابراهيم الى جبيل الا ان آثارها ليست كآثار قناة بيروت

وما يحسن بنا قوائ ان الرومان لم يكونوا ليرضوا بالمياه المجلوبة في قتيهم الا ان تكون صافية نقية من كل الاقذار ولذلك كانوا يباشرون بعملها عند رؤوس الينابيع وينقرونها بالصخر الاصم او يبنونها بحيث لا يدكسها شيء من الاوساخ فيغطونها بصفائح الحجارة . وفي عملهم هذا عبء للشركات الحالية لتصون المدن من جراثيم الامراض التي تسببها الاقذار الداخلة في القناة لاسيما بعد لمطار الحريف حين تجرف السيول الى القناة اجساماً غريبة تثبت بانحلالها في المياه كل انواع الجراثيم الفاسدة

فيظهر مما تقدم ظهور الشمس في رابعة النهار ان الرومان يجلبهم المياه من الينابيع النازحة اخصبوا البلاد التي مدوا فوق رواقها حمايتهم . ولعلهم لم يكتفوا بذلك بل اقتصروا المياه في المدن فجعلوا لكل دار قسطاً كما تفعل في زماننا شركات المياه . ولنا شاهد على صحة ذلك بكتابة وجدت في مستعمرة رومانية من اعمال افريقية كانت اصغر شأناً من بيروت وقد ذكر فيها صريحاً هذا تقسيم المياه على بيوت الاهلين (٢) . فلا نظن ان بيروت حوت ما لم تحرمه غيرها من المستعمرات وهي اعظم منهن قدراً

ومن افضال الرومانيين التي لا تُنكر السكك والطرق . فانهم ما نشبوا ان احتلوا ربوع الشام حتى سعوا باصطناع السكك فيها . وكانت غايتهم الاولى بذلك ان يمهّدوا الطرق لجيوشهم ثم ينشطوا بين رعاياهم التجارة والمعاملات . ولم يثن عزمهم ما لقوه في لبنان من المبالك الوعرة والصخور المرتفعة فان همتهم

(١) راجع مجلة الرسائل الكاثوليكية 430-420 p. 1894, Missions Cath. وفيها له مقالة حسنة عن قناة بيروت الرومانية

(٢) راجع مجموع الكتابات اللاتينية (C. I. L., VIII, 51)

لم تعرف الكُكُل فوُتروا الطرق ومهدوا السُبل في جميع انحاء البلاد التي قسعوها .
وكانت السكّة اللاتية على سواحل فينيقية من عهد قدماء المصريين في القرن الخامس
عشر قبل المسيح كما تشهد عليه المكتابات المكتشفة حديثاً في تلّ العلوّنة (١)
وقد جاء فيها ذكر السجلات الحربية التي لا يمكن ان تبيد دون سكك منظمة .
بيد ان هذه السكة القديمة لم يبق لها أثر بخلاف سكّة الرومان فان بقاياها لا تزال
الى يومنا ظاهرة على الساحل . وكذا قلّ عن جميع السكك التي تولوا صنعها
في لبنان

اما الذين كانوا يقومون بهذه المشروعات الجليلة فهم جند الرومانيين . ومصدّق
ذلك في كتابة لاتيية نُقشت عند مجرى نهر الكلب . على ان التاريخ يثبت بان
لهؤلاء الجنود في كل البلاد التي فتحها رومة اعمالاً تُمدّ من اعمال الجبارة .
فكسبوا من قصور وقلاع شيدوا وجسور عظيمة عتروا وخنادق حفرها وسور
ضخمة ابنتوها . وكان يسير في عداد الجنود قومٌ من المهندسين والصنّاع يقومون
بهذه الاعمال

وبما امتازت به السكك الرومانية الوثاقة والمتانة مع توفير اسباب الراحة لبني
السابلة . فكانوا يحملون وسط السكّة مرتقماً عن الحضيض يفرشونه بصفائح
كبرى من الجبارة البركانيّة او ما شاكلها صلبة . ولئلا تتصف بها الارض
كانوا يضعون لسندها ثلاث طبقات متوالية اسفلها من الحصى والزلزل ووسطها
من دقيق الجبارة المجرّنة بالكلس . اما الطبقة العليا فكان سمكها ١٥
سنتيمتراً تقارب من كثرات الحزف والآجر بينها لللاط الشديد . وكان على
جانبي الطريق مسلك للسابلة (Trottoirs) برفعة قليلة عنها وعلى طرفيه
حجارة ضخمة

وكان الرومان يضمنون الامان لسككهم بان يقيموا من مسافة الى اخرى
مراكز لجندهم وخافضات للسفر ومرابطات للحيل ومحطات للبريد

(١) راجع كتاب الابل ديلتر (Deiattre) اليسوي المُنون : Le Pays de Chanaan, province de l'empire égyptien, p. 39.

وكانوا ينصبون من ميل الى آخر انصاباً من الحجارة فيها ارقام تدل على مسافات الطريق وبُعد المكان عن حواضر المدن . وربما كانوا يتقشون في هذه الانصاب اسم القيصر الذي امر بنهج الطريق او اصلاحها . وهذه الانصاب مكنت اهل البحث والتتبع من تتبع آثار سكك الرومانيين . وتراها ملقاة على ساحل البحر غائصة في الرمل او مطبوعة بين الردم وهي تدل على السكة الساحلية التي مر ذكرها . والحق يقال ان هذه السكة كلفت طرفة من عجائب البنايات وتراها الى اليوم متقورة في الصخر بقرب نهر الكلب وجونية . وعند بحر السيول والانهار ترى آثار الجسور الضخمة التي كانوا اصطنعوها . نخص منها بالذكر جسر المعاملتين الذي لم يزل صابراً على آفات الدهر

ومن سلكهم الناطقة بفضلهم الطريق التي اصطنعوها من جيل الى بعلبك وهي تمر في اعالي لبنان فوق القاقورة وهناك يشعب بين جبلين تحرقه الطريق فتعضي الى بركة اليشونة ثم تتسع وتحد فتصبح من احسن السكك الجبلية وتقنها لكن آثارها في منطف لبنان الشرقي دالة . ولعل هذه الطريق سبقت عهد الرومان وما لا مشاحة فيه ان الرومان تولوا اصلاحها وتوسيعها كما يؤخذ ذلك من كتابه لدوميطيانس قيصر في آخر القرن الاول للمسيح وجدت عند المكان المسمى بدرأجة مار سيمان

هذا ومما توغلت في لبنان وجدت للرومانيين مآثر وكتابات ونقوش . مثال ذلك الكتابات التي تراها في الوهاد الواقعة بين الصتين وغابة الارز لاسيا في مقاطعات القاقورة وتثورين وقرطبة حيث تجد كتابات عديدة بخط فيها مراراً اسم احدائس الملك وجوف هذه الكتابات تبلغ نصف ذراع طولا وقد اعتبرها بعض اهل تلك النواحي كأرماد تحتمل كنوز دفينه بجحوا عنها بعد نقر الحجارة وتحطيم الكتابات . اما سبب تكرار اسم هذا القيصر الروماني فلكونه قضى في بلاد الشام سنين طويلة وكان يصعب في اسفاره عدد غفير من النقاشين وارباب الصناعة والحرف . ومن المرنج انه مر بمدينة جيل وزار مطابد الزهرة في لبنان .

وبما يعود فضله الى الرومان فيستوجبون له الشكر العم عنايةهم بنصب

الاشجار في لبنان . وقد مرّ لنا في الشرق (١: ٧٢٨) كلام في ذلك وبينّا هناك ان لبنان كان في القرون الحالية مجتلاً بالعالمات تساو قممهُ ضروبٌ من الاشجار . ولتبنا ايضاً ان الحكومة الرومانية كانت احتكرت لها اربعة اصناف منها وهي العرعر والارز والسرّو والصنوبر (١) وكلّها من اشجار الجبال المثينة الخشب الوارفة الظل اختصّها الرومان بانفسهم لئلا يتصرّف بها الاهلون فيقطعوها بلا حكمة . وكان الرومان يتخذون منها الخشب لتجهيز سفنهم ولبناء مساكنهم في سورية وما يُخبر عن بيمبوس القائد الروماني فاتح الشام انه اصطنع في اسطولا من خشب لبنان لقطع دابر القرصان الذين كانوا يتجسّسون في بحر الروم متلصّصين . ولما انتشبت الحرب بين بيمبوس المذكور ويوليوس قيصر تولّى كليوس من اصحاب بيمبوس قيادة اسطول الشام وأجرى بها الى صقلية لمحاربة سفن قيصر واحرقها (٢) وكل ذلك دليل على اهتمام الرومانيين بزراعة لبنان وتوفير غاياتها ومن كل ما سبق يفهم القارئ ما للرومان من الشروعات الطيبة والاعمال الجليلة التي لم نذكر منها سوى بوضء من عد . وفي تسمّة مقالتنا عن آثار لبنان سيأتي ذكرهم غير مرّة . وفي ما سبق كفاية لتقدير اعمالهم وخلاصة قولنا من الرومان أنهم في ولايتهم كانوا يهتمون بصولح رعابهم ويوفّرون لهم اسباب الثجاج ويسعونهم أماناً وراحة وقال اهل سورية بهمهم

(١) وقد ارتأى السّادة الاب مريئوس اليسوعي في تاريخ لبنان ان الكتابة التي تدل على احتكار الرومان لهذه الاشجار والتي شرحناها في الشرق (١: ٧٢٧) انما كان لها معنى آخر . فظن الاب المذكور ان الرومان كانوا خصموا هذه الاشجار للإلهة حثورت او الزهرة . قال : « وما يؤيد رأينا ان احتكار هذه الاشجار لم نجد له قرّناً سوى في بلاد جبيل حيث كانت عبادة الزهرة منتشرة شائعة . ثم كثيراً ما ترى على الحجارة التي وجدت فيها الكتابة المذكورة حروفاً ثلاثة غيرها باللاتينية وهي D F S مناهما على غلّ الزهرة F(acit) S(acrum) خصمها بالإلهة . اي ان إدريان الملك خصّص بعبادة الزهرة الاراسة الاصناف من الشجر المذكورة . (قلنا) وهذا شرح غير ثابت كما يتنبّه حضرة الاب جلابيرت (Mélanges de la Fac. Orientale. IV. 209 seqq) ومعنى هذه الحروف Definitio sylvarum اي تحديد النباتات (المحكمة)

(٢) راجع تاريخ يوليوس قيصر (Caesar, Bell. Civil. III)

قسماً واقعاً من ذلك السلام الذي نُسب الى رومة (pax romana) مثمناً الله بجله
في ظلّ دولتنا العلية آمين

٦ الصّين

قد سبق ان القائد الروماني بيسيوس اخبر في اثناء محاربة لبنان قلعة تُسمى
يورومة . ولكن لم تتعرض للبحث عن موقع هذا اللّوضع . فانّ من اصحاب
الحاديّات من ظنّ انها سار جليل وقيل قلعة الحصن في نواحي دوما وقيل غير ذلك .
وقد فات هؤلاء الكتبة ان الجغرافيّ اسطرابون في كلامه عن يورومة جمع بينها
وبين قلعة اخرى دعاها « سنّان » وسنّان على الرّأي الاربع قلعة قريبة من جبل
صّين فينتج عن ذلك ان قلعة يورومة ليست بعيدة منه ايضاً . واذا طلبنا في جوار
الصّين موضعاً في اسمٍ شبه بقلعة يورومة لا نجد غير رومانّا . ومن المحتمل ان
الاقدمين لحسن موقع هذا المكان كانوا شيّدوا هناك حصناً حريزاً يشرف على
الوديان الجاورة وعلى سولول بيروت . على اننا لم نجد في رومانّا اثرأ لهذه القلعة
ولعلّ بيسيوس قوّض اساسها او اتت على بقاياها مصائب الدهر فابادتها
اما قلعة « سنّان » فمع كونها على مقربة من جبل صّين لم تكن في مشارفه
العليا لأنّ البرد هناك قارس والسكنى في الشتاء شاقّة وانما كانت على منطف
رُباه . والاربع ان هذه القلعة كانت مبنية فوق احدى السكك في الوديان
الفاصلة الصّين عن جبل الكتيبة او الحاجزة بين جبل الباروك وجبل الكتيبة
اعني بقرب سكّة الشام الحالية . وهذه المواقع خطيرة لانّها كضيق يُفضي الى بطاح
سورية الجوفّة

واما اسم قلعة سنّان (Zannan) المذكورة في كتاب اسطرابون فانه اسم الصّين
بمعنى لكّة على صورة قنطرة القديسة

وقد ارتأى بعض الكتبة المحدثين نقلاً عن تقليد شائع في لبنان ان جبل
صّين هو الجبل للدعو « سنير » المذكور في الكتاب الكريم . وقد هموا بمشابهة
الاسماء مع ان سفر تثنية الاشعاع (١:٣) ينفي صريحاً هذا الرّأي ويدعو حمون
سنير عند قوله : « وحمون يستبدّ الصّيدونيّون يسريون والاموريّون سنير » .

والثانية الامر على البعض لوجودهم في سفر نشيد الاكثيد اسم سنير مقروناً باسم لبنان حيث يقول العروس لروسن السرية (نش ٨:٤) «هليتي معي من لبنان من رأس امانة من رأس سنير» (١) . وزعم هؤلاء ان امانة اسم الجبل للشرف على حكاما . وكل هذه الاقاويل مزاعم لا سند لها وان لم تكن محالاً . واسم لبنان في التوراة لا يُطلق فقط على الجبل المعروف اليوم بهذا الاسم بل يدل أيضاً على جبل الشيخ الذي بازلته الأإذا زاد الكتاب صفة ما تبين نية الكاتب الكريم كقوله مثلاً (يوشع ١٣: ٥) : «لبنان جهة مشرق الشمس»

ولما اسم «سنير» فتجده في كثير من كسبة العرب كالمسودي فإنه يقول (في كتاب التنبيه ص ١٥٣) في أثناء كلامه عن الموارنة : «ان امرهم مشهور بالشام وغيرها اكثرهم في جبل لبنان وسنير وحص واعمالها» . وفي كتاب المسالك والممالك لابن حوقل (ص ١١٤) مدلول سنير على جبل الشيخ او على الجبال الواقعة في شالي غربي دمشق . وجاء في الصبح الاعشى للقلقشندي (ص ١١٣١) من نسخة مكتبتنا الشرقية : «ثم يتد (لبنان) الى الشمال ويجاور دمشق واذا صار في شمالها سني جبل سنير . وكذا في مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه المنذاني وغيرهم . لكنه يؤخذ من قول واقوت في معجم البلدان (٣ : ١٧٥) ان سنير تدل أيضاً على قسم من لبنان او على الجبال الواقعة «بين حص وبعبك» . اما لفظة «صين» فيظهر انها حديثة العهد لم نجد لها ذكراً في تأليف العرب القديمة

ومن يتساقى قم صين العليا يجد ثقت آثاراً من بناء مربع مشيد بنحيت الحجارة . وعلى مشارف جبل الكنيسة بناء آخر مثله . ولا يمكننا ان نحكم على اصل هذه الابنية حكماً قطعياً ولعلها من مآثر النيفيين بنوها مباشرة مناسكهم الدينية . والله اعلم

٧ ساحل عليا

فلتواصل الآن سيرنا الى جبات الشمال بعد ان استطردنا الى ذكر اعالي لبنان واعمال الرومانيين في انحاءهم : وفي كسروان آثار قديمة وصفنا منها قسماً في الفصول السابقة وهالك ما بقي علينا وصفه

وبما يستلقت الانظار في اسفل كسروان متحجرات على شبه السمك تجدد منها شيئاً كثيراً في ساحل عليا . وهذه الآثار قد ورد ذكرها في اسفار قدماء الرسلين وقد ذكرها المسافر الشهير منكونيس (Monconys) في رحلته المكتوبة في القرن السابع عشر (ج ٢ ص ٧١) وكرر بعده اصحاب الاسفار وصفها . وجاء في ترجمة القديس لويس التاسع ملك فرنسا للسيد دي جواثيل عن اسماء متحجرة جمها قوم من لبنان ما تعريبه (١) : « ولا كان الملك في صيدا . اتى اليه قومٌ بحجر غريب ذي قشر وفلوس . وكان اذا تزع عنها قشرة وجد بين كل حجرين شبه سمكة مجرّية متحجرة لا ينتصها شيء . من هيئة الاسماك وتركيبها وزعانفها وحسكاتها ولوانها كأنها اسماء حية . وقد اعطاني الملك منها حجراً فوجدت فيه سمكة من نوع الشبوط تأمة البنية ذات لون اسمر » . وفي متحف عاديّات مدرستنا الكلية عدد كبير من هذه للتحجرات التي يوتقي عدها الى الازمنة السابقة التاريخ

هذا وفي ما مرّ (راجع الصفحة ٥) قد اتينا بذكر قري كسروان للجاورة لحور جونية . فلنذكر الان القري العليا من هذه المقاطعة . واولها غزير يوجد في اسفلها مدافن ومعاصر قديمة . اما قصبة كسروان فلم نزلها اثرأ ينهي بوجودها قبل القرون المتوسطة . الا ان اسمها سراني (١٦١٤) كلساء . اغلب قري لبنان ومعناه « القطيع » او « المقطوع » (٢)

وقد وجد بعض الرحالة في « قنتا » على بعد ساعة من غزير شمالا كتابات عديدة

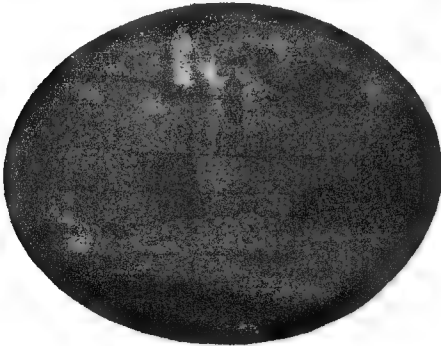
(١) Joinville, ed. 118, ed. Wailly, p. 330 راجع

(٢) لا « قطيع النعم » كما زعم ف. ابني حلفه في جغرافيته (راجع المشرق ٤٢٥ : ٢)

يونانية احداها من سنة ١١١ للمسيح يُستفاد منها انه كان هناك هيكل . وهذا دليل على ان فتقا كانت موضعاً معتبراً

٨ مراب

مراب مزرعة على عطف الجبل بين دلبتا وعين ورقة تبعد نحو كيلومتر ونصف من عين ورقة في شرقها بجبهة ريفون . فيها آثار ماثلة يعرفها اهل تلك الضواحي بقلعة مراب او يدعونها بطلق اسم القلعة . والارجح ان هذه الاخوة احد المعابد العديدة التي اقامها ارباب الدين القديم على مشارف لبنان تعزيزاً لديانتهم . وهو نعم الموقع يتد منه البصر جنوباً الى بيروت وبحرها اللازوردي وشمالاً الى جبيل وبطائنها الخضراء . والآثار الباقية عبارة عن جدران ضخمة الحجارة طولها ٢٥ متراً في ١٠ امتار عرضاً و ٦ امتار علواً . وقد قيست بعض الحجارة فاذا طولها



آثار قلعة مراب.

يبلغ خمسة امتار بيقصر في عرض مترين . وفي البناية حجارة مُسَمَّية محفورة في الصخر ذات حافة ينفذ فيها سقايةٌ لعلها تُجَلَّت قليلاً لتجري فيها حماء النباح وأسكاب التلاديم . وهذه غاية ما نطلمه عن هذه البناية التي أعلن أولاً امرها اليسوعيون في غزير فأرشدوا إليها رينان إلام سياحته في لبنان فذكرها في كتابه « بشتة فينيقية » (١) ولم يصمها (راجع تلخيص اللوارنة للدويهي ١٦ و ١٢٦)

٩ غينة

فاذا اتخذنا الآن من مزرعة معراب وعبرنا وادي غزير ثم اتجهنا الى ناحية كفور (٢) حيث تكسب قبة مستديرة الشكل تُعرف برأس الكنيسة وجدنا على مسافة نحو كيلومترين منها مجوار قرية غينة صخرة منفردة يبلغ علوها بضعة امتار وللصخرة المذكورة وجان الشمال والشرقي قد نُحِتَتها القدماء فنقشوا في كل منها ثلاث تصاوير فكتة طمس الدهر قسماً منها وحُطِمَ منها قسمٌ محمداً . واول من وقف من العلماء على هذه النقوش الغربية الايوان اليسوعيان يوركو (Bourquenoud) وروز (Rose) في سنة ١٨٥٧ ورسم صورها في مجلة الابحاث (٣)

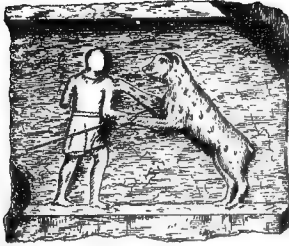
فالجهة الشرقية وهي الكبرى يُجَلُّ بطلًا قبل النداعين شديد الجسم في يده رمحٌ مُشرع كأنه متعزّز للقتال وقد صوّب بئانه الى صدر حيوان ضار هجم عليه وسند احدى قوائمه الى كتفه كافة يحاول اقتلاسه . والشخص التوّبه به لابس ثوباً خفيفاً وهو شمار يكاد يبلغ ركبته تضئُهُ جُبكة عند وسطه . اما هيئة الحيوان فهي اقرب الى الدب منها الى الاسد . وقياس القسم للتحوت من الصخر يبلغ مقدراً ٩٦ سنتيمتراً علواً ومترين ٨٨ س . عرضاً

وبقرب الصورة للوصوفة أنفاً نقش آخر اصغر منه يُجَلُّ امرأة رشيدة القد جالسة

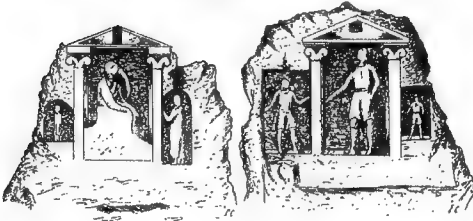
(١) Mission de Phénicie, p. 328 راجع

(٢) راجع ما ورد عن كفور في الكتاب السابق ذكره (ص ٣٤٧)

(٣) Etudes Religieuses, 1861 راجع



آثار غينة



آثار المشقة

على متعد تراها كسيفة البال كثيفة رافعة يمينها الى وجهها وبصرها مائل الى صورة
البطل المقاتل . وعلى رأسها منديل يبلغ طرفاه الى وسطها . اما رجلها فتسندهما
الى مسند نقوشه على مثال المقعد التي هي جالسة عليه

وفي الجهة الثانية من الصخر على شمال هذه التماثيل رسوم اخرى يبسدها
دائرة مطبوسة . وبما يظهر منها جلياً صورة شخص منتصب يتكئ الى شبه سهم
او صولجان تلوح على وجهه امارات السكينة والوقار . لهما بقية التماثيل فلا سيال
الى وصفها او اثبات رسوماتها لانظرها وما لا شك فيه ان ثم صورة حيوان ولطفا
وحشان . وللاب العلامة يودكو (١) مزالم في شرح تصاوير هذا النصب الثاني
لا يوافق عليها العلماء.

وما من شأنه ان يكشف عن سر معنى هذه النقوش ان تحت رسوم الجهة
الشرقية متارة نُقِحت في الصخر

ولا ريب ان هذه البقايا تنبئ بأثر تعبد اهل ليلقية لادونيس او قوز (٢).
ولعل الاحاديث الثابتة بين القوم كانت تشير الى قرية غينة وتروي عن موت هذا
الاله انه قُتل في هذا المكان فتاحت عليه امه الزهرة او عشتاروت . اما للدفن
فالمرجح انه نُحِت تخليداً لهذه القصة لا لتمثيل قبر حقيقي

وما يحسن ذكره هنا ما ورد عن ماتم قوز في سفر حزقيال اذ رأى هذا الذي
رجساً في الهيكل فوصفه بقوله (حز ٨: ١٤) : « ولقي بي الى مدخل بيت الرب ...
فاذا هناك نساء جالسات يسكين على قوز »

على ان هذه الرسوم الدينية لا يتضح معناها تماماً الا بتأنيدها بأثار اخرى وجدت
على الالام عند قرية اللشقة

١٠ اللشقة

موقع مآثرها الجبلية في وادي نهر ابرهم على رهوة ذات قطع عمودي مشرفة

(١) راجع مجلة الامجلات ١٨٦١، p. 945

(٢) وندول كلا الاسمين واحد

على التهر وتلك الضواحي منظر يجمع بين الحسن والغرابة . أما الآثار التي تستلفت
الناظر في المنطقة فاربعة :

(الأولى) عبارة عن سور او حىّ مربع مستطيل تكسره ٩٥ متراً طولاً في
٥٠ عرضاً . وباب البناء من جهة الشرق . والظاهر ان هذا التوزيع كان يحدّ سابقاً
المعد والابنية اللاحقة به كما ترى في قلعة قفرا وفي حصن سليمان في بلاد الناصرية
وغيرهما . وحائط السور قليل السك بسيط البناء يستند في جهته الشمالية الى
صخر . وفي داخل السور في الجهة للقابلة للباب بقايا لاساس مربع بُنيت فوقه
عوليد لم يبقَ منها غير حجارتهما السفلية . وقد اتخذ جانب من أخربة هذا البناء
لهامة حديثة

وإذا احتينا في البحث عن اصل هذه الاطلال وجدنا انها كانت هيكلًا يتوسط
السور الذي ذكرناه . وكان لهذا الهيكل اعمدة من الطراز الهندسي القورنثي يطويه
شبه هوم مخروط الشكل بقي منه حبران منقوشان نقشاً بديعاً
والآثار (الثانية) على شمال السور الموصوف تبعد عنه ١٢٠ متراً . فهناك
مجاز قد نُحت في الصخر ونقش على جانبيه رسوم قديمة . وفوق هذا الصخر
نواويس ضخمة متتوية في الصخر على شكل أبراج مستطيلة لها انطية مخروطية
للجوانب . أما النقوش فهي باثرة وهي سبعة عدداً ففي مدخل المجاز المذخور
صورتان عظيمتان متقابلتان من كل جانب وهما منقوشتان في ضمن إطار او كوى
من صنف الهندسة الايونية ويلاصق هاتين الصورتين من جانبيهما صورتان اخريان
اصغر منهما ولكل منها إطار منقوش كما ترى في الصور التي رسمناها . والصورة
السابعة وهي متوسطة في الكبر نُقشت في الصخر منفردة عن بقية التصاوير من
جهة الشرق

واحدى الصورتين الكبيرتين التي عن يمين الباب في الصخر تجل بطلًا لبنة
كالشخص الذي وصفناه في نصب غينة . ولعل الصورة للوزاية والداسة قدتها
تجل امرأة تنوح . ولما لشخص الصور الصغرى التي على طرفي الصورتين الكبيرتين
فن تبة الشخصين للتوسطين تراهم يحدجونها بالنظر ويتأثرون بحركاتهما
ومعنى هذه التصاوير اذا قولت بتصاوير غينة يتضح جلياً وانما تجل نبذة



تمثال الزهرة المسودة في لبنان

من ترجمة تموز اعني موته ومناحه الزهرة عليه . قال مكروب المؤرخ اللاتيني (١) :
« والزهرة مصورة في لبنان مقنعة الرأس كثيفة الوجه تسند رأسها الى شملها المحتجة
بردانها » (٢)

والاثر (الثالث) من آثار للمشقة على مسافة عشر دقائق شرقاً من باب السور
فهناك ساحة بُني فيها في القرون الثمانية معبد صغير اخربة بعض طلاب الكتوز منذ
سنين قليلة . وبين الردم نُصب أقيم ذكرًا للبل وفي رأس النصب اكبليل وعلى
طرفيه نقوش تجل الصاعدة (٣)

اما الاثر (الرابع) فهو في شمالي غربي السور الاعظم فهناك ابنية من ضيعة
سكنها قديماً النصارى والدليل على ذلك ان من جهة الاخربة كنييسة على هيئة
الكتانس البوزنطية . ولعل النصارى استلواها الى ايام الفتح الاسلامي
هذا وقد بحثنا من اسم للمشقة القديم فلم نجده وكذا قل عن اسمي فينة
ودور القلعة فان التواريخ القديمة لم تقدمنا من امرها شيئاً . وما لاشبهه فيه ان هذه
المعابد التي وصفناها اقيمت لآرام تموز إله الجليسين وكان ذكره شائعاً في تلك
الانحاء . وكثرت المياكل على اسمه . يستدل على ذلك من اسم نهر ابراهيم عند القدما .
وكانوا يدعون Adonis (أدونيس) وهو تموز . اما عهد هذه الابنية فجهول
ايضاً لكن على الاصح لا يسبق زمن تلك الرومان على سوريّة ولبنان

١١ الديانة الفينيقية في لبنان

قد اشرفنا في القصول السابقة الى دين اهل لبنان ومناسكهم وهاكل آلهتهم
الشيدة في مشارف الجبل كدير القلعة وغينة والمشقة . وعندنا اسماء آلهتهم كابليل
وعشتاروت وتموز . الا اننا احببنا ان نفرد هنا فصلاً خصوصياً لهذا البعث الهام
ونخلص كل ما ثبت لدى العلماء من هذا القبيل فان هذا النظر العام من شأنه ان

(١) راجع كتابه Saturnales I, 21

(٢) وقد رسمنا صورها الموصوفة هنا

(٣) راجع بحثه فينيقية Pl. XXXII Mission de Phénicie

يوضح كثيراً من أحوال لبنان ويكشف ما استخلق فيه من أمور أهله الأقدمين وقد شاء الله أن يكون الفينيقيون قوماً وسطاً بين الشعوب الشرقية القديمة والأمم الغربية التي خلفتها. ولا تخرج ديانتهم عن هذا الحكم بل تراها بعد الفصح المدقق أنها نُشبه في كثير من أمورها ديانة مصر وآشور وإن آلهة الفينيقيين هي آلهة ممالك النيل والفرات استأواها منهم بعدئذ اليونان فكساها شعراؤهم بضروب من المصنوعات الخيالية وذوّقوها بمسحة من الزينق والجلال ومن خواص ديانة الفينيقيين أنهم كانوا يتعبّدون لأوثانهم دون أن يمجّدوا فكرهم في تنظيم آلهتهم وبيان العلاقات التي تربط لها بآئو كما ترى في ديانة الآشوريين واصنام اليونان فإن بين آله هؤلاء الشعوب بعض النظام بحيث يتسلسل صغيرهم من كبيرهم ويتنبي بعضهم إلى بعض بخلاف آلهة الفينيقيين فإن في معبوداتهم تشويشاً ما ولعل هذا الاختلاط ينجم عن حالة أهل فينيقية السياسية ولستقلال منهن . وربما وجدت للمبود الواحد متصفاً في مدينة بصفات لم يعرف بها في مدينة أخرى قريبة منها

وما لا مشاحة فيه أن عبادة البعل كانت تعم كل أنحاء فينيقية . ومعنى اسمه في اللغات السامية الرب والسيد وإن ذلك الأصفة عامة لجميع آلهة الفينيقيّة كانوا ينعنون بها معبوداتهم الخاصّة في كل مدينة فيقولون « بعل صيدون وبعل بريت وبعل طرسوس وبعل لبنان وبعل حرمون » وهلمّ سراً . واسم الجمع بعليم وردت غير مرّة في أسفار العهد القديم . غير أن مدلول هذه اللسنيات في القالب آله واحد كانوا يخصّونه في كل مدينة بعبادة محلية تبين بعض صفاته . ثمّ تُدع القوم بهذه الصفات الخاصّة فيصلوها آلهة قويّة قائمة بذاتها دعواها بعليم وكلها منبثق من الآله الأعظم الأصلي تشترك بقسم من كمالته وقواه . واسم الآله الواحد منتسباً إلى آلهة متعدّدة

الأ أن تقسم الذات الإلهية كثيراً ما كان يتبع تخطيط البلدان فيني مثلًا أهل مدينة هيكلاً للآله العظيم فلا يلبثون أن يمتدوا ذلك للقام كسكن لبض قوى الآله ثمّ يتخذونه كمبود مستقل . وعلى هذه الصورة تمدّدت بعليم في صور وصيدا ولبنان وحرمون وصارت لاحقة بالمبدل الأوّل والبعل الأعظم

أما إذا استقصينا البحث عن هذا البعل الأول المذكور فيظهر جلياً أن اللغوي به إنما هي الطبيعة المبرولة بكل قواها تُبدع وتُفني . وتُخلق وتلاشي . وتُحيي وتُميت . وكانوا يعرفون هذا الإله باسم مخصوصة في كل حالة من حالاته فأدّت بهم لملأه إلى أن اعتبروه كلفة شقي

وكانوا إذا حسبوه كلفة للوجودات ومولد الكائنات يدعونه بعل تُوْز أو أدون ومنه لشتق اليونان اسم ادونيس (Adonis) . ومن المحتمل أن يكون ادون هذا هو المعروف أيضاً باسم بعل لبنان . أما تكتيئة ببعل سلم أو بعل السموات فكان يراد به إله الثور وجوم الشمس . وكان لكل البعل علاقة مع بعض النجوم السائرة إلا أن الإله « تُوْز ادونيس » معبود مدينة جبيل كانت علاقتها مع الاجرام الفلكية اعظم من غيره . وكان الفينيقيون في زمن الدولة اليونانية يزعمون أن ادونيس للشار إليه إنما كان شاباً يتصيد في الشام وأنه كان ابناً لشتعوت فقي بعض الآلام خرج ساعماً إلى جبال لبنان ليتصيد في غاباتها الشرقة على جبيل اذ وثب عليه خنزير بري فقتله

الآن انه الحرافقة على زعمهم كانت رمزاً عن الشمس وتقلباتها من حالة الثور إلى الظلام في بعض فصول السنة . فكانوا إذا قدم الحريف يحتفلون بأعياد يدعونها جنازة ادونيس (Adonies) ففي تلك الآلام كنت ترى نساءهم يلبسن الحداد وينذهبن إلى نهر ابرهم للنمص لذكر ادونيس فيبطسن على ضفتيه باقيات معولات يوثقن موت الإله ومحاسن الطبيعة التي يعبر عنها (٢١) . وكان البعض منهن يسنن ذيوهن ويسدن شورهن ويسرن في شوارع جبيل معبئات شماً يلبسن وجرهن ويولدن على تُوْز ويتغنن الاغاني الشجية المبكية

أما إذا انتهى فصل الشتاء وزهت الدنيا بقدم الربيع ولتشتاع التيوم عن الشمس فكانوا يقيمون لذلك مواسم تنبي بفرط سرورهم وعظم افراحهم

(١) ولعل هذه الصيغة هي صيغة النساى بدلاً من « ادوني » أي سيدي . وكانوا إذا اجتمعوا شائعة البعل يدعونه بهذا الاسم

(٢) راجع آية حزقيال التي وما ذكرناه في الفصلين السابقين عن قوش غنة والمنتفة (ص ٢٨ - ٤١)

ومن تبنيهم للاجرام الفلكية المسيرة نتجت عبادتهم للنار وكان الفينيقيون يعظمونها كاحدى اركان الطبيعة ويقدمون لها الذبائح فيحرقونها ورثها اتخذوا لحرقاتهم الحنالا صفاراً لا يرقون حالهم
ومما يشر بتبنيهم للافلاك عبادتهم للبلل حامون اي المعرق وكان اسمه شائماً عند القرطبيين وللبلل رصف (Reseph) وهو اله الصاعقة ونار السماء .
وكذا كان اهل صور يمدون بلل ملكوت المهبم الاعظم على صورة حجر منيرة .
ومن ذلك أيضاً تبنيهم للرجوم او الحجارة الواقعة من السماء .

وؤد على ما سبق ان عبادة الحجارة كانت من خواص دين الفينيقيين فكانوا يقيمون انصاباً ينحتونها ويدعونها بيت ايل (١) اي بيت الله يزعمون ان الذات الالهية تحمل فيها وتسكنها . واكثر ما كانوا يختارون لبيادتهم حجارة الرجوم لاسيا تلك التي راوها ساقطة من الهواء على شكل شهب نارية فيحدثونها لذلك هبة ساوية . واذا كانت هذه الرجوم مركبة من مواد بركانية ذات لون اسود وتوفر عددها في لبنان فذلك شاعت عبادتها في الخثانيه . ومما كان يزيد في اعتبارها عند القوم ان يروها على شكل مخروط لا يجدون في هذا الشكل من الرموز الدينية كما اثبتنا ذلك في بعض فصولنا السابقة (٢)

وكان البعل او الطبيعة الاله معتبرا عند الفينيقيين كذي مبدئين ممتازين احدهما مبدأ الخليفة القاعل والاخر مبدأ المفعول . ومن البسذل المفعول نتجت الالهات الإناث وليست الأنثى عندهم سوى إعلان لقوة الاله الذكر. تظهر خواصه وتقابله . وكان ان البعل كان الاله العظيم كذلك كانت عشتاروت الإلهة الكبرى وهي تنقسم اقساماً عديدة على مثال البعل فتوى لكل بعل خاص يُعبد في بعض المدن بطة من جنسه . وحيثما كان البعل بمجلة الشمس كانت البطة بمجلة القمر . ولبلل الدجائم إلهة تولذبه يدعونها ملكة هالتيهم . ومن الأزواج المذكورة في الكتابات الفينيقية بعل

(١) منها اشتق اليونان لقبهم Boastfulness . راجع قاموس التوراة لفيغور

(٢) راجع المشرق (١٣٧: ٣) ومقالنا السابقة في دير القلة

صيدون وعشتاروت في صيدا، وتَمُوزُ وِبَعْلَة جَبَل (١) في جُبَيْل . وكثيراً ما يُطلق على بَعْلَة جبل اسم البعلة بلا اضافة وكان هيكلها من اشهر المعياكل تُحجّ اليه الزوّار من كل صوب

وكلّت عشتاروت والبل وملكرت كصنف من التّثليث الالهى في صور . وكان لهذا التّالوث مرتبة عليا بين الالهة يذعن لهُ بقيّة المعبودات التّائويّة . واتّحدت صيدون لما تالوثاً آخر يتركب من عشتاروت والبل ولشون . اما الجبيليون فكان تالوثهم ليل وتَمُوزُ وِبَعْلَة . وِبَعْلَة هذه هي التي يدعوها المورخون في زمن الدولتين اليونانيّة والرومانيّة زُهرَة لبنان اشتهرت عبادتها في أفقة كما سيأتي

وكان للتّينيقيين ما خلا هذه الاصنام آلهة أخرى من الطبقة الثانية وردت لساؤلهم في الخطوط القديمة

وخلاصة الكلام ان دين التّينيقيين كان مرجعاً الى تأليه قوى الطبيعة وتمزيقها . اما مناسكهم الدينيّة الفاضحة فتعلّبت عليها الفطائع والادراس حتى أنّهم كانوا يمدّون اعمال البهارة والعبور كافال تقويّة يتقرّون بها الى آفتهم النجسة ولم يأنف كهنتهم من البهارة بالشمس فانهم كانوا يتخذون لكل هيكل نساء من المومسات يدعونهنّ عالمات (عولم) او قلسات يعرضون بهنّ لكل ضروب الفحشاء

ومن قبائحهم ان كهنة البل وعشتاروت في بعض المواقع كانوا يتخذون فيلبسون لباس النساء ويطلون وجوههم بالشمرة ويمرّون اعضاءهم ويسعون في المدينة جوعاً فَنَهم من يشهر السيف والفأس ومنهم من يضرب الصنوج والطبول ويؤمّر بالزّمار وكلهم يولولون ويرقصون كقص الدراويش في ايامنا فتارة يحظفون بين ارجلهم وتارة يحنون صدورهم وحيناً يقفزون قفزاً وطوراً يزحون على الحضيض وهم يسحبون على الارض شعورهم اللّصيّة . ثم كانوا يمدّون الى اللدى والسكاكين والحراب والسيوف فيضنّشون وجوههم ويشرّحون ابدانهم ويقطعون

(١) وِبَعْلَة جبل هذه ذكرته في مراسلات تلّ الهلانة المكتشفة حديثاً التي يرتقي عدما الى القرن الخامس عشر قبل المسيح

قطعا من لحومهم ويطنون بطونهم فإذا سالت دماؤهم واصطبغت اجسامهم قدموا ذلك ضحية لطوائفهم . وقد ورد في سفر الملوك الثالث (الفصل ١٨ الآيات ١٦-٣٠) ذكر كثير من هذه الأمور وفيه وصف ضحية كهنة البس على جبل الكرمل في عهد إلياس النبي الحبي

ومن فظائهم التي ألما الى ذكرها في معرض كلامنا عن دير القلعة القديمة البشرية التي كانوا يضفونها لاصنامهم وكانت هذه الضحايا احسن موقعا عند المتهم بأنسون اليها ويتسبون منها رائحة الرضى . وكانوا يوثقون لهذه المذابح القظيمة الاولاد الابكار لاسيا الاطفال الصغار بعد ولاحتهم يذعنون ان هذه البواكير استجلبت بركت الآلهة على اصحابها

تلك كانت اعمال الدين الباطل التي لم تزل سائدة معزدة رغما عن اقوال الانبياء . وغيرة اولياء الله في العهد القديم حتى ظهر ابن الله وضاعت انوار الصرائية في العالم فاقسمت هذه الظلمات المظلمة وخذلت عبادة الاصنام وانوبت هياكل الشرك على يد ملوكها العظمين كسطلطين وثودوسيوس

١٧ اليثونة

اليثونة قرية على عطف جبل منيطرة من جهة المشرقة على سهل البقاع بينها وبين افقة بعض الشبه . واسم اليثونة مشتق من السريانية (ܝܬܘܢܐ) معناها البحيرة دُعيت بذلك لأن بقرها حوضا تجتمع فيه مياه تلك النواحي يدعوها الاهلون بركة اليثونة . أما قول المسيو رينان في كتاب بعثة فينيقية (ص ٣٠٧) ان البحيرة اشئت اسمها من اسم القرية فهو خلاف الواقع كما ترى

والبحيرة المذكورة في غور عميق تكشفه الجبال العالية من كل صوب ما خلا الجهة الشمالية الشرقية . فان في هذه الجهة ريو صيرة تقوم في وجه المياه وتصدّها عن السيال . أما وطأ الارض الذي تمتد فيه البحيرة فترت موصولة من الحواري الشديدة البياض فاذا دخل فصل الصيف نضبت مياه البركة وبيس غورها البالغ طولة نيفا وكيومارين في عرض نحو الف متر . فيسير السائر في تلك البطحاء على

هونه لا تزلُّ به الرجل ولا تقوص في وحل وكل ذلك دليل على أن المياه وقت اجتاعها لا تصفى في ذلك الوطأ ولذا تعود في الأرض كما سنذكر
وفي شمال البحيرة عند سفح الجبل المتصب عليها ترى نبوعاً عديدة تتغير في الأرض ماؤها زلال عذب أصفى من الندمة . يتجمع في مسيل عرضه بين مترين وثلاثة امتار فيجري عند طرف البركة الشرقى ثم يمتاز البحيرة في عرضها الى ان يبلغ حوضاً قليل السعة كأنه بركة في بركة كبرى . وهذا الحوض الصغير غير منتظم الجوانب لا يتجاوز ٤٠ متراً في اوسع امكانه . لما عمقه فيبلغ في شبر ايلول خمسة امتار ثم يأخذ بالتقصان ألا ان هبوطه لا تكاد العين تلاحظه لكثرة ما يجري اليه من المياه

وما لا ريب فيه أن المياه للتجمعة في الحوض الصغير تسيل من مغفر خفي يدعوهُ الاهلون بالوعاء وهو محبوب عن البان تحفه الحجارة وركام من الحصى والرمل . تسيل المياه من هذه الشقوق الى سرب تحت الأرض
واول من عرف الاوربيين بهذه البحيرة السائح الفرنسي بولس لوقاس (Paul Lucas) زارها في أثناء القرن السابع عشر وهو يزعم في رحلته أن هذه البحيرة حديثة العهد . وهو زعم مردود يشهد على بطلانه اسم اليثونة السرياني وهو اقدم من ذلك المصربكتير

ثم تردد كثيرون من السائح الى لبنان وزاروا البحيرة المذكورة وبعضهم صمّحوا اسمها ببحيرة ليمون (Laimoun) (١)

ومما يجدر بالذكر ان سطح مياه بركة اليثونة مع صعوده وهبوطه سنوياً لم يبلغ الى نضوب البحيرة تماماً حتى سنة ١٨٧٠ . فلما دخلت السنة المذكورة ساخت الأرض بطبقة الوحل والرمال التي كتلت في قعر البالوع فاكملت فوهة للتفد الداخلي وانغطت مياه البحيرة على حين غفلة وجرت من هذه التافنة . وكانت سابقاً تنض في الأرض نضيباً

هذا ثم تعود مياه البحيرة عند الاعتدال الربيعي فيرتفع سطحها وتندفق جوانبها

(١) راجع كتاب ريتز (Ritter : Eirakunde, XVII, 301)

الى ان تبلغ معظم ارتفاعها بعد شهر من الزمن وذلك ان المياه تنجس من مغارة قريبة في منطف الجبل فتسيل الى البحيرة وتغمرها . وهي لا تزال تجري من تلك المغارة بقوة شديدة الى انقلاب الشمس الصيفي وهو منتهى ذوبان الثلوج على رؤوس الجبال فتقطع المياه اذ ذلك بمتة وتأخذ البحيرة بالثضوب شيئاً فشيئاً للسبب السابق ذكره حتى لا يظهر من البحيرة الاقصرها . على ان هذه السيوسه الناجمة اليوم عن نفوذ المياه في قعر البالوع كانت سنة ١٨٧٠ جزئية لان الارض المنخفضة في ذلك العام مع كونها غيرة كانت من ذي قبل تمسك قسماً من المياه حتى في اوان حرارة التقيظ

ولعل القارى يسأل وماذا يحدث بالمياه المتولدة من بحيرة اليثونة والى اين مجراها ؟ اجبتا ان هذه المياه تغد في قلب الجبل فتجري الى جهة الغرب وتخرج من مغارة آفة وعند قرة العاقورة منحدرة نحو ١٥٠ متراً عن سطح بحيرة اليثونة ومن هذه المياه يتكوّن نهر ادونيس المروف اليوم بنهر ابراهيم . وهذا الامر قد ثبت الآن عند العلماء لا يرون في صحته لان مياه اليثونة لا اثر لها في منطف الجبل الشرقي من جهة القباع وزد على ذلك ان الجبل الفاصل بين وادي نهر ابراهيم وبطحاء اليثونة قليل الاتساع في باطنه مغاور عديدة يسهل نفوذ المياه اليها

وان سرت بضعة اميال الى جنوبي بحيرة اليثونة على منطف الجبل الشرقي وجدت وادياً كبير الاشجار في وسطه بحيرة صغرى جميلة للنظر تدعى بركة الزينية طولها نحو كيلومتر في عرض ٥٠٠ متر مياها صافية كالزلال وليس في هذه البركة من السمك شيء ولذا تسبح في مياها الضفادع والحيات المائية بخلاف بركة اليثونة التي يتوفر فيها السمك

وبحيرة الزينية تحف بها التلال المرتفعة وتسيل اليها المياه المتجمعة من الثلوج الذائبة وتنصب فيها جداول عديدة تجري في تلك الاصقاع . وقمر المياه من المواد الكلسية الصخرة الكثيرة التفتت الشائعة في اعالي لبنان فتتخذ منه المياه وتعود كما تنضب مياه بركة اليثونة فتصل الارض وتيسر بالتأم وعلو هذه البحيرة الصغيرة عن سطح البحر نحو ١٨٠٠ متر كأنها في حسمها احدى بحيرات جبل الاب (راجع الشرق ١ : ٤٢٦)

ومن الآثار القديمة التي تُرى في اليثونة دكة مربعة من الحجارة المنحوتة بُليت على طرف البعية في وسط التبع للنجرة التي تُحَدِّقُ بها . وهناك بقايا من أسوار وأعمدة وأفاريز وصقائض ضيقة من الحجارة تدلُّ على أنَّ شَمَّ كان هيكلاً رومانيًّا أباده الدهر . ولا أثر هناك لكتابات قديمة

وقد حاول بعض المحدثين أن يثبتوا أنَّ هيكلاً أقفاً الذي ذكره القدماء كان في جوار بحيرة اليثونة . ألا أنَّ هذا الزعم لا سند له كما بينَّ الأمران في بعثة فينيقية (١) والصواب أن القدماء اتخذوا لهم هيكليْن أحدهما على مقربة من بحيرة اليثونة والآخر عند منبع منارة افقة وكان بين الهيكلين تناسب يمدُّهما القوم كعبدتي إله واحد لا بينهما من الشبه في خروجها من حوض واحد . ولعلَّ هذا الوفاق بين الهيكلين حمل المؤرخ اليوناني زوزيمس (٢) على ذكر بحيرة بقرب هيكلاً الزهرة عند افقة . وأما قال ذلك توسماً لا يريد بلفظة « *ἱερόν* » اليونانية « المجاور القريب » بل مطلق الاقتراب فقط . ومن الممكن أيضاً أنَّ هذا المؤرخ لم يثبت الأمر بنفسه بل أورده عن سمس (٣)

هذا ثمَّ أنَّ الطريق المؤدية إلى بركة اليثونة إلى بعلبك كثيرة الآثار فيها كتابات عديدة ألا أنَّ أكثر هذه الخطوط دراسة مطبوعة لا حاجة إلى ذكرها في هذه الخلاصة

١٣ أفقا

كُونا مراراً اسم افقة (ويقال أفقا) في فصولنا السابقة على أننا لم نخضعها بعد بالذكر . فرأينا أن نفردها باباً خاصاً لتفيد قراءتنا ما بطلنا من أمرها قلنا أن وادي نهر إبراهيم كان يُمدَّ في القرون الحالية كارض ممتدة تعبد فيها الفينيقيون لسوز (أدونيس) فاقاموا له التزارات والابنية الدينية يجفون إليها ويتبركون بها . وقد امتاز بين هذه المعابد هيكلاً أقفاً الشهير جلوه عند رأس نهر إبراهيم في موقع يفوق مجسته جميع مناظر لبنان ويأخذ بالابصار حسنه التأن هكذا

Renan : *Missions de Phénicie*, 308 (١)

Zozime : *Hist.* 309 *seqq.* (٢)

(٣) راجع في هذا الصدد مقالة حسنة نشرها مسيو شرل ظيردو بك في مجلَّة مسر وموئلها المأدبة المسيو بولس هذا عنراخا (Les eaux d'Adonis au mont Liban, p. 12, *seqq.*)

وصفة دينان في كتابه الموسوم بعثة فينيقية وبنائه في مقالاتنا عن جبال الالب ولبنان (الشرق ١ : ٧٢٢)

يشتق الماء اسم أفتا من السريانية أفتا اصلها آفعا أو فعا معناها « المخرج » يريدون بذلك « مخرج المياه » أو ينبوع . فته دُعي المبد الذي نحن في صدره وكان مبيلاً لأكرام « زهرة أفتا » يتقاطر اليه الحجاج من كل نواحي الشام . وكان اهل تدمر يقصدونه في كل سنة لتاسكهم . لكنه لم يبق من هذا الهيكل القديم غير بقايا ضخمة تلي بظلم شأنه . وهذه الاخرة منكسرة فوق سطح بُني على ركائز متدرجة بازاء العين عية الى الجنوب ومن يتأمل هذا البناء يجد بينه وبين هيكل قناتشياً في بعض اقسامه . ومن جملة الآثار الباقية الى يومنا هذا عمود من الصوان وكثير من الحجارة الكبرى المنحوتة

وقد خرب هذا الهيكل مرتين . هُدم مرة اولى بايعاز قسطنطين الكبير بعد تشبوه لاسباب ذكرها اوسابيوس القيصري في تلخيص هذا الملك حيث قال (١) : « لما استولى قسطنطين على منطة الملك رقب من سمو عرشه ما نصبه ابلين من الاشراك في فينيقية لصيد النفوس . فوجد من ذلك على هضاب لبنان في موضع قفر لا تطرقه السابلة معبداً تحرق به غيرة . وكان المبد المذكور أقام لبعض الاصنام الدنسة يدعى الزهرة . يتراد الى البناء واهل الفجور فاضى بذلك شبه بانخور منه عبيد ديني . ومع ما كان يجري في ذلك المكان من الآثام القذيمة والارجاس الشفيمة كان الامر باقياً محجوباً عن عيان ارباب السلطة لانه لم يتجاسر احد من اهل الفضل ان يدخل المبد ليتحقق صحة ما تناقلته اللسان . بيد ان قسطنطين وقف على حقيقة الامر فرأى من أخص واجباته ان يقوض اركان ذلك الزون النجس . فتقدم الى عماله بان يهدموا ذلك المقام ويكسروا اصنامهم ويتلفوا ما نُحل اليه من الهدايا النفيسة . فأرسلت الى أفتا قبة من الجند وتعموا اوامر الملك فلم يُبقوا ولم يندروا . وكان ذلك سنة ٣٢٥ للمسيح امّا سكان افتا فأمرؤا بان يبارحوا سكتاهم فتولفوا بعلبك

(١) راجع الجزء الثالث من ترجمة قسطنطين لاوسابيوس الفصل ٥٥ وتاريخ سوزمان في مجموع الآباء اليونان (مين ٦٧ ص ٦٤٨)

ولكن بعد وفاة قسطنطين عاد سدنة هيكل الزهرة وحاولوا بناء الهيكل ثانية . ولطعم حشوا امانهم على عهد يليانوس المعروف بالجاساد بقيت عبادة الزهرة مدة من الزمان الى عهد ثودوسيوس الكبير . ونظن ان هذا الملك شدد الاوامر فردّ النيقين عن هذه العبادة الثجبة كما أبطل عبادة الاوثان في انحاء كثيرة من مملكته . والارجح ان الاخوية الباقية الى يومنا هي بقايا الهيكل الثاني المتوه بذكره وخوابه بسبب احدى الزلازل التي دهمت سواحل الشام كما وصفنا ذلك في الشرق (٣٠٣:٣١ و ٣١٧:٣٠٣) . وما يؤيد ظننا ان بعض الجدران سقطت دفعة واحدة مع بقائها على نظامها الاول . وقد وجدت الزلازل مساعداً قتل الحرب بما كان يجري من المياه تحت الهيكل . فأنهار البناء لذلك عند حدوث الزوال والله اعلم

١٤ مجاري المياه في لبنان

لا يتّم وصفنا السابق ليتابع أفقة ولبعية اليثونة إن لم يُحط قراءوا علماً بجالة لبنان من حيث مسايل المياه في جوائه المختلفة وذلك فن يلحق بفن الجغرافية يدعوه التفرّج الهندوغرافية اي رسم المياه وفي تعريف مجاري المياه في لبنان فوائد مرتبطة بتاريخه لارتباطاً لا تنفصم اوارية . وقد ادرك الاقدمون ما في هذا الامر من الشأن الخطير حتى انهم اعتبروا بعض عيون لبنان ومياهه المتضجرة كآفة حبة أكرمها إكرامهم لمبوداتهم المختلفة . وقد أثبتا بشواهد على ذلك في ذكر عين أفقة ونهر ابراهيم المخصّصين لأكرام الزهرة ونحو

ومن المعلوم ان لا خصب للقرية في الشرق لذا ما انتظمت عنها المياه او قلت كنيّتها بحيث لا تقي بحاجة الزراعة . وما بلغ لبنان من العمران ما بلغ الألفراة مياهه وكثّة مسايله

ومن لطف الحاق ان طبقات لبنان العليا تزكّب من عناصر كلسية كثيرة التثنت نخرة ينساب للاء فيها دون حائق ويتسلسل في منافذ ضيقة ثم يتجمع في مناوّر تحت الجبال كأنها خزائن للباء يفيض منها الى اسفل البلاد . ومن السواعد التي قد الى تلك الاحواض الطبيعية المياه التكوّنة من التلوج الذائبة في قم

لبنان ومادّتها لا تكاد تنقطع عنها ابداً فانّ جبل صيّين مثلاً وواحي الارز والثّمر المحيطة بها عبارة عن احواض من التلوج يبلغ عمقها من ٣٠ الى ٧٠ متراً وطولها من ٧٠ الى ٣٠٠ متراً عرضاً فلا يزال مدّدها متواصلاً يجري الى الماور والاوشال التي منها تحصل الجداول والانهار والبحيرات الموجودة في باطن الجبل

وقد اخبر المهندسون الانكليزيون الذين عهد اليهم سنة ١٨٧٣ فحص مياه نهر الكلب انهم ركبو قارباً وتنبّحوا مجاري هذا النهر في اعماق الارض . فلما قطعوا ١٢٠٠ متر وصلوا الى بحيرة واسعة غزيرة المياه يبلغ عمقها بضع مئات من الامتار وكان ماؤها زلالاً شديد الصفاء والبرودة . وكان يتدلّى من سقف المتارة عمود لطيفة من لاء المتصّير (stalactites) وكانت عمود أخرى (stalagmites) تعلو عن حضيض الارض وجوانب البحيرة فتكتسب مرتفعة كشّش . فعاولوا ان يقطعوا تلك البحيرة ويتقدّموا في اسراب الجبل فلم يقووا على ذلك فافلتوا راجعين

واجتهد غير هؤلاء الانكليز من ارباب الهندسة ان يزوروا مآثور أفتة فتقدّموا في منافذها للتمدّد ووجدوا جداول واحواضاً من لاء لكثّم لم يبلغوا الى نهايتها وهذا بما يؤيد رأي من قال ان بين أفتة وبركة السيونة وصلة تجمع بينهما وهذه المياه الوفيرة للغزونة في اعالي الجبال واوشالها الباطنة تنصب شيئاً فشيئاً الى الأهوة والبطاح على حسب اعطاف الجبل واسرابه المختلفة . وربما وصلت المياه الى سفح الجبال بشدّة غريبة فتتفجر وتغور صاعدة في الجوّ ثم تجري من نبعا كأنها النهر في كثرة مياهه . ترى ذلك في نبع نهر بيروت وانطلياس وجبيتا وخصوصاً في نبع نهر الناصي عند خروجه من مغارة مار ماريون بقرب الهرمل . وليس في الشام كهذا النبع يتفجر بقوة عجيبة من بين الصخور كأنه مدفوع بمضخة (طلبا) قويّة ثم يتد في مسيل عرضه ١٥ متراً الى ١٧ م

ومن خواصّ عيون لبنان انقطاعها في بعض فصول السنة . وقد ذكرنا هذا في غضون كلامنا عن بحيرة اليثونة . وقد لحظ الاهلون مثل ذلك في نبع نهر بيروت المعروف بالديشونيّة كما ورد في للشرق (١ : ٢٣٧) حيث علّل اسباب هذا الانقطاع حصرة الاب صالحاني . ولعلّه يوجد سبب آخر لوقوف مياه هذا النهر وذلك اذا

انهار شي . من الردم والصخور فصال مدة دون مجرى المياه . بقي غرة سنة ١٨٣٧ لما اصاب مدينة صفد زوال هائل نقص ابقيتها وهدم بيوتها انتقلت بقتة مياه نهر يبروت ولم تعد الى مسيرها الا بعد مدة وكان لونها ضاربا الى الحمرة فقام الناس ان قسما من الجبل تهو في المياه الداخلية وحجز دونها . وقد ذكرا في البشير (في تاريخ ٢٣ ت ١ سنة ١٨٩٩) ان بعض القرب والصخور انهارت من سقف المغارة التي يخرج منها نهر الكلب فتناقصت المياه من جوار ذلك مدة ساعتين الى ان دفعت المياه الحاجر من طريقها وعادت كما لو ف عادت . هذا وفي تقسم المياه على جوانب لبنان فائدة كبرى تجدي نفسا كل بلاد الشام فضلا عن الجبل وحده . فكما ان النيل يجري البلاد المصرية كلها كذلك لولا لبنان لأصبحت بلاد الشام كصحراء غامرة لا خير فيها كصحاري جزيرة العرب . فان لبنان يمتص فوق رياه نداوة البحر ويجذب الانجرة للتصاعدة الى الجوف فتسكثف وتقر على قبة امطارا وتلوجا تتوزع ثم على جميع انحاء الشام على هيئة ينابيع وجداول ومجربات . فلو تولى لبنان من اكون لنضب نهر العاصي والليطاني بل ليست كل مسايل سواحل فينيقية . وما كنت تجد شيئا من حدائق طرابلس ورياض يبروت وبياتين صيدا ويطاح البقاع المخصبة بل كنت ترى مغازل مقفرة تمتد مدى البصر وهي جرداء صلاء ليس في ارمالها ديار ولا نافع ثمر . حقا لله لبنان وبياه ونفعنا بفضلها وجدوله

١٥ قلمة فقرا

ان سرت صاعدا من مزرعة كهرديان ميمتا شلما الشرقي على مسافة ساعة ونصف منها وجدت في منتصف الطريق اللوحية الى ميرويا على جنوبها روة قريبة من جسر الحبر ورأس نبع اللبن يبلغ علوها فوق سطح البحر ١٦٠٠ متر . وعلى هذه الروة اخربة تفوق بسمتها كل آثار لبنان لا يماثلها بامتدادها الا اخربة عين عقيم المروفة بالناووس في مقاطعة الكورة على ان عين عقيم مع سبتها دون قلمة فقرا . هذا واتنا لا نرى حاجة الى تصداد ودوم هذه القلمة كلها ولما نكتفي بأهتها وهي اربعة :

١ البيكل . هو من المآثر الجلية . ومن خواصه ان نباته نموا يادى بدء

في نفس الصخر مساحةً كبرى جعلوها كأساس الميكل واتخذوا الحجارة المنحوتة في الصخر كوادٍ لبنانيهم فاقصدوا بذلك في نفقة نقل الحجارة ولهم قصدوا غير ذلك . وما لا ريب فيه ان الفينيقيين اتخذوا هذه الطريقة ديدناً وجوا عليها في ابنتهم المختلفة . وقد بلغ الفينيقيون في تحت الحجارة مبلغاً بعيد الشأو حتى يحال للمعتبر ان صلاب الصخور صارت طوع ايديهم يقطعونها كما ارادوا



قلعة فقرا

هذا ولم يتخذوا كجدار الميكل ما مثّل من الصخور لان الجدران لا تلاصق الصخر لأن بينها وبينه دهليزاً يفصلها . والميكل طوله ٣٤ متراً في عرض ١٤ متراً . وحجارة البناء متوسطة الكبر غير ان افرز الميكل والمراقي التي بها كان يصعد الزوار والسواري المائتة في مدخل المبد كانت فاحمة عظيمة الشأن يعمل منظرها في عين الجهور . وبقيت هذه الاخوة قنّى بضخامتها فان هناك اركاناً وقطعاً من العمدة منحوتة في قلب الصخر لكنّها متراكمة فوق بعضها بنير نظام وعلى اسوأ حال

وأمام الهيكل ساحة رجة الجوانب طولها ٣٨ متراً في عرض ٣٠ يُحْدَقُ بقسم منها الصخر للتصّب فوقها عمودياً . وكان سابقاً في مقدّمة هذه الساحة رواق يستند الى عمد والشاهد على ذلك ما ترى هناك من الاعمدة المخطّطة . وكانت عادة الفينيقيين ان يبثروا هياكلهم في وسط باحة رجة كما يظهر الامر في هيكل بعلبك وهيكل حصن سليمان في بلاد الصيرية . غير ان موقع فقرا لم يسع بذلك لما يحيط بالمكان من الصخور العالية فخطوا بأحتم بازاء الهيكل وما يقضي بالجب عند مرأى هذا الهيكل العظيم انه بُني على قِمة الجبال حيث لا ترى اثرًا للقرى فان اقرب الضياع للسكونة اليوم هي اسفل من هذا المكان بنيف وثلاثة متراً

٢ البرج . وفي شبالي الهيكل برجٌ عظيم مربع الشكل وللترج انه كان يتهي سابقاً ببناء مخروط على هيئة الاهرام . ومن جال في داخله وجد عدّة دهايز واسراب ودرجاً يُصعد منه الى اعلى البرج المذكور (١) وعلى جوانبه كتابتان يونانيّتان يأتي ذكرهما . اما الغاية من تشييد هذا البناء فبهمة ولا نعلم أهو مربّب لوصد الاعداء في وقت الحرب وبمجرد خض البناء لا يُستدلّ على شيء من ذلك . ولعلّه قبرٌ لبعض الملوك لانّ الخاصّة لم يتأتّقوا عادةً هذا التأتّق في بناء قبورهم . على انّ الكتابتين اللتين أُلّما اليهما تنبيان هذا الاقتراض لان الواحدة تذكر التيمصر الروماني كلاوديوس وتعلمنا الثانية ان مشيد هذا الاثر هو احد سندن الهيكل ابتداءً « على نفقة خزانة الاله العظيم » وعلى ظنّنا انه مشهدٌ اقيم كتعبّر لتموّد اله الفينيقيين ولا يمتاص علينا في تقرير هذا الامر غير الدهاليز المجاورة ٣ . ولكن من المحتمل ان هذه الاسراب احفرت لغاية دينيّة او بالاحرى ليستدّر فيها ارباب تلك الديانة في بعض حفلاتهم الدنسة كما مرّ بك في ذكر هيكل أفتة . وكانت هذه الفواش تجري غالباً بجوار العابد الدينيّة المخصّصة لذكر تموّد

(١) وقد وصف هذا البرج وصفاً مطوّلاً فريس (Guys) في كتابه الفرنسيون الممنون (Relation d'un séjour à Beyrouth et dans le Liban, II, 8) والسّائع سبترن (Seetzen) في كتاب اسفاره المكتوب في بدء عسرا هذا (Reisen I, 248)

٣٠ البنية المربعة . وبإزاء الهيكل للوصوف بقايا حسنة من بناية مربعة يظهر من شكلها أنها كانت مشهداً أو قبةً وهذه البناية محكمة العمل وحجارتها ضخمة

٣١ البناء المستطيل . وعلى مسافة نحو مائة قدم من الهيكل من جهة الجنوب أثرٌ آخر لا نعلم من غاية بنائه شيئاً وهو على شكل مستطيل ذي جوانب متوازية وتراه منقسماً الى قسمين كبيرين او ردهتين لما باب يصل بينهما من داخلها ليكون هذا البناء هيكلاً او كنيسة كما زعم رينان في كتاب بعثة فينيقية (ص ٣٣٧) ذلك امرٌ لا يمكن الجزم به فان هندسة هذا الاثر تختلف هيئة الهياكل القديمة والكتائس المسيحية . وزد على ذلك ان باب الكتائس كان يوجه في القرون الماضية الى التراب بخلاف باب هذا البناء . وقد استولى الحراب على آثاره فطمس محاسنه وذهب برويقه فتراه في حال اسوأ من بقية الاخرة المجاورة له هذا وقد سبق القول ان على مشارف قفرا غير هذه الاثر . فمن ذلك اطلال بيوت دراسة ومعاصر وقبور منحوتة في الصخر وهلم جرا . وكل هذه المباني تشهد على ان هذا الموضع كان عامراً في الاعصار الحالية وان قوماً من السكان كانوا يقطنون بجوار الهيكل محققين به

ولسائل ان يسأل الى اي عهد يرتقي تزيين هذا الهيكل . جوابنا : ان الامر مبهم اذ لم يجد احد من العلماء كتابةً تنهى بقديم هذا البناء . الا ان البرج الذي مر وصفه مزدان بكتابتين الاولى على طاف الباب والثانية على احدى زوايا البرج . والكتابة الاولى مطموسة لا يكاد يقرأ منها سوى سطرها الاول يستفاد منها ان البرج بُني لاجل القيصركلاوديوس الذي جلس على منصة الملك من سنة ٤١ الى ٤٥ بعد المسيح . اما الثانية فيؤخذ منها ان تزيين البناء وقع سنة ٣٥٥ للميلان (١ اعني ٤٣ سنة بعد المسيح وانه بُني « على نفقة الاله العظيم »

(١) ان هذا التاريخ مكتوب بالحروف الانجيلية BNT وقد رُسم فوقها غُطيط دلالة على انها اسفار عديدة لا حروف هادئة . وكان السائح سيقترن لاحظ ذلك في خضون زيلري لهذا الامر وقد تحققنا نحن ايضاً الامر بنفسنا في خريف سنة ١٨٩٨ لما تفقدنا هذه الآثار . يد لنا وجدنا اللون اللاتيني (N) هيئة قريبة تقرباً الى الملم M

(Ex tñu tott pnytorou Oeod) فُتِى من هو الاله للذكور ؟ على رأينا انه فُتِى بنفسه وقد ورد لسه في كتابات جبيل مصحوباً بلقب العظيم (pnytoros) ولقب الاكبر (dnytoros) ومن ثمَّ يجوز القول ان هيكلا قفرا كان احد المعابد للشيدة لاكرم . ويستتبع من قبس بالكبير او الاكبر ان الفينيقيين كانوا يعظمون في جمة اكثهم لما سما عزاً وفاق فضلاً على سواه ولعله كان في اول الامر معبودهم الوحيد ففسلت ديانتهم بظنهم وتعددت اكثهم

فما تقدم يظهر ان بناء البرج حدث في السنة ٤٣ للمسيح . اما طريق الميكل فاننا لانعلم شيئاً من امره . نعم ان ريتان جزم بان هندسته تشبه هندسة البرج فاستتبع من ذلك انها بُنيت في زمن واحد . لكننا نحن لا زى في قول ريتان برهاناً كافياً لتفري هذا الامر كما اننا لم نجد في هندستها شيئاً ظاهراً . لما الاثر الباقية الموجودة في قفرا فلي رأينا انها من اجيال متباينة والله اعلم

١٦ الساحل بين جونيه وجبيل

(برجا وحين ماحوز ونهر ابراهيم)

قد حان لنا بعد ذكر الآثار القديمة الموجودة في مشارف كسروان ان نعود الى الساحل فتواصل سيرنا من جسر العاملتين شالي خور جونيه الى جبيل . ومن سلك هذه الطريق وجد عدة ابراج ينسبها السائمة الى القديسة هيلانة الملكة . وهي في الحقيقة اقرب منا عهداً قد ابتكها اصحابها بعد عهد الفرنج المرفوقين بالصلبيين لمراقبة الساحل

وما يستلقت انظار ابناء السيل مرسى صغير يدعى برجا او بالاخرى طبرجا مشق من لفظة يونانية (topapylas) يواد بها قصة المعاملة او المديرة . وكان لبرجا في سابق الزمان اسم آخر فينيقي . فمات كلت تنسب اليه القصة فيقال « طبرجا المل القلافي » (topapylas X) كما نقول مديرة كذا . فلم يبق اليوم سوى الاسم الدال على رتبة البلدة ومقامها . وهذا الامر يصح ايضاً عن قرية أخرى تدعى باسم برجا (او طبرجا) موقعها جنوبي بيروت عند خان النبي يونس

وَيُسَدَّلَ من اسم برج المذكور على انها كانت على عهد ملوك القسطنطينية .
بل لنا دلائل على انها وجدت قبلهم بزمان . ألا وهي القنور والاسراب والمدافن
السيدة التي يشاهدها القوم على مقربة من مرساها الصغير فوق الزئي المصدقة بالقرية
على جانبيها . وهذه المدافن القديمة تشغل مكاناً مئسراً قلماً تجد مثله سعة في غيرها .
ولا شطط ان وكنا في القول انه كان ثمة للفيقيين مدينة صغرى
ومرسى برجا حرج قليل الاتساع وهو شبه جونر تراه في الغالب بأمن من سودة
الرياح . ولا بدع في ان السفن الفيقية كانت تأتي اليه في الانواء .
وبما نبني بشأن برجا في السنين الثابتة بقايا قناتها التي بها كانت تجري المياه
منحدرة اليها من الاودية الشرفة على غزير
وان سرت من برجا بعيداً عنها وجدت بئرًا او عيناً يدعوها اهل تلك النواحي
عين ماحوز . وقد ذكرت في التواريخ الصليبية مصفحة بتوس (Maus) (١) .
ولعل اصلها يرتقي الى أيام الفينيقيين . وهذه العين من الاعمال القديمة الخطيرة
يُنْزَلُ اليها بדרך محكم الاتقان نُقِرَ في الصخر . وكان بقرب هذه البئر في القرون
للتوسطة حصن كما يشهد على ذلك الشريف الاددي (٢)
وفي شالي عين ماحوز بقرب قرية بوار وصغرة مدافن مقسمة متقودة في الصخر .
لها مدخل عديدة في جوانب تلك الوديان . وهذه القبور تدل على وجود قرية
قديمة هناك ما لم يُقَرَّ ان بلدة برجا كانت تمتد الى تلك النواحي وتُتَّصَلُ بها
وان تلبعت المسد بلنت نهر ابراهيم . وهنا مُشْكَل في تعريف اصل هذا
الاسم الذي ورد ذكره أولاً في جغرافيتي الادديسي والدمشقي (٣) . والتقايد
المعلية ترسم ان ابراهيم الذي كُتب اليه التبر كان اميراً على المردة . وما لا شبهة
فيه ان الاسم القديم كان ادونيس (تموز) . وقد مررنا في الصفحة ٤٣ انه اسم

(١) راجع غيلوس السوري ٧٢ ف ٢٢

(٢) وصف الشام (ص ١٧ ed. Gildmeister) . واعلم ان الادديسي يذكر بين
جولية وماحوز مكاناً يدعو « صفة سلام » يقول عنه انه « جون كبير يبعد عن جونية
عشرة ابدال »

(٣) طبعة بولسبرج (ص ١٠٧)

احد آلهة الفينيقيين يقيم لذكره اهل جبيل عيداً سنوياً يدعونه ادوني (Adonies)
ومصّب هذا النهر جميل المنظر يُدرك من رآه كلف الفينيقيين باختلاق الخرافات
المتعلّقة به . وفي فصل الشتاء بعد الامطار كانت المياه تطفو فيضحي لونها
كمداً ضارباً الى الحمرة فكان الاهلون يزعمون ان ذلك هو دم تموز المسفوك
فينوحون عليه



١٧ جَبِيلُ

ليس من شأننا ان نورد هنا اخبار هذه المدينة الشهيرة او نلخص تاريخ
احوالها فان ذلك يقتضي كلاماً مطولاً يخرج بنا عن الحدود التي افترضناها على
نفسنا في مقالنا (١) وانما نكتفي بان نذكر فقط آثارها الجليلة التي صبت على
ممر الزمان

كانت جبيل مدينة التيفيقين المقدسة يحفرون اليها كما يهجم الى المزارات
الشهيرة. اما موقع المدينة القديمة فان جهور العلماء لا يرونه مختلفاً عن مكان البلدة
الحديثة . وقد ورد ذكر جبيل منذ القرن السادس عشر قبل المسيح في الرسائل
التي اكتشفت حديثاً في تل العرنه . وبما جاء هناك من الاغادات التاريخية أنها
كانت على سيف البحر ولها عمارة بحرية وان أهلها كانوا من حذاق الملاحين . وفي
نبوة حزقيال (ف ٢٧) وتواريخ الاقدمين ما يؤيد تقرير هذه الكتابات الجليلة
الشان كما اوضحه الدكتور جول روثيه (٢) . وكل هذه الشواهد تنطبق على موقع
المدينة الحديثة

بيد ان جبيل القديمة كانت رجة الجوانب ولحمة الارحاء تمتد اكثر من المدينة
الحالية لامتداداً بالفا . ولنا على ذلك اليكبات الواضحة منها قطع عديدة من الراميد
وبقايا ابنية ضخمة تراها في خارج سور جبيل الحديثة . ثم ان السور الحالي ليس
بقديم ولا يتجاوز عهد الصليبيين بل هو من اعالمهم . فوجود الآثار القديمة في
خارجها لا يدل على انها في الاعصار الساقطة لم تكن متصلة بالبلدة . ولما استولى
الفرننج على المدن الساحلية في القرون للتوسطة وجدوا جبيل في حالة من الخراب
يؤتى لها . فاخذوا في ترميمها واستعانوا لتشديد المدينة وتحصينها ببولد أخربة

(١) ومن اداد الوقوف على تاريخ جبيل فليد بالملخصة التي صنفها الدكتور جول روثيه
قراها على مساح غنية من امالي بيروت في مجلة عقدت في مرسع كليفا ثم نشرها بالبع على
المجلة (الكتابية) (Revue biblique, VIII, 563) هذا العنوان :

Gébal-Byblos, son histoire dans l'antiquité et sa nécropole phénicienne.

(٢) راجع المقالة المذكورة (ص ٢)

النباتات القديمة التي وجدوها قرية دائية . ولعل ندره وجود الآثر القديمة في جبل مسية من اتخاذها للابنية المستحثة . وفي عصرنا هذا تلف كثير منها في ابنية قرية عشت فكان اهلها يتقلون من جبل كل ما يصلح لبناء مساكنهم . وهذا لعمرى مما يوجب الاسف لان بقايا ترقى الاقدمين وتغشهم يلاشيها التمدن الحديث فيصح لها بمثابة نواب الحدائق ومصائب الزمان بل اوخم عاقبة منها كما بين ذلك الدكتور جول روييه

واذا زدنا على هذه عوامل الحراب الالازل التي تلاعبت بكثير من آثار جبل (١) فمنا كيف ان هذه المدينة ام المستعمرات الفينيقية لم تبق الا خلف من مآثرها السابقة الا القليل

واول ما يستلفت النظر من آثار جبل 'رجا فان' بقايا الضخمة لم تعمل فيها صروف الزمان . وهو لا يزال منتصباً يبنى بعظم شأن 'بناته' وموقع البرج المذكور في جنوبي شرقي المدينة في منظر خطير يأخذ بجماع البناظره . وهو مبني بحجارة كبيرة ولعل ذلك الذي جعل أغلب الكتبة على ان ينسبوه الى الفينيقيين زعمهم الباطل ان قدم الابنية يعرف بعظم حجارتها وضخم موادها . وكلاهما يزيدون على هذا تأييداً لرأيهم ان على البرج المذكور مسحة من العاقبة تشهد بقدمة

بيد ان ذوي الخبرة من المهندسين واصحاب العاديات أبطلوا هذا الزعم بعد النقص المدقق ويثبتوا ببراهين مقنعة ان هذا البرج من عمل الصليبيين في القرون المتوسطة . وسندهم في ذلك الى ما يحدق بالبرج الكبير من الابنية الثانوية وهي عبارة عن بروج صغرى لا سيل الى فسبها الى الفينيقيين لا يدخل في تركيبها من المواد المخوفة عن ابنية اقدم عهداً شادها اليونان والرومان كاعمد من الصران اُدجرت في جدران هذه البروج . وهذا الامر شائع في ابنية الصليبيين بخلاف الامم السابقة لهدمهم . اعني أنهم كانوا اذا دخلوا بلداً انتصروا بخرائب آفلة القديمة كلياً كل والقصور فيشغنون موادها لابنيتهم الجديدة ويستنون بذلك عن

نقلها من المقاطع . فاذا ثبت ان هذه البروج الصغرى هي للصليبيين يصح القول ان البرج الكبير هو ايضاً من آثارهم لا بيئة وبينها من الشبه في هيئة الحجارة وطريقة التّصنّع فان حجارة كليهما تتّراً متشابهاً ولهيئتها عتاقة واحدة (١) مع ما ترى بين حجارتهما من الاختلاف في الكبر . وهناك ايضاً عدة تفاصيل هندسية عُرف بها الصليبيون دون غيرهم منها شعار البتّانين وعلاماتهم وقطع كتابيّة يونانيّة ورومانيّة أُنصبت في البناء بلا نظام

هذا واننا لا ننكر ان الحجارة الكبيرة التي ترى في الدبرج الكبير هي من نحت الاقدمين وقد بيّنا غير مرّة لاسيا في خلال كلامنا عن دير القلعة انهم كانوا يحبّون اتخاذه مراد ضخمه لبنائهم . لكن الصليبيين نقلوا هذه الحجارة التي وجدوها فأتخذوها لشؤونهم الخاصّة

امّا آثار قداماء الجليليّين فقليلة جدّاً . منها عدد كبير من العواميد تراها في كل أنحاء البلدة حتى يسوغ ان ندعو مدينة جبيل مدينة العواميد . وقر مينائها الصغير مفروش كلّهُ بهذه الواميد . وهي من الصوان الصلب قد نُقلت من بلاد مصر مجرّاً . ولا نشكّ في انها كانت داخلة في المياكل والمعابد العديدة التي كان يقبأها بها اهل جبيل لأنّ مدينتهم كما سبق لنا القول كانت مركز الدليقة الفينيقيّة يجمع اليها اهل البلاد ليقبّئوا بزارها . وكان للبلد ايضاً اروقة واسعة قائمة على مثل هذه الصمد في صدر الشوارع الكبرى كما كان شأن المدن الرومانيّة في ذلك العهد

ومما يستحقّ الذكر ايضاً بعض قوائم ومساند كانوا يضعون فوقها التّأثيل . ومنها ايضاً مذابح صنيعة وحجارة عليها كتابات لا يسعنا هنا تعدادها ووصفها واكثرها قد كُسر بالطبع في اوربة . وقد اسعدنا الحظ على وجود بعض منها كتبّت باليونانيّة لم تمنح لنا الفرصة حتى الآن بكتريها

(١) وهذه العتاقة ليست بدليل قاطع على قدم هذه الابنية وإنا في لائحة بسنن الحجارة الرميّة التي تتسمل في الساحل . فان انجرة اليسر والطوبى تملان فيها عملاً شيئاً فظنّ من يراها انها عرقّة في القدم مع انها حديثة . وترى مثل ذلك في بعض بنايات بيروت التي لا يجاوز هذا ٢٠٠ سنة

فهذه غاية ما نرى الى ذكره سيلاً عن عاديّات جَبيلُ الباقية في ضمن سورها . وهي لمصري تربة بالنسبة الى شأن هذه المدينة وخطرها . ولا غرو ان تحت ردمها آثاراً جليلة وكثوراً علمية سوف يطلعون عليها للمستقبل اذا ما تيسّر للعلماء ان يحفروا حيث شاءوا . وما يزيدنا ثقة بهذه الاكتشافات ان اهل جبل كثيراً ما يجدون في املاكهم لمتعة شئ غالية الثمن يبيعونها خفيةً للاجانب كالتكثير والنقود والتلعب المصنّعة الى غير ذلك ممّا لا يمكن ضبطه وتدوينه في كتب آثار بلادنا ومن ابنية القرنج في جبل كنيسة مار يوحنا المارونية . وهي كانت سابقاً ارحب منها اليوم ولعلها كانت مزينة برواق في صدرها . وهندستها كهندسة كتائب الصليبيين ذات ثلاثة اقسام مقببة تنتهي بمخاربا . ونقوش اكلّة عندها في قسمها الكبير تجمع بين الطرزيّين للمندسين التوريّ والكورنثيّين .

ويقرب الكنيسة جون للمعاد غاية في اللطف والدقة وهو عبارة عن قبة كتصف كرة تستند الى اربع اقواس على شكل بيضيّ وترى فوق ثلاث اقواس منها اشكالاً هندسية وزيناً حسنة . اما القوس الرابعة فلا تُرى لانها مستندة الى جدار الكنيسة ١١)

واذا ما خرجنا من سور البلدة اتينا كما في داخلها كمية وافرة من حواميد صوّان متكسرة . وبما اكتشف حديثاً في ارض تخصّ عبد الواحد اقتني اساس بناء فخم لشبه ببيكل . والاساس المذكور بالغ الصق يدخل منه الى اسراب غريبة الشكل لا تُعرف غايتها . وفي المكان عينه وجدت قطع كتّيل ونقوش من الرخام الابيض

مدافن جبيل

ومن آثار جبل الغربية قبورها القديمة ومدافنها وكان موقعها خارج البلدة ليس بعيداً عن اسوارها . الا ان هذه المدافن المعروفة اليوم ليست بمدافن الفينيقيين وانما هي احمت عهداً اكما ارتأى ذلك الدكتور روثي في بحثه السابق الذكر ولعلنا نسمع

عنا قليل بشرى اكتشاف نواويس جيل القينيّة فيضع بها العلماء كما انتصروا
بكتشاف نواويس صيدا.

واليوم يصعب علينا ان نُقدّر سعة مدافن جيل وشكلها بعد ما حلّ البلّة
من التّقلّبات المتواترة وامتداد الرمل على قسم كبير منها . والارجح ان مكانها
المخصوص بها كان في شرقي البلّة وجنوبها

وفي هذه المدافن لم يُكتشف الى يوم تدرّجنا شي . من الآبار التي كان القينيّون
يؤثرونها قبل موتهم كما ترى في صيدا وغيرها من المدن الساحليّة . على ان عدم
اكتشافها ليس بسبب كافر للجزم بعدم وجودها كما زعم السيوريان (بمئة
فينيّة ص ٢٠٦) . ولنا توضّح مع السيوريّ وجود مثل هذه الآبار ولو لم
يتوصّل احد بعد الى اكتشافها . لكنّ جيل لا تخلو من الماور المخصوصة
بدفن اللوق الاقمنين . وقد وجدوا ايضاً حفراً منقورة في الصخر ونواويس لهذه
الناية نفسها

لما الماور فلي ضريّين منها طبيعيّة وجدها الانسان فاستخدمها لدفن امواته .
ومنها صناعيّة حفرها بيده هذه الناية . وبين الماور الطبيعيّة ما كان عهد قديماً
جداً يشبه الكهوف السابقة تؤمن التاريخ التي وصفها حضرة الاب زومون في
الشرق (٩٧ : ١ و ٣٥٣) احسنها المارة التي تحرف على مسيل ماء في حف ضيقة
قصيرة على مسافة نصف ساعة من شرقي جيل . وهي قريبة الشبه بخانة انطلياس
(الشرق ١ : ١٠٢) المرتقية الى طور الظّران . وقد نقر في جوانبها الداخليّة
مخادع كانت تجسّس فيها اللوق . وفوق احداهما نقش يتّصل بحاراً من الصدف المتتوي
لملّة من عهد الرومان

ومداخل هذه المدافن تفتّح عمودياً او يبيض انحراف في وجه الصخور . ومنها
كثير في الوديان للجاورة لجيسل وفي الصخور التي تطلّ على البحر . وفي بعض
الآونة ترى هذه المدافن نقشاً قليلاً ويُدخل اليها على سواء الرجل ورجلاً وجدت لها .
حجرة او اكثر كانت تشتمل سابقاً على نواويس انتهمك حرمتها قوم من طائفي الحبابا
ويابني العاديات لم يبقوا منها الا قطعاً عظيمة . وفي الناب لا تجد في هذه المدافن
الا حفراً كالفرن منقورة في الصخر

وتلويخ هذه المدافن لا يمكن تمييزه بالضبط لاسيما بعد ان نُزعت منها اجزة الدفن وُسِّلت امتعته حكما سبق ولو بقيت لاستطاع العلماء ان يستدلوا بها على عهدا . اما الكتابات فلا يرى منها الا القدر القليل وهي كلها يونانية ورومانية . وعليه فلا يتفق علماء الآثار الحديثة على تعريف عهد هذه المدافن . ومنهم من زعم انها سبقت فتح الرومان للشام . وقد ارتأى رينان ان بعضها يرتقي الى أيام الكتانين

لما الدكتور روفي فان رأيه ان هذه الكهوف كلها من عهد الرومان . وقد دعم قوله بجمع حسنة ترجح رأيه دون ان تزيل كل الشبهات . ومن براهينه ان ما وجد من العاديات في هذه المدافن منذ ٥٠ سنة لا تصح نسبتها الى غير الرومان فيستجيب من ذلك ان الاكتشافات السابقة لهذا التاريخ كانت ايضا رومانية . (نقول) ان هذا الدليل لا يخلو من القوة لكنه ليس مجازم لان كثيرا من هذه العاديات لا تزال غريبة لدى قاطعي هذه القابر . وكذا نقول عن البرهان الثاني حيث بين الدكتور ان التواويس والقود التي وجدت في هذه الكهوف كلها من عهد ملوك الرومان . فاننا نسلم لجنايه بقوة هذه البرهنة لكننا لا نجسر ان نحكم في ذلك حكما فصلا ريثا يتم البحث المدقق في مستودعات هذه الكهوف . كما انه لا يجوز ان نبني على هذه الاكتشافات الجزئية احكاما عمومية عن عادات الجليليين في دفن موتاهم

هذا واننا نوافق للسير روفي للواقعة التامة في نسبة بعض المدافن الى الطور اليوناني الروماني وهي : ١ المدافن ذات الطبقتين الواقعة في الرمة التي تسمى جنوبي الطريق للوذية من جبل الى بيروت . ولكل قبور هذه المدافن منافذ على شكل أقواس . ٢ المغارة الواقعة على مقربة من المدافن السابق ذكرها اعلمنا ايضا القديما كقبعة وحضيضها مبلط بالفسيسا . ٣ بعض كهوف اخرى ظلت بالملامح ومنها ما هو مزين بالفسيسا . فنهذه بلا شك ليست من اعمال الفينيقيين ولكن من المحتمل ان تكون سبقت تلويخ الميلاد بقرن واحد او لزيد على مثال صناع القبور التي وجدت في صيدا . قبل سنين قليلة وقد كثرنا كتابتها في مجلة

العاديات (١) . ٤ بعض مدافن مقبية . ومن المعلوم ان الفينيقيين الاقدمين لم يستعملوا القباب

نواويس جبيل

نواويس جبيل كنواويس غيرها من المدافن الفينيقية . لكنهم لم يجدوا حتى الان فيها الا نلوساً واحداً يمثل هيئة الجسم البشري (Sarcophage anthropoïde) وهو اليوم في متحف اللوفر . والنواويس الخشبية لا اثر لها في جبيل مع كثرتها في غيرها من المدن الساحلية . لما النواويس من الرصاص والآجر والحجارة والرخام البلدي مع اطباقتها الحديدية فهي اشبه شيء بنواويس بلاد فينيقية من حيث هيئتها ونقوشها

وقبل ختام هذا الباب لا بد ان نثبت هنا قولاً لرينان بخصوص انقاب وشقوق مختلفة الشكل وفي انقاب مستديرة تُرى في قمر التوافذ الداخلة في قلب الارض . فظنّ السير رينان ان العملة الذين كانوا يحفرون هذه المقابر كانوا يسيرون متانة الصخر بادواتهم قبل حفره ليمسوا ما سيلقون في شغلهم من المشقة وقد ردّ الدكتور روجيه على زعم رينان بما لا يُقتض من الحجج فيبين ان هذه الانقاب ليست بصناعية وانما هي صدوع طبيعية كثيراً ما تحدث في الحجارة الرملية كما يُستدل على ذلك حيث شاعت هذه الحجارة وقد رأينا كتل هذه الشقوق في جبيل نفسها خارجاً عن المدافن

فهذا نظرٌ عُموميٌّ لغصنا فيه ما يُعرف عن جبيل وآثارها . فعادياتها كما ترى قليلة ولكن لا يجهز للعلماء ان يأسوا من وجود آثار غيرها . وقد اساء رينان لما قال عن جبيل انّه لا يؤمل اكتشاف شيء جديد فيها . وكان دأب هذا الرجل ان يبحث دون تزوّج كافٍ من العاديات ولما لم يعثر في جبيل على ما كان ينتظره جزم بان هذه المدينة خلوة من الآثار القديمة

اما نحن فنؤثر رأي الدكتور روجيه حيث قال في خاتمة مقالته عن جبيل :

« اننا نعتبر جبيل ومدافنها القيفية كأنها مجهولة تماماً . ونظن ان أهلها اتخذوا لدفن الموتى قد سُئلت افولها مع صفائح قبرها بالزمل والقراب للتحول الى هذه المدافن من التلال المجاورة فأتخفت تلك التلال كجناح وبساتين وصارت للدافن مطمورة في قعر الارض . ولكن لنا الامل الوثيق ان سيتوصل عما قليل اصحاب المدة الى هذه القبور للكتونة في اعماق الارض . ولنا ضمين لتتبع آثارنا في ما شاهدناه في مدافن صيدا التي فيها وُجد قبر الملك تبثيت وعدة من نفائس الآثار تغلب حقول الزوار في متحف الاستانة المليئة . واقتضى في اكتشافها عائد الى سر مهديس ولاية بيروت السابق بشاره افندي

« ولعل سمة حدود هذه المدافن الباقية في الصق حكمة المدافن التي اتخفت بمدن بدلًا منها . لئلا مركزها فالارجح انه على مسافة ١٠٠٠ او ١٥٠٠ متر من المدينة على منحطف الزئ المجاورة . هذا ما يظهر لنا بالحدس والتخمين وهو سيل نهبه لمن يأتي بمدنا باحثا في حاديات جبيل (١) »

١٨ بلاد جبيل

بلاد جبيل شأن خليل في التاريخ وعلم الحاديات . وذلك لان قاعده تلك الانحاء كانت اضعفت في عهد الرومان مركزا لعبادة تموز فصارت الضواحي التابعة لها كهرم لا يجوز انتهاكها . وكانت الجهادية تحج الى هذا القطر لتكرم الاماكن التي تحيكتها كوقع لآثر تموز وعماله المختلقة . ولذلك لم تكذب دعوة من الزئ التي تجاور مدينة جبيل فتك من مبدتني آثاره الباقية بعظم شأنه

وعما كان يزيد هذه التواحي حسنا وبهجة ان لبنان كان في ذلك العهد مجالا بابهي حل العليمة ترين الثابت الكشافة وتظلة الاشجار الباسقة فكان اشبه بجبال الالب التي هي اليوم فخر سورية ومصدر ثروتها (راجع مقاتنا في جبال الالب ولبنان . المشرق ١: ٧٢١) . فكنت ترى لكل مبد غيبة تحق به وقد

(١) وفي الواقع قد وُجدت في جبل يد كتابتنا لهذه القبول آثار أخرى قد وُصفت في المشرق ١٩٠٣ (١٣٣: ٦) و١٩٠٤ (٢٢٨: ٧)

فوقه اثناها الواقعة كما ترى اليوم في بلاد التصديّة الزارات والمقامات على آكام
تكتنفها ضروب الاشجار كأنها قلاند الرمرّد
لما الآثار الباقية فيها ما هو مطبوع في الارض ومنها ما تقفه الحلق لبنانيات
مستحقة كالكتانس والبيع يدلّ عليها كتابات قديمة طمس بعضها او نقوش
متتة الصنع تراها في الجدران او صفائح محطمة أقي حطابا في زوايا الكنيسة
او انصاب مخروطة وعتبات مستطيلة الى غير ذلك بل وجدنا مذابيح بعض
الكتانس مبنية بمجارية اللنج القديم نفسه . ولذا طُفّت حول هذه الكتانس
رأيت آباراً او صهاريج او احواضاً او قبوراً منقورة في الصخر كلها شاهد على
الازمنة الحالية

بَلَاط

هـ وقع هذه القرية على مقربة من قصوة في جنوبيا . كنيستها على اسم النبي
العظيم مار الياس وهي مبنية بمجارية هيكل قديم كان هنالك . وفي جدرانها بعض
قطع من نقائيل رومانية متحطمة وفي داخلها اربع كتابات يونانية يستفاد منها ان
الهيكل القديم الذي قامت الكنيسة مقامه كان على اسم الاله العظيم (Δεσποτης)
وهو البعل كبير آلهة النيفتيين او قوز قرينه وثابة في بعض الامكنة (راجع المشرق
٢ : ٦٢) ولغده الكتابات تاريخ يقضي باعتبارها كاقدم الكتابات اليونانية في
لبنان فانها ترقى الى السنة ١٩ قبل المسيح

ولبلاط مدافن قديمة وقبور منقورة في الصخر أحكمها صنعا ما يُرى غربي
المدينة . وهي جارة عن سكة اجران متلاصقة متجانسة الشكل غاية في الاحكام
نُقرت في الصخر بعد قطع وتوسيته واهل بلاط يجدون عدداً وافراً من
العاديات في قريتهم وضواحيها . ولو باشر العلماء ثم خريبات منظمة لوجدوا فيها
ما يبرهمهم ١)

أده

هي في شمالي جنوب وشرقي شمالي جبيل . من آثارها القديمة مواد كنيستها

(١) راجع كتاب بنة فينيقية لـ بنان ص ٧٧٣ ودجلة دوسو الى سوربنة سنة ١٨٩٥ ص ٥

القائمة على ذكر القديس جاورجيوس . فإن هذه اللوادة قد استخرجت كلها من ابنية عادية . ومن اعتبر جدرانها وجد في خلالها قطعاً شتى من الممد والحجارة الملتقطة . وقد انتزع للمسيو رينان حبة الكنيسة وارسها الى متحف اللوفر في باريس . وعليها يرى نقش من الرموز الثمانية في الدين القيثقي وهو يحل كوة ملتقطة حولها حبات تجتمع اذليلها من فوق . والكرة للذكورة بين جناحين منتشرين على جانبيها . وكان لبيت العباد الذي قرب كنيسة جيل حبر فيه مثل هذه النقوش إلا انه احدث عهداً من العتبة السابق ذكرها (راجع ص ٦٣) . وهذا الحجر نقله ايضاً رينان الى باريس

وفي نواحي اده معابد صخرية كانت في سابق الدهر هياكل للاصنام ومنها ما هو مزدوج . وسنعود ان شاء الله الى ذكرها عند كلامنا عن كتائس لبنان المارونية القديمة

عمشيت

عمشيت قرية جديدة بالنسبة الى غيرها من القرى المجاورة . وليس فيها من اثر ثلث يودي باقول الى وجودها في الطور اليوناني الروماني وهي اليوم بلدة مستورة اخذت في النمو منذ اوائل القرن الحالي . لما الكتابات المدينة التي يجدها الناس في عمشيت فكلها منقولة اليها من جيل او ضواحيها (١)

عبادات

فاذا رقينا الان الى مشارف لبنان وجدنا في طريقتنا كنيسة شامات مزدوجة التي فيها آثار هيكل من الطور الايوني (ionique) ترى عندها من داخل الكنيسة . وفوق شامات على مسافة نصف ساعة منها عبادات او عيادات ترى في جدران كنيسهما عند بابها الخارجى كتابة يونانية كتبت في ايام انطونيوس (٢)

(١) راجع بثة فيليقية ص ٣٣١ وحملة دوسو ص ٦

(٢) هذا الاسم مشترك بين انطونيوس المروني بالبار ورس اورليوس انطونيوس

قيصر وهي ذات شأن لتاريخ الديانة في لبنان . والكتابة على اسم « المشتري الماي الاظم السارثي » (Σαρπηλιος) للشفع ، وقد اختلف في شرح الصفة « سارثي » والارجح انه نسبة لاسم هذه الضيقة القديم فدعي به العمل المبود فيها وفي تراكم هذه الثغور والصفات اشارة الى مبود اعظم متفرد بالجلال هو الرب سبحانه وتعالى الذي لا اله غيره كان القدماء اشركوا به مبودات ثغوية فتأهوا في بيدها الشرك

مجديدات

في مجديدات ايضاً آثار قديمة متمدة . سيأتي الكلام عن كنيتها ونقوش جدرانها . لما مذبحها الحالي فهو المذبح القديم نفسه الذي كان الوثنيون يقدمون عليه تقادهم . ومثل هذا المذبح في كنيسة مار اما بجور لده . ولا تخلو مجديدات من الكتابات القديمة اليونانية لكن اكثرها مطبوس لا يسنا هنا ان نذكر ما ورد في شرحها من الآراء المتباينة بلا فائدة للقراء

جربتا

في جربتا وهي قرية قريبة من مجديدات اجل نقش حفره القدماء في لبنان على وجه الصخر . وهذا النقش عبارة عن نقرة مستديرة ترى في اعلاها شلو بعض الآلهة وتحت التمثال المذكور مذبح وعلى الجانبين شخصان رجل وامرأة واقفين في هيئة السجود وتري شخصين آخوين يسوقان الضيقة ويحملان كل لوازم الذبيحة . وهذه الصورة قد صبرت على بحر الدهر الآن رأس الاله قد حطم فيها عمداً . ورسمها حسن يشهد لمصورها بالخلق ودقة الصناعة فانه ايجاد كل الاجادة بتمثيل حركات الاشخاص وليسهم وهيئاتهم المختلفة . ومن فوائد هذا اثر انه يدلنا على لبس قداماء الفيلقطين فضلاً عن تعريفه لديانتهم . وعلى مسافة قريبة من هذه الصورة كهوف ومدافن منها اشقت جربتا على الاصح اسمها اليوناني (Kpōtē) اي مغارة

فيجوز ان نسب الكتابة لكل منها فيكون تاريخها إما سنة ١٥٤ - ١٥٥ او ١٧٧ - ١٧٨ بعد المسيح

مصاد

لاريب ان مصاد كانت في سالف الاعصار ضيعة مهمة ومركزاً خطيراً . وفي القرون للتوسطة بُني لها قلعة . وكنيستها نعدّها طرفة من طرف الايام نذكرها في جمة الكتانس القديمة المصبة . وبما اكتشف فيها كتابة يونانية لاله ستراب تلويحها السنة الثالثة قبل المسيح لرسلها رينان الى باريس . ومن خواصها كثرة اغلاطها . مما يدل على ان حافر الكتابة كان يرمم الرسم دون ان يفهم مضونته . وهذا كثير في الخطوط اليونانية القديمة المكتشفة في لبنان كما ترى مثلاً في كتابة دوما . وهو من البراهين التي تثبت بان النيقين لم يتقوا التكلم باللغة اليونانية

وان سأل سائل تُرى من هو هذا الاله ستراب . اجبت ان الستراب عند اليونان كلرزبان عند العرب وكلاهما يدل على رئيس الفرس وسيدهم للوالي لمرودهم بالنيابة عن الملك . فيكون الاله المذكور في كتابة مصاد دمي بذلك ايام دولة الفرس في فينيقية . فسوّه ستراباً لي سيداً كما سوّوا غيره من الآلهة بعلًا وملوخًا . وكلاهما بمناء يراد بها السيد والملك . ولن اعترض المقرض بقوله ان المرزبان دون الملك مقاماً فكيف دمي به الاله العظيم . قلنا ان المرزبان كان في عين الشعب كالوالي والحاكم الاكبر الذي يمدون اليه في كل امورهم بعد الملك الاعظم عنهم . فاعتادوا اكرام الوالي المذكور حتى صار لديهم بقرّة الملك عينه . ثم نسبوا اليه قسماً من الصفات الالهية كما كانوا ينسبونها للملوك . وكذلك ترى كثيراً من الصفات الالهية كانت في يادي الامر تدل على رتبة مقصودة ثم نقلها العامة شيئاً فشيئاً للدلالة على السلطان المطلق والاله الاعظم حكما ترى في غير ذلك من لسان اللاهوت كالبل وأدون وملوخ وكلها انتقلت عند النيقين بالمجاز من معناها الاصلي الى معنى الاله الكبير للتحلي

مما حكان من امر هذا اللقب فانه من المقرر ان اسم الاله ستراب لم يُذكر في غير هذه الكتابة الحبرية . على ان يوزانيس للورخ كان ذكره في كتابه

السادس (ف ٢٥ و ٢٦) بخفاء اكتشاف هذه الكتابة مريداً قوله (١) وترى من ثمّ ما في حدس الآثار القديمة من القوائد لمعرفة التاريخ . ولا يقولون قائل ان هذه الاشياء زهيدة ليس تحتها كبير امر . أجبنا ان العلم في الغالب مترقّف على مثال هذه الدقائق فاذا أُجمع شتاتها نجم عنها فوائد لم تكن في الحسبان فكأنها لشعة النور تبيد اذا ضمّ بعضها الى بعض سلطان الظلام وتقرّر اسى الحقائق وأجلها



١٩ احوال لبنان في القرن الرابع عشر قبل المسيح

وفقاً لما ورد في مراسلات تلّ العارضة

كثيراً ما اشرنا في سياق كلامنا عن آثار لبنان الى مراسلات تلّ العارضة . فأجبنا ان نستطرد الى وصفها لا ينجم عن معرفتها من القوائد المجلّة المربة عن احوال بلادنا قبل تاريخ الميلاد باربعة عشر قرناً . فان هذا لصبري عهد قديم ما كنّا نرجو قبل عشرين سنة ان نقف على شيء من اخباره . فألّى هذا الاكتشاف في حين لم تهجس فيه الضائر ولم يخطر على بال . أما القوائد التي تُستخلص من المكاتبات فقد أحققناها بأكثر بلاد جليل لكثرة ورود اسم هذه الناحية فيها فنقول :

ان تلّ العارضة مزرعة صغيرة مجاورة لوارق موقعه جنوبي مدينة النّيا في الصعيد على مسافة ٨٠ كيلومتراً منها عند ضفة النيل الشرقية . والوادي المذكور تحيط به الصخور وهو يُدعى باسم المزرعة للنوء عنها . وفي هذا الوادي بقعة واسعة تمتد مباشرة من قرية « شيخ قنديل » وكان على وجهها أطلال وأخربة قديمة . اما الصخور المجاورة فكانت قد نُقِرت فيها مدافن ترينها النقوش والكتابات الهيروغليفية استنتج منها العلماء ان ثمت ازهرت مدينة « خوت ان » او « خوت

(١) راجع مجلّتها ههنا ورد في المجلّة الاسبوعية القرنية عن الاله سحاب المذكور (J. A., 1877 p. 157)

ثاني (١) « كرمي ملك فرعون مصر للدعوى امينوفيس الرابع وكان هذا الملك بنى تلك المدينة نحو سنة ١٣٨٠ قبل الميلاد وبقيت مدة الى ان خربت بعد وفاته ولا كانت بعض شهور سنة ١٨٨٨ بينا كان قوم من الفلاحين يحفرون بحول هذه الاخرة اذ عثروا على صناديق خشب مملوءة من قطع الآجر كلها مكتوبة على وجهها بأسطر متلاصقة ناعمة . ففسر الفلاحون بهذا الاكتشاف ولماوا من بعدهم رجلاً طائلاً . وحملهم طبعهم الى ان كسروا اكبر هذه الاواح فبعلوها قطعاً ليزيد بذلك عددها ورجعهم مما . ولعل جملهم كان اودى بهذه الكتوز الدفينة لولا ان الحجر بلغ مسامع اولي الامر فبادروا حالاً الى تلافي الضرر وضبطوا ما وجدوه من الآجر ومنعوا كسره وقشيت قطع . وقد نال الشعب البريطاني النصيب الاوفر من هذه الكتابات فان منها هنالك ٨٠ آجرة كبرى حسنة . اما الشعب المصري فاصاب منها شيئاً وستين قطعة . وفي دار عدييات برلين منها ١٨٠ قطعة دون القطع السابقة كبراً وكذلك تمكن بعض الخواص فحصلوا على قطع صغرى لبتاعوها لنفوسهم

وما حتم العلماء ان عرفوا ان الكتابات للرقومة على الآجر هي الكتابات التجارية البابلية وانها تشتمل على سجلات الدولة في ايام امينوفيس الرابع وابيه امينوفيس الثالث فكان لهذا الاكتشاف احسن وقع لدى المستشرقين وان سأل سائل كيف دخلت اللغة البابلية في سجلات ملوك مصر ؟ اجبت ان الامر لا يخلو من بعض الشبهة . وقد ذهب قوم من العلماء الى ان اللغة البابلية كانت في ذلك العهد اللغة الرسمية بين الدول الشرقية كما ترى اللغة الفرنسية في الاممنا . وذهب غيرهم كلاب ديلاثر اليسوعي الشهير (٢) الى ان اهل الولايات الشامية في زمن مكتابات تل العمارنة كانوا يتكلمون باللغة البابلية وهو عندنا الرأي الارجح . على اننا بقولنا هذا لا ننفي وجود لسان غير اللسان الاشوري اخذ مذ ذاك الحين

(١) لم يبق العلماء على كتابة الاحلام الواردة في رسائل تل العمارنة فاثبتنا ما رأيناه اقرب الى الصواب

(٢) راجع كتابه في بلاد كتمان على عهد الدولة المصرية :

Le pays de Chanéan, province de l'ancien empire égyptien, (p. 26 - 30)

يتجع بلنة بلبل زريد بذلك اللغة الكنعانية التي يظهر منها بعض الآثار في رسائل تل العمارنة . وهذه اللغة الكنعانية هي التي تتلّبت بمندثر في انحاء الشام وطست (بفرمها العبرانية والفينيقية) آثار لغة لشور . وهذا يطابق ما نعرفه من احوال بلادنا فان اهله كانوا قبل عهد المسيح بثلاثة آلاف سنة قبائل سامية من البابليين ثم لم يزل يهاجر الى سورية جيلاً من الناس نُسبوا الى الكنعانيين حتى غلب هذا الناصر الكنعاني الناصر البابلي وقام مقامه ١١

وعليه ان اول فائدة تُستفاد من مكاتبات تلّ العمارنة لنا هي شيوع اللغة البابلية في لبنان مع ابتداء انتشار الفينيقية . وترى التراكيب الفينيقية في رسائل اهل الساحل لاسيا جييل ويديوت اكثر منها في غيرها . فيؤخذ من ذلك ان سورية كانت وقتئذ كخضار يتجارى فيه شبهان كبيران : البابلي وهو المتولي على الارض المالك عليها تحت سيطرة فراعنة مصر . والكنعاني الذي ينمو ويزداد يوماً فيوماً الى ان ثبتت حطاطة ولمنتكت اعطابه واستولى على السيادة بدلاً من خصمه للدور وغلب لغة على لغة

*

ومن بعد هذه القدمة يتقرّب علينا ان نبعث عن مضمون مكاتبات تلّ العمارنة فنقول ان هذه الرسائل تُقسم الى قسمين : الاول يشتمل على الرسائل التي بمت بها الى فراعنة مصر اُقيالُ آسية وملوكها غير الحاضرين لدولة المصريين كالحثيين وملوك العراق وابل ولشور . لما اُقسم الثاني فانه يتضمن رسائل انتفداه الى ملوك مصر او وزرائها ولاء وامراء عبيدون من سورية وفلسطين . وكنت بلادنا في ذلك العهد تحت حكم مصر فيستشف من مطاوي كلام الكتبة التذلل والتواضع كما يكتب العتال الى سادتهم بل البيد الى اولياء امرهم وفي مقدمة هذه الرسائل اسم الكاتب على هذه الطريقة : « جندك فلان » او « فلان جندك من مدينة كذا » او ايضاً « فلان كلب الملك » . ولا ترى احدًا من هؤلاء الكتبة يلقب نفسه بملك او امير بل يكتبني باسم « خزانو » وهو

الحاكم أو الوالي . وقد ورد في رسالة حاكم جبيل « رب أدنى » أو « رب أدنى »
قوله للفرعون : « لاي سبب جعلني الملك خزانو » فاستدلّ للسكرقون من هذا
الكلام ومن غيره أن رتبة « الخزانو » كان ملك مصر يقلدها بنفسه الولاء فيعلمهم
فيها اولادهم من بعدهم . ويستدلّ من هذه المكاتبات ان النساء كنّ يَتَلَنّ رتبة
الخزانو كالرجال وهو امر غريب لم نجد في شيئاً في تاريخ الشام سوى ما ورد عن
زيب في تاريخ تدمر ١٦

وتحتوي القائمة ما عدا اسم الكاتب ذكر الفرعون والقابله على هذا التوال :
« الى الملك سيدي والهي ونوري وشمس البهاء فلان . . . عبدك وتراب قدميك
وسائس خيلك . اني اخذ على اقدام سيدي سبع دققات وأنطرح سباً على صدي
وظهري » وفي بعض الرسائل يبالغ الكاتب في التذلل والخروج الى ان يحصل
نفسه « كلباً اهلاً بان يطلأ سيده تحت اقدامه » ثم يلي هذه المقدمة فحوى
الكتاب

اما رسائل الملوك فقدّماتها تُشعر برتبة اصحابها مثال ذلك ما كتبه « دوسرتا
ملك ميتاني » اي بلاد ما بين النهرين وكانت اخته زوجة لأمينوفيس الثالث وابنته
لابنه أمينوفيس الرابع :

« الى الملك العظيم ملك بلاد مصر انني وصوري (والي الاشورية ختي) الذي يعني وانا
احبه كتب هذا لافيدك . انا دوسرتا الملك العظيم صورك الذي يحبك ملك ميتاني اخوك
اني على احسن حال . وقرأ عليك السلام وعلى آل بكك وعلى اخذك وحريك وعلى
اولادك وعلى حجلاتك وخيلك ووزرائك وبُسلادك وكل مالك . سلام للجميع يكون
اطيب سلام

وفي مكاتبات تلّ العارضة اعلامُ مدن كثيرة نكتفي بذكر ما في بعض العلاقة
مع اخبار لبنان وهي : عكا (كما تُكتب اليوم) وصوري (صور) وصيدا
(صيدا) وبيروتا وبيروتا (بيروت) وجبلة (جبيل) وسمرّا أو سموري
(وهي بقعة تُرى اُخربتها على مسافة كيلومتريّن من مصبّ نهر الكبير شالاً)

(١) وقد اخبر المسيو دوسر في رحلة حديثة الى جبال الحميريه انه وجد امرأة كانت
تولّيه رتبة الخزانو في حينها

واروداد (جزيرة لرواد) . ومن المدن الداخلية المذكورة في هذه الرسائل . دِمَسْتَا
او دِمَسْتِي (١) (دمشق) وقطنا في جوار دمشق (ولها قرية قطنة)
ولا ترى في مكاتبات تلّ الهلانة ذكراً لجبل لبنان لاسيا جهاته الداخلية ألا
نلددا . وقد زعم الكولونل الاتكليزي كُنْدَر (Conder) انه وجد فيها اسماء
البنون وجونية وشكّة وشتورة ومكسة في البقاع (٢) يسد ان العلماء الاجاب لم
يواظوه على رأيه حتى الآن

ومن الاعلام المذكورة اسم مدينة آسيا ذهب الاب ديلاز اليسوعي الى ان
موقعها ودا لبنان او في جهته الشمالية . وقد زعم كُنْدَر ان اميا هذه هي اميون
الحالية في معاملة الكورة . فان صحّ قوله تكون اميون أقدم بلدة نعرفها في
داخل لبنان . والرسالة التي ورد فيها هذا الاسم كتبها احد المتال للصريين يطلب
من صاحب اميا ان يسلم اليه عدداً من العيد مع ابنة الشيخ ويرسل له فضة
وعجلات وخيلاً ثم يختم قوله بما نصّه : « اعلم ان الملك على احسن حال كالشمس
في السماء وان جيشه وعجلاته على ما يرام من الصلاح »

وقد جاء ايضاً مراراً في هذه الرسائل اسم بلدة تدعى « نخاسة » يظنّ العلامة
نيبور (٣) انها كتبت في شمالي شرقي لبنان . لما الاب ديلاز (٤) فيجعلها قريبة من
حمص . ففي اقوال العلماء كما ترى تبأين ظاهر

ولكن ان كتبت المادات رسائل تلّ الهلانة قليلة عن احوال لبنان الداخلية
فانها كثيرة التفاصيل عن المدن الساحلية خصوصاً جبيل . ولوالها « ريب اذى »
وحده نحو خمسين رسالة في مجموع رسائل تلّ الهلانة

واوّل ما يستلفت انظار مطالع هذه الرسائل ان مدن ساحل الشام كتبت
فائزاً بنصيب من المارة والتقدم فكانت التجارة البحرية فيها على قدم . وكثيراً
ما ورد ذكر سفن جبيل وبيروت وصيداء التي كتبت تقرر عباب البحر للتوسط

(١) راجع خالتي في اسماء دمشق (المشرق ٣ : ٦٥٨)

(٢) راجع كتابه The Tell Amarna Tablets, 2^o ed. London, 1894

(٣) راجع 26 C. Niebuhr: Die Amarna-Zeit, p.

(٤) راجع كتابه السابق ذكره ص ٤٧

وتنقل محصولات البلاد الى لما كن شقي . وما هو اصعب من هذا ان للندن المذكورة كانت قد التحقت لها يولوج حويّة . والدليل على ذلك ما ورد في رسائل « ريب ادى » الى فرعون قال : « ان اهل ارواد عندك الان قاضبط سفنهم التي هي في مصر » . وقال في رسالة اخرى عن سفن بيروت وصيداء : « أليست هاتان المدينتان تحت ولايتك فولّر عليهما رجلاً يمكنه ان يجيّر سفناً لبلاد اموري (١) » . وزاد في رسالة ثالثة ان سفن صيدا . وبيروت بلغت ساحل بلاد اموري وقبضت على احدى مراكبها ثم اردف هذا الخبر بقوله : « وهذه السفن قاحمة الآن قستولي على بعض سُفني »

*

ولا عجب من هذا الخصام الواقع بين مدن مجاورة فان رسائل تلّ العمارنة تثبت بان امر بلادها كان وقتئذٍ فوضى لا تجمع اهلها كلمة . وفي ما يأتي أدلة على ذلك

اما تجارة الفينيقيين البويّة فكانت تبلغ الى تقوم ملكة آشور وكانت قوافلهم تعرف حق المعرفة كل الشعوب التي تنقل على الاقطار المتوسطة بين بلادهم وبلاد بابل . وقد ورد ذكر هذه الممالك في رسائل تلّ العمارنة . وكان البابليون والميتانيون يزاولون صناعة المعادن وخصوصاً صيغة الجواهر الكريمة ثم يبيعونها للفينيقيين والفينيقيون ينقلونها الى الامصار البعيدة . وكان تجار فينيقية يعاملون ايضاً الحثيين في آسية الصغرى ويوصلون الى عيلام اي بلاد فارس . ولا غرو فانه يستدلّ من الكتابات الاشورية التي سبقت عهد رسائل تلّ العمارنة ان العيلاميين غزوا بلاد فينيقية فتكون الصلات بين الأمتين نشأت منذ ذلك الحين

اما الجهات الجديّة فكان الفينيقيون اعلم بها من غيرها فكانوا يبعرون بلا انقطاع الى القطر المصري تارة ليدفوا الجزية للفرعون وأخرى لمصالحهم الخاصة فيبيعون سلهم ويستبدلونها بنهب مصر الشهير الذي ورد عنه في رسائل تلّ العمارنة « انه صكّراب الارض كثرة » . ولظنون ان المصريين كانوا جلبوا هذا

الذهب من بلاد التوبة التي غزوها واستولوا على مصادرها
ثم ان تليخ الانمة الثابتة يشهد على ان سليمان الحكيم وفراضة مصر
في عهده كانوا يستغلون الفينيقيين لتاجرتهم وعندها ان الامر كان كذلك في
القرن الخامس عشر والاربع عشر قبل المسيح . وان الفينيقيين لم يجهلوا جنوبي
جزيرة الهند

ولما اسفار الفينيقيين الى شمالي غربي البحر المتوسط فلا ذكر لها في مكاتبات
تل العاصدة . وانما ورد فيها اسم بلاد « ألّسيا » والرجح انها توافق بلاد قرمانية
الحالية او احد الاقطار الواقعة في شمالي سورية . ومن اوصافها انها كانت من
البلاد الساحلية . وما لا مرأ فيه ان الفينيقيين كانوا يعرفون من ذلك العهد
جزائر الارخبيل وسواحل آسية الصغرى وكانت قلوبهم البرية تتعدد الى هذا
القطر للتجارة

*

فما تقدم يلوح للقراء ان فينيقية كانت بلغت في القرن الرابع عشر قبل
المسيح مقاماً حالياً من حيث تجارتها الواسعة وثروتها الوفيرة . وكانت المادن
الثينة كالذهب والنقصة تصاغ في جيبيل فتجلبها ارباحاً كثيرة يدلّ على ذلك
كتاب حوره واليهما رب ادى السابق ذكره . وكذلك كانت الزراعة والفلاحة
في حالي زام رائع . وكان الزيت والخمر من جملة ما يقدمه الفينيقيون للملك مصر
لاداء الجزية . ولعل الخمر اللباني اشتهر من ذلك الحين قبل ما يذكره هوشع النبي في
سفر نبوته ٨: ١٤ . وقد ذكرت ايضا رسائلنا « الاشجار الكبيرة » التي وهبا اذيو
احد امراء الشام ولما كان هذا يملك على قسم من شمالي لبنان فعلى ظلتنا ان
الاشجار الكبيرة المذكورة انما المراد بها شجر الارز . وهذا يصح أيضاً عن جبال
بيروت وجيبيل التي منها قُطعت اخشاب هيكل اورشليم في زمن حيرام وسليمان .
وما يدل على عمران بلادنا في ذلك العهد ذكر السجلات الحربية . لأن وجود
السجلات ينفي بوجود طرق ماثورة وفي توثيق الطرق ما لا يخفى من الرقي لان ذلك
لا يمكن من الصعوبة في جبال كجبال لبنان (١)

(١) راجع ما كتبت في هذا الصدد في اثناء كلامنا عن السكك الرومانية في لبنان

وقد جاء في رسالة لاحد ولاه بيروت اسمه أمونيا ما تعريبه : « لما ورد امر سيدي وشسي عليّ انا عبده ورتاب قديمه . قائلًا لي اذهب الى مساعدة انصار سيدك الملك الحال اطعت امره وهاءنذا لاحق باصحاب سيدي الملك مع خليي وعجلاني وكل مالي » . ولهذا الكاتب رسالة اخرى يذكر فيها عجلاته الحربية وما بيته وبين ريب ادّى من الصلات الودّية ١٦

هذا ولا تكاد رسائل ريب ادّى المدينة تخلو من ذكر الحرب التي اصلاها عليه « عبد الثرى وابنة لثرو صاحب اموريّ الشديدان » ويؤخذ من سياق كلامه ان سلطته كانت تمتد على ساحل جبيل الى طرابلس او مصب نهر الكبير شمالًا وإلى نهر الكلب جنوبًا مع ما يجاور هذا الساحل من لبنان . اما والي بيروت امونيا فكان نهر الكلب يحده ولايته شمالًا

ومن تصبّح رسائل ريب ادّى ادرك انه كان قليل البخت لم تسعه الايام . ومن للبكات للضحكات ما كتبه اليه احد عمال مصر بسبب قطع من الحمبر كان القزحون عهد اليه بحراسته بقرب مصب نهر الكبير في بلدة سيرة :

«...م الطاعون بلدة سمرّي فلمات الرجال واطك الحمبر .. ويأ لك من كان ينظر الحمبر ان انت لم تهم بها .. تقول ان الحمبر وجراسها قد أميموا بالطاعون وان مواشي سيدي الملك قد حلكت فاذن يُقتنى عليك ان تطلب غيرها الملك .. »

فهذه الرسالة تفيدنا بان فراعة مصر كانوا اتخذوا لهم وسطاء من جلبتهم يناظرون ولاه المدن وامراء البلاد ويوقعون الملك على احوالهم وكان هؤلاء المناظرون يلبثون مروّسيهم اوامر القزحون . وربما لاموهم عن اعمالهم حكما وأيت او دافسوا عنهم في وقت الحاجة او اصلحوا ما حدث من الخصام بين اصحاب مدينة وجارتها

ودونك كتاباً آخر من ريب ادّى لبعض المناظرين المصريين اسمه امانيا يعرض له فيه تشكياته من اخصامه :

الى امانيا ابي الصير من ولده ريب ادّى . الى اشرح على اقدام ابي الصير . ثم أسأله

١٦ الا ان هذه اللاتق الودّية لم تدّم زمناً طويلاً كما ستدري وقد مرّ ان سفن بيروت استولت على سفن جبيل

ثانية : ألا تستطيع ان تنقذي من ايدي عبد الثرى . . . لا يجالي باري احد من ولاة المدن ولهم جميعا متفقون معك ولذلك قد استعمل امره . اما انت فاجبتي : اربل في صحتي سامعاً الى بلاط الملك فان رضي الملك اعدته اليك مع الجنود ليدافعوا عن حياتك . فكان جوابي : اني لا اتأخر عن ارسال الساعي ولكن ليبق ذلك سرّاً لا يعلم به عبد الثرى لان بنيامين (وهو ناظر آخر كان ملك مصر) قد ارتقى . فأجبت : اربل سفينة الى ياربغشتا فأتيتك منه فضة وحلّ . . . وبلاده من يطمعني فاذلا لم ترع الجنود الى الخافي سترك للمدينة وانصبر بنسي »

وفي رسائل اخرى يطلب حيناً اربعة رجال وعشرين حجة وحيناً اربعين جندياً (١) . . . وثلاثة متين من المشاة وفئة من الخيالة . ألا ان الناظر المصري لم يجب الى طلبه ريب اذى ولم يُبالِ بامرء عليه فلم يزل عدوه يفرّو الاثمة ويتقوى شوكة حتى ضبط كل التواحي للباورة لبلاد جليل ولم يترك لصاحبها غير مدينته . والصدور للذكر هو ازيرو وكان مائلاً على البلاد الواقعة شمالي دمشق وعلى قسم من وادي العاصي اي البلاد المتوسطة بين بعلبك وبجيرة حمص فطمع في املك جاره صاحب جليل واخذ منه ما اخذ في بقعة طرابلس وجبل حكار ولبنان ثم تفاقم الامر حتى بلغ مسامع ملك مصر . وفي رسائل قلّ الهلانة ما يُشعر بغضب الملك على ازيرو لتعديده حدود ولايته . الا ان ازيرو المذكور كتب الى الفرعون ليكني نفسه ويلقي تبعة الامر على صاحب جليل . وكتابه غريب في بابيه اجبتنا ان نثبته هنا :

« الى الملك العظيم سيدي والهي وشعبي من ازيرو همدو اني اقبل الارض امامك سبع مرات . . . اطم سيدي اني انا جديك متخر في التراب امامك ملكي ومولاي . ثم اني انجسر واقول لزوجك لا تثر سمك الى الاعداء الذين رموني عندك بالزور والبهتان فاني جديك انصنع الى الابد »

لكن القرومون لم يرض بقول ازيرو واستدعاه الى مجلسه ليدافع امام الملك عن نفسه . والظاهر انه سُجن في مصر ومات في حبسه

لما ريب اذى فلا نعلم عن وفاته شيئاً . وغاية ما يُستفاد عنه من رسائل قلّ الهلانة انه حتر زمناً طويلاً وانه تولى على جليل في أيام امينوفيس الثالث وابنه

(١) وفي الاصل يطلب الكاتب ان يكون عشرة منهم مصريين وعشرون من بلاد « ميلونا » وميلونا هذه مقاطعة واقعة حذ تحوم بحر والشام

امينوفيس الرابع . وفي رسائله دلائل على انه كان يطلب خير رعية وانه كان متعبداً لصقوت « بعله جيبيل (١) » يذكر اسمها في مقدمة أكثر رسائله . ويلوح أيضاً من كتاباته هذه ان لسرته كانت مالكة على جيبيل وضواحيها منذ قديم الزمن لانه يشكو الى فرعون مصر امره ويقابل حالة السيئة بحسن حال اجداده فيقول : « ان الملك كان سابقاً يرسل الى اجدادي دراهم وغير ذلك مما كانوا يحتاجون اليه وكان يسير لهم جنوداً لما انا فارسلت الى سيدي الملك سامياً ليعايدني بيعة من الجند فلم يرسل اليّ احداً »

فما سبق يتضح قراءتنا ما تتضمنه مكاتبات تلّ الهلونة من اخبار لبنان وسواحل الشام . لكن اهميتها الكبرى مبنيّة على قدمها لانها كُتبت قبل موسى الكليم وقبل سفر التوراة وفيها عدّة تفاصيل تثبت صحة اقوال الكتاب . ومنها ايضاً يتبيّن ما في درس اللغتين للصريّة والبابليّة من الجدوى للعلوم التاريخية . وفي ما اكتشفه المستشرقون منها حتى الآن ضمين عن فوائد اكتشافات المستقبل ان شاء الله (٢)

٢٠ كتانس لبنان القديمة

نحال قراءنا قد اشتاقوا الى مطالعة وصف الكتانس القديمة في لبنان بعد ما كُردنا ذكرها في فصولنا السابقة . وليس مرادنا ان نستوفي الكلام في هذا البحث لأننا لسوء الحظ لم نتسكّن من زيارة كل كتانس لبنان القديمة . ثم ان كثيراً من هذه البيع قد خربت في مدّة هذه السنين الاخيرة او ذهب عنها رونقها القديم وذلك لتغيره محمود في لعل لبنان حملتهم على تجديد بناء كتانسهم او ترميمها لولا انهم حرموا من بعض الآثار الجلييلة الناطقة عن احوال سلفائهم الافاضل وعليه فقد

(١) راجع فصلنا السابق عن الديانة النيبتيّة في لبنان

(٢) ان اردت كلاماً مطوّلاً من مراسلات تلّ الهلونة فراجع مقالات سميه كتبها الاب ديلتر . ومن جملتها نبذة افرنييه دهايا : « اكتشاف تلّ الهلونة » . ثم ابدلها بقسالة اخرى وسماها « بكتابات تلّ الهلونة » . وللشرق الشهير هالفي (J. Halévy) مقالات في الموضوع تنسوّ في المجلّة الاسويّة القرنويّة (J. A. 8^e série, XVI-XX)

لرحنا الى كتابة هذه المقالة قبل ان تمتد يد الحروب الى الكنائس الاخرى
العديدة . وغايتنا من هذه البثّة ان نبين للقراء اجمالاً ما اتّصفت به هذه البنايات
القدسية وما هي خواصها التي تفرّدت بها في لبنان

لا مشاحة في ان لبنان يتفاخر على غيره من الاصقاع بوفرة كنائسه . فانك
لا تكاد تدخل قرية منه بل مزرعة من مزارعه دون ان تلقى لها كنيسة لها ولك
تجد في القرية الواحدة اللهم اذا كانت متوسطة في الكبر ككيسين واكثر

واغلب هذه الكنائس لا يرتقي عهدها الى ما فوق للتي سنة تراها في هندستها
اشبه وبيوت اقربى لا تختلف عنها الا بسعتها . فانها على هيئة مكعب مستطيل
مبنية بالحجارة والملاط لها على جوانبها ابواب ونوافذ . وفوقها سطح ترى على
احدى حافتيه قبة للجرس لا تظهر بيئته وبين الكنيسة علاقة هندسية . وقد
استبدل السطح منذ عهد قريب بسقف منخفي بالآجر الاحمر فزادت بذلك
الكنائس بعداً عن هيئة العابد الدينية . وان سألت هل لهذه الابنية طرز هندسي
اجناباً آتينا نعمل ذلك ولعلّ بنائهم لم يدروا اي طريقة هندسية سموا عليها
في هذه العبارات

لكن الامر لم يكن كذلك في سائر الاصقار . ولو بحثنا لوجدنا لاهل لبنان
في القرون النابرة طريقة هندسية في بناء كنائسهم كما نود لو يجيها المهندسون
الحديثون في العابد التي يشرعون بتشبيدها او يستجدون بناءها

فترى اين نجد امثلة لهذه الابنية الصيقة ؟ افي جنوبي لبنان او مقاطعة المتن ؟
كلّ لانّ اللوارنة لم يدخلوا هذه الاصقاع منذ زمن مديد . وتزيد على ذلك ان
دخلهم في نفس كسروان ليس بتقديم كما بيننا الامر سابقاً في الشرق في نبذتنا عن
فراغريفون (الشرق ٥٦:١) ثم في ردنا على مقالة « لاجد العلماء » ادرجت في
الروضة . وعندنا ان اللوارنة لم يتوكلوا كسروان قبل القرن السادس عشر وهو قول
يمكن تأييده بأدلة عديدة لعلنا نذكرها في مطاوي مباحثنا هذه عن آثار لبنان .

وحسبنا اليوم ان نقول انه لا يوجد بين اديرة كسروان العديدة ديو واحد يسبق
عهد القرن السابع عشر (١) وكذلك لم نطلع في تولريخ اللوارنة على ذكر رجل من

(١) راجع كتاب الحوري منصور طنوس الحوري في المقاطعة الكسروانية ص ٢٨ .

مشاهيرهم أصله من كسروان قبل القرن السادس عشر . وإذا جاء ذكر الموارنة في تأليف الصليبيين فلا زلهم يذكرهم إلا في البلاد الواقعة بين طرابلس وجبيل أما جنوبي نهر ابراهيم فلا نرى لهم فيه أثراً . وكذا قل عن ادويتهم القديمة وكنائسهم فانها كلها في شمالي نهر ابراهيم كما ان اصل قدماء بطاركتهم ولساقنتهم من البلاد نفسها

فيتضح من هذه الحقيقة امران : الاول ان لا أثر كسروان اليونانية الرومانية شأنها اعظم من آثار المارونية . والثاني ان من يطلب امثلة تطلعه على هندسة الموارنة القديمة لكنائسهم الاجد به ان يطلبها خارجاً عن كسروان وفي واقع الحال اذا اجتازنا نهر ابراهيم وتوغلنا في بلاد جبيل وجدنا عدداً وافراً من هذه الكنائس وهذا العدد يزيد على قدر سيرنا الى الشمال . ولا غرو لان هذه الاصناف هي مهد الامة المارونية وموطنها الاول درجت منه فامتدت في انحاء لبنان فحات سورية فأقطار الشرق حتى بلغ لبنانوها في عهدنا بلاد التراب ودخلوا العالم الجديد . فان وجد شيء من آثار ابنيها الدينية القديمة فهي عند مركزها الاول وفي محل عزها



قد اجمع علماء العاديات ان هندسة الكنائس المسيحية منذ بدء النصرانية خواص مشككة تشمل كل البلاد ان غربية وإن شرقية مع ما يورى فيها من الاختلافات الطارئة عليها بسبب تقلب الاحوال ودواعي الظروف . ومن هذه الخواص تقسيم الكنائس المسيحية سائلاً الى ثلاثة اقسام الحنية او المهراب (abside) ثم السوق (nef) ثم الرواق او البهلز (portique) . ويبغ الموارنة القديمة لا تشذ في ذلك عن غيرها من معابد المسيحيين الهيدة

فاذا اعتبرنا أولاً هيئة الحنية وجدناها شبيهة بالخلال اليونانية اي انها محوكة في الداخل ثلثة في الخارج على شكل مستدير كما ترى في كنائس اهدن وكفرحي ومار نهر وبيتنة سر جبيل ومار ضوط في تول ومار الياس (كنيسة واقعة بين

تولا وعبدته (ومسرح ومجديدات واده (في بلاد البترون) واده (في بلاد جبيل)
وفي جوار اده هذه عدة معابد وبيع بُنيت على هذا المثال
هذا ولم ننظم دامل في سلك القري المذكورة مع ان كنيستها المتهمة ذات
حيّة ظاهرة الى عهدنا . لاننا نظن ان هذه الكنيسة كانت في الاصل هيكلًا
للاصنام ثم حولها الاهلون الى معبد مسيحي على اسم القديس تلدوس الشهيد .
وبين ردها جدران مائة حصة البناء فيها آثار خطوط كوفية مطموسة . وترى
مثل هذه الخطوط في حلتا في كنييسة السيدة القديّة . وكنيسة دامل المذكورة
يزورها التارلة ويكرمونها ولهم عند اطلالها سندوقة كبرى لا يمّنها احد
ولو أردنا ان نورد اسماء كل الكنائس القديّة المارونية التي بُنيت لها حيّة
مستديرة لطلال بنا الكلام . ولعلّ الشكاة التي يحفلها الوارثة وراء المنبح
الكبير مثال صغير لهذه الحنايا القديّة تحفوها كذكر لها . ولا ريب ان الموارنة
اهملوا بناء الحنايا في كنائسهم يوم اخذوا يتقرون في مناسكهم وطقوسهم من
الكنيسة اللاتينية (١) ويقتدون بها في شؤون كثيرة . كما لحظ ذلك مراراً
مؤذخو الموارنة انفسهم (٢)

هذا وقد اسفنا على ان البناة الذين سموا في ترميم بعض الكنائس القديّة هدموا
الحنايا السابقة او غيروا صورتها ما لمكن . فترى مثلاً الحنايا الثلاث التي كانت في
كنيسة مار دانيال في حدث الجبة قد باد اثرها تماماً
ومن خواص البيع المارونية القديّة قبها . وما استعناهُ من هذا القليل قبة
كنيسة مار الياس بين عبده وتولا وهي تشبه قبة كنيسة جبيل . بيد ان هذه
الكنيسة مهمّة يتازح ملكها اهل القريتين
ولكن من الكنائس دهليز او رواق مقبب الشكل كما ترى في كنييسة
كنفرحي وفي كنيسة مجديدات اعني مار نيقولا ومار تلدوس وفي كنائس مار
يوحنا العمدان في اده (جبيل) ورشكيدا ومسرح

(١) ومذ ذاك العهد ايضاً ترك الموارنة بعض العادات الجارية عند اليونان وبالي الطوائف
الشرقيّة . ولطهم يجيها ان بناء الحنايا من الابنية المخصوصة بالروم
(٢) راجع مقدّمة كتاب الدويهي للشنون بمنارة الاقداس (ص ٧)

هذه السمات الثلاث أي الحنية والقبة والرواق هي التي تميز كنائس الموارنة قديماً اللهم إلا الدهليز فأننا لم نجده في قسم منها

*

هلمّ نصبر الآن ما اختصت به بعض هذه الكنائس دون غيرها . فمن ذلك ان بعضها كان ذا ثلاثة اسواق صليبية جبيل وان اعترض علينا احد بان هذه الكنيسة من بناء الصليبيين فلا علاقة لها مع كنائس الموارنة أخطأه الى مثل كنائس أخرى بُنيت في وسط المقاطعات المارونية كيسة معاد وشكيدا ومار جرجس في اهدن

فكنيسة معاد من اجل كنائس لبنان بناء وهنسة لولا ان مرتبها لم يعرفوا قدر الآثار القديمة فانهم لم يحسنوا إصلاحها وطمسوا كثيراً من محاسنها وازالوا حنيّتها وحرقوا نقوشها البديمة وكان لهذه الكنيسة ثلاثة اسواق غير انها تقصر من كنيسة جبيل ودونها في الموزة . ولصمتها رؤوس أكثر من الطرزين الفنسيين الاقدمين أي الطرز الايوني (ionien) والدوري (dorique) . اصلها من بقايا هيكل قديم مع أكثر أخرى راجع ما كتبناه عن معاد (ص ٢١) . وفي الكنيسة المذكورة قبور ترتقي الى متوسط القرون . وبإزاء معاد قرية تدعى صائر لها كنيسة ذات سوقين في اعلاهما حنيّتان

لما كيسة وشكيدا فتستحق ذكرًا خصوصياً لقلة شهرتها . والحق يقال ان الدهش اغد منّا مأخذاً لا صادفنا هذا للمبد الجليل في مزرعة حقيرة مجهولة يسكنها المتاول على مسافة حردقائق من عبرين

فلكنيسة شكيدا رواقٌ واسع كانت سمته في سائر العهد اعظم منها اليوم . والكان باسم القديس جاورجيوس الشهيد في ثلاثة اسواق مثل كنيسة معاد والسوق الاوسط ينتهي بجنيّة وراءها قبة كبيرة او بالاحرى ثلاث حنايا ينحس لראها الناظر . فطلبنا لهذه الصورة للنسيّة القريبة شرحاً يكشف لنا سرّها للمحتون قلب فلننا ان الكنيسة كانت سابقاً اكبر منها اليوم فربما البناء واقصروا منها على هذا القسم الباقي . ولاشبات هذا الظن أدلة تباعد الى ذهن

زائرها ولولا خوف الاطالة لمرضاها هنا . ونكتفي اليوم بأننا عرفنا القراء . يوجد
هذه التحفة للمندسية وسلمح اليها في مطاوي الكلام غير مرة (١)
ومن الكنائس القديمة الجديدة بالاعتبار كنيسة حدتون كان بقي منها بعض
الاخوة قبل سنين قليلة . فلما بُنيت البيعة الجديدة تضرعت تلك البقايا دون ان
يكتفى آنثو زيارتها . ولربان في وصفها قرة موجزة اثبتها في بعثه الفينيقية
(ص ٢٥٥) فزاد بملاحظتها أسفنا على فقد هذا الاثر البعيج . وكان في هذه
الكنيسة عمودان ترينها الكتابات القديمة التي رسمها رينان رسماً لا يكاد
يُستخلص منه معنى . وكل هذه الآثار من عهد وجدان قد طُست وقت البناء
الجديدة

وقد تفضل حضرة الحوري نعمة الله نصار فارسل الينا كتاباً ضئله عدة افادات
عن هذه الكنيسة الحبيبة فقال في وصفها « انها كانت ذات أسواق وفيها سبعة
البواب ثلاثة لجهة الغرب ضمن دهليز متين وباب لجهة الجنوب وله ايضاً دهليز
خاص وباب للشمال ضمن دهليز طبيعي منقود في الصخر وبابان على جانبي الحنية وهي
كانت غاية في الحسن تقوم على ذاتها ووراءها الموكفه (الكرسي) فتتح ٤
نافذة جنوبية . وكان لهذه الكنيسة اربع قناطر رفيعة اثنتان للجانب الايمن
واثنتان للأيسر يتعلق طرف الواحدة بجانب الحنية وطرف الاخرى بالحائط
الغربي »

فهذه التفاصيل تثبتنا بأن كنيسة حدتون لم تُشبه غيرها من الكنائس السابق
ذكرها وهي كلها مبنية ذات باب واحد ليس إلا . لما الوليد التي كانت في داخلها
فترجح ان اصلها من بناية قديمة كهيكل وثني او غير ذلك
وكان حضرة الاب نعمة الله سأتنا في كتاباته مراراً ان ندله على اسم اي قديس
شيدت هذه الكنيسة لأنه تحمى في السؤال عن الامر لدى العامة وبجث عن تقليد
الشيخ فلم يفر بالمرام

(١) زعم رينان في بته فينيقية ان في جدار هذه الكنيسة كتابة قديمة بمثل طيا .
وهذا ان لا وجود لهذا الاثر لأن الاحلين يهلونه سلقاً

قلنا اننا نحن ايضا بحثنا عن هذا في ما تيسر لنا من التآليف فلم نخط
بالقصود . ولعل ذلك يمكن استخلاصه من كتابه يونانيه دلتنا عليها اهل حدوتون .
وهذه الكتابه كانت مكتوبه على طوق من النحاس كانت تُنَاط بِهُ رُويًا او ما
شاكلها . ومضمون الكتابه ما ترجمه : « في عهد حنا كلهن مار الياس » يريد
كنيسه مار الياس . فيتجمع من هذا ان الكنيسه المذكوره كانت على اسم القديس
الياس التي لان لحدوتون كنيسه أخرى قديمه مخصصه بالعذراء الطاهرة وهي باقية
الى اليوم



هذا وان سياق كلامنا عن رشكيدا ومعاد وحدوتون قد بلغ بنا الى ان نسط
القتال عن النقوش التي كانت الكتائس المارونية مزينة بها . ولا مراء ان تصاوير
كنيسه معاد كانت بديمه جدا كما ينبغي على ذلك ما بقي منها على جدرانها وقد
ذهب احدها بيقوم محراب الكنيسه . وبما اننا في شيوخ القريه انهم لو ازلوا
الردم الذي هناك لوجدوا امثالا لتصويره حسنة من جعلتها صورة مار يوحنا مارون
وفي تاريخ الموارنة للنديهي ما يؤيد زعمهم قال (في حاشية الصفحة ٣٦٨) : « وفي
جنايبها (يريد كنيسي معاد ومجديدات) مكتوب « ان لله صباوت » ومصور
على حيطانها مار مارون ومار قديان بالتيجان على رؤوسها والدروع على اكتافها
فيا ليت اصحاب الامر يتوكلون هذا العمل وينتزعون التصاوير من تحت الردم ولنا
الامل انهم يلقون مع التصاوير كتابات قديمه بالخط الاسطرنجيلي تفيدهم علما عن
اخبار قديسي الكنيسه المارونية . اما تصاوير كنيسه رشكيدا قد باد اكثها
الا ما يراه الناظر في جهة المحراب وهي رؤوس متنته التصوير قتل على ما كان
ثبت من النقوش الجبيلة

ومن الكتائس للزخوة بالتصاوير كنيستان على اسم مار جرجس في اهدن
ومجدله وكنيسه مار تاددوس في مجديدت قد صارت على عوارض الزمان ولو
ارد السكّان لأمكنهم ان يجدوها بعد ازالة الملاط الذي يجيب قسما منها مع
صيانتها عن الرطوبة . وبما يرى في جدران مار تاددوس صور الكروبيم يحملون
بين ايديهم تسبه القديس (Trisagion) مكتوبه بحروف اسطرنجييه وبقية

تصاوير هذه الكنيسة كتابات سرية تُعرف موضوعها واسماء الاشخاص المصورين فيها . فلا يخلو البحث عنها من الفائدة

وحسنت ارجب كثيراً في زيارة كنيسة مار سركيس للجواررة لشبطين لاني كتبتُ قرأتُ في بعثة فينيقية لزيارة (ص ٢٥١) ان هذه البعثة مجتلة بتصاوير بدعية ظنّ انها ترتقي الى القرن السابع او الثامن يحل على زعم السيد المسيح ورسالة الايول وأردف أن وراء الهيكل قد بقي منها صور دوس جميلة . قرئتُ الكنيسة ألا الي لم اجد هذه التصاوير اثرًا البتة

وفي كفر شلوان مبد صغير غريب الشكل نُقر في الصخر يدعى سيدة لالا (١) وقد تبين لنا من فحصها انها كانت سابقاً مدفناً ثم جُعلت مبدّاً (٢) . استدلتنا على ذلك بصخر المبد وهيئة وارتفاعه فوق الحضيض بعدة اذرع . وترى في سقف هذا اللبد فوق مذبحه وعلى جناحي الهيكل نقوش وتصاوير لسود قسم منها بسناج السرج وهبة البخور الذي يوقد امام صورة العذراء هنالك . وفي الزاوية القريبة من الباب صليب في تزيينه كتابة يونانية مؤداها : « قد انتصر يسوع المسيح » . وعلى شال الصليب صورة رامي بالقوس . وعلى عيشه وحش غريب لهمم ارادوا به الشيطان الرجم فيكون المصور اشار بذلك الى اقتصار المسيح على قوات الجحيم بصلبيه

وقد ذكر النويري في تاريخه كنائس أخر تزيناها التصاوير القديمة لم يبق اليوم منها شيء . وما يزيدنا اسفاً على فقدتها ان نقوش بعضها كانت مؤرخة كنيسة مار نهرا في اده من بلاد البقون فان تلخيصها كان يرتقي الى سنة ١٥٧٥ لليوفان اي ١٢٦٣ للمسيح (راجع النويري ص ١١٢)

وان سأل سائل من اي طرز كانت النقوش والتصاوير التي سبق ذكرها اجبتا انهما كانت كلها من الشكل البزنطي فان من يتاقل بينها وبين النقوش

(١) لعل هذه الكلمة يونانية الاصل « vaka » اي جديدة فيكون المعنى « السيدة الجديدة »

(٢) ويقرب السراية المبنية حديثاً في قرية اميون كنيسة شل كنيسة كفر شلوان على اسم القديسة مارينا كانت ايضاً مدفناً ثم حُوّلت الى مبد

البونظية من حيث طريقة التصوير والالوان وهينات الاشخاص لا يرى بين الطريقتين اختلافاً يُذكر فيحكم بلا شك ان مصوري هذه التصوير اخذوا الفن عن البونظيين كما تلتح الى ذلك الكتابة اليونانية التي في مجد كرشليان . اما اصل هؤلاء المصورين فنحن انهم كانوا من الشام كفى دليلاً على ذلك الخطوط السريانية الممددة بالصورة

وقد بقيت عادة الموارنة على نقش كتانهم في لبنان زمناً طويلاً . اخبر الدويهي (ص ١٨١) في تاريخ سنة ١٥٨٧ ان الحوري انطون من بيت الحميل بني كنيسة مار عبدا في قرية بكفياً وصورها على يد الشدايق الياس الحصري واتفق عليها الف قريسي ما عدا اكلاف اهل بكفياً وغيرهم من المصنعي . ولا بدع ان هذه التصوير كانت محكمة الصنع لظن المبلغ الذي صرفه بالي الكنيسة

كذلك زين الحلو الجليل اسطفان الدويهي كنيسة قُربين بالتصاویر والتقوش . بقيت منها الى اليوم صورة العنداء ام الله ترى عند اقدامها بطاركة الموارنة جاثين لها . بيد ان هذا التصوير ليس يتقن لكثرة يلوح من خلاله ان صاحبه يحاول تقليد المصورين الفرنج

ويلحق بهذا الباب تقوش أخرى كان للموارنة يحبون ان يزينوا بها كتانهم اعني القسيساء . فهذه العادة وان كانت شائعة في بلاد كثيرة كانت في بلاد الشام أشيع وأعم حسبنا ذكر القسيساء المكتشفة قبل ١٥ سنة في مادبا في متصرفية الكرك وقطر اللزبيين القديم قد نُقش فيها رسم بلاد فلسطين

وكذلك كان صحن كتانس كثيرة للموارنة مجيلاً بالقسيساء وقد وقفت على صحة هذا الامر بنسي في كنيسة القديس جاورجيوس في مسرح فان أكثر هذه التقوش باقية حتى الان . وكان أيضاً لكنيسة كور التي هدمت منذ قديم ترصيع من القسيساء . افادنا الامر حضرة الابوين اللوح الحوري بطرس ارسانيوس رئيس مدرسة مار يوحنا مارون والحوري يولس طلمه ومولد كليها في هذه القرية اما كنيسة حدوتن فقد افادنا عن قسيسائها حضرة الاب نعمة الله بايلي قال : وكانت الكنيسة مبلطة بصغار الحجارة للتقوشة وكان اهل هذه التقوش

في السكستيا ملونة باللون عديدة كالاحمر والاخضر والادرق والاصفر
والسماوي في النج والحجر فيها لا يكبر قطعاً عن السكستر الكعب . ويستدل على
حسن رسوما واحكام صنعها من ذات تركيب الحصى . لما ارض الكنيسة
فكانت مبلطة بهذه القسيما . الا انها اقل اتقاناً . منها ايضاً دهليز الخارج فان
حجره يكبر سكتين «

هذا بعض ما تسمى لنا جمعة من فيفاء الكنائس في لبنان ولا شك ان
يماً أخرى قديمة كانت مزينة بها



ومما قد اذهلنا في قرى عديدة من لبنان انما وجدنا في جانب كنائسها كنيسة
أخرى لاصقة بها او قريبة منها بحيث تضيي الكنستان كناية واحدة . مثال ذلك
كنيسة مار يوحنا وكنيسة مار تادوس في اذه (جيل) . ومثلها كنيسة شامات
وتولا النج

ولكن كثير من كنائس لبنان في داخلها صهاريج (١) ونوافذ ضيقة مستطيلة في
جدرانها بقرب مدخلها كما في تولا واذ (البقون) . وتري في صغار في دلو الحواجا
انطلقون جرجس التي كانت كنيسة قديمة صهريجاً في داخلها ومرامي في جدرانها
ويستدل بهذه الآثار الهندسية على ان الاهلين كانوا في سائب الاعصار يتحصنون
في الكنائس فتصير لهم الكنيسة شبه قلعة لكثافة جدرانها ومثانة بنيانها فيصرون
من مائها ويرمون القذائف من نوافذها

وفي هذه الكنائس أثر آخر يرتقي الى القرون المتوسطة وهو انهم كانوا
يحولون في جدرانها قطعاً من الراميد طناً منهم ان البنيان يزيد بها شدة . وتري

(١) وفي أماكن عديدة ترى الصهاريج خارج الكنيسة عند الدخول مثلاً . ويحصل انسا
تكون حُفرت ليُتَّكَل بهاها قبل مباشرة الاسرار . قال القدوسي في منارة الاقداس (ص ٥٧) :
« هذا انتشرت الصراية اخذ ابناء الايمان ينجون الكنائس ويرمون اهلها مناج الماء او ينفرون
الابار ليستحم بها الدخولون قد رُسم على الكهنة في بدء التافور وآخره ان يسلوا اناسهم
طلباً للظاهرة وتوقيراً للاسرار »

مثل هذه العادة جارية عند العرب في أبنيتهم القديمة لنا شواهد على ذلك في بعض النحاء قلعة جبيل . وتنبأت عليهم هذه العادة حتى لنهم كانوا اذا لم يجدوا عموداً يدخلونه في بنائهم ينحتون دائرة نائشة في حجر كبير يمثلون بذلك صورة رأس عمود . كما ترى في قلعة حلب وفي الباب الشرقي في دمشق الخ (١) . وقد جرى مهتمسو الكنائس للارونية على هذه العادة فان كنيسة مار ضومط في تولا ولار جرجس في عبدة وكنيسة السيدة في سرجبيل وكنيسة رشيدا مثل هذه العواميد المتداخلة في بنائها



ليست قبة الجرس في الكنائس الشرقية كما ترى في الغرب . فان التربين جعلوا هذه القبة كهم مختبر من أبنيتهم الدينية قداماً مدججاً بالبيان متصلة به اتصالاً غير منقسم بخلاف الشرقيين فان قبة الجرس عندهم من الواض ليس بينها وبين كنائسهم رباط هندي ولو خلت هذه الكنائس منها لبقيت هندستها الاصلية بحسبها وهندامها . والبعض للارونية القديمة لا تشذ عن هذه القاعدة العمومية . فان من يحدق بنظره اليها ير لوقته ان قبة الجرس من اللصقات التي زيدت على هذه الكنائس بعد بنائها . وادراك علة ذلك سهل وهو ان الاجراس المعدنية حديثة الهد بين اللوارنة لم يأقروا قرعها الا بعد مجيء الفرنج الى بلاد الشام (٢) . قال العلامة الدويهي في تلخيص طائفة (ص ١٠٣) : « وفي سنة ١١١٢ اخذ اللوارنة في الجبل يدقون التواقيس من النحاس بدل الحطب للصلاة »

ومن خواص لبنان كلمة كهوفه واغواريه التي ترى في اكنافه . وقد اتخذ اهل لبنان الاوكون هذه الناور كساكن لهم استلوا فاعاشوا فيها في قديم الزمن (٣) ثم ابني اللبنانيون لهم القرى وشادوا البيوت فبقيت هذه الكهوف خالية خاوية حتى

(١) راجع بشة فينيقية لرينان ص ١٥٩ و ٥٤٧ إلا ان هذا الكاتب قد إساءه ينجو ذلك الى الصليبيين

(٢) راجع للمشرق (٥٨:١)

(٣) راجع مقالة الاب زنون في النور المجري في فينيقية (المشرق ٩٧:١)

لنكرت في هذه البلاد لنوار النصرانية فلجأ إليها قوم من النساك انتقلوا فيها الى
 العبادة والتأله وعاشوا ثم عيشة لشبه بعبشة الملائكة وجعلوا بتادي الأيام
 غير أنهم كانوا كل يقضي فيها السكان المجاورون لهم فرائضهم الدينية . فن
 ذلك الكهوف الواقعة في وادي قزحياً وفي سيده القطين التي تعرف اليوم باسم
 سيده البراز . وهي لا تبعد عن قرية صغار في وادي مقتر فأن هناك ديراً صغيراً ذا
 طبقات متعددة ملتصقة كلها في الجبل والدير سور حصين فيه منافذ ضيقة كان
 النساك التديما يرسدون منها حركت العدو فيطردونه اذا ما فاجأهم . ولبعد هذا
 الدير حيتان عاديّتان وكان المباد اذا جعلوا سكناهم في هذه الأغوار يتخذون
 اكبرها لتساكنهم فيجعلونها بيعة كسيده قنوين وسيده القطين وقزحيا الخ
 وما يلحق بهذه الكنائس معبد كافر شليان النور في الصخر وقد مر ذكره .
 ومثله معبد مار سركيس اللباء الكرملين في شرقي . وكذا كنيسة مار بطرس
 في العاقرة فأنها كلها منحوتة في الصخر (١) ولها كانت مدفن للموتى في الام
 النارية (٢)

*

وقد حان لنا الان بعد ما ذكرناه اجمالاً عن كنائس لبنان القديمة من حيث
 هندستها المعمورة وهيئتها الخارجة ان نبهت عن داخلها فتقف على صورته واحواله .
 ولنا في كتاب مثارة الاقداس للبحر الفضال والكاظم الباربع البطريرك اسطفان
 الدويهي دليل يرشدنا الى المقصود قال (راجع النارة ١: ١٠٣) : « قم الآباء
 القديسون للمياكل الكبيرة الى ثلاثة اقسام لي قدس الاقداس وبيت القدس والدار
 وفقاً لعدد الاقائم الثلاثة كما يتبين ذلك من كنائسنا القديمة مثل كنيسة القديس ماما
 في اهدن التي بُنيت في سنة ٧٤٩ وكنيسة القديس سابا في شرقي سنة ١١١٢ وكنيسة
 القديس دوميظ في تولا من بلاد البترون وكنيسة القديس شربيل في قرية معاد من
 بلاد جبيل وغيرها . فلهذه الاقادات شأن خطير لاسيا ان المؤلف ذكر تلخيص بعض

(١) راجع الدويهي (ص ٢١٩)

(٢) راجع بشة فينيقية (ص ٣٠١)

هذه المعابد . وإحداً لو زاد في تعداد الكنائس القديمة التي لم يكُ بعدُ استولى عليها الحُرَاب في عهد الدويهي

ولتقدم على تفاصيل كل قسم من اقسام الكنيسة . فالخِيتَةُ كما سبق القول كانت مجتمعةً بأنواع النقوش والتماثيل التي افادها الدويهي موضوعها (ص ١٠٤) قال : « وكان الآباء الاطهار يصورون الله الصباور في حنايا الكنائس جالساً على عرش العظمة . ويظنون وجوه الحيوانات الاربعة حول العرش مع الملائكة وقوقاً يقدمون له البخور والمصابيح للثلاثة حوله وذلك لكي يرفع الكاهن نظره اليه جلّ جلاله عندما يقدم الطلبات في سرّ القداس الالهي »

وكان للمرونة في كنائسهم القديمة تنظييات اخرى اجبتنا ذكرها لتستفاد الفائدة منها توجيه الخِيتَةِ الى الشرق . وزاد الدويهي في النشارة (١٠٧ : ١) : « وأن يكون فوق الخِيتَةِ طاقة الى جهة الشرق لان الله ابو النور » لكن بعض الكنائس التي زرتها خلوت منها . ثم اردف الطريوك المذكور : « وأن يكون تحت الطاقة داخل الخِيتَةِ كرسيٌّ عال في كنائس الاسقفية لشارة الى عرش عظمير ٠٠٠ ويُنصب الكرسي في مكان مرتفع لاجل تطلم حقائق الايمان ٠٠٠ ويُجمل درج تحت كرسي الاسقف وتقام حوله مجالس ومسابح متفاوتة لاجل جلوس الحوارة والبرادطة ١١ واقسوس ٠٠٠ ومثلما اوجب الآباء ان تُبنى المذابح من الحجر للدلالة على استمرار النعمة ودوامها اوجبوا ان تُبنى الكرسي في الخِيتَةِ من الحجر ايضاً (٢) »

ومن الكنائس التي ترى فيها كل هذه الشروط مستوفاة كنيسة مار جرجس في اهدن فانها كانت كنيسة لسقيّة (٣) . هذا وان نُصِب كرسي الاسقف في الخِيتَةِ عادةً تفرّدت بها البيعة السريانية دون البيعتين اللاتينية (٤) واليونانية كما اشار

(١) جمع البعدوط وهو زائر الكنائس . راجع للشرق (٦٤٩ : ٢)

(٢) راجع نشارة الاقداس (١٠٩ : ١١٤)

(٣) للمثارة (٢٩٨ : ١)

(٤) ا) في الاجيال الاولى فكانت الكنيسة اللاتينية توافق السريانية في نصب كرسي الاسقف في سدة الخِيتَةِ (راجع ماروني قاموس العاديات المسيحية ص ١٢٧)

الى ذلك العلامة الدويهي

وفي قدس الاقداس ما عدا كرسي الاسقف والكهنة بيتُ القربان او تليوت الاسرار كما دعاه العلامة الدويهي وهذا نص كلامه (ص ١٠١) : « ويمحو تليوت الاسرار اربعة امور اي جسد الرب والميرون للقدس وزيت العهد وماه الدنح »

وهذه افادات أخر عن المذبح للتصوب بازاء الاسقف فنقلها عنه ايضاً (ص ١١٣) : « أمر الآباء المتقدمون كما يتبين في كنيسة مار سابا بمدينة بشرى وفي كنيسة السيدة بمدينة حلب وغيرهما أن يُنصب فوق المذبح في المياكل الكبيرة قبة جميلة للنظر على اربعة اعمدة بأربع ستائر وفوق الزوايا الأربع اربعة تماثيل تشخص الملائكة او الحيوانات الاربعة التي مرّ الكلام عليها ويحمل فوق القبة تقاحة وفوق التقاحة صليب »

ولا بد أن يكون المذبح من الحجر مربع الشكل « لأنه مائدة ويتدّ في الطول بين الجنوب والشمال أكثر من امتداده في العرض بين الشرق والغرب لاجل وضع كتاب القدس ووحّة البخور والتوافير وغيرها »

ويُحتمس بأن يُحمل امام المذبح درجة او اصكدر لكي يرتفع عن الحضيض (الدويهي ١ : ١١٤ و ١٢٢) وينبغي ألا يكون « لاصقاً بالحائط قائماً بمزلة عنه » (١) على عكس ما ثُاء اليوم في كثير من الكنائس اللارونية . ومن المعلوم ايضاً « ان يحمل المذبح مجوفاً لاجل رفع الفضلات القدسة (ص ١٢٢) وتفتح كوة من جهة الشرق لاجل وضع النفاثر ورفضها عند الاحتضاء . وقد تُنصب اخيراً مطهرة من جهة الجنوب بجانب بعض المذابح كما ترى في كنيسة ماري جرجس كرسي اهدن ليفصل بها الكهنة والروساء ايديهم في خدمة الاسرار » (ص ١٢٥)

وكان امام المذبح ديزين وهو بجاية الايقونستاس في كنائس الروم وكان له

(١) وجاء في كتاب التكريات الذي عني بشره سابقاً الكاتب المرحوم رشيد الشرتوني (ص ١٩) : « يجب دائماً ان يكون المذبح الكبير قائماً بذاته وحوله قصير الراحات والراب الرسومة من الاباء لاجل ذلك امروا بقامة الخبيّة حوله من جهة الشرق حتى لا يتأذى الحائط بتدشيه »

مثلة ثلاثة أبواب بيد أنه كان يختلف عنه بامور . قال الدويهي إمام المؤرخين الموارنة : « اوجب آباءنا الاعطاش ان تكون ابواب الدريزين مفتوحة وجددانة غير مسطومة بل مصنوعة بتقوب على مثال شبكة حتى يتمكن الجميع من مشاهدة الاسرار . ولكتهم امروا التماسه ان يسلبوا الاستار في اوقات معلومة لجلالا للاسرار (ص ١٣٥) »

فكان اذا الايقونستاس عند الموارنة اشبه بمشك ليس بناء مصمتا كما في كتانس الروم . ولما كان « كالشرقية » التي تفصل بين الرجال والنساء في كثير من كتانس لبنان الا انه كان ممتن الصنع . وقد شهدنا في كنيسة السيدة في حدوتن قطعة من هذا الدريزين القديم . ولا علم لنا بقيته في بعض الكنائس ام لا . اما في عهد الدويهي فكانت هذه الدريزين شائعة كما اثبت ذلك في منارة الاقداس (ص ١٢٨)

بقي علينا ان نذكر القسم الثالث من الكنائس المارونية اعني دار الكنيسة او صحنها . فكانت هذه الدار خالية في دارها من الكرسي التي ترى في الكنائس اليونانية . وقد بين الدويهي سبب ذلك قال (راجع منارة الاقداس ١ : ١٢١) : « لباونا اصحاب الكرسي الاتطائي اهلوا نصب الكرسي ولوجبوا على نفوسهم ان يصلوا وهم قيام بقول الرب : اذا قم للصلاة قولوا لبانا الذي في السموات . . . وقد اشرقتا التاريخ عن تلاميذ ابينا الكرم القديس مارون أنهم قضا كل حياتهم متصبين على اقدامهم ليلا ونهارا (١) وانقسموا جوفين امام الباب اللوكي . . . اما الكهنة والكلمسة فيستندون الى المكازات لمساعدة الجسد الضعيف ما خلا الرؤساء فانهم يجلسون على الكرسي للدرجة التي لرفعوا اليها » وكان المؤمنون خصوا الصفا منهم يتخذون ايضا المكازات كما روى ذلك الدويهي في محل آخر من

(١) ورد في التاريخ ان صفا من القساك فرضوا على قوسهم نقشا ان يمشوا طول حياتهم قياما فدعا لذلك الرهبان المتصبين (Stationnaires) راجع معجم اللاهوت الكاثوليكي (١ : ١١٤٠) . اشهرهم تلامذة مار مارون . (راجع تارودويطوس : تاريخ الرهبان ١٤٣١ ، ١٤٣٩ ، T. LXXXII ، PP. GG. ومن هؤلاء القساك من جعل له هودا فصد عليه كالقديس سمان السودي وغيره

كتاب المنارة (١ : ٦٠، ٦١)

وكنّيت الدار للذكورة فتشتمل على « اقراءات والتاوي واوران المعمودية واوران اللاء المبارك والمراني وبيض النعام والتواقيس وما شاكل ذلك » اما ترتيب كل هذه الاشياء فكان على هذا النمط : تُقام أولاً قراءتان امام الدرازين من ههنا وهناك لاجل تلاوة الصلاة الجامعة التي تصير ليلاً ونهاراً وعليها تُتلى الكتب المقدسة وميامر الاباء وسنكسارات الشهداء . (ثانياً) اما المنابر التي تُنصب في الدار فبعضهم يقيمونها في اسفل البيعة وآخرون في وسطها والبعض في شمالي الدرازين لئلا عليها الرسائل والانجيل والوعظ وزيح للبرون والشهداء وامثالها . . . (ثالثاً) يوضع في الدار جون للمعمودية . وكان يُنصب من قديم بخارج الكنيسة او في دهليزها لكي لا يدخل البيعة الا من كان ابن التور . الا انهم ادخلوه الى الحوائط لانه هناك يُحفظ تلوت الرائزات (اي الاسرار) كما ترى ذلك في هيكل مار سابا بمدينة بصرى (١) . ويُطلق فوق الجرن تمثال حملة دلالة على استقرار الروح القدس . ويُتخذ الجرن من الحجر . (رابعاً) توضع في الدار ابرون لاجل اللاء الذي نباركه في النطاس وفي تقديس البيعة وغيرها . (خامساً) تطلق في الدار المراني للدورة وبيض النعام . وهنا للدويهي بعض تفاسير رمزية تُحيل القراء الى مطالعتها في كتابه . ثم قال : « (سادساً) توضع التواقيس في الدار تقيها للمؤمنين للاجتماع للصلاة »

يظهر مما سلف ان الشعب لم يجلس في الكنيسة على الكراسي وانه كان يحضر الاسرار متصباً . لكن ذلك لم يصد المؤمنين عن الركوع . وللبطريك العلامة الدويهي فصل مطول (ص ٦١) يبحث فيه عن انواع السجود والركوع . على ان الجثو على الركب كان مستحباً كضرب من التجدد والامانة ولما الانتصاب هو هيئة الصليين الرسمية في الرتب الطقسية

وقصارى القول ان الكنائس الارمنية كانت تتفق مع الكنائس اليونانية (او

(١) وجاء في كتاب الكريسات (ص ٢٣) انه يُفتح حينئذ باب خارجي « حتى تدخل النساء وترجع بالسرعة »

بالأحرى مع اليونانية واللاتينية معاً) في الحواصص الصومانية ولها مع ذلك نوازل تقصّلها عما سواها بحيث يحكم صاحب الحجرة إذا رأى ما سبق لنا وصفه من طرائق بناء البيع وأنواع هندستها الخارجة وتنظيم أقسامها ونقوشها أنّ الموارنة في سالف الزمان هندسةً كنسية خاصة بهم . وكنا وددنا لو لم نجد بناء الكنائس الحديثة لاسياً منذ مائتي سنة عن تقليد آبائهم القديم . وغاية ما نتمناه أن نحفظ الآثار الباقية منها لأن لا يستولي عليها الخراب . وهذا ما حملنا على كتابته هذا الفصل في كنائس لبنان القديمة ١)

وان سأل السائل في أي عهد شاعت في لبنان هذه الطريقة الهندسية القديمة . أجبت أنّ الأمر لا يخلو من التوضيح والشبهة . وما يمكننا قوله إن أكثر هذه البيع شيدت قبل القرن الثالث عشر . وكان بناء بعضها في أيام الصليبيين على مثال كنيسة جبيل . وهذا رأينا في كنيسة مار شربل في مصاد وغيرها أيضاً من الكنائس كما رواه المؤرخ المديق الدويهي حيث قال (ص ١٠٣) : « وفي سنة ١١١٢ شرع بعض أهل البرّ يبثون كنائس . . . وكان للخوري باسيل البشرياني ثلاث بنات تقلا وصالومي ورميم نذرنا العنة والنقنّ جميع ما يلكن على بناء الكنائس . اما تقلا فبنت في بقرقاشا هيكل مار جوجس ومار دومط . وفي بشنين من ارض الزاوية كنيسةين احدهما على اسم القديس لايا الرسول (٢) والثانية على اسم القديس سركيس الشهيد ثم رقدت بالرب سنة ١١١٣ . اما اختها مريم فبنت هيكل القديس سابا في قرية جسرأي . وصالومي انشأت هيكل القديس دانيال في قرية الحلدن »

ويروتي بعض الكنائس اللبنانية الى عهد لسبق فيها ما بُني في القرن التاسع او الثامن ايضاً كبيعة كفر شليان التي نملّها من أقدم كنائس لبنان . ومثلها كيسة مار ماما في اهدن (راجع قول الدويهي فيها التمدج اعلاه ص ٩٢) . وليس قولنا

١) وهنا نكرّر طلبنا الى قرائنا بأن يبدؤنا طبعاً عن الكنائس التي لم نذكرها في هذه المقالة ولا بأس ان يستذكروا علينا في ما يروونه بخلاً لتصلح

٢) القديس لايا أو لبّاس ويدهى تذاوي سدود بين تلاميذ المسيح الاثنتين والسبعين

هذا الإجمالي . ولو أطلع احد المهتمين الجادين على هذه الابنية لامكنة ان يزيد
ايضاحاً في تعيين زمن بنائها

*

هذا ونكتهز هنا الفرصة لتكرار ما اثبتناه في السنة الاولى من المشرق
(ص ٢٦١) في مقالة حُرِّت تحت عنوان : « هياً بنا على دس تلويحنا » .
فكان من جملة البنود التي اقترحناها على جمعية طلبنا انشاءها في كل طائفة
(ص ٢٨٣) « ان تعني بالصور القديمة في الكنائس ٠٠٠ وتهم بحفظ هذه الكنائس
نفسها »

فلم زح حتى الان تشكيل لجنة تقوم بهذا المشروع ولعلهُ لم يقتصر احدٌ
في تأليف هذه الشركات الطائفية لتبرز الى حيز الوجود قسماً من هذه المقترحات .
اما العلماء الاوربيون فانهم تلمّوا فكرنا في تنظيم مثل هذه الجمعيات بما لا مزيد
عليه من الرعاية والاتفات وحدا الامر باحد كبار المستشرقين الالمانين وهو الدكتور
ج . كينهاوز الذي ذكرناه غير مرة في مجلّتنا الى ان كتب فصلاً في « ثرة الاداب
الشرقية » (١) يستلفت فيه الانظار الى مقالتنا بل زاد على ذلك انه نقل الى الالمانية
هذه البنية وألحقها بملاحظات نورد منها شيئاً ليرى اهل بلادنا ما يبني الاوربيون من
الآمال على تأليف جمعية كهذه . قال الدكتور ما تعريه :

« لا حاجة ان نبيّن قرأنا ما ينجم من اقواله اللجنة من تشكيل جمعية
تاريخية في سورية كما وصفها الاب لامنس . بل يأخذنا العجب من عدم انشاؤها
حتى الان لا سيما ان بلاد الشام من الاقطار التي توفرت فيها الآثار التاريخية الدقيقة
التي يتوق الى كشفها العلماء . فمن نوافق كاتب هذه المقالة في ما اقترحه من انشاء
مكتبة مركزية في سورية لدس تاريخ البلد وهذه المكتبة لا بُد ان تُجمل فيها
كل الكتب الادبية والفنية والجغرافية التي تشتمل على احوال بلاد الشام وان
يُلحق بها متحف للآثار الى غير ذلك من التفتيلات التي عددها صاحب مقالة المشرق

ولا نشارك في، ان الذين يبحثون عن شروث البلاد الشامية يتهللون فرحاً اذا ما تحققت امامي حضرة الكاتب

« ونحن الاوربيون نبنّي آمالاً طيبة على تنظيم جمعية تاريخية يكون اعضاؤها شرفيين . لان ابناء الوطن يمكنهم ان ينالوا بزمّن قليل ما لم ينلّه القراء بعد الجهد الجهد واذا تشكّلت هذه الجمعية الوطنية بادرت الجمعيات الاوربية الى مكاتبها فتتوى بذلك على اقام مشروعات علمية ذات شأن خطير »

هذه شهادة اثبتناها ليرى القراء ما للعلاء الاجانب من الكلف بامور الشرق . وباليقينا لا نتأخر عن تلبية دعوتهم فلا نخب آمالهم فينا

وفي ختامنا هذه المقالة التي خصصناها بذكر الكنائس القديمة في لبنان كنّا وددنا لو امكننا ان نوصي هذه الجمعيات التي نطلب انشاءها منذ ستين بالمحافظة على هذه المبادئ القديمة قبل ان يستولي عليها الحزاب . وعلى كل حال اننا نوجه دعوتنا الى ذوي الامر طالبين اليهم ان يصونوا هذه الآثار ولا يدعوا يدًا اثيمة تصيبها باذى . واذا مسّت الحاجة الى ترميمها فليصلحوا منها ما خرب مع مراعاة هندستها القديمة . فان هذه كانت وصية للثلاث الرحمات البطريرك بولس مسعد الذي كان حريصاً على حفظ تلك المآثر الناطقة بفاخر ملكه في غابر الازمان . على اننا نقرّ بكل سذاجة ان معظم خرقنا من البناء المحدثين الذين يتخيّلون ان هذه الابنية لا طائل تحتها فيخربونها لاتخاذ موادها او تجديددها كما يدعون وهذه الطامة الكبرى

فيا جذا لو امكننا بما سطرناه في هذه المقالة عن كنائس لبنان ان نكف يد الدمار عن بقايا الزمن القديم فان اصبا المرام لا نتأسف على الاتهاب التي تجسّسناها لهذه الناية الشريفة

٢١ دخول النصرانية في لبنان

لهذا البحث علاقة طييمة مع بحثنا السابق عن كنائس لبنان القديمة فلا يسعنا إلا الحوض فيه هنا

روى دنان في كتاب بنة فينيقية عن المولدة انهم يدعون كون الوثنية لم تشع في وطنهم مطلقاً وهذا اعتراء في حق اهل لبنان الذين لم يذهبوا الى مثل هذا القول الباطل . وكيف ياترى يزعم اللبناثيون بذلك وكل انحاء جبلهم تنطق بشيوع عبادة الالهة في القرون النائية وفيه من آثار الوثنيين ما سبق وصفه في مقالاتنا وما لا مرية فيه ان لبنان كبلاد الشام جمعاء كان يدين بالشرك بل بقي لزللة موقعه ينوء تحت عبء الوثنية مدةً بعد ان اوسلت النصرانية لشعبها على سرورية اجالاً وعلى فينيقية خصراً وكانت مدنها الساحلية على طريق دعاة الدين المسيحي فنالوا من انواره حظاً وافياً قبل سواهم

١ لبنان واول مبشريه

ارتأى بعض الكتبة ان المسيح ولى ارض لبنان واستقروا في تأييد رأيهم على آتقي متى (٢١: ١٥) ومرقس (٢٤: ٧) حيث ورد عن الرب لذكر السجود انه ذهب الى تغوم صور وصيدا . غير ان هذا الوضع لا يصرح بذكر الطريق التي سلكها المسيح وقد زادت القديس مرقس في الفصل ذاته ايضاً اذ قال (٢١: ٧) : « انه خرج من تغوم صرد صر في صيدا وجاء فيا بين المدن العشر الى بحر الجليل » . فان الطريق التي تؤدي قرأ من صيدا الى المدن العشر تمر في منطف لبنان جنوبي شرقي صيدا . تبلغ النبطية او جوارها عابرة على نهر الليطاني عند الجسر المعروف اليوم بالمتعاقبة فتنتهي الى جنوبي شرقي بلاد بشارة . وهذه الطريق تسير عليها السابغة الى يونا والطبيعة قسها ترشد اليها . فلهذا الرلي كما ترى سند ولا حرج على من يقول به (١)

والكتبة الحديثين قول آخر او تقليد علي يزعمون بموجب ان السيد المسيح لم

(١) راجع للشرق (١١: ٨١-٩٢) مقالة الاب القرد دعدان في رحلة المسيح الى فينيقية

يدخل قطع صيدا. بل بلغ أيضاً حتى ثغر بيروت. والتقليد المذكور ائتمن في القرن السادس عشر أحد الزوار الألمانين يُدعى برّيتسباخ (راجع المشرق ١: ١٩١). ثم أوردته كولوزمبوس في كتاب وصف الأراضي المقدسة (١) وذكره أحد ادباء الألمان في مقالة طبعها سنة ١٦٩٢ عن بيروت وأكادها. ولعلّ هذين الأخيرين نقلتا ما قاله برّيتسباخ. وهذا التقليد على ما نقلن ليس بثبت ولا زى وجهاً لتوفيته مع ما رواه الإنجلييون

لكن الله منح بيروت نصبةً أخرى يحقّ لاهلها ان يتغنروا بها زبد احتلال القديس بطرس هامة الرسل في ديارها. وهو امر يقبله العقل ويؤيده النقل. أمّا النقل فلأنّ بطرس الصفا انتقل غير مرّة من اورشليم الى اضلاكية فترتب عليه ان يجتاز في بيروت وهي إذ ذاك من اعظم مدن فينيقية شأنًا. أمّا النقل فلنا منه شهادة قديمة تُعزى الى تلميذ بطرس الرسول وخلفه في كوسيه الباري القديس اقليس وردت في كتاب الابحاث والميامر (٢). وهو تأليف قد اختلف العلماء في كاتبه إلا انهم يتفقون على كونه سبق لواتل القرن الثالث

وفي الكتاب الموماً اليه فوائد أخر عديدة عن تاريخ النصرانية في فينيقية والانحاء المجاورة لمدنها الساحلية لكننا لا نتقل عنه غير ما زاه راهنا مقررًا توافق الشواهد القديمة (٣). ومن ذلك ما جاء عن جليل (٤) ان الرسول الهامة اقام لها اسقفًا حنا عرس احد تلامذته وكان المذكور ولد في اورشليم وهو نسيب للقديس يوحنا (٥) وفي يسه نزل بطرس الرسول أمّا اقله الرب من ايدي هيودس (٦). فسقفه على جليل كما تشهد على ذلك السنكسارات الشرقية اليونانية والسرايكية للارمنية فضلاً عن الكلنداد

(١) راجع كتابه Elucidatio Terrae Sanctae

(٢) طالع مجموع آباء اليونان لمن الجزء الاول والثاني

(٣) وقد عدلنا عن ايراد هذه الامور ليس قطع لان مؤلف كتاب الابحاث مشتبّه فيه

بل لاسباب اخرى يوردي بنا ذكرها الى الاطالة

(٤) وقد ذكر من بيروت ان القديس بطرس سام لما اسقفًا يُدعى كوارس

(٥) راجع رسالة القديس بولس الى اهل كولوسي (٢ : ١٠)

(٦) اعمال الرسل (٢١ : ١٢)

الروماني الذي ذكر عيده في ٢٧ ايلول ٠ والمؤرخون الاقدمون يوافقون في ذلك الآثار الطبشيرية

فن تم تكون اسقفية مرقس المذكور الاثر الاول لدخول النصرانية في لبنان لان جبيل كما اشارنا الى ذلك سابقاً (ص ٦٠ و ٦٧) كانت مرتبطة بلبنان ارتباطاً غير منفصم بل كانت معدودة منه داخلة فيه كما ترى في هذا ٠ وبما انها كانت محاطة بدعة هياكل مقدسة تشرق عليها من الآكام والرؤى المجاورة لاسيا هيكل اققا والمشتقة (ص ٣٩-٤١ و ٤١-٥١) فكان القليليون يمدونها مثل كعبة دينهم يحجرون اليها من اقطار بيضة فيستحمون فيها مناسكهم الدينية التي يشرعها في هياكل لبنان ويكرمون بزيارتها ادونيس والزهرة

هذا ولا نعلم ما ناله اول اساقفة جبيل من النجاح في تشمة رسالته لاندسة ٠ الاغرو انه بقي في دمره عواشي شتى حالت دون دغائبه الخلاصية ٠ وبما لا يُكفر ون في ذلك الوقت منه لاذ بخت شمس النصرانية في اقطارنا الشرقية صار للدين الوثني نهضة جديدة في لبنان فان تاريخ بناء بعض هياكل الاصنام فيه يرتقي الى ذلك العهد كهيكل قترا (ص ٥٣) وغيره ٠ ولم تزل الوثنية في عز وتوقر في مطاري القرن الثاني للمسيح وفي اوائل القرن الثالث

واشتد لزد الدين الوثني في لبنان بملك الامبراطور الروماني اديان الذي دار لبنان في يد القرن الثاني وسكن مدة جبيل ٠ وكان هذا القيص من عبدة الزهرة يظهر لها التجلية والاکرام وقد بنى لها في رومة معبداً كبيراً وادخل عبادتها في بيت لحم لمعاكسة النصرانية ٠ ومن آثاره الباقية في لبنان الكتابات العديدة التي وصفها اصحاب العاديات وذكرناها في مقالاتنا المرة بعد المرة ٠ ولا نشك انه حج الى معابد الزهرة وادونيس خصوصاً في اققا ودير القلمة (١) كما انه شيد بعض الهياكل ورسم غيرها لاسيا في جبيل وكانت تمد في الجمل كاحدى حواضر المدن ولما تها

ويروى خلفاء اديان على سنته فترزوا في لبنان الشرك والتوثن كيف لا وبعضهم

(١) ولسل الصب الذي وصفناه في المشرق (٢ : ١٢٣) قد اقيم حفوة يومئذ ناز هذا المعبد

كانوا ولدوا في لبنان أو المدن الملاصقة له فخصّ منهم بالذكور اسكندر ساويرس الذي كان مولده في هيكل الزهرة في عرقا . ولذلك ترى كثيرا من الآثار الدينية النخسية التي ترين لبنان حتى يومنا هذا قد شُيّدت في ذلك العهد . منها هيكل بعلبك وحصن سليمان في جبل النصيرية اللذان تشهد على اصلهما كتب الوثنيين . وفي لبنان مباني أخرى غيرها يُجهل تاريخها والارجح انها بُيّت في الوقت عينه لا فيها من الشبه مع ابنية ذلك العصر كحصن صافيري في الضنية وفارس قرب كسبا وبزيرا في الكورة وغير ذلك مما ستورد ذكره في مقالاتنا

وهذه النيرة التي زاما في عدة الاوثان في اوائل النصرانية تدلّ دالة واضحة على انّ المشركين في لبنان أبوا ألا ان يدافعوا عن آلهتهم فكلا تحطّم ديانة المسيح عن مقامهم الرفيع الذي يلتموا اليه سابقا

ولكن دعنا نسترفي اخبار النصرانية في لبنان في اواخر القرن الاول . افادتنا التكاليف المنسوبة الى القديس اتيخيوس انّ القديس بطرس احتل طرابلس وقام عليها استقفا يدعى مارون . وهذا الامر ذو شأن لا زى في صحته التاريخية مشكلا وان كان مدوّن هذا الخبر زاد فيه من الاوصاف الرومية ما لا يقبله العلم الصادق . ويسرنا ان زى في ذلك العهد استقفا جليلا يتيمن قراوات الموارنة باسمه وقد اشتهر في مدينة تطلّ عليها تلك الجبال التي صارت بعدئذ مهد طائفتهم المزينة

ومن الآثار النصرانية التي ترتقي الى القرن الاول استشهاد القديس ثادئوس الذي روى عنه الرواة الاقدمون انه رُجم في بيروت لاجل الايمان وفي تعريف الشهيد المذكور رايان مختلفان فزعم البعض انه احد تلامذة الرب السبعين وذهب غيرهم الى انه هو الرسول يهوذا او ثدائوس اخو يعقوب البار . ويصعب علينا جزم الامر لقلة الأدلة . وانما جاء في تاريخ بطريوك ساويرس (راجع للشرق ١٠٠٣) ان بيروت كانت تحتوي كنيسة باسم القديس يهوذا اخي يعقوب البار في القرن السادس (١) وهذا لعري اثر حسن يشهد بعدم التقليد عن القديس يهوذا المذكور

٢ نزاع النصرانية والوثنية

يحصل من فصلنا السابق ان لبنان لم يحرم من نعمة النصرانية منذ القرن الاول من تاريخها . ولا جرم ان الدين المسيحي نما في القرنين التاليين . الا ان الآثار القديمة لا تكاد تغيبنا عن شؤنه شيئاً فنظن ان غوه كان بطيئاً لما تصدى له من العوائق من قبل المشركين الذين كانوا اتخذوا هذا الجبل كمقل لدينهم فبنوا فيه الهياكل المديدة وشيدوا الآثار الدينية فلقوا في اخلاق الجليليين وطباعهم القظة ما قوى روح التحصب بينهم . وعلاوة على ذلك زى الشيع الوثنية ليس في الشام قطع بل في كل انحاء المعمورة انتجأت الى مشارف الجبال بعد ان دحرقتها النصرانية في المدن العائرة وسفوح البلاد ولنا على ذلك شاهد في جبل برجيلوس المروء في يومنا يجمل النصرانية فان سكانه اصروا على وثنتيهم الى القرن السادس مع ان هذا الجبل دون لبنان في طوره وسهل منه مرتقى

وهذه للملاحظات المبوية عما قبيح النصرانية في طريقها من العثرات يؤيدها التاريخ القديم الذي لم يذكر الدين المسيحي في لبنان الا نادراً . وكذلك الآثار الكتابية فان الوثنية منها كثيرة اما النصرانية فهي قليلة جداً . فكل ذلك دليل واضح على ما نال ديانتنا القدسة من القواصم واللدائضات قبل ان توسع مباحثها القويعة في ارض لبنان حتى صارت في توالي الاعصار عصمة للدين لاسيما بعد ان توطنت هذا الجبل الطائفة المارونية المروقة بمجاستها الدينية

وفي عهد الملك ثورين القيصر الروماني (٢٨٣-٢٨٤) تشرف لبنان بوفاة احد ابناءه شيداً وهو الطبيب طليليوس (لهة كيككلا اي مظلل وحشي) وكان استشهاده في قليتيه وما ورد في ترجمة حياته انه قال للحاكم لما طلب منه نسبة : "اني ادعى طليليوس ومولدي في لبنان واسم ابني بريكوكيوس (لهة حامي اي مبارك) وهو نصراني وأعد ضباط الجيوش . وتدعى امي دوميلىا واخي يوحنا هوشاس (٤١) . فعكرم الولي على طليليوس بقطع الرأس بعد ان مثل به واذاقه مر التنكال الا ان

الله عز وجل أشهر قداسة عبدو بما لجأه من المعجزات الباهرة على قبه حتى ذاع اسمه في اقاصي الشرق

ومن النص السابق يصح لنا ان نستنتج ان النصرانية كانت اخذت في الامتداد في لبنان منذ اوائل القرن الثالث لاننا نرى العشرات فضلاً عن الافراد يديرون بدين المسيح . وكذلك وجود شماس في أسرة لبنانية يدلنا على وجود الرتب الكنسية وكل ذلك لا يقوم الا بكتانس منتظمة . ثم ان اسماء المذكورين الا واحد منها آرامية الاصل فذلك يثبت على ان لغة اللبنانيين لم تزل بعد آرامية اى سريانية

ولا بد هنا من ملاحظة على موقع لبنان الذي ذكره الشهيد طليلوس فتقول انه لا يدل ضرورة على لبنان الحالي لان اسمه كان في ذلك العهد يشمل الجبال الواقعة في شمالي نهر الكبير فالكلمة نجد في معرض قول الكتبة الاقدمين ما يزيل الشبهة يصعب علينا ان نستدل على جهة النوبة

وفي سنة ٢١١ للمسيح زان الله باكيل الاستشهاد هامة فتارة من عذارى جبيل تدعى اكويلينا قصتها المتصوون كفصن وطيب وليس لها من العمر سوى ١٢ سنة . وقد اخبر البولنديون (في اعمال القديسين اليوم ١٣ من حزيران) ان نصارى المدينة جمروا ذخائرهم المقدسة فدفنوها بزيد الاكرام ثم تمدحت العجائب على قبه . الا ان مجادتها اليوم قد اندثرت فلم يبق لها ذكر بين مواطنيها وهو امر غريب لولا ان التاريخ يثبتنا بنقل جسدتها الطاهر الى القسطنطينية في القرون الثامنة فاصابت هناك من عبد الاهامين ما قدته في وطنها

وقد ارتأى الاب مرقس السوي في تاريخه المخطوط عن لبنان (ص ٢١٣) ان ذكر الشهيدة اكويلينا قد امتزج في كرا الاعصار باسم قديسة أخرى تعرف بمرقينا التي يكرمها اهل جبيل اكراماً عظيماً وفي جوار بلدتهم معبد شيدوه على اسمها يجمعون اليه من كل اوب والزوار يأخذون من ترابها شيئاً فيتركونه . واكثر ما يأتيه المؤمنون في ايام قطف دود القز

وتعرفت ايضا طرابلس في ذلك العصر بشهادتها منهم الشهيدان مغداليتس (راجع البولنديين في ١٢ حزيران) ولوسيان او لوسيس (راجع السنكسار الروماني في ٢٤ كانون الاول) . ولا نعرف من امر لوسيس للذكور الا اسمه كما صرح بذلك

العلماء البولنديين . وضدنا لنـ لوسيوس المذكور هو القديس الذي يكرمهُ اهل لبنان منذ زمن قديم باسم القديس نوحرا او نيرا . وليس نوحرا (نوحرا اي نور) سوى ترجمة اسمه اللاتيني في السريانية وفي السنكسار الماروني في تاريخ ٢٢ تموز ما معناه : « في هذا اليوم نحتفل بجهاد الشهيد لوجيوس (هجومه) » وكان اصلاً من منهور (كندا) من بلاد المعجم طفاف البلاد وبُشر بالايان في المسيح حتى بلغ مدينة البترون في بلاد فينيقية فمات فيها شهيداً . وهو شفيع الصايين باوجاع الميرون ولذلك دعاهُ السريان بلقبهم نوحرا وهذا معنى اسمه لوجيوس .

وليس في هذه النبذة ما يناقض قول الاقدمين بان لوسيوس استشهد في طرابلس وطرابلس كما لا يخفى تُعدُّ من اعمال فينيقية ولعلَّ قرب موقع البترون وطرابلس جبل البعض يذكرون وفاته في احدهما دون الاخرى ثم لا نرى التقليد المحلي على رأي ثابت في ذلك لان اهل سارجيل يدعون بان استشهد القديس نوحرا كان في قريتهم ولهم بئر يزعمون انه اُلقي فيه فترق . ويريدون زعمهم بكتابة سريانية في جدار كنيستهم . ولكن غاية ما يستفاد من هذه الكتابة ان احد افاضل الكهنة مدفون في هذا المكان ولم يبقَ لاسم هذا الكاهن اثر . وسنعود ان شاء الله الى وصف هذه الكتابة عند ذكرنا سارجيل

واول شك ورد ذكره في لبنان حاش في عهد القيصر ديوقلسيان واسمه اِرْسَس وكان مولده في انطاكية العظمى وسُفِّت على مدينة لم يُعرف اسمها . فلما امتحن ديوقلسيان المسيحيين بالاضهاد ترك اِرْسَس كرسية الاسقفية وتوقل في لبنان وتعبَّد لله في احدى مناصره وبقى على ذلك سبع سنين حتى ألهمه الله ان يورد الى انطاكية ليثبت المؤمنين في الايمان فعمل واستشهد اخيراً في ايطالية (١)

وكانت مدارس بيروت في تلك الاثناء تميز بتعاليمها العالم الروماني . وكان كثير من النصارى يزدحمون في مساكنها ليأخذوا العلم عن انتمائها . اشتهر في جملتهم القديس غريغوريوس صاحب المجانب والقديس اثنودوروس في النصف الاول من القرن الثالث . ومن اشار اليهم التاريخ في عهد ديوقلسيان شهيداً في متبل

(١) راجع اعمال القديسين البولنديين في ٢ حزيران

المعروف يدعى افيان أو أميان كان اصله من ليقة وحرس في بيروت ثم استشهد سنة ٣٠٥ في قيسارية فلسطين وله من العمر ٢٠ سنة فقط (١). وفي ايامه مات في سيل الانيان في اطاكية الكاهن زينويوس وكان اصله من صيدا. وقد روى اوسابيوس في تاريخه (ك ٨ ع ٣) انه كان طبيباً وانه لتقن الطب حتى برز فيه ولغزت النصرانية بمدنلر تقوى وتنقشر في مدن فينيقية الساحلية حتى ان الأسر الشريفة نفسها صارت تدعى بدين المسيح. وقد اثبات التاريخ بذكر شاب بيروتى كرمي للحد لسنة بنفيل كان درس على اشهر اساتذة وطنه حتى اضحى نسج ومدمر في العلوم الدينية لكنه أثر عليها درس الاسفار المقدسة فانتقل الى قيسارية حيث رقي الى درجة الكهنوت وأنشأ له مكتبة حافلة بالآلاف الندية. وكان موته استشهاده سنة ٣١٠ (٢).

وفي ذلك العهد ايضا ألح التساريخ الى بعض الصارى الذين حكم عليهم المتصنون بتعدين معادن لبنان. والمرجح انهم ارادوا هذه المعادن مناجم الحديد التي اشتهرت في بعض العائلات لاسيا البترون وكسرون والسق الى اواخر القرون المتوسطة. وفي ذكرها بين اعمال الشهداء ما يوقفنا على تاريخ المعادن في لبنان على ان النصرانية لم تلبث بعد هذه المهن ان تقتصر على اعدائها فخرجت ظافرة بمجددة على يد قسطنطين الكبير ودخلت في طور جديد ولم تزل منذ ذلك في ترقى متدادم بنينا كانت الوثنية تتقهقر وتهبط حتى اتمشع ظلها ودرست آثارها لكن مادة الاصنام أبت ان تنكص على الاصاب دون المدافعة والقتال. فان الشرك بقي زمناً طويلاً حتى بعد تنصر قسطنطين وربما سعى في رد غايات دين المسيح. وكان كثير من عبدة الاوثان لم يزلوا يقددون الى هياكل الالهة الباطلة. وكان سدنتها يتركون علانية باسم كهنة الاصنام يمل على ذلك كتابة ووجدت في دوما جاء فيها ذكر كاهن يدعى كاستور يقب نفسه بكاهن اله الطب اسكولاب ولفه الصفحة

(١) راجع اوسابيوس في تاريخه شهداء فلسطين واعمال البولنديين في ٢ لبنان
(٢) راجع التاريخ الكنسي لاوزابيوس (ك ٨ ع ١٤) واعمال القديسين البولنديين في ١٦ شباط و ١ حزيران وكتاب القديس ليرونيوس في المشاهير (العدد ٧٥)

وقد اثبتنا في مقالة سابقة من انفسنا ان قسطنطين الملك دثر هيكل الزهرة فيها . والظاهر ان الوثنيين انتهزوا الفرصة في عهد يليان الجاحد ليجددوا بناء هذا المبد فأنزى عبدة الاصنام في القرن الخامس للمسيح يحججون اليه لاقامة مناسكهم الدينية (١)

وان تبثنا التقاليد الشائعة في بلاد الشام وجدنا من الآثار ما يزوهه اللبناثيون الى القديسة هيلانة ام قسطنطين كبعض البروج البنية على ساحل البحر يزعمون انها اقامتها لتبلغ ابنها لغبار الاراضي القلدة واكتشاف الصليب . الا اننا نرى ان هذه التقاليد لا صحة لها (راجع الصفحة ٥٧) وان هذه البروج شيدت بعد ايام الصليبيين لمراقبة الساحل ورد غزوات الفرنج . ولم تكن هيلانة تحتاج الى مثل هذه البروج لمخافة ابنها مع ما كان لديها من البريد برا على السكك الرومانية ومن السن بحراً وهي تستطيع ما شاعت ان ترسل ابنها في وقت وجيز . ثم ان التاريخ يفيدنا عن ام قسطنطين انها قدت فلسطين بحراً وآبت رابسة كذلك دون ان تنطبت في مدن فينيقية وتروبر لبنان

وما لاشبه فيه ان الدين النصراني كان فاز السهم الحلى في الساحل الفينيقي في اواسط القرن الرابع مع ما تخلف فيه من بقايا الوثنية فضلاً عن جماعة من اليهود كان اكثر سكانهم في بيروت وصيدا . وقد روي في مقاتلنا عن الزلازل في بيروت (المشرق ١٧١١٢) ان عددًا غفيراً من المشركين طلبوا العمد بعد زلزال ٣٤٩ لكن ارتدادهم كان حلة الخوف فسادوا بعد زوال الخطر الى ضلالهم وابتدعوا شيعة خلطوا فيها الدين المسيحي والوثني وابتدعوا لهم مبدأ اقاموا فيه رتبهم المستحقة ولم يحضر على ذلك زمن يسير حتى اقام الله لكتيبته انتصاراً اجتذروا اهل الضلال الى النصرانية بايمانهم اكثر منهم بكلامهم . وان هؤلاء الا التمسك والحباء الذين أودوا الى مآذير ثم الى اديرة اضمت بهتهم كمنائر سلطع منها ضياء الدين المسيحي نبذت ظلام الوثنية تماماً

في مبادئ العيشة الرهبانية في لبنان

قال القديس ايرونيموس في ترجمة القديس هيلاريون (ع ١٤) : « لم يعرف احد من اهل الشام ناسكا قبل هيلاريون » فمن ثم يظهر ان لؤسس الذي سبق لنا ذكره مات ولم يقتدر بنسكو احد الى عهد القديسين انطونيوس الكبير وهيلاريون وليس هذان التاسكان هما اللذان انشأ العيشة النسيكية في لبنان كما يروي تقليد بعض اللبنانيين خلافا للتاريخ الصادق . وزد على ذلك ان القديس انطونيوس لم يخرج قط من القطر المصري والصواب ان نقلها حمل نصارى الشام على التشبه بها ولا غرو انه يوشر منذ ذلك العهد بانشاء المعابد في لبنان بيد ان التاريخ لم يذكر من امورها شيئا قللة اعتبارها . ولما روى اخبار ناسك اخرى تدعى منسدة (*monastere*) ومعناها حظيرة النعم كان الباد يجتمعون فيها تحت رئاسة بعض اكابرهم يدعون ذلك اريشبنديكا اي رئيس المنسدة . وربما كانوا يدعون ايضا هذه المناسك لورا (*laure*) او قينوبيون (*cenobion*) ومعناها المتسدى والمجتمع . وكان اسم المنسدة شائعا في مصر وجنوبي فلسطين اما الامان الاخران فاشتهدا في سورية . ولعل منسدة احدى مزارع البتباع بمجوار تمنابيل لستمت اسما هذا من دير كان سابقا بقربها ١١

لوتقصينا آثار الكتب التاريخية لوجدنا ذكر بعض هذه الاديرة القديمة الواقعة الى اواخر القرن الرابع ولوائل الخامس . منها عدلون بين صيدا وصور ليس بعيدا من صرغند . فان فيها عند البحر صخرا حاليك حفر فيه نحو ٢٠٠ كهف . ولعل هذه المناور كانت في بادئ الامر مدافن للموتى ولكن لدينا من الادلة ما يجعلنا على القول ان الرهبان اتخذوها لهم كمساكن أووا اليها . من ذلك ما ترى فيها من شارات النصرانية

(١) وكذا دُميت بسن للندن في ادرية باناء الاديرة المجاورة لما مثل مونتار او مونتير Moutier او Moustier في قرنة ومُنستر Munster في الالبان الخ وكلها مشتقة من monasterium اي دير

وفيا صواريخ محكمة الصنع وراقي متقنة يصعد منها الى طبقات المناور العليا
وتجتمع بين القتالي . ومن اعتبر هذه المساكن التريبة لا يشك في ان الرهبان وحدهم
امكنتهم الاقامة فيها ويؤكد ذلك ما دونه الموقنون في تراجم بعض الاءاء انهم كانوا
يميشون في القابر . وهذه القابر كانت عبارة عن مناور مختلفة الكبر اتفذهها الاقدمون
لواتهم . ولترجع عندنا ان عدلون من هذا القليل . فسي ان يجد العلماء نصاً تاريخياً
يزيل عنا كل شبهة في الامر

وليس بمستبعد ايضاً ان الاغوار المنقورة في الصخر في وادي مطل على بلاد البقاع
قرب قرية فرزل شمالي زحلة كانت مأوى للسياح . يستدل على ذلك بدلائل مدينة .
وهذه الكهوف تشبه في ترتيبها مناور عدلون والاهلون يدعون موضعها الجيس ويزعمون
استناداً الى قتال قديمة ان سياح القرون الفارة سكنوها وفي سفح هذه المناور جدول
ماء صافر يفرق سائماً

ومن جملة الاماكن التي يُشار اليها بالشواهد المنقورة انما كانت في سالف الزمان
كمساحد للرهبان مغارة حد قرية هرمل على مقربة من اكبر رؤوس نهر الناصبي . ولهذا
التقليد اثر في كتبة القرون المتوسطة كالتي الفداء والقلع شندي وغيرها وهم يدعون هذا
الكان باسم مغارة الراهب . والمؤمنة يدعونها « دير مار مارون » . ولا يزال الجبل
المطل عليها مع الاملاك المجاورة لها خاصة رهبان لبنان الاطونيانيين ويسكن
البعض منهم هذا المكان في عهدنا الحاضر مع ان سكان هذه الالة كلهم من
المتاولة . وهؤلاء يرفقون هذه المناور باسم القصور وما لا ريب فيه ان الناس تحضروا
فيها سائماً يستدل على ذلك بما اقاموه من الابنية في مدخلها للسداقة منها فزادوها
منمة على حصانتها الطبيعية

ومغارة الراهب تفوق مناور عدلون وفرزل بحاسنها . وكانت في الاصل طبيعة
سكنها كما يظهر قبائل عادية في الاعصار السابقة التاريخ وامل هذه القبائل فضلتها
على سواها لحسن موقعها قرب نهر كير . الا ان الحلف حشروا عمل الطبيعة وأضافوا
اليه متديباته قروها في الصخر على احسن هتلم مع قبة ذات حنية مقوسة ودرج
داخلي يصعد منه الى الطبقات العليا وبئر عميق الغور يبلغ الى مياه النهر . وكل ذلك
منحوت في الصخر الاعم

ومن المنازل التي احتلتها في العهد القديم نساك لبنان وادي قزحيا والقاديشا .
و بقايا العيشة الرهبانية فيها ظاهرة حتى الان صيرت على الالام وتقلبات الدهر . وكان
بعض الرهبان يعيشون فيها عيشة عومية فيجتمعون للصلاة والشغل في كهوف واسعة
منقورة في الصخر ترى واحداً منها اكبر من سوله في وسط الوادي . وبعضهم كانوا
يفعلون العزلة التامة فيعيشون منفردين في مساوير متفرقة في جانبي الوادي منحوتة
في صخور تجري منها ينابيع صافية ويحيط بها النبات وكلها غاية مايرام لعيشة البباد
وفي جيرة وادي قاديشا دير قثوين قروب (xovdiov) يمزو التقليد المحلي بناءه
الى الملك ثاودوسيوس الكبير . والامر ممكن الا ان النصرى التاريخي لا تنفيده في
ذلك حلاً . وعلى رأينا ان ثاودوسيوس منشي هذا الدير ليس هو القيصر الشهير هذا
الاسم بل احد كبار آباء الطريقة النسيكية . وقد عرف بهذا الاسم في ذلك العهد
رجلان عظيمين تكرمهما الكنيسة بين اولياء الله . احدهما ثاودوسيوس الاطاعي انشأ
في قيليقية ديراً كبيراً والاخر اصله من قبادوقية لشهر في فلسطين وابقى ديراً واسعاً
تقاطر اليه الرهبان من كل فج وأوب كان بينهم يوان وارمن وصقالية . ولا جرم
بان السوريين واللبنانيين تنفذوا له ايضاً . وكان ثاودوسيوس المذكور قسهم اقساماً
على حسب اصلهم ليسبحوا الله في لغاتهم المختلفة وساسهم الى ان توفي في اوائل
القرن السادس وله من العمر ١٠٥ سنين . ومن اطلع على ترجمة هذا القديس لا يرى
فيها صريحاً انه قدم لبنان ولملأ زار هذا الجبل في رحلته الى مقام سحان المصري (١) .
ولكننا نعلم من تاريخه ان تلامذته انشأوا اديرة عديدة في انحاء شتى . فلا رنا
تجاوز حدود الحق ان قلنا عن احدهم انه احتل قثوين فأسس فيها ديراً نسبة الناس
بمنه الى القديس ثاودوسيوس استاذهم ثم اشتهر الاسم على الخلف فقلنا ان للنشي هو
ثاودوسيوس الكبير الذي اشتهر بتقواه وتذكره الكنيسة اليونانية في عداد قديسيها .
وما يؤيد هذا الرأي اننا نرى الطائفة المارونية تكرم ثاودوسيوس با الرهبان اكراماً
مخصوصاً وتعدّه بين مشاهير النساك (٢) . وهذا لمصري شاهد واضح على ان اسمه
كان ذاتاً في لبنان

(١) راجع اعمال البولنديين في تاريخ ١٦ كانون الثاني (ص ٦٨٠)

(٢) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدويجي (ص ٢٢)

ترقي النصرانية في القرن الرابع

حان ان ننود الى تاريخ انتشار النصرانية في لبنان بعد استطرادنا الى ذكر مبادئ
العيشة الرهبانية فيه
لثا تبوأ قسطنطين الكبير منصة الملك اخذت قدم النصرانية ترسخ في لبنان
ولمها كانت طست آثار الوثنية لولا بدمية آريوس التي بذرت في قلوب المؤمنين
ونصوصاً بين الاساقفة بذر الشقاق والنفور فجعل الآريوسيون يفرغون كنانة الجهد
في مطاردة الرعاة الارثوذكسيين ومعاكستهم لا يهتفهم شي من امر الوثنيين وانارتهم
بضياء الايمان . بل كان المشركون يزبدون تباعداً عن الكنيسة لا يرون في احبارها
من تفرق الكلمة في اكبر عقائد النصرانية اعني لاهوت المسيح ومساواة لابيه
في الجوهر

ثم تلك جليان الجاحد فأولى الوثنية انتصاراً لم يكن في حسابان اهلها . فاستأنف
المشركون فتح الهياكل القلعة ودعّموا ما تهدم من المعابد . والمرجح ان هيكल الزهرة
في اقفا جدد بنائه في ذلك العهد كما أصلح قسم من معبد الشنقة (١) وعاد الوثنيون
فاحتفلوا بأسرار ادونيس اي قرّز بأهبة عظيمة كآلوف طاعتهم سابقاً . وقال يبروت
نفسها اضطهاد مبدة الاصنام فإن الكنت مغشوس قدم هذه المدينة ومعها فريق من
الجند واليهود فاغروا كنيسة الكبرى ولاغروا كنائس لبنان اصاحباً ما اصاب
كنيسة يبروت من حرق ودمار

ولكن الله اللطيف بباده جازى وشيكاً جليان على كفره وأقام خلفاً له ثيبيان
وكان رجلاً تقياً مبغضاً للشرك فأمر الكنت مغشوس بان يشيد كنيسة يبروت على
قبة ولولا حلم الملك لقطع رأسه واصاب الجلاء عما جثت يده من الآثام العديدة
وممن اشتهروا في ذلك العهد ناسك لا يزال ذكره مكرماً في لبنان وهو
القدّيس موسى الجبشي الذي اختارته ماوية ملكة العرب اسقفاً لقرمها وسامته

القديس اثناسيوس الاسكندري تولى رعاية العرب للقيمين في شبه جزيرة سينا وفي جنوبي فلسطين

ولما صار زمام الملك الى يد ثودوسيوس الكبير أصبحت الوثنية في سواد قلبها فان هذا العامل الشهير امر كبير قواده سنة ٣٨٤ بأن يقفل هياكل الاصنام ليس فقط في لبنان بل في الشرق بأسره . وفي سنة ٣٩٢ في العشر الاول من تشرين الثاني سن شريعة ثانية كان مؤداها ان تبطل عبادة الالهة فلم يتجاسر الوثنيون على متاومة السلطة . لكن بعضاً منهم ثبثوا على عاداتهم ومارسوا دينهم خفية في القرى النفرة والجبال النائية . وكان القيصرية مع ذلك لم يدموا هياكل الاصنام بل اصبحتوا بان يطلوا فيها المناسك الدينية . والدليل على قولنا ان الدستور المعروف باسم ثودوسيوس يتضمن عدة شرائع سنّها الملوك النصارى تقضي بمحاربة الذين يسعون في خراب الهياكل الوثنية وكانت غايةهم بذلك ان يحافظوا على آثار الاقدمين لحسن هندستها (١) وكانوا في الغالب يقيضون هذه الابنية لحكمة الدين الحقيقي فيجعلونها كنائس مسيحية (٢) . الا ان ذوي الامر اضطروا في بعض المواضع الى استعمال القوة الجبرية وتقويض المبادئ الوثنية خصوصاً في بلاد فينيقية ولبنان . فن جملة الابنية التي اجاءتهم الاحوال على نفسها ذوت الزهرة في اقاليم سدنة كانوا اعتقدوا كخاخور يجتفون فيه القشاش وافطلع الارجاس باسم دينهم الباطل

ومن بدء القرن الخامس للمسيح لما استولى القديس يوحنا فم الذهب على كرسي القسطنطينية (٣٩٨-٤٠٧) اراد ان يستأصل من لبنان شأفة الشرك فادخل قوماً من دعاة الدين ليعيدوا اهل لبنان الى طريق المسدى (٣) وقد لاقى هؤلاء

- (١) راجع P. Allard ; *L'art païen sous les empereurs chrétiens*
 (٢) راجع كتابات سورية وحوار لودانتون (ع ٣٩٨) . ومن الهياكل التي جعلها النصارى كنائس هيكل بعلبك المعروف باسم تريثلتون (Trilithon) وكنيسة مار يوحنا في دمشق المعروفة اليوم بالجامع الاموي
 (٣) راجع تاريخ ثاودوديلس (ك ٥٠ ح ٢٩) ورسائل القديس يوحنا فم الذهب (ع ١٢٣, ١٢٦) الا ان هذه الرسائل مع ذكرها لبنان لا توضح جلياً اراد يوحنا بالهالي او جبال التصيرية ولعل المقصود منها هذه الاخيرة

الرسولون في تنفيذ دعوتهم مشاكل عديدة فطرد الاعلون بعضاً منهم وقتلوا آخريين .
على ان هذه الحاملة السيئة لم تكن ثنوي حزنهم فواصلوا الانذار والتبشير وباتوا
في ملاطحة السكان حتى اجتذبوهم الى عبادة الاله الحقيقي . وبما اقتضوا من
الوسائل لا يطال الوثنية انهم جعلوا لاهل لبنان الاحياء واقاموا المواسم لاحتفاء
باسراد الذين التصرافي الطاهرة فهدلوا بهم عن الحفلات الوثنية الى العبادات والمناسك
الملاحية

تنظيم الكنائس في لبنان

وفي ملطوي هذا القرن للامس 'جملت كنائس لبنان على نظام قانوني هُتست
الى تسعين كنائس فيلينة الساحلية وكنائس فيلينة لبنان وفقاً للتقسيم اللدني الذي
جرى عليه اولاً ديوقلسيان (رابع المشرق : ١١٠٣) . وقد ذكرنا هنا هذا التنظيم
لزالة اللاتباس لان الكراسي الاسقفية اصلياً بذلك بعض التغيرات وهدت من ازالة
غير التي كانت ممدودة منها سابقاً . وما يبتنا نحن في مقالاتنا عن آثار لبنان انما هي
فيلينة الساحلية اما فيلينة لبنان فانها كانت تشمل الجبل الشرقي ومنحلف لبسان
من جهة الشرق وعليه فانها لا تشمل في حيز مباحثنا

وُجملت صور رأس ولاية فيلينة الساحلية واضعي كرسيتها لهذا السبب
متقدماً على بقية كنائس الولاية فدُعي لذلك بالكرسي الاول (*apostolikos*) في
بطريركية انطاكية وُجملت تحت حكمه كراسي اسقفيات عديدة تذكر من جملتها
ما لة علاقة مع لبنان الحالي وهي : ١ صيدا . ٢ برفيرين
الرافقة لقام التي يوس وتدعي ايضاً برجاً موقعها بين بيروت وصيدا . ١
٣ جبيل او بيلوس . ٤ البقون او بريس . ٥ غيرتا . ٢
٦ تريريس (Trierès) وهي للسنة اليوم أقة . ٣ . ٧ طرابلس .

(١) وسنود الى ذكر آللها

(٢) انما موقع هذه للدينة قسنة ان شاء الله

(٣) هذا القواب وليس كما ورد في النسخ (ص ١١٤ من السنة ١٩٠٠) انما حسن
ساحلي ثالي طرابلس ربا القليلات »

٨ مرقا (١) . ٩ اودونسياس (٢) . اما بيروت فمع كونها واقعة في ولاية صور الكنسية كانت مستقلة عنها . ورتقي اسقفها الى رتبة مطران ولكن لم يكن له اساقفة تحت حكمه (٣)

هذا ولا تشك في ان بعض قري لبنان الكبرى كاهن وبشري واميون (في الكورة) كان لها رؤساء وحيون من درجة الخورفستوس . وكانت هذه الرتبة شائعة في ذلك العصر . ولنا شاهد في ما ذكر من القديس باسيليوس اسقف قيسارية انه كان تحت امره خمسون خورفستوقاً الا ان هذا المنصب الكنسي اجتدل لكافة شيوخه فامتاز بدرجة رعاة القري . وما اسم « الخوري » الا لشقاق من لمس الخورفستوس

وفي هذا العهد ايضاً انتظمت الطقوس الكنسية المهمة الى ان صارت بعد زمن على هيئتها التي نالها اليوم . ومن ساعدوا على تنسيق هذه الطقوس بعض القديسين الاجلاء كقديس يوحنا فم الذهب والقديس باسيليوس الكبير الا ان هذه الطقوس لم تُنسَ . ما كان سبق اليه التقدم من الرتب الدينية كالطقوس الرسولية والرتب التقليدية منها الليتورجيا الشرطة المنسوبة الى القديس يعقوب وغير ذلك

اما اللغات الكنسية فكانت محصورة في اللغتين اليونانية والسريانية ولم تسمع اللاتينية كلغة طقسية ولما كانت لغة الدولة الرسمية قطع . وقد استعملها اهل بيروت مدة ثم انحصرت في ضمن مدارسها النخبية الشهيرة . الا انها اهلكت شيئاً فشيئاً حتى اُبطل استعمالها وكانت كنائس المدن الساحلية توتر في طقوسها اللغة اليونانية اما كنائس الجبل فكانت السريانية هي الغالبة على ألسنة كهنتها (راجع للمشرق ٣ : ٢٦٧) . وزادت السريانية انتشاراً في لبنان لما صارت السيطرة فيه للطائفة المارونية

(١) وإعرابها تُعرف الى اليوم بهذا الاسم

(٢) تدعى اليوم اودونزي بيرازنر البارد

(٣) خلافاً لما جاء في مقالة المنار السابق ذكرها (ص ١١٤) . وهذه المقالة تستدعي حدة اصلاحات . تقول ذلك رعاية للحق مع ما نعرفه من فضل كاتبها الذي اختبرنا لطفه يوم زرتا دير البلسند

انتصار النصرانية نهائياً على الوثنية في لبنان

بعد وفاة القديس يوحنا فم الذهب قدم لبنان من مدينة الرها احد التماسك قسطنطين وجعل يسى في هداية اهل الوثنيين . ذكر ذلك البيولنديون في تاريخ ١٤ شباط . ولعل المراد بلبنان في ترجمة التماسك المذكور انما هو جبل عكار لان النص الوارد فيه اسم هذا العابد يشير الى مدينة حص وهي كما لا يخفى مجاورة لجبل عكار وكذلك تكرر ذكر لبنان في ترجمة حياة القديس سمعان الصوري فان واوية اخباره يقول عنه انه انجز هداية اهل لبنان فرجعهم الى الدين القويم بما اصطغته من المميزات الباهرة . لكننا هنا ايضا لا يمكننا القطع بان المراد بلبنان الجبل العروف اليوم بهذا الاسم . ونحن نعلم ان هذا القديس اشتهر في ولاية حلب في الجبل المسى اليوم بجبل سمعان . على ان الذي يمين النظر في القوال مؤرخيه لا يرى ما يغني لبنانا الحالي لان الروايات يتناطرون الى عامود القديس من بلاد بيسدة فكان العرب يأتونه من اقاصي البادية ليستمعوا تعاليمه . ثم ان اوصاف لبنان في تواريخ هؤلاء الكتبة توافق جبلنا منها ذكر الثعالب والوحوش الضارية ومسابد الاصنام وتلق الاهلين بسادتها بحيث لا يردلون خدمتها الا بعد نظر العجائب التي تجري على يد القديس سمعان . فكل هذه الاوصاف تصدق من جبل لبنان الحالي . غير ان اسم لبنان وحده ليس بكافٍ لنجزم بهذا الامر وقد قلنا سابقاً ان هذه التسمية كانت تشمل في القرنين الخامس والسادس جبلاً آخرى

وان قال قائل ان المراد بلبنان انما هو لبنانا الحالي لانه ورد في اثناء . ذكر لبنان اسم احدى قرأه وهي قرية اندلريس (Andaris) الواقعة قرية مين دارا في مملكة الرقوب الشمالي . اجبتا ان هذه الواقعة بين الاسمين ليست متوفرة ثم انه لمحصل ان ضيقة تدعى مين دارا اشتهرت سابقاً في جبال غير لبنان الحالي بما كان يعرف ايضا باسم لبنان كجبل النصيرية وجبل الشيخ . قلنا من ثم ان هذه الافادت ليست بكافية لتدوين هذه الاخبار في تاريخ النصرانية في لبنان

ولا ظهرت بدعة لسطور وجدت في بعض اساقفة لبنان صدق تعاليمها الفاسدة . فان افراداً منهم انحازوا الى النسطورية . وفي بيروت التأم المجمع الذي حكم

على ايباس استق الرها احد انصار نسطور . وكان ذلك حسب منطوق اجمال الجمع » في بيروت للدينة القائمة الجبال في دار استقها الحديثة بموار الكنيسة الجديدة المقدسة »

لما بدعة اوليخا فكان لها في لبنان عاقبة اوعم من التطورية نقشا سنها في بلاد الشام وألقت باهلها مدة زمن مديد اضاراً لا يُسر لها غور . وكان اوستات استق بيروت تشيخ جهاراً لاوطاخي . فجازله ملك الروم بان اصدر براءة ورد فيها انه » يقول مدينة بيروت الزدانة بالقضائل اسم حاضرة (métropole) مع الامتيازات التي تُعطى لأهـل المدن » . فظن اوستات ان رقيم القيصر كافر ليد سلطنة الرومية على اساقفة جبل والبتون وطرابلس وغيرها من الاسقفيات الواقعة في شمالي فينيقية الساحلية . ألا ان مطامه رذلت بعد زمن قليل في عهد مرقيان الملك

وقد تطر لبنان فضائل بعض القديسين في اواسط القرن الخامس للمسيح نخص منهم بالذكر القديسة مطرونة وكنت في آسيا الصغرى ثم اقامت ديراً في حمص وانتقلت اخيراً الى بيروت فانارت جماعاً غفيراً من النساء الوثنيات باتوار الإيمان

ومنهم القديس ديولا السيساطلي قدم بيروت في ايام الملك زنون ثم تبدله في جبال لبنان المعقولة . وجاء في تاريخ قديم (راجع اعمال القديسين للبولنديين ص ١٠ شاط ص ١٢٦) » ان ديولا المذكور شيد جماعة زنون القيصر وروحنا حاكم بيروت ديراً مصيبراً في وسط الجبل . وكان يعيش مع رهبانو بين الجبلين وهم وقتئذ متسكنون بظلمة الوثنية فرض عليهم اسرار الديانة ورد حجبهم واجتنبهم الى الدين القويم الانفراً قليلاً منهم . فيؤخذ من هذا الكلام ان عبادة الاصنام لم تُطلس بعد آثارها في لبنان نحو مئة سنة بعد ثارديوسوس الكبير

ولعل القارئ يسأل وما هو الدير الذي عثره ديولا الراهب ؟ قال الاب مرقينوس اليسوعي في تاريخ لبنان (ص ٢٣٨٩ من تاريخه المخطوط) : » ان الدير الموما اليه هو دير القصر » . لكننا لا نرى على اي حجة بنى الاب مرقينوس زعمه هذا . وغاية ما نعرف عن دير القصر ان ذكرها ورد في تاريخ الصليبيين ولكن هذا ليس ببرهان مقنع . لاسيما اننا نرى في لبنان قرى غيرها دخل في تركيب اسمها اسم الدير

فصح^١ فيها قول الكاتب النور^٢ وبضها ليس بعيداً من بيروت لأن النص يشير الى دير قريب منها

وزادت بدعة اوطيخا اقتضاراً في سورة لما ظهر ساويرس الاطاعي . وكان المذكور قضى سنين عديدة من عمره في بيروت حيث درس الفقه ثم تسمّد في طرابلس (١) وصار بطريركا دخيلاً على اطاكية وتغافى في نشر الشيعة الاوطانية . لكن الله اقام لديه الحق حامين يدافعون عنه لاسيا في عداد الرهبان . والكثيستان الشرقية والغربية تحفلان في ٣١ تموز بعيد ٣٥٠ راهبا كُتلوا في سبيل الإيمان سنة ٥١٧ . كان المبتهون كمثوا لهم يوماً وهم سائرون الى كنيسة القديس سمعان العمودي التي موقها في جبل بركلت شالي غربي حلب . وقد ذكرواها هنا لأن اللبنانيين يسيون لهم عيداً حافلاً ولو كان استشهادهم قد جرى خارجاً عن لبنان وعن فينيقية . وانما اصلهم كان من ولاية سورية الثانية التي حاضرتها اقامية (قلعة المضيق) وموقها شالي لالة فينيقية لبنان . اما فينيقية لبنان هذه قد سبق ان حاضرتها كانت مدينة حص وانما تشبل قسماً من لبنان الشرقي على ان معظم جبل لبنان داخل في فينيقية الساحلية

وكان هؤلاء الشهداء يتشون الى دير مار مارون . وكان هذا الدير مبنيّاً في جول اقامية في وادي نهر الماصي (٢) . قال السعودي في كتاب التنبه والاشراق (ص ١٦٣) يعرف موقه الله : « شرقي حماة وشيّر ذو بيان عظيم حوله احكام من ثلاثانة صومعة فيها الرهبان وكان فيه من آلات الذهب والفضة والجواهر شي . عظيم فخر هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن . . . وهو بقرب من نهر الارط نهر حص واطاكية » . ولدنيا الربيعة البيوتية التي ارسلها رهبان هذا الدير للبابا هرمزاس يجرودة بلسقشاد اخوانهم وقصوا عليها بما فعله : « نحن احقره الارشيسينديدين ورهبان سوردا الثانية » . لما رئيسهم قد وقع الرقيم كاتباً : « انا ارشيسندريت مار مارون » . فما سبق ترى ما كان لهذا الدير من الخطورة والشأن

(١) راجع المشرق ٣ : ١٠٠٢ وكتاب الاب نو . Opuscles maronites II, 49 supp.

(٢) راجع كتاب الاب نو (Pabbé Nau) السابق ذكره (ج ٢ ص ٢٢)

وعند الرهبان . اما الاسباب التي حلت الموارنة على اكرام هؤلاء الشهداء فهي ثلاثة ذكرها صاحب مروج الاخيلا : « أولاً لان اكبر اديار هؤلاء الشهداء الطواوين كان مروجاً باسم القديس مارون ولرشيمنديت هذا الديار كان اسماً اسكندر وهو اول من امضى الرسالة التي رُفعت الى البابا هرمزاس القديس . ثانياً لان كثيرين من هؤلاء القديسين كانوا يتشجعون على الثبات في الايمان والاستشهاد امام ذخيرة هامة القديس مارون الثمينة التي كانت بهذا الديار . وثالثاً بما ان هؤلاء الرهبان القديسين كانوا اشجع المناضلين عن الايمان الكاثوليكي الذي يماره الموارنة غيرة لانهم كانوا خاضعين اتم الخضوع لكرسي هامة الرسل . والطائفة المارونية تتشرف بانها تفتني آلامهم في ذلك »

وقبل ذلك بزمان قليل (سنة ٥١١) كان الملك انتاس طرد من القسطنطينية عدداً كثيراً من الراهبات اللسنتيات الايمان قاصدين لبنان واتخذة لمن سكناً وحرارة يرف فضائلهم . وفي اختيارهم لبنان للفرلة دليل على ان اهله كانوا يرفلون الشبهة الاوطينية

والاربع ان كنيسة دير برفيريون (اليوم برج اوثيونس) بُنيت في ذلك القرن السادس . وكذلك كنيسة القديس فوقا على مشارف الجبل (١) . وقد ورد ذكر هاتين الكنيستين في تاريخ الابنية للمؤرخ بروكوب . وصكان بايها الملك يوستيان الذي لشهر بغيرته على بناء الكنائس . وليس بمستبعد ان اقدم كنائس لبنان المعروفة اليوم تَشِيدت في عهده او على يد المهندسين الذين جروا على طريقة بناءه . مثال ذلك كنيسة اهدن وكفر شلجان اللتان تشبهان كل الشبه الكنائس البرزطلية المنسوبة الى هذا الملك . ولعل كنيسة حدقون الهدومة التي ذكرناها في الفصل السابق (ص ٨٦ و ٨٩) هي ايضا من هذا القبيل فيكون بناؤها سبق دخول الموارنة في لبنان . لنا في تأييد قولنا بعض الحجج منها وجود كتابتين يونانيتين الواحدة اسكتشها ريتان واكثر حروفها مطبوسة والاخرى وقف عليها التقدير كاتب هذه

(١) راجع بروكوب (ص ٩٥) . على ان بروكوب يقول « مشارف الجبل » لم يذكر لبنان ولما يؤخذ ذلك من قرينة كلامه لانه ذكر الجبل بعد ذكر برفيريون والحاصل انيقي

الاسطر ١٦) وفي كليهما ما يشير الى قدم هذه الكنيسة . ومنها الطرز المنمسي والتفوش وضروب الفسساء فان كل ذلك يُلمع الى عهد يوستينيان
فقرى بما تقدم لن النصرانية في القرن السادس لاسيا اولنوه لم تغلب قط على
المدن الساحلية بل بان شأوها على كل اخصائها في لبنان . وكانت مدينة بيروت
بالكنائس (٢) واعلمها متمصين بجمال الدين . وكذلك تفيدنا ترجمة بطريك
ساويروس السريانية ان العمالة اللبنانية المجاورة لبيروت كانت مستوثة بمرور الدين
وهناك لشهر احد الرهبان المعلموديين الذي كان يسكن في قرية لم يذكر اسمها
قرية من البلدة . وكان هذا الراهب شديد التمسك بالدين الاورثوذكسي يدافع عن
الايمان للكاتوليكي مدافعة الشهام . وما روي عنه ان بعض اشياخ اوطيخا من الطلبة
الذين اتوا من الاسكندرية الى بيروت ليدرسوا الفقه زاروه يوماً فلاحهم عن تشبههم
بجائيل للمرافقة . وفي خبر هذه الواقعة ما يُشعر بان الشيعة اليسوعية لم تغرد بعد
لاصحابها كنيسة في بيروت (٣)

ومن الشواهد الدالة على انتشار النصرانية في لبنان العيد الحافل
الذي أقيم فيه لما عاد هرقل ظافراً ومعه الصليب المقدس الذي انقذه من يد القرس .
فأقيم في لبنان حفلات بهيجة جعلها اللبنانيون سنة لهم يبدون ذكراها في كل عام
في ١٤ ايلول

الآن مرقل للذك كسف شيئاً من جهات انتصاره بما اعادته من المساعدة لمصلحة
المونوتليين اي القائلين بالشيئة الواحدة في المسيح . فكانت هذه المصافرة الملكية
سبباً لتفشي هذه البدعة في سورية وخصوصاً في وادي العاصي . لكن هذا الوفاء لم
يسر حتى لبنان وكفاه بذلك شرقاً

ومن تصدوا لهذه المصدوى القديس صوفرونوس الدمشقي الاصل بطريك
اورشليم . وقد زعم البعض انه ولد في لبنان في قرية يسري . وهو قول تردده الادلة
العديدة كالنيان والبونديين (في تاريخ ١١ اذار) بل يئنده القديس صوفرونوس

(١) راجع مجلة الشرق المسيحي ١٨٩٩ ص ٥٦٩، ٥٦٥

(٢) راجع في الشرق (٣ : ١٠٠٤) ما ورد في النشرات المارونية للاب نو

(٣) مجلة الشرق المسيحي ١٨٩٨ ص ٢٨٠

قصة في قصيدة له وردت في مجموع أعمال الآباء. (مين ج ٨٧ ص ٣١٢١) قال من قسه انه من مدينة حمش التي تكلها قم لبنان (Aïssourémaros) فتاوم هذا الاب القديس الجليل الشيمة المونثلية التي جعلت الدولة البونطية على قاب قوسين من هلاكها في سورة . لكن الله كفى لبنان شرها وجعل مذ ذاك هذا الجبل معتصماً لاذ باهداؤ انصار الحق الى يومنا

بلاد البترون

من تتبع الآثار اليونانية او الرومانية في بلاد البترون لا يجد منها ما يحده في مقاطعتي كسروان وجبيل . وسبب ذلك ان موقع البترون في سفح جبال شاهقة ابي الاقدمون ان يتخذوها كسكنى لهم اللهم الا قليلاً منهم حتى ظهرت الامة المارونية فاستمرت تلك الجهات وجعلتها كركز انتشرت منه الى البلاد المجاورة . والدلائل التاريخية الثابتة بذلك كثيرة نشير اليها في مطلوي كلامنا ان شاء الله وتلقا الآثار القديمة في البترون ونولحها على أخرى وهو مبدا من أمهات المدن ككبيروت وصيدا . ووقوعها خارجاً عن دائرة امكنة الفينيقين المقدسة كجبيل . ولذلك ترى في جنوبي لبنان ووسطه من الكتابات والخرابة ما لا تعدد في البترون وتواجها

٢٢ مدينة البترون

البترون احدث عهداً من جبيل ويديوت وكان الانكليزي كندر (Conder) زعم انه وجد لسبها في مراسلات تل العارنة (راجع الصفحة ٧٦) الا ان علماء العاديات قدودوا هذا الزعم . وكذلك لو تصفنا توارينغ الفينيقين واليونان والرومان لا وجدنا من البترون الا القدر القليل الذي لا يشفي منه غليل . وذلك دليل واضح على انها لم تكن ذات شأن خطير

على ان لا يزيد بذلك ان نمض البترون حقها فان هذه البلدة لا تغلظ من البقايا والاطلال القديمة لولا ان الابنية الحديثة التي تعلوها اليوم لا تسمح بتقدير هذه الاثرية وتريف تاريخها . ولنا ايضاً شاهد آخر على مقام البترون سابقاً وهي المسكوكات

والنفوذ التي ضربها عليها أيام استقلالهم فترى لها تاريخاً خاصاً بها كبقية مدن الساحل .
وقد بين ذلك الدكتور جول روفيه في مقالته عن تاريخ مسكوكات البترون (راجع
المشرق ٢ : ٤٧٦)

والشائع عن أصل هذه المدينة ان بانيها ايوب بن ملك صور في القرن العاشر قبل
المسيح كذا روى المؤرخ اليوناني ميناندر وصاحق طيوسينوس المؤرخ اليهودي الشهير
ومن آثار الفينيقيين في هذه البلدة سورٌ متينٌ منحوت في الصخر الاحمر من جهة
البحر وقد بقي منه بقايا الى يومنا مع اعمال أخرى تنطبق على ما نعرف من حداقتهم
في قطع الحجارة . ومنها أيضاً بعض قبور ونواويس قديمة كما ترى في غيرها من المدن
الساحلية

ولا غرو ان الرومان بعد فتح سورية شيّدوا في البترون الابنية وجعلوها من القلاع
الحصينة والزهرة في اجسامهم الى ان خربت في زلزال سنة ٥٥٠ م
وقد بقي من عهد الرومان قوس وقطع وكتابت رأتى منها ريتان طرقات كما اتمت
ذلك في بنة فيليقية (ص ٢٤٩) يقول انه وجدها في انقاض حسمها وقد بجثا حتمها
ظلم نشاهدنا

اما الحصن المذكور فقد شيّده اصحابه في القرون المتوسطة واتخذوا لبنائه ما
عارفوا عليه من الابنية السابقة . وقد ذكر العرب هذا الحصن منهم واقوت الحموي في
معجم البلدان (١ : ٤٩٣) قال : « بَترُون (١) بالتحريك والراء حصنٌ بين جُبَيْل
واقفة على ساحل بحر الشام » وقال الادريسي (طبعة غفيميسر ص ١٧) : « ومن
مدينة جبيل على البحر الى حصن بترون عشرة اميال وهو حصن حسن »

وعلى مقربة من البترون في المكان المسمى مراح الشيخ ملبٌ قديم من بناء
الرومانيين في مقامه على شكل درج مستدير منحوتة في الصخر وكل ذلك ظاهر
حتى يومنا . وحول هذا الملب قطع من الرخام وحجارة منقوشة تراها مبثوثة في
الارض يتخذها الاهلون للتكليس

(١) كذا ضبطها واقوت والادريسي . وسُت في تواريخ السليبيين « Le Boudron »
اسم اليونان فكانوا يسمونها بتريس (Botrys) وكان يتم فيها اسقف (راجع الشرق للمسيحي
ليوكيان)

وان سرت من البترون ليس بعيداً عنها الى شمالي نهر الجزوى ترى كنيسة قديمة
تسمى كنيسة مار يعقوب بُنيت بأنقاض هيكل قديم . وعلى بعض جدرانها كتابة
يونانية طُمس أغلبها فلم يبقَ منها إلا حروف قليلة (١)

وعلى مسافة بضعة امتار من هذه الكنيسة من جهة الشمال الغربي كنيسة اخرى
متنيبة فوق اكمة تعرف باسم « سان ساوير » وهي لا تزال على حال مرضية تجد في
بنائها ما يذكّر بطريقة الصليبيين في الهندسة . ولمنه الكنيسة حيدٌ قيمه اهل
البترون في اليوم الـ ٦ من آب وهو يوم عيد التجلي . وعلى رأينا ان اسمها مصدق
عن كلمتين افرنسييتين معناهما الطور المقدس (Saint-Thabor) . اما سبب
اطلاق هذا الاسم على الكنيسة المذكورة فهو لانها كانت لاحقة بالدير الذي شيده
الصليبيون على جبل الطور . وكان لهذا الدير اوقاف عديدة واملاك واسعة منها في
الكورة وقرب طرابلس (٢) نعم ان هذا المثل لم يُذكر في قائمة تلك الاملاك يد
ان اسم الكنيسة الاصحي وشكل هندستها ووقوع عيدها في يوم التجلي كل ذلك
يؤيد رأينا . ومما كان من امر هذه الكنيسة لا شك لها تستحق الذكر لانها مثال
حسن من طريقة اهل لبنان في الهندسة الكنسية

٣٣ سمر جيل

هي من اقدم قرى بلاد لبنان واضلها شأنًا من حيث آثارها . موقعها شمالي
جيل وكانت في القرون المتوسطة احد مراكز الملة المارونية استوطنوها قسُصُوا فيها
لرد هجمات اعدائهم وفيها كنائس شتى ذكرناها سابقاً . الكبرى منها مشيدة على
اسم القديس نهر وهي حنة البليان يصلي فيها القوم حتى يومنا . وعلى جدرانها
الخارجية كتابة سريانية ذهب الدهر بقسم منها مُفادها ان كاهناً نُبرمناك . اما اسم
الدفين وتاريخ وفاته قد طُمس . وكان ريان قل هذه الكتابة سنة ١٨٦٠
(ص ٢٤٦) وقد أخذنا مؤخرًا رسمها الشمسي فلم نكد نجد منها إلا القاطن قليلة .
ولسمر جيل كنيسة اخرى قديمة لم يبقَ منها غير دُورها

(١) راجع بحث فينيقية (ص ١٤٨)

(٢) راجع للمجلة الفلسطينية الالمانية (ZDPV, X, 235)

واول ما يستدعي إليه نظر الداخل في سر جيل قصرها اللبي فوق اصكمر .
 وجدران هذا البناء الجليل المائلة ترتقي الى الاجيال المتوسطة فقط لكن اركاة
 السفلى واساس يروج وخادقة التحونة في الصخر تدل على قدم عهده وعظم اثره
 وترى لمخله متبة ذات درجتين متقورة في الصخر . ولا يبعد ان القينقيين قاموا
 بهذه الاعمال فانهم كانوا مولين بنحت الصخور كأن عزمهم لشد صلابتها منها وكانوا
 مع ذلك يجلبون الصخر كقطع يشغنون منه حجارة البنيانهم كالقلاع وغيرها . وفي
 داخل هذا القصر وعلى مقربة منه آبار وصهاريج عجيبة الصنع بحكمة التجهيز بيعة
 النور كلها في الصخر الاصم لا تظن ان الرومان مع جلدتهم واعمالهم الجبرية تولوا
 قهرها بانفسهم

وما يرتقي ايضا في هذا القصر الى حد قديم النقوش التي يراها الزائر عند جهه
 الشمالية في اسفل الصخر الذي أقيم فوقه البناء . غير ان هذه النقوش دائرة يصعب
 تعيين زمنها ورسم صورتها

وفي سر جيل آثار أخرى من العاديات منها المدافن الواقعة في شرقي القصر .
 وقد كُتب باليونانية فوق بعض قبورها ان امرأة عمرها ١١٠ سنوات دفنت مع ابنها
 في قبر واحد وتاريخ هذه الكتابة في القرن الثالث للمسيح وهو حسن الرسم
 لا إشكال في قراءته . وفيه دليل على سن طاحنة قل ما يبلغها الشيخ المترون .
 لما بالقرن سن الثاني الى التسعين فمدحهم ليس بقليل في لبنان تشهد على ذلك
 الكتابات منها كتابة لاتينية محفوظة في كنيسة بيت خشب يستفاد منها ان بعض
 الشيخ توفي وله من العمر ٨٧ سنة (راجع ايضا بقعة فيليقية ص ٣٨٥ و ٣٨٦)

فهذه الآثار التي وصفناها تلي قدم سر جيل وخطورتها لكننا لا نعرف شيئا
 من تاريخها السابق ولملها احدى القلاع التي غريبها نيبوس عند قعر بلاد الشام
 (ص ٣٤) والله اعلم . وما اثبت الدويهي في تاريخ الوارسة (ص ٢٠٢) ما
 حرقه : « وفي سنة ١٦٣٠ في الخامس والعشرين من تشرين الثاني تهازل الاحد
 حدث زلزال مريع . وفي الساعة الثالثة من الليل حلت في قلعة سر جيل وهدمت
 البرج الاوسط من جوانبه الاربعة وغربت جميع ما كان في القبو التحتاني المركب
 على البئر »

هذا وفي بلاد البقرون عدة امكنة تستحق الذكر لآثارها فإن الباحث يجد فيها من التوابيس والنقوش ونحيت الحجارة ما هو دليل على اصلها القديم أخضها كبرحتنا ومسرح وشطرين وكفر شليان التي تكرّر ذكرها غير مرة في اثنا مقالاتنا من كنائس لبنان والحق يقال ان القلعة الاقدمين قد احسنوا في هذه القرية قهر صخورها . من ذلك ثلاث حُجَر قروها في الصخر على احسن هندام وأكار آلات التحت فيها مع قدمها ببيتة كأنها بُنيت منذ زمن حديث

ومنا عابثاً في مسرح قوش مخوفة في الصخر اكادها دارس مطبوس بقي منها صورة ثور وبقرة مسنمة وموقع هذه النقوش فوق اقية حيقة . وقد شاهدها ايضاً تكال شخص يُدعى كوة امرأة وهي لابسة ثوباً رافلاً وفي يدها اليسرى رمانة وعقود عنبر

٢٤ قلعة الحصن

اذا ملت من الساحل سائراً من البقرون لتوغل في لبنان من جهة دوما رأيت بعد قليل صخرة عالية مكشوفة للنظر كأنها السارية المتحوتة تحت عمودياً وفوقها قلعة قديمة الآثار تدعى قلعة الحصن موقها بين درج الوارثة المعروف بدير مار يعقوب وقرية بشملي (١) . ومن رقي فوق هذا للرقب تتجّح بمنظر غاية في البهجة والروى فان السنين تبصر غرباً البحر وسواحه وترى شرقاً القرى الممتدة الى جهات ارض لبنان . لما جئنا الشمال والجذب فلا حاجز يحول دون مرأى سهلها . وليس لهذا اللقائم مجاز آخر الا من جهة بشملي وهي الجهة التي عني التلما . بتحصينها لتكون القلعة حروقة منيعة لا يقوى على فتحها العدو من كل الخافها

اما القلعة فان جباياها ليست من العظمة والهاء على شيء بخلاف ما يظن المسافر اذا ابصرها من بعد . فان موادها واخرتها لا تختلف من غيرها ولا تنهي بما اعتاده القيسيون والرومان من الابنية الجيادية . وضدنا ان هذه الاطلال صرح بني في الاجيال المتوسطة فوق جدران اقدم عهداً بقي منها بعض آثارها

وما يرى داخل هذا القصر آثار بيوت كان يسكنها السكّن سابقاً . وفي أسفل القلعة نواويس عديدة ومساقط نُحِتَتْ في الصخر الأهم وجد فيها الأهلون قرواً ومصكوكات نادرة

ومن غريب ما شاهدناه في أعلى هذه القلعة جبر كبير وسطه متقوب وهو منفصل من الصخر الذي تحته وفيه جدول للماء لا تظهر وجهه جريده . وقد عملتُ الفكر لأعرف ما الناية من نصب هذا الجبر فلم يثبت لي الأمر وإن استطلنا طلع التاريخ لتستدلّ على أخبار قلعة الحصن وجدناه ساحكناً لا يقيدنا من أحواله شيئاً . لكن موقع هذا البناء يناسب أي مناسبة للأعمال الحربية كيف لا وهو يطلّ على قم من أخصب معاقل لبنان فلا يبعد أن القدماء اتخذوا هذا القام للدفاع من مواطنهم ولعله كان هنا قلعة قديمة ابتناها الفينيقيون فأخربها بيشوس القائد الروماني عند فتح بلاد الشام كما ذكر آنفاً

لما « بشلي » التي هي قرب قلعة الحصن فلا تريد في وصفها شيئاً على ما كتبناه سابقاً في الشرق في مقالتنا المسمّوة « سياحة في بلاد البترون » (٢ : ٨٧٠) . وفي بشلي رأس عمود على أربع جهات كتابه يونانية خشنة ذهب أكلوها فلم يبقَ منها سوى بعض حروف لا يظهر لها معنى شافراً (١) ولما وجدنا هناك دليل على أن القرية سبقت عهد العرب . وقد جاء ذكر بشلي في آثار الصليبيين وهم يدعونها « Betzeal » وكانت داخلة في حكم أمير جبيل (٢)

وما رأينا في « ترتج » عند زلوبة كنيستها صفيحة من الحجارة طولها متر ونصف وعرضها سبعون سنتيمتراً وهي داخلة في الحائط عليها صورة قائمة تمثل حيواناً تهشم رأسه ولم يبقَ سوى ذنبه الذئبال فلم تشبّه لي حيوان هو

(١) ولعلّ هذه الكتابة من الآثار التي لم يهدمها رينان بعد أن بحث هنا في شلي كما أخبر بذلك في كتاب بيشو إلى فينيقية (ص ٢٥٧)

(٢) راجع المجلة الفلسطينية (ZDPV) الجزء الصادر ص ٢٥٦

٢٥ دوما

لا نرى داعياً لتكرار ما كتبناه سابقاً من حسن موقع هذه البلدة وعظم شأنها حالياً (راجع المشرق ١٩٦٩: ٢)

لما عاديت دوما فهي نواويس ومدافن قديمة ثم كتابتان يونانيتان الواحدة منهما عفورة في النساويس الذي قرب عين التربة وهو اليوم حوض ماء يُسقى منه قبي وسطه دائرة كان فيها قش أخفى عليه الزمان . والكتابة المعلقة عليه كثيرة الحشوة كان النقاش الذي تحتها لم يدرك معناها ولم يُحسن قتلها بل ترك منها الفاظاً فصار معناها مُنقلاً . فإذا تدارسكنا هذا الحلال واصلنا ما يجب اصلاحه وجدنا ان تاريخ الكتابة سنة ٣١٧ للمسيح يُستفاد منها ان هناك دُفن كلستور وكان كهناً وثانياً لإله العلب لسكولاب وإلهة الصلصة (Tyssas) . وفي آخر الكتابة تهديد لمن يشكون حرمه هذا المدفن فان فصلوا وجب عليهم اداء ٢٠٠.٠٠٠ دينار لبيت المال

فهذه الكتابة اليونانية من احدث ما نعرف من اثار الوثنية في لبنان . اما ما جاء فيها من الوحيد ضد تافضي حرمه القبور فمئة كثير في الكتابات الضريبية القديمة (١) . وليس للبلغ المذكور في الكتابة هو من البالغ الناحشة لان الدينار كان وقتئذ قليل الثمن . وهذه الكتابة مهمة لتاريخ دوما القديم لان منها يُستفاد ان هذه البلدة كانت اقامت هيكلًا مستوراً لإلهي الصلصة وان سدنة الهيكل كانوا من الذوات كما يظهر ذلك من النواويس الذي دُفن فيه هذا الكاهن . وهو جميل حسن النقش . ولعصري قد اصاب الاقدمون لما جعلوا هذه التربة مقاماً لمعبدة الصلصة لان علو ما نحو ١١٠ متر فوق سطح البحر وهواءها العليل ومنظرها البهجة الخلابة على سهول كفرحدا المنضبة توافق الصلصة وتتمش القوي

اما الكتابة الثانية فهي على حجر داخل في جدار حكتيبة الزوم الاورثوكس (المشرق ١٩٧٠: ٢) وقد اخذت رسمها بعد الفراغ الجهد الجليل الا ان هذه الكتابة

مطلوبة لا يُفهم منها سوى كونها ضريحاً لعدة أشخاص ذهبت إسمائهم الأواحداً منهم . وقد درس أيضاً تاريخُ الكتابة فلم يُعِد لها شأن كبير . ومن قرى بلاد البترون التي تشتمل على بعض الآثار قريّة « بسميّة » . فأنّا نقدر أنها كانت مزدانة ببيكل وثني في سالف الأعصار والكنيسة الحالية مبنية بمواد ذلك البناء . قرى حجارها كبيرة حسنة النحت . وأولوب الكنيسة اكملها من ذلك المبد القديم لها العتبات المنقوشة وجوانبها قطعة واحدة . ولئن دخلت الكنيسة وجدت آثاراً غير السابغة كالنقوش اللطيفة المعروضة في وسط البناء . ولوبحث الأهلون أو تزعموا هذه البقايا لوجدوا بلا شك كتابات قديمة ترشدنا إلى تاريخ القرية يد أنهم حتى الآن لم يقدموا على ذلك وما رأيناهُ حجة معبد السيدة الملاصق للكنيسة فإنها تُجيز للبيان بآيا كتابة لم يمكننا قراءتها

وبسميّة من القرى التي احتلها الروم للمكيون زمناً طويلاً كما سنّين ذلك في مقالاتنا الآتية من دير مدار يوحنا مارون . والروم لم يسكنوا قطع جهات الكورة حيث كان عددهم وافرّاً بل احتلوا أيضاً قسماً من بلاد البترون التي تُعدُّ كهده الأمانة المارونية . ولنا في كل ذلك تفاصيل نعرضها إن شاء الله ضد سنوح القروية

٢٦ كفرحي ومدرسة مار يوحنا مارون

كفرحي مزرعة صنيعة موقعها فوق داية جنوبي نهر الجوز على مسافة ثلاث ساعات من البترون في شرقها . وكان لكفرحي شأن اعظم في ما سلف من الاعصار كما يُستدل على ذلك من الآثار القديمة وشواهد الكتب من الموارنة وفوق المزرعة كنيسة مار سابا الذي سبق ذكرها . وفي ظننا انها بُنيت في مكان مصد وثني قديم . وعند مدخل الكنيسة قطعة نصب نُقش في ولجهته اكليل الأتاة خلون من الكتابة وإذا دخلت البيعة رأيت صفحة عليها كتابة ذهب قسم منها وهي ترتقي الى سنة ٢٧٠ للمسيح . ومضمون الكتابة ان رجلين يُدعى احدهما مونيوس (Μονιμος) والآخر سينا (Σενας) اقاما هذا المذبح لاحد الآلهة لم يبق من اسمه الا حروفه الاولى الثلاثة (ΔΙΛ ΑΡΑ .)

واسم مونيوس نفسه اسم إله كان يُعبد في خصوصاً أهل الرها يشركونه بمبود آخر يدعى عزيراً (Azyas). إلا أن عبادة ذلك الإله لم تكن محصورة في الرها ترى ذكره في الكتابات المكتشفة في حوران. وقد وجدنا اسمه مدوناً في عدة آثار وقفنا عليها في محض ثمّ حُتينا بنشرها. وما اسم مونيوس على رأينا سوى تصحيف لاسم آرامي يرافقه في العربية «منعم» من الأسماء الحسنى عندهم كما يستدل على ذلك بتقديم البغداديون «عبد المنعم» وهو اسم بعض القدمين في بشري في القرن الخامس عشر (١). وما يؤيد رأينا بل يزيل عنه كل شبهة أن العلامة ريسه دوسو (R. Dussaud) وجد اسم «منعم» (منع) بين اعلام كتابات الصنا (٢) وكانوا يريدون به الإله الكريم الوهاب. وبمثل هذه الصفات وصفه الكتب اليونان والرومان عند ذكرهم هذا الإله ورفيقه عزيراً

أما مدرسة مار يوحنا مارون فلا تبعد عن كفرحي أكثر من ربع الساعة مقامها شرقي القرية. والتقليد المحلي مُجمع على أن هذه المدرسة بُنيت في مكان الدبر الذي بناه القديس المذكور في نهاية القرن السابع. قيل أن هذا البطريرك زين كيسة دبرم بنسخة ثمينة وهي هامة القديس مارون الناسك الشهير إلى الطائفة المارونية وأن الدبر دُعي مدةً من جراء ذلك دبر رأس مارون (قُسَمَ غُل). وبقيت الذخيرة هذه في مكانها إلى سنة ١١٣٠ فقلها أحد الرهبان البندريكيين إلى مدينة فولينو من أعمال إيطاليا

ولا ينبغي على من له الملم بتاريخ الطائفة المارونية كم هي نادرة التفاصيل الرائعة من أصل هذه الأمانة الجلية وأحوالها في الأحصاء الأولى بعد ظهورها. وفاة ما نعرفه من هذا القليل قد بلغتنا بالأحاديث الشفاهية التي لم تدون إلا منذ عهد قريب فلا بدّ إذاً من شواهد كتابية قديمة لتؤيد هذه الأخبار المتعولة (٣) على أنها لا

(١) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدوبي (ص ١٤١) وروايته للمنونة «حيس صيرة قدس»

(٢) راجع كتاب Voyage archéolog. au Sef, N° 78, 83, 412

(٣) فليراجع الكتاب الذي نشره حديثاً سيادة المطران يوسف دريان النون «لباب البراميين الجلية عن حقيقة اسم الطائفة المارونية»

نأس من اكتشاف مثل هذه الآثار الصادقة في زمن توفرت فيه الوسائل واقتضت الحزانات الادبية وظهور للعين ما لم يكن قبلاً في الحسبان . واملنا اوطين في اهل هذه البلاد فانهم اذا يجلوا لدى الاطّعة وفي الاديرة القديعة وفي خزائن الدار البطريكية او الكرسي الاسقفية القديعة لا نشك ان مساعيم تتكّمل بالفجاء فيجدون في الزوايا خبايا (١)

واذا حدث الى تاريخ دير مار يوحنا مارون لا نجد لذكره اثرًا قديماً . ولما يروي الرواة ان منشئ حاش ودقن فيه وقد عني مراراً اصحاب المهنة بالحفر فيه لهم يقون على قبور . لكن هذه الابحاث لم تأت حتى الان بشرة مع ما وجد هناك من الدافن

وفي سلسلة بطاركة الطائفة المارونية (المشرق ١: ٢٥١) ان خلفاء مار يوحنا مارون سكنوا هذا الدير وفيه قُبر كثيرون منهم . ولهذا المقام ذكر في تاريخ الصليبيين (٢) يدعوه مار مارون كفرجي (S. Maron de Caphrai) ثم قتل الكرسي البطريكي الى دير سيدة يافح وبقي فيه الى عهد البطريك دانيال الشاماني فاعيد الى كفرجي . ثم جرى بدتدر على هذا الدير ما جرى من حروب ونكبات وبلايا كادت تذهب بآثاره

قال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٤ (ص ٢٠٧) : وبسبب كثرة الحكم والافراض كثر الظلم وكفوا الرعايا بدل المال مألين وقبضوا على الرساء في القرى . . . وكان القس يوحنا الاجبي متولياً على دير القديس مارون في قرية كفرجي فوشى به اهل قسيه الى ابن سيفا حتى قبض عليه واهاه رسامه ما هو فوق طاقتهم فترك الدير من ثم وارحل ومن ذلك الوقت خرب الدير وخربت قسيه التي كانت لطائفه اللكية »

وبقي ذلك الدير خراباً صفصاً الى ان جدّد البطرك يوسف اسطفان بناء ما كان متهدماً فيه في اواخر الحيل الثامن عشر واسكن فيه بعض رهبان . وكان ذلك بعد

(١) وما نُشر مؤخراً في هذا الصدد كتب لفردي نو الافرنسي (Opuscles maronites وكذلك مر في المشرق ٣: ٢٦٥، ٢٦٥، ٤٥١) بعض مقالات في هذا الصدد

(٢) راجع ٣٥٩ p. *Colonies françaises*

رجوع البطرك المذكور من الكرمل وعند زيارة الرعية فلما مر على الديار المذكور لم يجد سوى آثار دامرة واطلال طامسة صرخته النيرة الدينية على ارجاءه الى رونق القديم فوجه اليه القس يوسف الحداد والقس الياس من ريفون ليبتئيا بتجديده وفي ابان زيارة المطران جومانوس ثابت لارشيته جليل والبترون رأى اختصار زعيته الى المدارس فارتأى تحويل الديار المذكور الى مدرسة يتعلم فيها من كل مقاطعة في لبنان ولدان . فصادق البطريك يوحنا الحلوى هذا المشروع في سنة ١٨١١ وعرضه القاصد الرسولي السيد لويس غندلني

وفي سنة ١٨١٨ اجتمع البطريك والاساقفة على ان يبصروا مقام مطران جبيل والبترون في مدرسة مار يوحنا مارون . او الاخرى ان يظل ان ابرشية جبيل والبترون صارت ابرشية البطريك احاطة فيجبيل في فيها ثاباً لحد الاساقفة الذي مركزه في مدرسة مار يوحنا مارون . ومن زائدوا هذه المدرسة رونقاً ووسعوا نطاق تعليمها الطيب الذكر المطران يوسف فريز الذي ترأس عليها مدة وافره كل مجهوده في نجاحها فصارت في طبقة المدارس الثانوية التي يتخرج بها الوطن منذ نصف قرن . وقد عزز الرحوم المنسيور بطرس ارسانيوس رئيسها السابق دروسها بعد وفاة السيد يوسف فريز فبلغت في هذه الايام اوج عزها فحظت بالتلاميذ وازدهت بالمعروف . وبما سرعان ان طلبتها لا يدسون فقط اللغة العربية والثلاث الاجنبية بل يتقنون ايضا اللغة السرانية فيكتبونها ويترجمون بها (١) . ولولا خرقنا من ان نخرج عن الحدود التي تحريها في مقاتلتنا لانبسطنا في وصف هذه المدرسة وعما فيها لا زالت راقية في معارج التقدم والتلاح

٢٧ جبة بشرأي

بلغ بنا تنبها لآثار لبنان الى مشارف هذا الجبل وما نحن ذا في ملامحي اهدن

(١) ونقسم هذه الفرصة لتقديم فروض الشكر لروساء مدرسة مار يوحنا واساقفتها الافاضل لا لفتنا خدم من الحفاوة والاکرام كلها في رحلتنا الى بلاد البترون . كما اتنا شكر لحضرة الحوري بولس طمس لبقته لا نقادنا يوم من المعلومات عن كفرحي ومدرستها وقرى بلاد البترون . وبعض القوائد التي دونناها في مقاتلتنا قد استندناها من فضل

وبشري . على أن هذه الجهات دون السواحل الفينيقيّة من حيث مآثرها القديمة وانما هي متعبة لسبب آخر « لكونها أصبحت مهداً للطائفة المارونية » (قال ذلك رينان) فتمت هذه الامة الكريمة في ارجائها واتسعت منذ نحو ١٢٠٠ سنة

اما اذا ضربت صفحا عن نشأة الموارنة في تلك الاصقاع فلا تكاد تنقر على امر ذي بال يستدعي التثاقط العلماء اليها . وكانت بلاد بشري في سالف الزمان قليلة الاهلين تمتد في معاطف جبالها غابات الارض الباسقة . ومن المحتمل ان تكون ظهرت فيها بعض القرى ومن جملتها بشري . لكن الامر عمول على الحدس فقط . ولا احد من العلماء حتى الان وجد فيها اثرًا يتقي الى عهد اليونان او الرومان

لما لسمها بشري ويكتبه البعض بشرة وبشري فقد اختلف في معناه . قيل (١) ان اصله بيت الشرى يراد به بيت مشقوت . فان صح هذا الاشتقاق دل اسمها على قرية عريقة في القدم عبد فيها اللبنانيون لاله السماء الفينيقيّة كاهل جيل والمرجح ان مؤرخي الصليبيين اوردوا هذه البلدة في تأليفهم لما ذكروا قرية يدعونها Buissera و Bussena وهي من القرى التي كانت لاحقة باملاك صاحب طرابلس والها تُنسب احدى الأسر الفرنجيّة الشريفة كما روى « واي » في كتاب مستصراة الفرنج (٢) . اما تأريخ الامة المارونية فانه يجعل في بشري وجوارها الحوادث التي جرت في أول ظهور الطائفة غير ان هذا التاريخ لم يدون قبل ابن القلاهي في اوائل القرن الخامس عشر

وبما ذكره صاحب اخبار الايمان (ص ٢٠) ان مولد القديس صفرونيوس بطريك اورشليم في القرن السابع كان في بشرة وقد كان سائدا احد السائلين في المشرق (٣٠٨:٤١) هل صحيح ان هذا القديس وُلد في « بشري » كما يزعم اهل التقليد . ولا نعلم اي التقليدين هو الصواب أشرة كما قال الشيخ طئوس الشدياق او بشري كما زعم السائل وعلى كل حال فقد يتنا هناك ان القديس صفرونيوس وُلد في حشقي لا في لبنان ولستدنا في قولنا الى شواهد لا تقتض

ولنا في تاريخ اهدن ما يزيد ثمتنا بقدم عهدا . على اننا لا نسلم بالتقليد الذي

(١) راجع كتاب فلسطين لإبرس وغوتي Ebers und Guthe: *Palästina* II. 448

(٢) راجع 363 p. *Rey: Colonies francaes* . وراجع ايضا 211, 204 ZDPV, X.

يصل الفردوس الأرضي في اهدن (١) . ومن روى ذلك يزعم ان اهدن هي جنة عدن وان اسمها مشابه للبرانية ١٣٥ . وهذا قول لا سند له وكذلك قد وهم الذين ظنوا ان اهدن هي المدينة التي ذكرها بعض القدماء . ودعاهما *Impedimous* او *Triapedimous* لأن موقع هذه المدينة في جنوبي حص على مسافة ست ساعات من حص ونصف الساعة من دبله وكانت قرب العاصي في مكان قرية جوسية الجديدة كما اثبت الامر السامح العلامة موسيو دوسو (راجع للشرق ٣ : ٣٤ , ٣٥)

وقولنا هذا لا يبيض شيئاً من حقوق اهدن ونحن اول من يقر بحسن موقع القرية وطيب هوائها وجمال مناظرها الثمينة اما الأدلة على قدمها فكتابات ثلاث وجدت فيها اثنان منها باليونانية والثالثة بالبرانية . فالكتابة اليونانية الاولى قد كتبها الدهر ولم يُبقَ منها الأسطرين في آخرها وهناك تاريخ تطويعها وهي السنة ٥٨٤ لالاسكندر توافق السنة ٢٧٢ م . والكتابة البرانية الثانية مرقومة على قبر مجاور لكنيسة القديس ولما . وهي مطموسة لا يسمح سوء حالها من تفسيرها وليس لها تاريخ ظاهر وفي رأسها صليب صغير يلوها ولكن هذا لا يكفي لان نسب الكتابة للتصاري لأنه امكن المبحين ان يخفوا هذا الصليب بعد ذلك بقرون عديدة . وقد اخذنا رسم هاتين الكتابتين عن الحبر ولكن لم يمكننا ان نصلح في شيء ما اثبت ديان في كتاب بنة فينيقية . وهو ايضاً ذكر الكتابة الثالثة المكتوبة بالبرانية بالحرف الاسطرنجلي وهذا تعريب ما بقي منها : « بسم الله الذي يُحيي الموتى في سنة ١ - لالاسكندر وقد ومات مرقس . . . »

وفي اهدن كنائس قديمة ذكرت في مقالة سابقة ما لها من الخواص الغنسية

للأجرام

وترى على مقربة من اهدن عدة قرى كالحلث وحسرون وغيرها من الضياع التي لا نجد فيها شيئاً من الآثار الناطقة عن قدمها . الا انها مذكورة في اخبار الطائفة المارونية كما نقلها الينا التقليد فيكون ابناء مارون اولك من خول هذه الاماكن ذكراً تاريخياً ولهم هم الذين انشاوها فسكنوها والله اعلم

٢٨ أَرْضُ لُبْنَان

لا يسعنا في وصف آثار لبنان ان نضرب صفحا عن شجر اختص به هذا الجبل دون غيره زيد شجر الارز الذي نُسب الى لبنان نسبة غير متفصصة . لكننا لا ننبسط الكلام فيه الا لئلا نود ما يفيدنا عنه علما تاريخيا وأثريا ونضع لارباب الطبيعة ما هو أحق بوصفهم

خفي من البيان ان الارز المذكور في الاسفار المقدسة هو هو ارض لبنان كما تشهد تسمية العبرانية والعربية التي لم تختلف منذ القدم حتى الان . وكذلك يوافق ارضا الذي ثمره ما جاء فيه من الاوصاف في الكتب المقتلة مثل بُسوقه (اشعيا ٢ : ١٣ حزقيال ٣١ : ٣ و ٨ طوموس ٢ : ٩) وامتداد اقصاه القنواء الورلقة الظل (حز ١٧ : ٢٣) ورائحته الرائحة التي تطرأ الارجاء (نشيد ٤ : ١١ هوشع ١٤ : ٧) وحسنه الذي يجعله فخرًا للبنان (اشعيا ٣٥ : ٢ و ٦٠ : ١٣) ووفرة في هذا الجبل (مز ٩٢ : ١٣ و ١٠٤ : ١٦ اشعيا ٤٨ : ٨) قال حزقيال (٣١ : ٣ - ١) ملخصا كل هذه خواص الارز وهو يشبه به ملك اشور : « هوذا اشور ارضه بلبنان بهيجة الاقان فيا - الظل شامخة القوام وقد كانت تاصيتها باردة بين اقصان ملتئة . المياه طمشتها والتمر رطبها . انهارها جرت من حول مفرسها ومبارجها ارسلتها الى جميع اشجار الصحراء فلذلك عند نشأتها ارتفع قوامها فوق جميع لشجار الصحراء ولمتدنت فروعها من كثرة المياه . في اقصائها عشت جميع طيور السماء وتحث فروعها ولدت جميع وحوش الصحراء . وفي ظلها سكنت جميع الامم الكثيرة وصارت بهيجة في عطلتها وفي طول عذاباتها لان اصلها على كل مياه خربة . . . فكل شجر في حنة الله ياتلها في بهجة فاني صنعتها بهجة بكثرة عذاباتها ففارت منها جميع اشجار عدن في جنة الله » فله من وصفه يوافق الواقع لاسيا في عهد النبي اذ كانت كل قم لبنان مكللة بجايات الارز . وفي قول حزقيال احسن تنفيذ لاراء احد الحدين من التورج ولسمه اوجين دي لاسال (١) الذي زعم ان الارز عُرس في لبنان على عهد السلطان صلاح الدين يوسف الايوبي

هذا وللأرز خشب صلب صقيل اصفر فاتح ذو خطوط حمراء، سطحه المروعة لا يفعل فيه الزمان ولا تقرب الأرضة والسوس ولذلك اعتبره القدماء البنّائين (راجع سفر الملوك الثاني ٧: ٧ و١ أخبار ١٧: ٦ و١٥: ١٠ و١٠: ٢٢ و١٤) واستعماله منذ عهد عيسى في الإنجيل كان اعظم الاسباب التي أدت الى ملامته

وقد ذكر الطليحي بليثيوس (١) ارض سورية كنخشب لا يصيبه الفساد وروى ان سقف هيكل ديانة في افسس الذي التهمته النيران بعد تشييده بنحو ٤٠٠ سنة كان من هذا الخشب . وكذلك كان قدمااء الشعراء يشيرون الاعمال المخلّدة والأرز (٢) . وما يشهد لهذا الشجر البقاء ان لايرد (Leyard) وحده بين عديدات اشجار ترويهال في غرود اخشاب من الارض صبرت على آفات الدهر نيفا و ٢٧٠٠ سنة قاظها واحاد صقليا فكانت كأنها قطعت حديثا . وفي الحف البريطاني قطع من هذه الاخشاب القديمة حسنة للمظهر صفراء اللون بارزة العروق . وقد أتي شي منها في النار قساح حرفها الذي اطرأه القدماء (٣)

اما استعمال الارز في البناء فكان متوقفا يتخذُه الهندسون لثبات الابواب وعوارضها وسقوف البيوت (راجع سفر التثنية ١٦: ٨ و٩ ولرميا ٢٢: ١٤) وهنفا ٢: ١٤ بل ربما التجأوا الى الارز لتصفيح جدران القصور ولهاكل بالواحه . وكذا فعل سليمان في هيكل اورشليم قال في سفر الملوك الثالث (٦: ١٥ - ١٧) انه « بنى على جدران البيت من داخل الواح أرز ٠٠ من ارض البيت الى جوائز السقف » وقد احب القدماء ان يصغفوا الجدران بهذه الاواح لأن حجارة فلسطين وسورية هي في الغالب كلسية فضرة لا تروق العين كالرخام والصوان والحجر المانع فتلافي هذا الخلل كانوا يصنعون الجدران بمقاطع من ذهب او فضة او خشب ثمين وكانوا يصفون الارز لبقائه . وكان داود قبل ابنه سليمان طلب من حيرام ملك صور ان يرسل له كمية من اخشاب الارز ليتنى بها بلاطة في اورشليم . فلما صار الامر الى

(١) راجع تاريخه الطليحي (١٣: ١١ و ١٦ و ٧٦ و ٧٦)

(٢) راجع Perce, *Satires* ١, 41 و Horace, *Epist. ad Phomae*, 32

(٣) راجع الشاعر ثرجيل ١3, *Reid*. VII, و التاريخ الطليحي لبليثيوس ١٣: ١٥ وتأليف لايرد 367, *Ninveh and Babylon*

ابنه فاراد ان يشيد ثارب ميكلًا يمتد من عجائب المعبر فضل الارض على سواء
تتم هذا المشروع الحظير
وكذلك صنعوا داخل الميكل الثاني في اورشليم نجش الارض ١١ وهكذا ايضا
جعلوا سقف الميكل الذي جده هيرودس ٢)

لما الابنية الاولى المسيحية التي شيدتها الملكة هيلانة مثل قبة القبر القدس
وسقف كنيسة بيت لحم قد اتخذوا لها ايضا خشب الارز الى ان جدها الصليبيون .
هذا فضلا من انهم كانوا يستعملون خشب الارز فيحتونها كما قال تائيل واصناما
اشيا (١٤:١٠) وقد قال مثله ايضا كل من يوسافاس ويليبيوس ٣)

ثم ان خشب الارز كان معتبرا ومستعملا في خارج سورية وفلسطين لان
منحاريب ملك اشور يتخرباثة صمد جبال لبنان وقطع منها شجر الارز ١) وفي
الحكنايات المملوكة ايضا يتخرب ملوك بابل واشور بثل هذه المأثرة لانهم كانوا في
الغالب يتقاضون جزية من خشب الارز . وكثيرا ما يرد في النص الاشوري ذكر
الارز موصوفا جليب العرف ومقولاثة ان ملوك نينوى وبابل كانوا يتخذونه جسورا
اوروافد في هياكلهم وقصورهم ٥) وكانوا يكثرن جدا من استعمال الارز حتى ان
النبي اشيا (٨:١٤) في مرض كلامه على سقوط بابل يصور الارز فوجا محبورا
بجراها . وكذلك كانت قصور ملوك فارس في عاصمتهم من خشب الارز ٦)

وقد عرف المصريون الارز وخواصة العجينة وكان الفنيقيون ينقلونه الى سواحلهم
بحرا ٧) فاتفقه القرارة لابيئتهم النخيمة كاقصور الملكة والهياكل الدينية وقد
اتتدى بثلهم الملوك السلوقيون في سورية وقد اصطنعوا منه ايضا اثاث بيوتهم لعدم
فساده . وذلك ما حدا الى ان يجثوا من نشارته على موتهم في تحنيطهم وطلوا

(١) حزرا (٣ : ٧)

(٢) يوسيفوس في حرب اليهودية (٥ : ٥٠ و ١٣)

(٣) التاريخ الطيبي (١١ : ١٣)

(٤) ملوك داج (١٩ : ٢٣) واشيا (٣٨ : ٢١)

(٥) Schrader مجموع كتابات اشورية وبابلية (١ و ١٨ و ١٠٨ و ١٤٠) الخ

(٦) داجع المؤرخ اللاتيني كورتيوس روفوس (٥ : ٢٢)

(٧) داجع تاريخ الصناعة في القدم لبيرو (Perrot) الجزء الاول (ص ٥٦٧)

برائتج خارج التوايت كما يشاهد ذلك في مداخل المصريين

*

فيؤخذ من كل ١٠ سبي ان تجارة الارز اللبناني كانت متمعة للنطاق . على اننا لم نذكر الاقسا صغيراً من الالبية التي كانت تجهز بهذا الحشب . فان الادوات الحربية والمجانيق كانت في الغالب تصطنع من الارز . ولا شك ان السد الذي اقامه الاسكندر بين الشاملى والجزيرة البنية عليها مدينة صور دخل فيه شيء كثير من خشب الارز

وقد روى المؤرخ ديودورس (ك ١٩ ف ٥٨) ان اقليتون الملك حاول حصار المدينة المذكورة في سنة ٣١٥ ق م . فارد ان يجوز له اسطولاً قوياً فأتى بثانية آلاف عامل عهد اليهم ان يقطعوا من ارز لبنان ما كان كافياً لتجهيز ٥٠٠ سفينة حربية . فقتل الحشب القطوع على ظهر الف دابة الى مصانع صيدا وجبل وطرابلس حيث أنجز العمل . قال الراوي : « وكان الحشب المذكور من الارز المرتفع القوام الباهر العظم » فرى من هذا المثل الوحيد كم عانت الحروب ارز لبنان . ولكن كم صبت من الحطابين غير الثانية آلاف الذين ذكروا هم . ولو اردنا لأوردنا امثلة عديدة تؤيد قولنا . ويؤخذ من رواية ديودورس ان كل قم لبنان كانت تزدهى بأشجار الارز من الشمال الى الجنوب يستدل على ذلك من ذكر المدن الساحلية التي نقل اليها الارز لهامة اسطول اقليتون . واذا استرغب القارى وجود الارز جنوبي لبنان فيذكر خير جواب ملك صور المشار اليه سابقاً

وما يؤسف له ان الحكومة المحلية لم تكن السفن تقطع هذه الثغبات بنظام . وعلى رأينا ان الرومان اول من فكر في هذا الامر الخطير كما يظهر ذلك من كتابات لأديان الامبراطور اوردنا مراراً مفادها ان الحكومة لا تسبح بقطع اربعة اصناف من الاشجار (١) من جبلتها الارز . ومع ما دهم الارز من الميث والفساد وى المؤرخين الرومانيين يذكرون غابته الكثيفة من جبلتهم بقميس المؤرخ (ك ٦ ف ١) . وروى اوسابيوس القيصري (ك ١٠) ان سقوف البيع كانت تتخذ عادة من خشب

(١) قد وردت هذه الكتابة في المشرق (٧٢٦:١) على خلاف هذه الرواية . والصواب ما تدونه هنا

الأرض في القرن الرابع

على ان السفن الرومانية لم تحفظ للبنان ضرر غايته إلا زمنًا قليلًا فانّ بروصكوب المورخ (١) يجر من يوستيان الملك انه بحث البحث الطويل قبل ان يجد الأرض الضرورية لتشييد كنيسة مريم المكيّة في اورشليم . وبعد التفتيش عثر البناؤون على ما كانوا يطلبون اي سوربي بسطة الطول كافية لمواضع سقف البيعة ولذا نلّنا تاريخ الأرض من ذلك الحين وجدنا يد التلف تسطو على غاباته حتى لم تكده تترك مشا غير اثر بعد حين . فقد ذكر ثوفان المورخ في تاريخ سنة ٦١٤٠ للملم ان معاوية اول خلفاء بني امية ابتنى ١٧٠٠ سفينة شراعية واتخذ مواضعها من جبل لبنان . ولم تقصر سنوات قليلة بعد ذلك حتى جهز ايضا اسطولًا ثانياً اكبر عدداً ولشد هولاً من الاول وقد هذا حذوه غير واحد من الحطباء في مسألة الانشاءات البحرية وكانوا يملكون اخص دور الصناعة وهي التي تسمى اليوم بمصانع الورشات او الترسات في مدنة طرابلس نظراً قربها من غابات الأرض . وما طون ايضا على تلف الأرض وكان من حملة اسباب قطعه صناعة استخراج الحديد ومعالجته التي كانت اثنا القرون المتوسطة شائعة في كثير من نواحي لبنان كما يؤخذ من تاريخ ابن بطوطة والادريسي والقليشدي . ثم ان الجهات التي أقيمت فيها مسابك الحديد وكانت في مبادئ القرن التاسع عشر زاهيةً بالنايات والاحراج المثلثة أصبحت ولا زى فيها اليوم بنّة خضراء . فهذه الطريقة والحالة هذه نستطيع ان نعلم سرعة فناء الغابات في جبل لبنان

اما الان فلم يزل شجر الأرض موجوداً في اربعة اماكن من لسان لائلك تجد منه اولاً في شالي لبنان بين قريتي الحسند ونيجا غابة يبلغ طولها نحواً من ساعة ونصف . نعم ان اكثر اشجارها خشباً وليس في كل اماكن القلب بثلثة ولكن اذا اقتض ما يلزم من الاحتياطات لصباتها لائلك ان تصير بتادي الايام حرجاً من التلف الاحراج وأنقها

وثانياً في اعالي قرية سير ببلاد الضيفّة في اعالي وادي النجاص فهناك كثير من

شجر الارز على ارتفاع ١٩٠٠ متر من مساواة البحر . وتجعد الارز ايضا بين سدر ونوع السكر ثم في القابة الواقعة خلف وادي جيتم (١) والقوم في تلك الناحية يسوونه قنوب (٢)

ثالثا في لبنان كيف ثالث من شجر الارز لا مرة الا القليلون ثابت في الجبال المشرفة على قرية الباروك وعلى مسافة ساعة ونصف من الجنوب الشرقي وهو هناك بيئة غابة غيا . قنط على مسافة ساعة طولا غير ان شجر الارز في الحبل المذكور يوجد أفاقا ينصل بعضها عن بعض في الغالب بمسافات خالية او مشغولة بأشجار أخرى من جهتها السديين وهو من نوع السنديان الذي يثبت في شمالي اوردية واهل البلاد يسوونه الثلث ويسمون الارز الأجل . ولوز الباروك بوجه الاجمال قتي ولكن قد تصادف فيه بعض اشجار متينة غير انها اقل سقا وارتفاعا من الارز الموجود بناحية بشاري لان ثقل الثلج في مثل هذه التراخي العالية كثيرا ما يكسر قمم الشجر كما ان شدة الريح تحنيها حتى تحطمها منبسطة كالظلة على هوى الريح . فضلا عن ان السدود تنفرع عادة الى فروع قصيرة مظلمة وكبيرة . لما متى كانت الشجر مجتمعة قفا واحدا قد ترى جذوعها سامة مستطيلة وخالية من الفروع غير انها تكون اقل شخانة نظرا لشدة قربها بعضها من بعض . على ان ارض الباروك بما فيه من الشجر الكبير والصغير والنقي الثابت على اصول القديم يمثل للمين غابة حقيقية اكثر من ارض بشاري

ولكن حياة هذه الغابة الحبيطة زاهية لسر الحفظ مهددة كل ساعة بالقناء والدمار لانها لا كانت ملكا لقرية الباروك كانت بلدها تأخذ بالتطلع منها قاء بعض دريحات تتجمع بها فن تم نستقلت الى هذا الامر اطار الحكومة اللبنانية

اما اشهر قيف من شجر الارز قنابة بالقرب من قصبة بشاري وموقعها على طول ١٩٢٥ مترا فوق مساواة البحر في منح الجبل المعروف بظهر التضييب . والقربة الثابت فيها الشجر المذكور كلسية ولكن الورق الذي يتساقط منه ادى شيئا فشيئا الى

(١) وقد ذكر ارض النقية الرحالة سيقن (١) ص ١٧٦

(٢) راجع للجنة الفلسطينية الانتكيفية سنة ١٨٩٣ (ص ٢٣٠)

تكوين قشرة من التراب الاسود . وفي قلب هذه التابة كنيصة صغيرة للموارة
قيسون فيها الاختلافات كل سنة يوم عيد التجلي

واضلم شجر الارز ثابت في جوار الكنيصة المذكورة ومنه ارضة يبلغ محيط جذعها
اربعة عشر متراً و٥٦ سنتيمتراً ثم ارضة أخرى تقاومها في هذه الضخامة . والارزتان
المذكورتان هما اقدم شجر الغاب وقدّر بعضهم ان عمرها لا يقل عن ثلاثة آلاف
سنة (١) . قال بذلك الحيولجي الشهير الدكتور فراس الذي بنى حسابه على العقد
المتتلة الموجودة في الشجرتين

واكبر ارتفاع تباطه هذه الشجر لا يتجاوز ٢٥ متراً وفي جملتها شجرات يقاوم
ارتفاعها بين اربعة عشر واثنين وعشرين متراً والباقي يقل لارتفاعه من اربعة
عشر متراً

واما جملة شجر التابة فهو نحو ٣٩٧ شجرة يدخل فيها الشجر الصغير الذي لا
يتجاوز لارتفاعه سبعة امتار وهو مما وقف الشجر الكبير في سبيل غوه مانعاً عنه الهواء
اللازم لذلك . وفي التابة ايضاً شجرات اشتدّ قربها الى بعضها كثيراً حتى تلاذت
جذوعها واصبحت كأنها جذع واحد

ومن يقابل بين اخبار السياح والحوالة الذين زلروا هذه التابة يرون ان ارض بشراي
قد زاد عدداً في ايامنا . لان الارز المذكور كان في القرنين السادس عشر والسابع عشر
قد تناقص بل اوشك ان يظف لولا عناية بطاركة الموارة الذين تهددوا بالحرق كل من
يعدّ اليه يداً حادية

واول من تكلم عنه هو يانوس (٢) الافرني وعدّ منه ثمانية وعشرين ارضة
قديمة . ثم السائح الالافي فرديفون هايغندروف (٣) سنة ١٥٦٦ وعدّ منه خمساً وعشرين
ارضة . ثم المثأب واولف (٤) الذي زلره سنة ١٥٧٥ ولم يعدّ منه غير اربع وعشرين

(١) راجع المجلة الفلسطينية الالمانية (ZDPV) مجلد ١٠ ص ٩١ وكتاب ايبس وغوته
(مجلد ٢ ص ١٤) لخون Palestina im Wort und Bild
Belon (٢)
Förer von Haimendorf (٣)
Rauwolf (٤)

أرزة . ومن بعد هذا التاريخ ذكر الذين انهبوا عن الأرز من جلتهم الأب ايونيسوس دنديني اليسوعي قاصد الكرسي الرسولي الى الموارنة قائم زاره سنة ١٥٩٩ وعد منه ثلاثاً وعشرين أرزة . ومنهم دارفيو ١١ الذي زاره ١٦٦٠ ومنهم روجيه وفيه ولم يجدوا اذ ذاك غير اثنتين وعشرين شجرة . ومن بعد هؤلاء زاره المورخ دي لاروك سنة ١٦٨٩ فوجد فيه عشرين شجرة والامتكليزي موندريل سنة ١٦٩٦ ثم بوكوك وعدّ الاول ست عشرة والثاني خمس عشرة قطع . غير ان الشجرات التي قويت لحسن البضت في اثناء هذه المدة على ان تنمو تدريجياً وتوض عن الارزات القديمة

وفي تضاعف القرن الثامن عشر تعددت الغابة شيئاً بعد شيء وتوتت اعمار الشجرات التي الى هذا التاريخ ومن ينظر الى ما فيها من اللقد يُقدّر ان اعمارها لا تزيد على قرنين

وفي ٢١ تموز سنة ١٨٠٥ جل سبتين عددها ثلاثمائة أرزة بنوع التقدير اذ يظهر انه لم يبق واحد فواحدة . وفي سنة ١٨١٠ احصاها يرخارد ثلاثمائة أرزة صغيرة وخمسين متوسطة وخمس وعشرين ضخمة وجملة ذلك ٣٧٥ أرزة . وقد ذكر هذا العدد نفسه تقريباً الجيولوجي فراس الذي زار الغابة سنة ١٨٧٤ ثم يدل على ان عدد الارزات قد بقي في زمانها على حاله

ومع كل ذلك لا يتبع تكثيرها وفراها من تكرار ما سبق لنا ايراده في هذا الشأن نحيل القارئ على المشرق (١ : ٧٢٧ و ٣ : ١٧٦) حيث أضنا الكلام في الأرز وأقنا المقابلة بين لبنان وجبال الألب

وقد مر القول ان الأرز يوجد ألقاً متفرقة ما بين كبة وصغيرة في اماكن مختلفة من جبل لبنان . وهذا يثبت انه يقوى على النجاح والنمو فيه . بقي ان نقول ان الأرز يوجد ايضاً في تنائيل التابعة للبحر وذلك في ارض الابهاء اليسوعيين الذين امتحنوا زراعتهم عندهم فافهموا . اما في خارج لبنان فيوجد الأرز بكثرة في جبال قرمانية وجبال جزائر الغرب وكل هذا من شأنه ان ينشط مساعي الذين

يمتثلون بحفظ الاشجار الجبلية التي كانت زينة وحلية لهامة لبنان منذ الدهور
القديم (١)

٢٨ الكورة

الكورة من اخصب انحاء لبنان تجمع بين ارفاق السهل والجبل . ولا مرء ان
الناس سكنوها منذ القرون النائرة . ولو بقينا للحكم على ما يوجد من التشابه بين
اسم قريتها « اميون » وعلم آخر « أميا » ورد ذكره في مكاتبات تلّ العبدانة
(المشرق ٣: ٢٨٩) لصح القول انها اقدم مقاطعة في داخل لبنان احتلتها السكان .
وفي الكورة آثار ترقى الى عهد اليونان والرومان كما سترى

٢٩ دار بشتار - بززا - نلوس

اذا ما قطعت نهر الحوز الناصل بين مقاطعتي الكورة والبترون قبيت بادنا
دار بشتار . وهي قرية فيها شيء من بقايا القرون الوسطى منها كنيسة ذات حنية
محكمة العمل تكتنفها اخربة قديمة من العهد نفسه . غير ان اسم دار بشتار جدير
بالاعتبار . وهو مركب من لفظتي بيت وعشتار . وعشتار هذه هي إلهة الفينيقيين
الشهيرة . فيستدل بذلك على ان هذه القرية كانت سابقا هيكلًا لمشتوت يبدوها
فيه اهل لبنان

واذا امتّ الشمال الشرقي بلغت بعد قليل قرية بززا ولعل اسمها منحوت من
بيت بززا . غالبًا اختصار لفظة « بيت » شائعة كجديدات وجمدون وبزمار . اما
بززا فاحد الالهة الساميين مر ذكره في المشرق (١ : ٢٢٩) . وفي بززا هذه هيكل
صغير قديم العهد حسن البناء لم يفضضه حدائق الدهر . ولما تنصّر الاهلون جعلوا
الهيكل كنيسة وأضافوا اليها حنايا أغرّوها بأديّة حتى اليوم . وهم يدعونها كنيسة
الموايد او سيدة الموايد لا يذبحن واجهتها من الاعمدة . وليس هناك كتابة تفيدنا
عن امر هذا البناء القديم وغايته

(١) لما طرقة تكتنّفها فراجع في غانا، ZDPV، 93 و X.

وتس على ذلك قرية نوس التي موقعها شمالي شرقي يوزا على مسافة اربعة كيلومترات منها . وهي فوق ديوقة قرية من عين عتريم الحالية . وما نوس الا تعريب للفظلة اليونانية *nos* يواد بها الميكل . واذا استثنيت بليك وأكروها الجبارة لا تجد في كل لبنان ما يضاهي بقايا نوس ولطالما اتساعاً عظيمة . لما نقوشها فهي ايضا دون نقوش بليك دقةً ولحكاماً وفيها مسحة من الصناعة السورية . وهي من عهد الرومان كابنة بليك

وفي نوس اخيرة هيكلين كبيرين يلاصق احدهما الآخر يحدق بهما سوران رحبان وفي وسط كل منهما مبد قليل الاتساع ترتبة اعمدة موصلة تراها على صورة هيكل حصن سليمان في جبل النصيرية (١) واركان الابواب التي يدخل منها الى حرم الميكل من الحجارة الضخمة وهي منتورة على شكل دجج . وآثار هذا الدجج باقية حتى يومنا . ولا ريب انه كان في الزمن القديم لهذين الهيكلين منظر يأخذ بالابصار . وكان التماظر يكشف من هذه الاكمة المرتفعة نحو ٦٠٠ متر فوق سطح البحر على كل الساحل من البقرون الى ما وراء طرابلس . وهو يرى سهول الكورة ومزارعها الجميلة بامتداد امامه

واذا سلطتُ النقوش التي على الميكل الشرقي وجدتها خشنة غليظة . وليس هناك من الحجارة الضخمة سوى مساند الابواب والصفائح المثثة الزوايا التي تعلوها . اما بقية الحجارة فهي متوسطة الكبر كحجارة اققا وقلة قترا . وفوق باب الدخول صورة كريمة مجسمة ترتبة وقد ألف الصيغيون مثل ذلك في هياكلهم (راجع وصفنا قرية اده في الصفحة ٦٨)

لما الميكل الآخر الذي موقعه جنوبي عربي الميكل السابق فبين بقايا حسنة من قروش ابرايو . وقد وجدنا بين ردم الميكل تماثلاً نصيفاً يخل البهل وعلى رأسه شعاع الا ان قشرة خشب ونظن انه سقط من الكورة التي تملأ مدخل المبد . ولهذا الميكل سور حجارة جبارة تشبه حجارة ديو القلعة يبلغ طول بعضها ستة امتار

(١) راجع مقالنا الافرنسية المنوثة « في بلاد الصيرية » (Au Pays de Nossiris)

وضرب صفحا عن الدافن الجميلة والمساطع القسمة والتواويس المتقوشة التي تروى حول قرية فأوس ثلاث نصوص الى ذكر آثار وصفناها مراراً . على ان هذه الدافن والمقاطع تدلّ دليلاً يتنا على ان تلك الانما كانت في الاجيال الحالية عامرة حافلة بالسكان وان لم يُفدنا التاريخ من امرها شيئاً . وكذلك لم يكشف احد حتى الآن بين هذه الاثرية كتابة تفيدنا علماً عن اخبار السلف

٣٠ اميون

قد سبق لنا القول عن اميون وقدمها . اما الآثار الباقية فيها قليلة لا يُبأ بها . من ذلك صخر منحوت نُقِرت فيه كوى او مشاكٍ . ومنها كهف يُرى اليوم تحت السراية الجديدة كان في ما سلف من الزمان مدقاً ثمُ جُعل مبعداً للذكر القدسية مارينا . ويقرب الكهف اخري كنيسة حنيقة بقي منها حنيّتها وكان مبعداً القدسية مارينا تابعاً للكنيسة معدوداً كأحد مصلياتها

وقد تكرر ذكر اميون في تاريخ اللوارة القديم . وكانت اذ ذلك مركزاً مهماً للسكّين كما هي اليوم . ومن ذكروا اميون الشريف الادريسي في مسكناؤه تركة المشتاق اما الصليبيون فلم نجد اسمها في تآكينهم وهم يصفون مع ذلك غيرها من قرى الكورة (ويدعوها La Core) ومن املاكهم في هذه المقاطعة كنز قاهل (Caphrahael) وبترافيش (Boutourafig) وبلرومين (Bertrandimir) وبهميون (Bethamum) وغير ذلك من الاسماء التي شوّهها الفرنج باللفظ ويسبل اصلاها

٣١ المصلحة

للبقون الى طرابلس طريقان الواحدة على ساحل البحر والاخرى جبلية فن سافر في طريق الجبل جاريّاً لوادي نهر الحوز (وهي اليوم طريق الربات) وصل بعد مدة قليلة الى حصن يدعى المصلحة وهو حوزٌ منيع مرفوع فوق صخرة منتصبة على الوادي عمودياً . والوادي في هذا المكان ضيق خرج للتخلف اما تاريخ هذا البناء واخباره فجوهلة لم يرشدنا اليها احد من الكتبة . ولعل

القدماء في الأجيال الناصرة كانوا شيدوا هذه القلعة فجعلوها كمقرب لمركبات العدو في مضيق لم يكن لهم نسيئة من الاجتياز في وسطه. ذهاباً الى طرابلس وأياماً منها الى البترون. وما لا شبهة فيه أن أبية السليمة الحالية لا تتجاوز القرون للتوسط ولا يبعد أن الصليبيين رعموها بعد خرابها ان لم يسبقوا الى بناها. وقد يجثا في اوصاف البلدان قداماء العرب وفي آثار الصليبيين فلم نجد لاسمها ذكراً

وفي كتاب رحلة السفاردي لاروك (١) الافرنسي (De la Roque) أن الأمير فخر الدين هو الذي بنى للسليمة. وعلى ظلتنا انها اقدم منه. وهذا وانما نسبت اليه كما نسبت غابة بيروت مع كونها قبله زمن مديد (راجع مقالنا في المشرق من اصل هذه الغابة ١٩٣٩:١)

واذا خرجنا من السليمة وابتعدنا عن الطريق للردية الى طرابلس فبلنا الى الشمال قيسياً شبةً يُقضى بن توقلة الى سطح جبل فسيح يُعدّ قسم من مديرية القوطع ويتهي في شماله الغربي برأس الشقة (٢) وُدُمي الجبل جبل رأس الشقة

٣٢ جبل رأس الشقة

هذا الجبل قائم بنفسه متقطع من بقية لبنان يستأثرت اليه النظر من بعيد يبيته القرية ووعورة مرتفاه. وفي سطح الجبل عدة قرى حارة حتى يومنا هذا اكبرها حامات. وكان لهذه القرية كنيسة قديمة لها كانت مزدانة بكنائيات (٣). غير أن هذه الأكواد درست لآ بُنيت الكنيسة الجديدة

وهذا الجبل حافل بالاديرة كدير سيده النورية ودير مسار الياس ودير حنوش وغير ذلك من المراتب التي شيد اكثها فوق ابية قديمة وهذا ما يحود بإرباب العاديات

(١) راجع كتاب رحلتي (ص ٢٠٧)

(٢) هذا الاسم أصبح من « رأس الشقة » الذي استعملناه سابقاً في مقالنا عن الزلازل في سورية (المشرق ٢٠٥:١)

(٣) راجع بقية لفيقية لبنان (ص ١٤٥). ونحن نقتبس هذه القرية لتكرّر عبارات الشكر لاهل حامات الذين تحفوا بنا بعد ان تمنا في مشارف ذلك الجبل للقرية ليس يبدأ من حنوش وبها طامة لينا مهاداً الارض وعلتنا السماء

الى ان يقدموا الى زيارة هذا الجبل الصّرد. ولو زاره الجيولوجيون والجغرافيون لوجدوا فيه ما يمدحهم علماً

فتباشرن بوصف القسم الشمالي من هذا الجبل اعني رأس الشّمة فتقول: ان هذا الرأس ينتصب كصخرة صماء ويدخل في غمر البحر مشرقاً على كل البلاد المجاورة وعلوه يبلغ ٣٠٠ متر. واذا نظر اليه السافر القادم من جهة طرابلس رأى شكلاً اشبه بدارعة هائلة قائمة فوق ثبح البحر لا تبدي حراكاً في رأسها هزازاً مرعب لناولة عدوها. وفي جوانب هذا الرأس اخاديد تشهد بما دهمه من الزلازل في كروار الاجيال فتضمضت اركانها وتقلعت اوصافه. نخص منها بالذكر الزلّة التي حدثت في عهد يستيان الملك ومّرّ لنا وصنها في المشرق (٥٠٣: ١). وهذا الزلزال غيّر هيئة رأس الشّمة بل الحق احواله بالجبل المجاور لهذا الرأس فشوّه صورته

وكان القدماء (١) يطلقون على هذا الرأس اسماً غريباً في معناه فيدمونه وجه الله (Θεοσποδονισσος). امّا النصارى اليونان فابدلوا اسمه باسم وجه الحجر (Αἰσχροπρόσωπον) وهو اسم قرية مجاورة له موقعها فوق سطح الجبل جنوباً. ومما يفيد التاريخ ان الالهة تأثت بمعبودة الفيلقيين كانت تدعى باسم «وجه بل» أفلا يسوع لنا ان نستخرج من هذه الدلائل ومن القليلة بين هذه الاسماء ان الفيلقيين كانوا اختصوا هذا الجبل بعبادتهم لا سيما ان صورته الترمية تستلقت الانظار. وهذا الظن يتأيد بجل جبال اخرى في ساحل بحر الشام كان القدماء يظنونها تظليهم للالهة كجبل الكرمل والجبل الاقارع شمالي اللاذقية وغيرها. وكان جبل لبنان نفسه مكرّماً كاله يبدونه ويدمونه بل لبنان. امّا تسمية الكنيسة الفرنج لهذا الجبل برأس ماديون (Cap Madonne) فليس هو كما زعم رينان اثرأ لعبادة الالهة تأثت بل «ماديون» تريب كلمة «السيدة» قيلت له رأس السيدة اشارة الى سيدة للتوراة التي بُني هناك ديراً باسمها. وقد ذكر الجغرافي اسطرابون ان في زمائه كانت قلعة مشيدة في اعلى رأس «وجه الله» وان في هذا الجبل ليس بعيداً من البقرون اغواراً وكهوفاً يادي اليها اللصوص وقطاع الطريق كانوا يسيثون في البلاد حتى اجتث برومبيرس دابرههم واستاصل شأقتهم. ولعل

(١) راجع الجغرافيين كاسترابون (١٦ ف ٢) وپوليوس وغيرهما

هذه المخاور هي الاغوار التي تُرى في يومنا ما وراء قرية « قبة » قريباً من قرية وجهه الحبر وهي ولسمّة تُشرف على البحر (١)

وإذا سرت من البتون على ساحل البحر قاصداً حثوثاً تقرأ « ١٤ » مزرعة تدمي سلعا عندنا نبع جار . وهذه المزرعة لم انتقد آثارها في رحلتي . واني أتأسف اليوم على فوات الفرصة لأنّه يُحتمل ان سلعا هي في مكان بلدة قديمة دعاها القدماء Σελανω او Σελανω وقالوا عنها انها كانت كرسياً استقياً وجعلوها مع جيفرتا وأثقة (٢) ولكن لا بد من تحقيق الامر والاستطلاع على آثار المكان . وعلى كل حال لا يخلو وجود نبع في هذا الساحل الرملي القفر من الدلالة على مقام قديم

وراء سلعا هذه جون صغير يفضي اليه مسيل ماء ناشف يدمي وادي غميق . والطريق التي تمرّ حول هذا الجون متفورة في الصخر كالطريق الرومانية التي تُرى عند نهر الكلب . وعلى جانب هذه الطريق صخرة قد كُتب على وجهها أقياً باليونانية ما ترجمته : « هنا يتهيأ ملك ديوسورات . وقد اتفقتا على ذلك » . وهذه الكتابة ضخمة الاحرف طولها ٣٠ سنتيمتراً وهي كما ترى نصبٌ يُعجل للدلالة على حدود الاملاك ومثلها كثير في منطف لبنان الشرقي بين بحيرة البسوة وعلبك



وإزاء هذه الكتابة على الصخر المموحي الذي

يجاورها رسم ترويع بروتين على هذه الصورة وليس

ضمن الترويع شيء . ولعله كان فيها سابقاً كتابة طسبها الدهر لكنني لم اجد فيها اثرًا للعرف كالسباح الذين سبقوني الى هذا المكان

وهذه الكتابات مع قر الصخور تدلّ على ان القدماء مرّوا في تلك الانحاء . ولا ريب ان الطريق كانت تحتاز في هذا المكان ولها هي الطريق الرومانية التي كانت تتبع ساحل بحر الشام تنطف باسطافاته مارةً حول رأس الشقة . والمرجح ان الجيوش الرومانية كانت تسير في هذه الطريق الساحلية لان الطريق الجبلية الحالية كجيرة

(١) راجع الرحالة ستدن (Setzen I , 291)

(٢) راجع رولند (Relandi Palestina , p. 216) والجلّة الفلسطينية (اللاية ZDPV)

(243 , XXII) يد اتا لا نيت حكك في ما قدّمنا

المعمورة صمبة المرقى وليس فيها شيء من الآثار الدالة على اعمال الاقدمين. ولم يكن قبل طريق البريات اخديشة طريق غيرها تصل بين طرابلس واولسط لبنان. اما الطريق القديمة على وادي فسق وحنوش وراس الشقمة فلم تعد مسلوكة. والارجح ان الزلزلة التي جرت في عهد يوستنيان دمرت هذه السبل واخرتها

٣٣ حنوش

اذا جئت من ثم وادي عميق بلغت بعد زمن قليل حنوش. وحنوش هذه هي اليوم عبارة عن دير صغير للروهبان للوارثة البلديين يحدق به بضعة بيوت لسكنى الشركاء. ولكنها سابقاً كانت قرية ذات شأن (١) كما يؤخذ من الآثار العديدة التي تراها مبثوثة في السهل للجوار لها بينها معاصر وحجارة رجي ورووس اعمدة. وهناك رسم كنيسة قديمة من الطرز البيزنطي تُعرف اليوم بكنيسة القديس يوحنا طولها ٢٣ متراً و ٥٠ ستمتيراً في عرض ١٥ متراً. والرجح انها كانت مثلية الاسواق وحولها قطع اعمدة من الرخام مع صلبان منقوشة وبقايا كتابات يونانية ذهب اكثها فضاءت ممانها بيد ان هذه البقايا تشير الى خطر ذلك المقام الديني وعظم قدره. وكذلك ترى من جهة الشرق مدافن نُقِرت في الصخر قد اكتفتها الالام

واغرب ما يوجد في حنوش من الآثار جرن منقوش العمل قطره مقدراً ٤١ س وعمقه ١٠١٥ يبلغ وزنه ٢٣٠٠ كيلوغرام يستدير به نقش ثلثي ذو كتابة يونانية مطبوعة يُستدل من الفاظها الباقية ان فلان ابن فلان اصطنع هذا الجرن من ماله الخاص هبةً للمشتري (ἱερὰ δῶκε) وكلا الملوك الواردين في هذه الكتابة سامي الصورة والاصل يُدعى احدهما انيلوس (Ἀνίλος) وهو اسم ارمني يحتم والاخر فاراس (Νεαφάρις) يشبه الاسماء اليونانية المنقولة عن العربية مما ورد في كتابات حوران. وفي تعريف اصول هذه الاعلام فائدة كبرى للوقوف على سكّان هذه الامكنة وغيرها ايضاً فانها تدل على ان الاهل كانوا آرميين جنساً وان كانت اللغة اليونانية اضحت لتتهم الرسمية

(١) وقد وصفها حديثاً سيادة المطران بطرس شيلي في المجلة الكتابية (R. Biblique, 1901) ٥83 واتفق على ما كتبه رومان بهذا الصدد

فإن الاعلام اصدق اثر يبيّن باصل القوم وذكر اجدادهم . وامثال ذلك عديدة قبائل القرونك . مثلاً بعد استيلائها على بلاد غالية ابدلت لهجتها الجرمانية باللمسة اللاتينية . لكن كثيراً من اعلامها بقيت على مسحتها الاصلية فكذلك يبا دليلاً على تشعب القرونك من الناصر الجرمانى

وقد وجد البعض آخرًا في جولد حنوش قودًا كثيرة من الذهب عليها كلها صورة يوستينوس الملك . وفي هذا ايضاً دليل على ان هذا المكان في سالف الدهر كان احل بالسكان منه في ايماننا . ولكن ماذا يا ترى كان اسم المحل سابقاً ؟ نجيب ان في تعريف اسمه القديم بحثاً مفيداً لجغرافية لبنان اعني تطبيق هذا المقام مع بلدة قديمة تدعى جيفرتا

٣٤ جيفرتا

اذا عملنا النظر في تاريخ القدماء . وجدنا في اسطرابون (ك ١٦ ف ٢) ما لم يفر بالفرس المقصود . فان غاية ما يملنا به هذا الكتاب ان جيفرتا حصنٌ حُرُفِيٌّ عِظْمَةٌ الاثريين موقعه ضد البحر قريباً من البترون ورأس الشقمة (Boumpouronov) . على ان في هذا الوصف بعض الابهام اذ لم يفتأ من جهة موقع جيفرتا أن تكون شمالي البترون لم جنوبها . وهذا الالتباس يؤيد المؤرخ بلينيوس (ك ٥ ف ١٨) ومن قوله يتضح ان جيفرتا شمالي البترون وجنوبي ترابرس (وهي اقله كما سترى) . وكذلك قد ورد اسم جيفرتا في قائمة قديمة للمدن الاسقفية التي موقعها على الساحل الفينيقي في اثر البترون وتدعى هناك قرية (Kephka) (١) وهذا مما يبين ان جيفرتا كانت غامرة الذكر على ايام ملوك القسطنطينية . ولا يمد لنا اخذت في الاخطاط منذ زمن يستيان الملك بسبب الزوال الذي اخرج الطريق القديمة واضطر اهل السابعة ان يسيروا في مضيق السليمة . وهذا ايضاً يملل سكوت المؤرخين العرب عن جيفرتا وما يملنا على خطر جيفرتا في ايام دولة الرومان كتابة لاتينية اجتهدا رجان في بحث فينيقية (ص ١٤٨) يُستدل بها على سمة حدود تلك البلدة . وقد وُجِدت هذه

(١) راجع Relandi Palestina, 160. ولعل كنيسته ملار يوحنا في حنوش هي الكنيسة الكاثوليكية التي اتخذها إمالة جيفرتا

الكتابة في معين وقيل انها نُقلت اليها من السليحة او من الحري فوق شكاً وعلى كل حال انما ينبغي وجودها في احد هذين المكانين بان جيفرتا المذكورة لم تكن بعيدة من راس الشقمة وعن شمال البقرون لأن مثل هذه الحجابة لا تُنقل عادة الى مكان قاص.

وهذه الملاحظات اذا امارها المتقنون بالآتحقوا ان جيفرتا ليست بـزغرتا كما ظن بعض العلماء كـفورر (Fürer) (١) وهو لم يسند رأيه الى برهان آخر غير التشابه اللفظي بين الاسمين مع ان موقع زغرتا لا يوافق وصف الاقدمين لجيفرتا لبعـد زغرتا من البحر في شالي افة ووقوعها في وسط سهول خصبة لا تصلح للتحصين بخلاف ما جاء من حسن جيفرتا المشرف على البحر. وملاوة من ذلك لم نسمع ان احداً وجد في زغرتا شيئاً من العاديات. على اننا لا ننكر كون زغرتا من القرى القديمة التي استقلت اثار الاسم النارية بحسن موقعها في بطائح منصبة ولودية غناء يستقيها ماء نهر غير لكننا لا نرى فيها مناعة القلاع وليست هي جديدة بان تحصن بها اصوص الاثوريين وتطأ الطريق كما جاء في وصف جيفرتا

وكذلك لا يصح تطبيق جيفرتا مع غرزوز لبعـد غرزوز جنوباً من البقرون. ولا مع شكاً لوقوعها في السهل او في منطف آكلم قليلة الارتفاع. ولا مع الحري لخلوها من الآثار القديمة وان كان وصف الاقدمين يوافقها بعض المواضع من حيث الموقع الا انه لا يجوز ان ينسب الى قرية اصل قديم قبل ان يكتشف فيها شيء يدين قديمها لما حنوص قصدت فيها كل الاوصاف التي وردت من جيفرتا من حيث قدمها وكثرة آثارها واتصال السكة القديمة النقرة في الصخر عند وادي غميق بمقامها فضلاً عن موقعها في لحف راس الشقمة قرب البحرين افة والبقرون. وترى من خلقها صخوراً عالية مقطوعة قطعاً عمودياً تصلح قسماً لتكون معلاً لقوم من الصائلك وعشاً لاهل النني والثقت يششون بها دون ان يابوا مباحة المدو. وقد شهدا بالبيان وحودة هذا المكان وصورة مسلكه اذ اندركنا الليل ونمن فوق هذه الصخور المرتفعة نمدق بنا من كل جهة المهادي والهاد الميعة فائرنا ان نقضي ليلنا في التراء من ان نلقى

بانفتسا في المخاطر بجواصة السيدين تلك الجاهل. هذا وظن ان اهل الفساد من الجيفوتيين بعد الفتح الروماني واستناب السلام تولوا من مأويهم الحديثة فسكنوا في السهل الممتد بين البحر والصخور حيث توجد الاخيرة القديمة
 أما اسم جيفوتنا (باليونانية Γεφύρας و Γεφύρας و Γεφύρας فنظف سامي الأصل يوافق المبرانية Γεφύρας والسريانية جفوتنا ومعنى كلاهما الضيق وشب الجبل وهو ينطبق على موقع المكان ولغة ساكنيه القديمة اي الارامية وهي لغة الايتوريين الاصلية. وهذا المعنى على رابنا نسب للمقام من اشتقاق الاسم من اليونانية Γεφύρας وهو ثقل النصب (راجع بحث فيليقية ص ١٥٠)

٣٥ أنفة

أنفة مأ وراء رأس الشقمة في اخر السهل الذي بُليت فيه شكاً وهي مركز لدرس العاديات. والقرية الحالية موقعا بقرب رأس مستطيل دقيق يشبه البرزخ. وقد نُخذ هذا الرأس في عرقه بشبه خندقين قُفرا في الصخور قرأ صعباً. تسمى يبلغ سطح البحر. ومن اعتبر هذين الحديقين اخذه الاتدهاش من شدة عزبة الاقنمين في مباشرة مثل هذه الاعمال الجبارية كيف فتحوا الصخور الصماء كل صلابتها علين بين ايديهم او كانت لديهم ادوات قاطعة غير ادواتنا الشائعة اليوم. وبين هذين الحديقين والقرية ترى اصملاً اخرى غريبة في شكلها على جانبي الرأس اللوما اليه وكلها منقورة في الصخور ويلحق بهذين الاخدودين بقايا ابلية ضخمة متصلة بها ذات حجارة كبيرة مستندة الى الصخور. وهي آثار جدران تشبه جوانب قلعة جبل شهاً عظيماً في توت حجارها واتحام هذه الحجارة بعضها بعض بحيث لا يشك الناظر ان ثمت كان حصن مشيع ويؤيد ذلك التقليد اهل أنفة الذين يدعون هذا المكان بالقلعة

وبين الحديقين المذكورين والقرية ترى في الصخور من الآثار النحوتية العكسة العمل ما يندر مثله في لبنان والحمامات والمدافن والاحواض وكلها اطناف واغارو حجة حسنة الصحة. وهناك ايضاً رحي ومماصر عديدة مبثوثة في الحضيض. والصخور طبقات منغلقة يُقل منها الى البحر بماير على جوانبها شبه الدوائر. وفي مداخلها ثقب لمرآج الابلوب وروقاتها. وفي جانبي الحائط أغوار عديدة منحوتة في الصخور عمودياً

ومنها ما هو متقن المندام يصلح للسكنى. وكذلك المدافن فإن لها مسحة من القدم وهيئتها غريبة

أما بُناة القلعة فنُصِّح انهم الصليبيون لا بين آثارها وآثار جليل من الشبه. وقد اثبتنا سابقاً ان قلعة جليل من اجهة الفرنج (راجع الصفحة ٦١). وفي تاريخ بروكرد ما يشير الى هذه القلعة قائلاً وصف للفرنج في اقلية « قلعة كان معظم جوانبها داخلها في البحر ولها اثنا عشر برجاً وهي شديدة الحراسة »

لكن المحققين الفاصلين الراس عن الساحل على رأينا ليسا من احوال الفرنج فاقبلنا اقدم عهداً يرتقيان الى عهد الرومان ان لم نقل الفيلقيين. والفيلقيون كما لا يخفى كانوا اتخذوا في ساحل بحر الشام كل الرؤوس البارزة ليجعلوها محاصن يرقبون منها البحار وينافسون بها عن سفنهم الراسية قربها كما جرى لهم في عكا وصيداء ويبروت وجليل فلا ظن انهم لم يستقروا من هذا الحكم راس اقلية فتكون هذه المتاريس والحنائق بما حصنوا به قلعتهم وقد رتبهم في حفر هذه الاخاديد انهم اتخذوا منها مواد بناءهم فكانت بمثابة مقالع لحجارة القلعة

ونرى كذلك ان بقية الآثار الموجودة في اقلية متناثرة في الصخر اقدم عهداً من الصليبيين

وكان اسم اقلية قديماً ترابريس (Tرابلس) ذكرها المؤرخون سيكلوس وبوليبيوس ولسترايون وغيرهم من كتبة عهد الدولتين اليونانية والرومانية وقد ورد اسمها في لائحة الاستقليات القديمة. أما اسمها ترابريس فليل اقلية مشتق من اليونانية ومعناه « الثلاثة الزوايا » لشكل راسها الشبيه بالثلاث المستطيل (١). وكذلك معنى اقلية بالحرية يراد بها الراس. والشريف الادريسي يدعوها « اقل الحبر » ولعله التبس عليه

(١) هكذا زعم البعض لكننا لم نجد في قديم حجة قاطعة. وعلى كل حال اننا نرى ان هذه الالام اليونانية التي اتخذها اليونان ايام دولتهم للدلالة على بعض مدن ساحل فينيقية وقرى لبنان كبطرايس (عكا) وبيروس (جيل) وثاويروسيون (راس الشقة) وغير ذلك لم تكتب زناً طويلاً وانما كانت اساءة رسيبة استعملها عمال الدولة فلما سقطت عادت الاسماء السامية الشائعة على لسان الشعب الذي لم تؤثر فيه لنة الدولة واصطلاحاتها الرسمية. وهذه للاطاحة العمومية تصدق في ترابريس التي اعمل اسمها اليوناني وعاد اليها اسم اقلية السامي

اسمها واسم قرية وجه الحجر في رأس الشقعة وليس من غرضنا ان نلخص في هذه المقالة تاريخ أنفة في القرون المتوسطة وما قال عنها كتبة الفرنج وجغرافيو العرب لكننا نكتفي بإثبات ما جاء منها في معجم البلدان قال ياقوت (١: ٣٩٠): «أنفة بلدة على ساحل بحر الشام شرقي جبل صهيون بينهما ثمانية فراسخ» وفي قوله غلط ظاهر يريد غربي جبل صهيون أو بالحري جنوبي غربي صهيون. وقد جاء في مراصد الاطلاع بذلك من «شرقي جبل صهيون» شرقي جبيل وهو اصح. وقد افادنا شمس الدين الدهشتي في كتاب عجائب البر والبحر (ص ٢٠٧ و ٢٠٨ مع الحاشيتين a b) ان «لنصارى في أنفة كنيسة عظيمة البناء وبها بيت يزعمون أنه أول بيت وضع باسم مريم في الشام وإن البيت الثاني المشيد بعده لذكرها كان في انطربوس». وهذه افادة جلية لتاريخ النصرانية في سورية. وكانت أنفة على عهد الصليبيين من الاملاك اللاحقة بكنية طرابلس وكان الفرنج افسدوا اسمها باللفظ فدعوها نفين (Nephtin). أما قلعتها فقد امر السلطان قلاوون بهدمها

٣٦ قلمون

إذا سرت من أنفة متوجهاً الى طرابلس بلغ بك المسير الى قرية بهجة المنظر تدعى قلمون موقعها في وسط حديقة كثيرة الزرع غزيرة المياه. واسم قلمون يطلق في الشام على عدة امكنة منها جبل قلمون المشرف على دمشق ومنها قرية قلمون (Calamon) بجوار الكرمل وحيث (١) وجبل قلمون في شبه جزيرة سينا. وقد ذكر الادريسي قلعة تدعى قلمون بين صيدا ونهر الدلمور

وقلمون هذه قد دماها القنما. قلموس (Calamos) وممن ذكرها المؤرخان بوليبيوس وبلينيوس وفيهما وربما جعلوا اسمها مع اسم جارتها تيرابوليس وإن لم يكن لها من الشأن ما كان لآفة. وكانت قلمون في القرون الوسطى قلعة ورد ذكرها في الادريسي وفي رحمة والكاتب القاري نصري خسرو الخ

(١) راجع كتاب فلسطين لريلد (Relandi Palaestina, 230, 678) وكذلك راجع اسطرابون (Strabon, notes 916)

وفي قلمون وضواحيها عدة آثار قديمة كمتالع ومعاصر ورحي وبقايا اعمدة وغير ذلك مما يدل على قدمها. بيد اننا لم نجد في هذه الآثار ما يجدينا طمأنينة عن احوالها ومن ثم لا نرى داعياً لاطالة الكلام فيها

٣٧ دير البلند

في الجبل المشرف على البحر بين اثنة وقلمون على يمين السائر الى طرابلس ديرة شهير لا يمكن ضرب الصنح عنه زيد و دير البلند للروم الارثوذكس حيث كان يدرس المتدبرون للكهنوت من البطريركية الاسطورية . قال النادر (في عدده الصادر في ٢٩ لك سنة ١٩٠١) : « البلند من اعظم اديرة الشرق شغراً وارضها بناء واظرفها موقعا وابيها شهرة وزمن بناءه مجهول وقد ثابه ما ناب أكثر الاديرة الارثوذكسية في سوريا وفلسطين في غزوة الصليبيين »

قد صدق كاتب هذه الاسطر بقوله انه مجهول زمن بناء دير البلند لكنه ساء ظناً بقرينة هذا البناء الى زمن سبق عهد الصليبيين ونسبته اليهم ما هم براء منه وكان الاولى ان يشكروهم على تشييد هذا الدير اذ لولاهم لما رآى عالم الوجود ومصدقاتا لقولنا نورد هنا مختصر تاريخ دير البلند ليقت عليه كنية الروم

كان انشاء دير البلند في ٣٠ ايار من سنة ١١٥٧ . وقد تولى بناءه رهبان القديس يريزس المعروفون باليستوسيين (١) وجعلوه تحت حماية البتول الطاهرة سيدة بلمنت (Abbatia Belimontis) . وبلمنت لفظة لاتينية منحوتة من كلمتين معناهما الجبل الجميل . ورد اسم في كنية الصليبيين على صورة الفرنسية القديمة «Beaulieu» وهي بمعنى «Beaulieu» اي القام الجميل وهو اسم يطلق على المسمى ولذلك قد اتخذه اهل طرابلس الى يومنا كصيف يقضون فيه فصل الصيف . ثم افسد القوم بلمنت فسطحها «بلند» . وما يدل على اصل اشتقاقها انها وجدت في كتاب مختصر تاريخ

(١) لنا على ذلك شواهد عديدة منها مثاقير للاخبار الرومانيين ذكرها رودريخ (Rothricht) dans ZDPV, X, 35) لما ما كتب الاديب جرجي الخدي بي في تاريخ سوريا (ص ٤٩١) عن مائة مكيل كنيسة البلند ان مدعا يرتقي الى سنة ١١١٣ م فلم تتحقق خلفنا وكنا ودة لوانت جنانة هذه الكتابة بنسها . ولعل هذه القائمة نقلت الى البلد من مكان قريب

لبتان (من مخطوطات كليتنا) على صورة بلموند . وعليه فلا صفة لما قاله البعض (١)
ان بلمند مشتقة من اسم الابس بومند صاحب طرابلس شيدّها على زعمهم كمنته
له في سنة ١٢٨٧ . ثم ان تاريخ بومند السابع (١٢٧٤ - ١٢٨٧) لا ينطبق على هذه
الرواية لان بومند قضى السنين الاخيرى من حياته في عاصمته لم يمكنه الخروج منها
وكان السلطان قلاوون يضايقه فيها الى ان توفي في ١٩ تشرين الاول سنة ١٢٨٧ فما
كان له اذ ذاك ندحة في تشييد القصور والمنتهات . هذا فضلاً عن انه لدينا نصوص
ورد فيها اسم بلمند قبل هذا التاريخ كما سيأتي



مسكوكات بومند السابع صاحب طرابلس

وبراءات الاحبار الرومانيين في دير البلمند كثيرة (٢) فنخصّ منها بالذكر براءة
غريغوريوس التاسع سنة ١٢٣٨ واينوكنث الرابع سنة ١٢٥٠ واوربانوس الرابع سنة
١٢٦٢ . ويظهر من هذه المناشير ان دير البلمند كان أكبر لدير القرنج في كنيّة
طرابلس . ولما خرج الصليبيون من الشام صار هذا الدير الى يد اليعاقبة وكان عددهم
كبيراً في طرابلس لهم فيها اسقف يرعاهم
وفي تواريخ القرنج اسماء بعض رؤساء هذا الدير ورهبانه . فمنهم الرئيس بطرس
اللاتاني (Pierre l'Aleman) ورفيقه « سيمان الطرابلسي » . وممن ترأس على دير
البلمند احد اساقفة بيروت اللاتينيين لعله استقلّ من كرسيه فاعتزل في هذا الدير وصار
رئيساً عليه . وهذا مما يُطلعنا على عظم شأن المكان
ولا نعلم من امر الدير شيئاً بعد تلك اليعاقبة عليه . ولما روى مكاتب النار انه
بعد الصليبيين « تسبّت شمل رهبانه » . وغرب « بقي خراباً الى سنة ١٦٠٣ وفيها

(١) راجع الدوجي في تاريخ سنة ١٢٨٧ ومئة فينيقية لرينان (ص ١٢٨)

(٢) راجع مجلة الجمعية الفلسطينية (ZDPV, X, 35)

جده السيد يواكيم ابن الحوري جرجس مطران طرابلس. ولبلند بعد هذا العهد اخبار طويلة لا حاجة الى استقصائها

واليوم لم يبق من هذا الدير العظيم سوى اثار لا تُذكر واذا اعتبرت ابنته الحديثة لا ترى شيئاً من تلك المباني النخيمة التي كانت تزين هذا المحل وتنطق بفضل بناته الذين حارضوا الرومان والفيثقيين بأكرهم حتى ان كثيراً مما كان ينسب العلماء سابقاً لتلك الامم ثبت اليوم انه من عمل الصليبيين

وقد بقي في البلند من ابنته القديسة قسم من طينته السفلى منها ردهة جيدة مبنية حجارة الالاث طولها اربعون متراً وهي اليوم مطبورة في الارض لارتفاع الحضيض بما يبط فوته من ردم الدير القديم. اما الناية من اقتناء هذه الحجرة فليست بظاهرة. وفي بقية انحاء الدير الحالي قناطر وقوش من طرز القرون المتوسطة وهذه الالام مع قتلها تهيء اصل الدير قتيين جلياً ان الصليبيين هم الذين شيدوه ويتأيد بذلك ما نقلناه في صدره من شواهد التاريخ مع بيان اشتقاق اسمه الاصحي من اللاتينية فتاهيك بهذه الأدلة من تعريف اصل هذا الدير واصحابه الأولين

وفي الحتام يسرنا ان نبدي لجناب الفاضل خطاس اخندي قد بلغت مدير المدوسة عند مرونة مراطف الشكر لا اظهره من الانس لا استقبلنا في هذا الدير. وقد اطلعنا على خزانة كتبه التي تحتوي اليوم على مطبوعات حديثة العهد وبعض المخطوطات التي ليس تحتها كبير امر قد جمعها حضرة المدير ونظلمها ثلثا تأخذها يد الضياع. وكانت هذه المكتبة قديماً حافلة بالمخطوطات ولا شك ان في عداها كانت تأليف عديدة سرانية كما ترى في غيره من اديرة الروم كمكتبة دير جبل ميتا ودير مار سابا حيث وجد زوار القرونج مصنفات سرانية قديمة غالية الثمن. وكذلك كان دير صيدنايا قديماً بخزانة الادب السرانية قبل ان يحرقها وكلاؤه كما ذكر ذلك الشاب الاديب حبيب اخندي زيات في خبر رحلته الى هذا الدير (راجع المشرق ٥٨٦:٢). الا ان اليونان الذين تملكوا زمناً طويلاً دير بلبلند انتفروا ما وجدوه من هذه الكتوز النفيسة واورثوا قلوبنا الاسف على فقدنا

فهرس

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

الصفحة

٣	تجديد
	الفصل الأول قسم لبنان الواقع شمالي بيروت
٤	رسم مدخل مفارة انطلياس
٤	رسم جوار انطلياس: ١ المفارة ٢ النبع
٥	٢ صربا وجونية
٨	٣ نهر الكلب
٩	رسم مدخل مفارة نهر الكلب
١١	رسم داخل مفارة نهر الكلب
١٣	٤ دير القلعة
١٧	رسم هيكل البهل في دير القلعة
١٧	رسم بقايا اعمدة دير القلعة واشكالها المختلفة
١٧	صور المعروضات رمز شتاوت
٢١	٥ آثار الرومانيين في لبنان
٢٥	قناة نهر بيردت (قنطرة زبيدة)
٢٧	جسر المعاصنين الزيماني
٣٤	٦ صئين
٣٦	٧ ساحل علما
٣٧	٨ معراب
٣٧	آثار قلعة صراب

الصفحة		
٣٨	٩ غينة	
٣٩	رسم آثار غينة - آثار المشقة	
٣٩	١٠ المشقة	
٤١	١١ الديانة النسطورية في لبنان	
٤٣	١٢ مثال الزهرة المبرودة في لبنان	
٤٦	اليثونة	
٤٧	رسم بركة اليثونة	
٤٩	١٣ القلعة	
٥١	١٤ مجاري المياه في لبنان	
٥٣	١٥ قلعة ققرا	
٥٤	صورة قلعة ققرا	
٥٧	١٦ الساحل بين جونيه وجبيل (برجا وعين ماحوز ونهر ابراهيم)	
٥٩	صورة برجا	
٦٠	١٧ جبيل	
٦٣	مدافن جبيل	
٦٦	نواويس جبيل	
٦٧	١٨ بلاد جبيل	
٦٨	بلاد	
٦٨	أده	
٦٩	عشيت = مبادات	
٧٠	بمدينات = جرجا	
٧١	ماد	
٧٦	١٩ لحوال لبنان في القرن الرابع عشر قبل المسيح	
٨١	٢٠ كنائس لبنان القديمة	
١٠٠	٢١ دخول النصرانية في لبنان	
١٠٠	١ لبنان فاوكل بيشيرين	
١٠٤	٢ تراع النصرانية والوثنية	
١٠٩	٣ في مبدئ الحيشة الرعيانية في لبنان	

١١٢	٥ تركية الصراية في القرن الرابع
١١٤	٥ تنظيم الكتائب في لبنان
١١٦	٦ انتصار الصراية غانكا على الوثنية في لبنان
١٢١	١٢ بلاد البترون - مدينة البترون
١٢٣	٢٣ سَترُ جَبيل
١٢٥	٢٤ قلعة الحصن
١٢٧	٢٥ دوما
١٢٨	٢٦ صكفرجي ومدرسة مار يوحنا مارون
١٣١	٢٧ جبّة بشرّي
١٣٤	٢٨ اوز لبنان
١٤٢	الكورة
١٤٢	٢٩ دار بشتار - بزيّا - أوس
١٤٤	٣٠ اميون
١٤٤	٣١ الكسيلة
١٤٥	٣٢ جبل رأس الشفعة
١٤٨	٣٣ حوش
١٤٩	٣٤ جينوتا
١٥١	٣٥ افقة
١٥٣	٣٦ قلمون
١٥٤	٣٧ دير البلمند
١٥٥	مسكرات بيروت السابع صاحب طرابلس

تَبَيَّنَ بِحَيْثُ الْإِبْصَارِ فِي هَذَا الْحَقِيقَةِ لِبْنَانِ مَوْكِنُ الْأَشْأَارِ



القسم الثاني

جغرافية لبنان وتريف الأمم التي سكنته



١ اسم لبنان وسه لفظه في التاريخ

قد بلغ بنا تقصينا لأثر لبنان الى تخومهِ النجاية فرأينا ان نخط برهة مما التسيار
لنبعث في قسم ثانٍ من بعض احوال هذا الجبل الشهير بما يشمل تاريخه اجمالاً وبمع
شؤونه من حيث تقاسيمه الجغرافية مع تعريف الأمم التي سكنته في سالف الاعصار.
وهو امرٌ يفيدنا لادراك ما بقي علينا من وصف آثاره في جهات الأخرى
لاجرم ان القارئ اللبيب قد لحظ في خلال فصولنا السابقة ان اسم لبنان لم
يُطلق في كل اطوار التاريخ على ثغور معروفة وديماً اتسع او انحصر مضاه على
اختلاف الظروف وتزعات الكتاب. فلتعسر ثام الشبهات ولزالة كل المضلات رأينا
ان نعين حدود لبنان في الأزمنة النادرة بما امكن من التدقيق
ليس من أحد يجهل اليوم موقع لبنان ونواحيه الاربع وكل يعرف ان الراد به

تلك السلسلة الجبلية الممتدة بين البحر المتوسط او بحر الشام والنهرين الشهيدين النهر الكبير والليطاني

يبد ان معنى لبنان لدى القدماء لا ينطبق على مفهومنا به في عهدنا . واول ما ينبغي استنتاجه من كتب التاريخ الاسفار المقدسة فان هذا الاسم ورد فيها على صورة لبْنُون (Libanus) وهكذا عرفت ايضا الفيلسوفين . اما الاسوديون فيدعونه لبناو . وبما يستفاد من الكتاب الكريم ان لبسان جبل شاهق فنعم في شمالي نهر الليطاني نجد ارض اليعاد من تلك الجهة

وقد تكرّر ذكر لبنان في صُحف العهد القديم وان كان هذا الجبل خارجاً عن ملك بني اسرائيل . واكثر ما ورد اسمُه في اوصاف الكتاب الشعريّة كما اثبتنا ذلك في مقالتنا عن ارض لبنان (للشرق ٤٤ : ١٣٠ - ١٣٨) . وذكرنا بين خواص التلويح للفراء التي تكلّل هامة (راجع سفر لوميا ١٨ : ١٤) فينبوا بهذه الاوصاف انهم ادادوا لبناونا دون سواه

وتما جاء ذكره ايضا في الكتاب الكريم وادي البقاع للخصب الذي يفصل لبنان عن جبل الشيخ وهو يدعى هناك « مدخل حماة » او « الطريق الى حماة (١) » وهو اسم يطابق المسمى لأن سهل البقاع لشبه بطريق لاجبة تنفذ بين جبليين عالين . وفي هذا الاسم ما يُشعر بخطر مدينة حماة وعظم شأنها وهي اول مدينة كبرى كان جو اسرائيل يلقونها عند خروجهم من نحوهم الشمالية الشرقية . اما اليونان (٢) فيدعون البقاع باسم ماسياس (Massyas) او مرسياس (Marsyas) وربما دعوها ايضا بسورية الموصوفة (Céléstyrie) لاعتطافها بين الجبلين على شبه الحرف (٣) ويؤخذ من سفر الملوك الثاني (٨ : ٨) ان لبنان كان غنيًا بمعدن النحاس والزرنيخ

- (١) راجع سفر العدد ١٣ : ٢٢ و ٣٤ : ٨ ويوشع ١٣ : ٥ الخ وخرقيال ٤٧ : ٢٠ الخ وعاموس ٩ : ١٤ الخ
(٢) راجع تاريخ يوليب ٥ : ٤٥ ، ٤٦ ، ٦١ وجغرافية اسطرابون ١٦ ف ١٠٢ الخ
(٣) راجع سجم الكتاب المقدس فيكورو في المادّة وجغرافية فلسطين القديمة لبول (Ruhl) ص ٨٢

ان موقعها كان على الطرف الشرقي من لبنان الحالي بازاء سهل البقاع
على ان اصحاب الصنف الكرمة لا يفرقون بين لبنان الغربي والشرقي فاطفروا
على كليهما اسم لبنان . وهو امر يسهل ادراكه لان الجبلين متشابهان تشابهاً تاماً
يسيران على خطين متوازيين الى وجهة واحدة وطولهما واحد على التقريب وهما يتربكان
من صخور كلسية متجانسة . ولا غرو انهما كاتا في القرون الحالية جبلاً واحداً انفصل
بينهما طرادٌ جيولوجي غير هينهما فانخسفت بينهما الارض وليس وادي البقاع الا
نتيجة هذه القارة . ومن ثم لا حرج على كتبة الاسفار للقدسة اذا اعتبروا هذين
الجبلين كملود واحد وان كانوا لم يدققوا في تعريفهما كما يفصل اليوم الجغرافيون .
وليس الامر كذلك في تعريف اسطرابون لوقتها فانه قد وهم وهماً جسيماً
في بيان وجهتهما كما سترى

واول من احكم الفصل بين الجبلين السابق ذكرهما كتبة اليونان فانهم قد افروا
بينهما وخصوا احدها باسم لبنان ودعوا الآخر انتيلييانوس (Antiliban)
(Ἀντιλίβανος) ومنه الجبل القائم بازاء لبنان وكلا الاسمين شائع حتى ايمانين
الكتبة . وبما يدل على قدم اسم انتيلييانوس ان اصحاب الترجمة السبعينية في القرن
الثالث قبل المسيح قالوا اسم لبنان العبراني الى اليونانية باسم انتيلييانوس لما رأوا ان
مدلوله الجبل الشرقي لا لبنان الحالي وذلك في خمسة اماكن من الاسفار الالهية (١) .
وكذلك ورد في النص اليوناني من سفر يهوديت (٧ : ١)

وقد تصفحنا تأليف يوسفوس اليهودي فوجدناه متقدداً في تعريف لبنان كانه لم
يطلع على اصطلاح اليونان وهو يكتب في لغتهم فقراءه اذا ذكر جبل حمون
والجبال المجاورة لدمشق دعاها كلها باسم لبنان

وما لا ريب فيه ان كتبة العهد القديم اذا ما ذكروا لبنان وارادوا به الجبل الموزني
في انما مرادهم فقط القسم الجنوبي من هذا الجبل المعروف اليوم باسم جبل الشيخ
وذكره كثير في التوراة . وقد دوغنا في بعض مقالاتنا السابقة (٢) لها . جبل حمون عند

(١) تثنية الاشراع ١ : ٧ و ٣٥ : ٣ و ٢٤ : ١١ يوشع ١٤ : ٩

(٢) راجع الجزء الاول . ص ٢٤

قبائل سورية وفلسطين فلا حاجة الى التكرار والى بيان صحة هذه الاسماء لتلا نخرج
من الموضوع
لما اتسع لبنان وحدوده فان الكتاب المقدس لا يذكر غير حدّو الجنوبي اعني
شمال نهر الليطاني . ومن ثم لا بد من نقل نصوص قدماء اليونان لتعرف حقيقة
الحدود



لعل المؤرخ يوليوس ١١ اول من سبق فيّ بنسط وتدقيق تقوم لبنان . وهو
يفصله عن الجبل الشرقي فصلاً صريحاً ويذكر بين السلسلتين سهل البقاع ويحصل في
هذا السهل مخرج نهر العاصي . ومن اجادوا في تعريف اتساع لبنان ديودور
السيقلي ٢١ في القرن الاول قبل الميلاد حيث قال ان لبنان يمتد من صيدا الى جبيل
وطرابلس وان غابات الارز تظلل قسماً ٣١
اما معاصره اسطرابون فان في كلامه لبناً وليهاماً وهالكاً تعريب ما كتب قال :
« ان سورية الجوفّة واقعة بين جبلين تفصلهما على التعريب مسافة واحدة في طولها .
وكلاهما يمتدّ قريباً من البحر اما لبنان فان اوله عند طرابلس وجبل ثيودوروسيون
(راس الشقفة . راجع تسميع الاصحاح ١٠ ص ١٤٠) . ولما جبل اتيكليانوس فبذوه
بقرب صيدا (كذا) وهما يتهيان عند الجبال العربية التي تُشرف على اقليم دمشق » .
وفي الفصل ذاته قد اثبت اسطرابون ان منتهى لبنان عند راس الشقفة وهو يودي
ان اعالي لبنان كهستان ووردوما يودي اليها قوم من اللصوص وقصاع الطرق . وكذلك
يذمّ لئن هؤلاء الاوباش يلكون على البقود وجينوتا ويسكنون الكهوف المشرفة
على البحر وحسن الشقفة ١

فقد بما تقدم ان اسطرابون يفرق بين لبنان والجبل الشرقي ويحمل بينهما سهل
البقاع وكذلك لم يشذ عن الصواب اذا دل على حدود لبنان الحالية وهو يحملها تقريباً

(٢) ص ١٩ ف ٥٨

(١) في كتابه الخامس (ف ٤٥ ، ٥٩ ، ٦٩)

(٣) راجع الجزء الاول ص ١٣٧

(٤) الجزء الاول ص ١٤٦

حد طرابلس لأنّ جبل عكار يُعدّ أيضاً من لبنان فيتصل به ويتحد بعض اميال الى النهر الكبير الذي يحجز لبنان عن جبال النصيرية . غير انّ اسطرابون وهم وهما جسيماً يزعمون ان كلا الجبلين يبدأ بقرب البحر عند صيدا . وهو خطأ لا صحة له في اقليبيانوس . وكذلك قد اخطأ بقوله انّ الجبلين يتكهيان عند دمشق وهذا لا يصدق من لبنان وقد ساء ظنّهُ في الجبلين اذ وصف سيرهما من التوب الى الشرق اي من البحر الى داخل بلاد الشام وهما في الحقيقة يسيران من الشمال الى الجنوب فيجاريان ريسيف البحر

اما التفاصيل التي ذكرها اسطرابون عن لبنان ولصوره قد مرّ ذكرها في علها مع يان ما صدق منها

وفي وصف بليتيوس (١) للبنان ما هو القرب الى الحقيقة من سواه . وهو يحل اول لبنان عند صيدا ثم يذكر امتداده شألاً الى مدينة سيرة القديمة اعني وراء مصب النهر الكبير قليل حيث يتبدى جبل بربلوس وهو جبل النصيرية . وناهيك بهذه الافادة تدقيقاً وضبطاً . وكذلك لم يند في وصفه لبنان وتبينه له من الجبل الشرقي وذكر البقاع وذكر الصون التي يكون منها العاصي

ومن ذكروا لبنان من قدام النصاري اوسابيوس القيسري في كتاب الأعلام (Onomasticon) . وثمة القديس هيرودسوس وكلاهما يقول انّ لبنان سلسلة الجبال الغربية الحاذية لبحر فينيقية اما السلسلة الشرقية من جهة دمشق فجبل اقليبيانوس اي الجبل الشرقي

فتدق من ثم انّ القدماء في حدود القرن الرابع كانوا وقعوا على حقيقة . وقع لبنان وافروزه من الجبل الذي هو قائم في وجهه ويشوا وجهة امتدادها غير انّ كتبة القرون التالية عادوا فخلطوا بين الجبلين . ونما حدا بهم الى هذا اللبس التاسع السياسية التي ادخلها ملوك الروم في ذلك العهد فاختلطت الاسماء وصارت الاعلام تدل على غير ما وضعت له سابقاً

فمن ذلك سوروية المجوفة التي كانت تدل في اول الامر على سهل البقاع ليس

الاصبحت اقلياً واسماً يتدشأ الى ما وراء اقلية بحيث اصبحت هذه المدينة
قصة ٤ . وكذلك لم يد اسم فينيقية يُطلق على الساحل للتحصن بين لبنان والبحر
بل صار يني بلاداً متسعة تبلغ حدودها الى دمشق وحمص وتدمر
وعلى هذا النوال تنطب اسم لبنان الشهيد على جبل النصيرية المجاور اذ لا يفصل
بينهما الا وادي النهر الكبير. فأبطل اسم برجيلوس الذي خصه « يوليوس الكاتب
واعتبر كفة لاحق بلبنان

ومن غريب ما جرى وقشدر من التقلبات في تقسيم الايلات ان الاقليم المروف
بفينيقية اللبنانية لم يضم في دائرته لبنان الغربي وأدخلت فيه تدمر مع بعدها عن
لبنان . وكفى بذلك دليلاً على ان اسم لبنان لم يؤخذ بعناهُ الاصيل او انه كان احدثاً على
جبل القليانوس منه على لبنان لاسياً بعد ان جعلت مدينة دمشق كاصمة فينيقية
البنيانية . ولذلك زى في اعمال القديس صوفرونيوس الدمشقي انه دعا وطنه « المتوج
بلبنان » (Λιβανωτόν) وليس هذا القلب حمل البعض على الظن بأنه لبناني الاصل
وعُدت حمص قبل دمشق مدنة كقصة ولاية فينيقية اللبنانية فصار الاهليون يدعون
الجبال الواقعة بآثارها وفي شمالها باسم لبنان وهكذا شمل هذا الاسم جبال النصيرية .
وفي تاريخ سوزومين (٣٤٥ ف ١٥) ترى اسم لبنان مختصاً بالجبال المعادية لمدينة اقامية
واغرب من ذلك ان ثاقفانوس اللورخ في اثنائه كلامه عن المردة اطلق اسم لبنان على
كل جبال الشام الواقعة بين مصب نهر العاصي وبلاد فلسطين (١) . وقد جرى بقية
اللورخين البونظيين على هذا الاصطلاح فخص منهم بالذكر اللورخ قندينوس



ولما ظهرت دولة العرب حفظ ملوكهم التقسيم الجغرافية الجارية قبل هدمهم
ولذلك ترى الكتبة السريان كالبين البصري (٢) وجغرافيين العرب يتأثرون اعتاب الروم في
وصفهم جبل لبنان فربما اصابوا او اخطأوا كاسلافهم . فالقديسي مثلاً يقول في كتاب
معركة الاقاليم (ص ٦٠) ان لبنان جبل ساحلي مشرف على صيدا وطرابلس . اما ابن

(١) راجع تاريخه في اعمال الاباء اليونان لجن (ج ١٠٨ ص ٧٣١)

(٢) راجع تاريخه للدلي بالسريانية (ص ٢٨٨)

الفتية للمذاني (ص ١١٢) فأنه يزعم « أن لبنان بدمشق وأنه متصل ببلاد الروم » يريد قيليقية . ويوصفه هذا اطلاق اسم لبنان على جبل الشيخ وعلى كل الجبال الواقعة شمالي سورية حتى اللكّام وقسم من جبل طورس وهو تعريف واسع لم ينظر على بال كتبة الروم

وقال ابن جبير في رحلته (ص ٢٥٦) : « وراء المرأة جبل لبنان وهو سامي الارتفاع يمتد الطول يصل من البحر الى البحر وفي صفته حصون للملاحدة الامعايلية وجبل لبنان حد بين المسلمين والافرنج لأن وراءه اطلاقية واللاذقية وسواها من بلادهم » قدري من قوله هذا انه ادخل في لبنان بلاد الامعايلية الواقعة في جبل النصيرية بين اللاذقية وحماة وهناك كانت حصونهم كمصباد والرافقة وخوازي وكهف والليقة

ولياقوت في تعريف لبنان اقوال غريبة قال (٢ : ١١٠ و ٤ : ٣٤٧) : « لبنان جبل مطّل على حمص يجي من السرج الذين بين مكة والمدينة حتى يصل بالشام ... ويحد الى ملطية وسيباط وقالقلا الى بحر الحزر » فيجمل كل هذه الجبال جبلاً واحداً تختلف اسماءه باختلاف المكتبة . واختصاصه باسم لبنان يبتدىء في حلب وينتهي في حماة وحمص

وقد ذكر شمس الدين الدمشقي في كتابه عجائب البر والبحر غير مرة اسم لبنان وكلامه في الغالب مصيب الا انه يحمل حدوده الشمالية الى اللاذقية ويستمر لبنان مستقماً من سلة عظمى اولها في جنوبي بلاد العرب

اما ابن بطوطة (١ : ١٨٥) فيلوح من ظاهر كلامه انه يطلق اسم لبنان على الجبل الممتد بين اللاذقية وطرابلس حيث وجد النصيرية فوصفهم . وكان النصيرية وقتئذ يسكنون ليس قط الجبل للمروف باسمهم وجبل عكار بل ايضاً البلاد الجاورة لطرابلس والبترون حتى نواحي العاقورة وكسروان وذلك الى القرن الرابع عشر للمسيح كما سنبين الامر في مقالة آتية . ولهذا السبب قد امكن ابن بطوطة ان يدعو باسم لبنان كل بلادهم (١)

(١) راجع مقالاتنا عن سكنى النصيرية في لبنان في مجلة الشرق المسيحي

وأضبط العرب وصفاً للبنان الكاتب الشهيد ابو الفداء صاحب حماة ولا غرو إذ كانت سكناه في بلاد تجاور لبنان فيرد في تقويم البلدان (ص ٦٨ و ٢٢٩) لبنان من جبل دمشق وقد دعا طرف هذا الجبل الجنوبي باسم جبل التلوي ويدعو باسم سنير طرقة الشالي وهو أنطليسانوس . وسنير احد الاسامي الواردة في التوراة يواد و حرمون وأطلق حسب رأينا على كل القسم الشالي من هذا الجبل . وذلك امر يستتج من كتب العرب وهم شهود صدق على التقليد القديم

وقد جعل ابو الفداء لبنان بإزاء جبل التلج يند إلى شرقي طرابلس فإذا تجاوزها عُرف بجبل مكار . وهو قول صواب جرى عليه أيضاً القلقشندي من بعده . لما الجبل الواقع في شمال جبل مكار فإن ابا الفداء يدعو جبل اللكام (ص ٦٨) وهكذا أيضاً قد جعل الاصطخري وابن حوقل حدود لبنان الشالية باقرب من مدينة حماة هذه بعض نصوص قلناها من جغرافيتي العرب تبين أن هؤلاء الكتبة اصابوا في كثير من اقولهم عن لبنان وأن وهو في بعض الامور اخذوها عن كتبة الروم دون ان يعتمروا بانفسهم لاسيما في ما يخص بتعريف حدود لبنان الشالية . فسبحان من تراءى عن كل خطأ ونسب

٢

ما مستفيد سوربة من لبنان

بعد تعريفنا للبنان وتطبيق اسمه مع قول المؤرخين لا نرى بداً من استقالات النظر إلى فوائد هذا الجبل من حيث طوره الطبيعي على أننا قد اشرنا إلى هذا الامر في مقالاتنا السابقة (راجع الجزء الاول ص ٥١) واجتبا أن لبنان بالنسبة إلى سوربة كاتسبل بسببه إلى مصر إذ أنه كموض . عظيم تنفجر منه المياه التي تسمى التولعي الجاورة لما على هيئة الامطار وأما بطريقة المجاري المائية لوبتكاليف الاجرة ومقطها على صورة الندى . ولولا هذا الجبل لاضحت سوربة اشبه بادية جرداء او رمة صلاء تابعة لمناخ جزيرة العرب التي هي متصلة بها من جهتها الجنوبية الشرقية

وبما سبق لنا أيضاً في وصف لبنان أننا قلنا بين هذا الجبل النيف وجبل الال (الشرق ١ : ٧٢١) فيينا ماخص به الله الطود السوري من المناظر الجمية والمرايق

المديدة قفى فيه الرّبي المكّلة بالثّبات والّتياض الزّاهية بضروب الاشجار والنّبات والادوية البليدة النّسيم ذات الظلّ التّظليل مع جدول متفرقة وسبول جاحقة وسألات مزبدة ومجيرات كالرايا الصّقية الى غير ذلك من اللّحسان الطّبيعية التي زيّن بها الخلق تلك المشارف الزّهيّة التي اطّلب الانبياء في اوصافها وعدّدوا في الاسفار الكريمة مآنها والطّافها

على ان لبنان يورث سورية غير هذه النّافع ممّا يستفت نظر قوي العبدة ولو تحرّنا تمدّدها لكتبنا فصلاً رانثاً جديراً بان ينظّم في سلك فلسفة الجغرافيّة من شأنه ان يوسّع نطاق اهل الرّويّة ويبيّن لهم حجاب الكون وهذه القوائد الجميلة التي تستفيدها سورية من لبنان على اربعة اصناف منها هندوغرافية وجيولوجيّة ومنها نباتيّة ومنها حيويّة ومنها ما يرجع الى الامزجة والاجسام.



١) لا حاجة الى ان نقتل في الكلام عمّا يجدي لبنان القطر السوري من النّافع للحدودغرافيّة اذاً نحن سابقاً ما يختصّ بجاري المياه في لبنان (راجع الجزء الاول ص ٥١) وغاية ما نقول هنا اننا لم نألم في وصفنا المذكور وكفّنا لتأييد مقالنا ان اكبر اثار سورية وهو العاصي ينبجس من لبنان فيجري الى شمالي سورية ويخصب نواحيه . وذلك ما حمل التّدماء على انشاء مدن حثيّة في تلك الجهات كعمص وحماة وانطاكية ولولا هذا النّهر لاصبح وادي العاصي قفراً مقفراً لا يأوي اليه سوى قوم من عرب البادية . وهو به جنة غنّاء يتقلب فيها الوف وريوات من البشر في خصب دائم وعيش رفيه

وما قتاه عن وادي العاصي يصحّ ايضاً في سهل البقناع وفي ساحل البحر من طرابلس الى صور فان هذه البطائح مرفوقة اليوم بوفرة خيراتها وربع مآتها ونفارة حدائقها وإن ذلك الأمن فضل لبنان الذي يقض عليها مياه ينابيعه السّيدة مع دسم تربّه التي تتعدد من السيول وترسب في قاع الارض فتخصبها وتستنّها

وتريد على ذلك ان القربة التي جوقها اللّياه من مشارف لبنان هي التي صارت اليوم مطحاً فيسحة الارباء زاهية الزّروع تتخذ من طرابلس الى مصبّ النّهر الكبير ولولا ان مجاري اللّياه تسحر هذا الطّين اللّزج من معاطف الجبل لكان هذا السهل

جوداً تغمره مياه البحر كما ترى في جهات اخرى . لانه من التواميس الثابتة عام الموازاة والمقابلة بين السلسلة اللبنانية والشواطىء البحرية لى ان لبنان كلاً امتد نحو البحر اصبح رأساً داخلاً في المياه واذا اندس استبطنت المياه فصارت في بطنه خليجاً . اما هذه فواحي طرابلس فان لنهار لبنان وجبل مكّار كالي علي والنهر البارد ومنه عكار وعلى الاخص النهر الكبير انحدرت اليها وملأت بالقرب التي سقتها الجون الذي كان هناك وهو يعرف حتى اليوم بجون مكّار دلالة على اصله لكنّه في الوقت الحاضر خُبت منفسح ذو نومة وغصب

*

٢ وليس لبنان اقل فائدة من حيث الملك النباتي . فان لوباب الطبيعة يقضون السبب من سوربة لا فيها من اصناف النبات وضروب الاشجار . فانها تجمع بين نبات الاصقاع الشمالية ونبات الاقاليم القرطية الحارة في اواسط افريقية . والنباتي اذا تفرع لبنان وجد في اعاليه اعشاب الصرود التي لا ترى الا في شالي اوردية وقم الالب . لما حشاش البلاد الحارة فهي نامية في سفح لبنان عند وطم بحيرة الحولة وهناك من نبات البردي الذي لا يرى اليوم الا في اواسط افريقية عند البلاد الجاورة ليتابع النيل . ولي لبنان يعود الفضل من هذا القليل لما يوجد من الاختلاف بين برد رأسه الحلق في الشتاء للشم بالثلوج وحرارة حضيضه البارز لانوار الشمس واشتائها الحامية فيسوخ للنباتي في سوربة ان يجمع في بضع ساعات من اشكال الاعشاب ما لا يجده في غيرها الا بعد مشقة النفس والعناء الطويل

وهذا التباين العظيم بين نبات بلاد محتقة لا يروق قط حين الناظر اذ يرى الاشجار الجبلية كالسنديان والارز والاشجار الصحراوية كالنخل والبردي لكنه ايضا يحدي الزرع نفعا حيث يمكنه ان يستغني عن كثير من محصولات البلاد الاجنبية . كيف لا وهو يجد في وطنه تربة ملائمة لاصناف المزروعات والاشجار المثمرة وضروب الاعشاب وفي كل ذلك اموادات طيبة توفر اسباب النفع وتفتح لوباب الرزق لطالبيه . فباليت شري كيف يسوخ لنا ان نتشكى من فقر بلادنا وقطعها وفيها كل ما يلزم ليعني شرباً جماً . ولو شاء اصحاب الثروة لرأوا ان هذه البلاد يد منها اللبن والسمل كما في ايام بني اسرائيل لا يتقصا لذلك الا رجال جدد وإقدامهم ممن لا يستكفون

من العمل ولا تفتي عزاتهم المصاعب . فلا يمر على بلادنا ثلاثون سنة حتى يصير لبنان أغنى من بلاد زوج بناتها وتسمى السهول الساحلية لشبه بطانح الهند وخط الاستواء .



٣ وان انتقلنا الان من ذكر النبات الى وصف الهواء إذن لوجدنا ان خط اهل سورية لأسعد من سواهم لوقوع لبنان في وسط بلادهم . وذلك بما خلقة الكاتب الشهير فولناي (Volnay) في اواخر القرن الثامن عشر قال : « ان بلاد الشام تجمع تحت سماء واحدة احوالاً جوية مختلفة وتذكر في اقطار ضيقة الازياء مرافق لا ترى في غيرها من البلاد الا متفرقة على مسافات قاصية . ففي غيرها من الاصقاع ترى فصول السنة تتصلها الشهور وأما سورية فصديق القول فيها ان فصول سنتها لا تقسم بينها الا بضع ساعات فقط فان الثقلك توقد الحر في صيده او طرابلس أيام التيط فالك ألا ان تنكي نحو ست ساعات فتجد في الجبال المجاورة هواء لطيفاً ككهواء شهر اذار (١) »

فهذا الاختلاف في درجات حرارة الجو الذي تمبطننا بسببه البلاد المجاورة للشام كبلاد الجزيرة ومصر إنما اصابه القطر الشامي بواسطة لبنان ليس بامتداد مرضه الذي يبلغ نحو تسع درجات . ولا لاجل طوله البالغ ١١٠٠ كيلومتر بل لاجل ارتفاعه فوق سطح البحر . ولولا علو جباله لما كان فرق يذكر بين شمالي سورية وجنوبها . فأتينا نرى ان حالة الجو في غزة لا تختلف كثيراً من حالته في الاسكندرية وان الحر في دمشق كما هو في حلب . لكن الفرق العظيم إنما هو بين السواحل ومشارف لبنان بحيث نجد في الجرد لطف هواء الاصقاع الشمالية

ومما يساعد أيضاً على تكييف الجو وتلطيف لهوائه حرّ هبات تركيب لبنان المختلفة واوديته ووجهه تقاطيعه فان الارواح يهبونها في بطون الارض وشعوبها تتغير احوال الهواء كما تؤثر في السحب والامطار التي تحملها الرياح . وترى بخلاف ذلك بعض منطقات لبنان لحسن موقعها مصونة من رياح الجنوب والشمال تنحدر الى البحر المجدل (١) (٢) وهي لمكة تنها فيها العيشة اللطيف نسيمها وتشبه جزوي فرنسا بطولية هوائها

ولا يجب ان اضحى لبنان بعد زمن قليل كستشفى الاعلاء يتقاطرون اليه لعلاج ادوائهم كما يصرع اليه الصيغون لينجوا فيه من وقعات القبط ويستبدلوا روائح المدن المستكرهة بالريح الطيبة . أما الشتاء فيجد ذوو العاهات لمكنة في لف لبنان يدفون فيها يوده القارس ويقضون فصله في مأمن من اذاه اذا يحبسها لبنان من نفع الرياح وشدة العواصف وهي تقوم لاهل بلادنا مقام مدينتي « نيس » و « كان » وسواحل فرنسا الجنوبية التي يزدهم فيها شتاء الادربيين والاميركيون فراراً من صبارة القتر . فياليت شعري أليس خور جونية وما يحيط به من المزارع مقاماً شتوياً يضاهي خور نابلي . ألا ترى كيف ان ريفه العجيب بارد لاشعة الشمس ولصفاء هواء البحر الشمس وهو مع ذلك في حى من السموم والريح الشائبة . فلو شاء اصحاب الامر لجعلوا جونية محطاً لذوي الامزجة التحفة ومترلاً للناقهين . وهذه البلدة تفضل من وجوه عديدة وادي النيل وضئيه حيث الناظر قليلة والهواء يتجلب تلجلاً كبيراً فيلي النهار للتوهج لخر زهرير الليل وصرده . أما في واطى لبنان فتى للآفاق حاسن متجددة من جبال شاهقة وبحار زاهرة وهواء رطب قليل الاختلاف . وهي لسري منافع كبرى لا تحصى طويلاً على ذوي الخبرة

ولعل متقدماً يمتنع علينا بقوله ان منطقت لبنان القري كثيرة الرطوبة لتكاثف الانجرة التصاعدة من البحر في جوانبه . والرطوبة كما هو معلوم لا توافق مزاج كثيرين من الناس الذين يؤثرن على القامات الرطبة الهواء للنازل اليابسة

أجل ولكن لا يخلو لبنان من منافع المراكز اليابسة ايضاً وذلك في منطقتيه الشرقي . فاذا تسمت اعالي هذا الجبل لا تلبث ان تبلغ بسد ساعات قلائل الى فواح جافة للهواء لا يشوب ساءها غم ولا يقرب منها ندى البحر لتوسط لبنان بينها وبينه فان لبنان يقسم بلاد الشام من حيث الهواء قسمين مختلفين احدهما ساحلي ندي الجبلين القسم متدل الهواء دون حر عظم ولا يرد شديد . والاخر شرقي بري تنصف فيه الاثواء وتترالى القصور المتباينة وهو يجدي بعض الامزجة قوة وصلابة . وعلى كل حال مهما اتفق الناس في تفضيل الهواء اليابس او الرطب فان الناية الصمدائية لم تحرم لبناننا من خواص الموائين فيختار كل منهم ما يشاء



٤. ولهذا الاختلاف في احوال الهواء تقع آثاره وتأثيره في بنية الجسم وغنى عن البيان ان طريقة البش في زماننا وكثرة الالتبائك بالانشغال ومدارسة الامور والتهاافت الى رشف اثناء المذات كل ذلك مما يضاعف بنية الناس ويقر الدم ويحط بالنسل . وهذه المضرات في الاقطار الحارة الكثيرة الرطوبة كما ترى في مدننا الساحلية اوفر منها في سواها من البلاد لادحام الناس في البيوت الضيقة ولقراكم الاقدار في الاسواق وقلة تنقية الهواء . فاذا بقي اهل المدن على ذلك زمناً قليلاً فسد لا محالة دهم ونضب ماء حياتهم لولا ان اهل لبنان يسامون الى السواحل فيأتون بدم جديد يسري في عروق الجمهور فينضج اجسامهم ويشدد قواهم . وكما ان هؤلاء القادمين من مشارف لبنان يوتون اهل الحضر دماً جديداً كذلك الاهل اذا ما قضوا شهوراً من سكتهم في فصل الصيف فوق دنى لبنان تجددت عزائهم او تقوّت اعصابهم فيعودون الى ديارهم ويثقي الاركن مضوري الخلق تتدفق منهم مائال الحياة هذه بعض ملاحظات ابديناها لنفيد مواطنينا عن فوائد لبنان من حيث مقامه الطبيعي . فلا ريب انه لو قد تلتفت ايضاً معه اكثر اوراق بلادنا وقهرت المواطن واصبحت القرية حبيبة خاوية لا تأتي بملأها فكانت اشبه بغيافر جرداء لا يرى فيها سوى بعض تلال من الرمل خلوة من النبات لا ماء يجري فيها ولا انهار تزويها يستكها قوم من صمالك البادية يتنقلون فيها لطلب كلاً الربيع ثم يرحلون عنها . ويوجز القول ان بلاد الشام لولا لبنان كانت كالبوادي التي تجاورها من جزيرة العرب ونواحي تدمر وقفار ما بين النهرين في جنوبي حوران ونصيبين



انهار لبنان : منابعها وبساتينها

١ منافع انهار لبنان جغرافياً واقتصادياً

ذكرنا غير مرة غنى لبنان بنباتات المياه وما يتركب على ذلك من التوائد المندوغرافية فنقول الآن ان من اعتبر هذا الجبل ورأى هيئته وموقعه فهم ان قربة من البحر لا يسمح للانهار الجارية منه ان تنسج احواضها اتساعاً كبيراً .

والأحرى ان يقال ان اغلب انهار لبنان سيولاً لا تتجاوز مسافة سيرها بضعة كيلومترات وهي تعتمد من مشارف الجبل وتندفع دفعة واحدة الى البحر. وليس بين هذه الانهار نهرواحد يمكن زورقاً ان يجري فيه كثافة انحراف هذه الانهار وما يتخللها من الصغور في مسيرها . ونحن لا نذكر في هذا الباب من انهار لبنان إلا ما ينضب ماؤه في فصل القيظ مباشرة من الشمال الى الجنوب (١) . وكذلك ضربها صفحاً عن بعض التفاصيل الجغرافية التي تصلح لاحداث الدارس ليس في ذكرها كبير امر

١ النهر البارد شالي طرابلس على مسافة بضعة كيلومترات منها . وهو الناضل بين لبنان وجبل عكار = ٢ نهر الي علي وهو المعروف بنهر قلديشا (٢) = ٣ نهر ابواهم = ٤ نهر الكلب = ٥ نهر يروت = ٦ نهر الدامور

وليس لهذه الانهار كلها من الجدوى سوى انها تسقي بعض السهول الساحلية فتخصب تربتها في مجاريها المختلفة الطول . وربما كان هذا الحصب الناجم من مياهها قليلاً . ولواراد اهل بلادنا لا تنصوا من هذه المياه لتاية أخرى وذلك بان يحملوها كمحرك لادوات كهربائية يتخذونها لحاملهم ولذلك سقى البعض قوة المياه في تحريكها بالنعم الايض يريدون لها تقوم مقام البخار وموقد النعم الحجري . ولما كان مبط هذه المياه شديداً وكثيها وافرة لا غرو أن ينجم عنها قوة تناسب احصنة بنارية عديدة كغاية تحريك ادوات ضخمة . وقد بلغنا آخرنا ان شركة لبنانية تالت امتيازاً لتوليد الكهرباء بمياه نهر يروت لتثير القرى الساحلية حتى انه الاماني

على اننا زى في مجاري هذه الانهار خللاً فان مصيها يتسع اتساعاً كبيراً وذلك لا تأتلي به المياه من الطين الجروف ولا يدفع البحر الى الساحل من الرمل فتسكوم هذه المواد في وجه النهر بحيث لا تقوى مياهه على زحفها فتندفع جواربه وتسيل المياه ذات البين وذات الشمال على مسافة واسعة . وربما استغنت هذه المياه فحدثت عنها شحيات ملارية خيشة . وهذا الانحراف في مجاري الانهار قد خلطه الغلاء في البحار التي يضاعف فيها اللد والجزر . تكن هذا الحلل يسيل استدراكاً بان يجفّر للنهر مسيل ضد مصبه . وكذلك تنصب لشجار الاوكاليتوس على ضفافه لتقول بها وغامة الهراء

(١) ان نهر العاصي يستند اسفله مياهه من لبنان ككن سيلة خارج حنة

(٢) لا نذكر نهر الجزر قرب هقرون لأن الماء ينقطع في فصل الصيف

وفي مقالاتنا السابقة يتبين ان النهرين البارد و البيا علي با سحوله من التربة من اعالي لبنان طناً جيون عكدار وكوفا سهل طرابلس للعروف بجودة مزروعاته . ولعل نهر بيروت التي بها هو اغرب فعلا منهما

فكل يعرف ان مدينة بيروت مبنية على شبه جزيرة يتصل بها البحر شالاً وغرباً وجنوباً غربياً . وقد ارتأى بعض العلماء ان هذه الحاضرة لنا كانت في ساقف الزمان جزيرة تحلق بها المياه من كل جهاتها (١) فصارت مياه نهر بيروت والجدول المجاورة لـ كواذي غدير ووادي شوفات تأتيها بالطين والتربة حتى ملأت البوغاز الذي كان في جهة بيروت الجنوبية الشرقية بينما كانت الرياح الغربية تحمل اليها رمالها فاصبحت بيروت متصلة بالبر وسوى لها ما جرى لمدينة صور لما ابقى لها اسكندر ذو القرنين سداً عظيماً وصل بينهما وبين البر فقاومت الرمال على هذا السد فصارت شبه جزيرة بعد ان كانت المياه تكتنفها من كل اطرافها . ولا عجب فان انتشار الرمل على سواحل سورية امر ظاهر فترى الرمل يتقدم دون انقطاع . وما شهد الثقة على صحة ان معدل امتداد الرمل في كل سنة بين مدينتي غزة و يافا يبلغ متراً على الترتيب

هذا وان اهل بيروت كانوا يتخذون قديماً ألواء الرمل سكناً لهم ويؤمرون فيها المزارع لان التربة التي ينطبعها هذا الرمل طيبة خصبة . والدليل على سكنى الالهيين فيها ما يجده الحافرون من الخزف وقطع الزجاج القديم والمادن والتولويس . والرمل قد نشر عليها كلها وداءه وهو لا يزال يجري . انى الامام . ومن يلحظ حركة للتواصه يتأكد بانه في مدة ربع قرون قد اخفى عن البيان لملأكاً مؤسسة لبعض الوجهاء فالتهمها . ومنذ عهد قريب قد وجد البعض آثار بلدة توارت تحت كتمان الرمل . وما أثبتته الشاهر نونس (٢) عن الطريق التي يسير فيها السائر عند خروج من بيروت ميتماً صيداً . انها « رمليّة تطلها الاشجار ودوالي الكروم » على ان الشاهر لم يذكر التلال الرملية التي تتخللها في يومنا هذا فتجري في وسطها وذلك دليل على ان الرمل لم ينشط عليها بعد . ومن الثابت المتكرر ان العوامل الطبيعية لا تزال تقذو هذه الرمال فتجرف مياه

(١) راجع كتاب ريفر (ص ٤٣٠)

(٢) راجع كتاب شمره (45 - 40 ، v. 41 ، ch. Diogenes)

البحر وتلصقها الرياح حتى نكاد نرى حركتها رأى العين فما قولك بسلها على صخور
الادهار لاسياً لذا أضفت الى هذه العوامل ظواهر أخر خارقة المادة كالزلازل
والاهتزازات الأرضية التي ربما دفعت بمحضض الأرض ومسيل الاودية - وفي سواحل
فيلقية من آثار هذه الزلازل ما هو مشهور (راجع مقالتي عن الزلازل في الشرق
١ [١٨٩٨] : ٣٠٣ و ٢ [١٨٩٩] : ٩٧٠)

ومما يشهد على ما اصاب بيروت ونواحيها من الطوارئ الجيولوجية ان هذه
المدينة كانت في سالف الزمان مزدانةً بعدة جزائر لا نرى اليوم منها أثراً. فان الشاعر
اليوناني نونس المذكور (١) اشار اليها في جملة وصفه لبيروت فعدا هذه المدينة « الجميلة
الجزائر » εἰσπορεύς وهي لمعري شهادة حسنة الى ما شاهدت حين سكن بيروت روحاً
من الدهر لم يفتئ شيء من احوالها . وقد جاء في خارطة لاقنية يرتقي عهدنا الى
القرن الثاني عشر رسم جزيرتين متوسطتين في الكبر قريبتين من بيروت (٢) وكذلك
ورد في تواريخ الصليبيين ان الرهبان المعروفين باسم پريمونترز (Prémontrés)
كانوا يسكنون ديراً موقفاً في جزيرة على مقربة من بيروت (٣) وفي هذه الشواهد
ما يدل على ان هذه الجزر غير الصخور الثلاثة او الاربع التي زلها اليوم عند راس
بيروت او عند مصب نهرها

ولكن متى تواترت هذه الجزائر ؟ ليس لنا في ذلك نص صريح ومن المرجح
انها انخفضت في الزوال الذي ذكره القريني في تاريخ الممالك (٤) في تاريخ سنة ٩٦٠ هـ
(١٢٦١ م) حيث قال ان سجع جزائر بين عكّة وطرابلس غاصت في طبع البحر .
وقوله هذا يوافق الآثار التاريخية التي لم تذكر فيها نطم الجزائر المجاورة لبيروت
بعد القرن الثالث عشر

والنهران الاخريان اللذان يجريان في جنوب لبنان هما الاول وهو نهر صيدا.
ثم الليطاني الذي يحد لبنان في جنوبيه وهو نهر صور - ولكلا النهرين علاقة مع المدينة

(١) راجع الكتاب السابق ذكره (Chant 41, v. 15)

(٢) راجع المجلة الفلسطينية الالمانية (ZDPV, XVIII)

(٣) راجع للمجلة ذاتها (ج ١٥ ص ٣١٠ و ج ٢١ ص ١١٦)

(٤) راجع طبعة كاتمار ١٤٥٥ p. ١٤٥ *partie I, Sultans Mamlouks, I, 1898*

التي يجاورها وقد اغناها بتفافه الجبّة الاقتصادية . ونهر الأوّلي يجري في منطف لبنان الغربي ولا يتجاوز طوله ٤٠ كيلومتراً اما الليطاني فينفذ في وسط هذه السلسلة ويتخللها . ومنبئة في البقاع بين الجبلين الغربي والشرقي وطول مجراه ١٠٠ كيلومتراً . وخطره عظيم من حيث الزراعة والاقتصاد لانه ليس فقط يفتح طريقاً في خلال الجبل كما يفعل الأوّلي ولكن أيضاً لأن هذه الطريق توصل ساحل مدينة صور بسهولة فيحاء وبطائح فناء كالبقاع وغوطة دمشق ووادي العاصي . ولا غرو ان تجار صور من الفينيقيين قدّروا هذه المنافع قدرها ونهجوا هذه الطريق رغبة في الارباح الباقية أما وادي الأوّلي فهو دون وادي الليطاني شأناً وخطراً الا انه اغنى منهُ واخصب وفي مسيره على حافته مسالك وطرق تقضي الى البقاع والى مدّة قري كان الامهون يقضون فيها فصل الصيف ويحاجون بنقلها كما يفعل اهل صيدا في أيامنا في القرى الواقعة قرب الباروك وجنوبي جزين

ولولا الأوّلي والليطاني لما وجدت صور وصيدا فان بُنائهما اختاروا مصب هذين النهرين لما كانوا يتطلّرون منها من العوائد التجارية وهو الامر الذي جعل لهاتين الحاضرتين شأنًا تجاريًا لم تلبث بيروت وجبيل لحولهما من نهرين يجديانها من المنافع ما احزنته صيدا وصور بنهرهما

٣

اسماء انهر لبنان قديماً وحديثاً

فتنا ان أوّل أنهر لبنان شأناً نهر البارد . والظنون انه هو النهر الذي دُعي قديماً بروتنس (Brutus او Bruttus) وان اشتقاقه من اصل سامي وكنتنا نجعل الاسم الذي عُرف به عند القدماء النهر الثاني اي ابو علي . كما اتا لم نجد في كتب العرب سبب هذه الكنية لو الرجل الشهير الذي اعاد اسم الي علي

أما نهر ابراهيم فقد مرّ ذكره في مقالة سابقة (راجع الجزء الأوّل ص ٥٨) حيث اثبتنا ما ينتصّ باسمه القديم اديونيس (اي غز) وباسمه الحديث

وكذلك لا حاجة الى تكرار ذكر نهر الكلب وتعريف اسمائه وقد سبق لنا في ذلك فصل مطول (تسريح الاصدار ج ١ ص ٦)

وان تحليتنا الى نهر بيروت وجدنا ان اسمه مشهور . وفن كان الرأي الشائع انه هو نهر ماغوراس الذي ذكره بلينيوس في تاريخه الطبيعي (ك ٥ ف ١٧) فجعله في جوار بيروت . وفي قوله هذا نظر اشرفا اليه في اول مثالتنا عن آثار لبنان (تسريح الاصدار ج ١ ص ٤)

ومما حمل العلماء على القول بان ماغوراس هذا هو نهر بيروت ان بلينيوس جملة على مقربة من بيروت وليس لهذه المدينة نهر آخر ألا النهر المنسوب اليها فضلاً عن اننا نعرف الاسماء القديمة التي أطلقت على الانهر الواقعة جنوبي بيروت وشمالها ما هذا اسم نهرها

على ان بعض العلماء شكوا في ذلك وظنوا ان مقصود بلينيوس بنهر ماغوراس انما هو نهر الدلمور لانه في وصفه لمدن الساحل مباشرة من الجنوب الى الشمال ذكر ماغوراس قبل بيروت كأمة جله جنوبي هذه المدينة وهو كما لا يخفى في شمالها . ولأن بلينيوس ضرب صفحاً عن ذكر الدلمور ظنوا انه دعا هذا النهر باسم ماغوراس

هذا الرأي لا يخلو من شبه السكة يد لنسب قسطنطين القول بان بلينيوس لم يراع النظام الطبيعي فقدم ذكر النهر على ذكر المدينة بدلاً من ان يؤخره . ومثل هذا التقديم والتأخير كثير في كتب القدماء . او يقال ان هذا الامر جرى على يد اللغاة سهواً منهم . ومن ثم فإن الرأي الاصح حديثنا ان ماغوراس هو نهر بيروت ليس نهر الدلمور . فسمى العلماء ان يجدوا كتابة تؤيد رأينا وتزيل كل شبهة من نص بلينيوس وهو الكتاب الوحيد الذي ذكر اسم ماغوراس

هذا وان نهر الدلمور قد تكرر في كتب القدماء وهم يدعونهُ بليراس وقد عرفهُ المؤرخ بوليبيوس باسم دلموراس (Δαμωρας) وللشابة بين الاسم القديم والحديث ظاهرة . وكذلك لاشبهة في تعريف اسم « الادلي » القديم . فان الكتبة قد دعوه « بسترينوس » (Bostrenus)

بقي آخر انهار لبنان جنوبياً وهو اللبطاني فان في تعريف اسمه القديم مشكلاً ظليماً ولعل القدماء لم يتعرضوا لذكره وقد شاع اليوم ضد الكتبة المعدين ان

الليطاني هو نهر لاونيس (Leontès) أو نهر الاسد (Λεωντος ποταμος) الذي ورد اسمه في بعض تأليف اليونان فُتَوِّف بالليطاني . وكثراً غن أيضاً جنحنا الى هذا القول (راجع الجزء الأول ص ٩) لما فيه من شبه الحقيقة . لكن في هذا الرأي عقبات كما سترى

فلنباشر أولاً بذكر الاشياء المقررة التي لا يُختلف في صحتها

من العلوم ان اسم هذا النهر حالياً الليطاني ويُسمى عند مصبه بالقاسية . وعلى الاصح انه مُعرف بذلك لئلا هناك يدعى النبي قاسم . وزعم البعض ان القاسية مشتقة من القُسم كان النهر قاسم بين صور وصيدا . او بين بلاد الشيف وبلاد بشارة وهو رأي باطل لا سند له والدليل على بطلانه انه لا يُطلق عليه هذا الاسم تحت قلمة الشيف لما يتولى عن سيده الجنوبي فيجري الى البحر بل عندما يتجاوز جسر القصية . فلما كانت نسبة الى قسم البلدين لصديق الاسم من كل مجراه الجنوبي لا من مصبه فقط . ثم ان هذا الاسم معروف منذ بضعة اجيال ذكره خليل الظاهري في كتابه زبدة كشف المالك والمقريزي في تاريخ المالك ١)

اما اسم الليطاني فانه قد ورد في اوصاف البلدان لكعبة العرب على صورة « ليطلة » فكذا دعاه شمس الدين الدمشقي (ص ١٠٧) وايو الفداء في حاشية على تقوم البلدان وصاحب التعريف في المصطلح الشريف (ص ١٨٢) وقيلهم الشريف الادريسي في كتاب ترمه للشتاق (٢) . ويروى أيضاً في بعض النسخ « ليطلة » بدلاً من ليطلة وليس الليطاني ذكر في جغرافي العرب غير هؤلاء . ولا عجب فان العرب قلما صكبتوا في أنهار لبنان فلا تكاد تجد من اسمائها في تأليفهم سوى ثلاثة او اربعة

وان بحثنا عن الليطاني في مصنفات سابقة لهد مؤلفي العرب اي قبل القرن الثاني عشر وجدنا كعبة اليونان والرومان اقل صراحة من العرب ولملهم ضروباً عدة صفحا . وانما نستثني منهم اسطرابون الذي اشار الى الليطاني اشارة صريحة حيث قال: « ويجري قرب صور نهر » بيد انه لم يُفدنا عن اسمه شيئاً . وان استطلعت بقية المؤلفين

كسكيلاكس وريبينيوس ميلا ويليبيوس وبللموس لا ترى لهم كلمة عن هذا النهر كما أنهم لا يذكرون البتة نهر اژهرائي الذي يجري جنوبي صيدا.

قلنا ان كتبة اليونان لم يذكروا الليطاني . أجل لكن بعضاً منهم ذكروا نهر لاوتوس (Λαῦτος) فلم لا يكون هذا النهر هو الليطاني فيكون جرى على الاسم اليوناني بعض تحريف لما قل الى العربية . نحبب لنا لم نكن لتعود في تصويب هذا القول لولا ان بللموس (ك ٥ ف ١٤) جعل هذا النهر بين بيروت وصيدا . وهذا لا يوافق الليطاني كما لا يخفى . وكذلك ترى تشويشاً ظليماً في ما كتبه هولاء . للوقت في « لاوتوس » التي نُسب اليها هذا النهر فهم يقولون انه كان في ساحل لبيقية مدينة تدعى لاوتوبوليس ومنهم من يجعلها بين بيروت وصيدا . جنوبي نهر الدلمود . وهو رأي لسطرايون الجغرافي . أما يليبيوس فيزعم ان موقع لاوتوبوليس بين بيروت ونهر الكلب . وفي جغرافية كسكيلاكس ان هذه المدينة جنوبي صيدا . وهذه كلها آراء متضاربة واقوال متباينة لا يستفاد منها شيء . صريح في اسر اسم الليطاني عند اليونان أما لاوتوبوليس فسيأتي ذكر موقعها قريباً

ومن غريب الامور ان الاسفار الالهية لم تنوّه باسم الليطاني مع انه كان على الرأي الأرجح احد حدود الاراضي المقدسة (١) . فترى متأسفاً ان تعريف موقع هذا النهر وسمه وتاريخه القديم لمن الحضلات التي استغلقت بابها على الباحثين في مجاري المياه اللبنانية

ونكن دعنا ننظر لنك هذا المشكل في الكتابات التي سبقت عهد بني اسرائيل فلعلنا اذا رقينا في سلم الادوار وقتنا على حقيقة الامر سكما ان مياه الانهار تزيد صفاء اذا قريت من مخرجها

ولعلم انه قد ورد في الكتابات المصرية المعروضة اسم قديم يدعى « رطنو » و « رنتو » و « رنتو » موقه شمالي فلسطين وحيث اليوم سهل البقاع الذي فيه يجري الليطاني . ثم ان الراء في اللغة المصرية من الحروف الدال التي ككثيراً ما تبدل

باللام فَسُكُونٌ « رطون » و « لطنو » عبارة عن اسم بلد واحد ١٦ . ومن ثمَّ فليس يستبعد أن يكون اسم الليطاني إشارة لهذا التطر ومناه « النهر الجاري في بلد لطنو » فقيل اختصاراً « ليطاني » كما قول نهر يريوت ونهر عكّار دلالة على البلد الذي يجري فيه هذان النهران

وعلى وأذا إن هذا الشرح لقرب الى الحقيقة في تعريف اصل اسم الليطاني القديم أما اسمُ اليرباني فلا سبيل الى توقيفه على ما حكته اليربان بخصوص نهر لاوروس . والله اعلم

٤

سُكْنَى لُبْنَان فِي قَدِيم الزَّمَان

إن لبنان من اخلا ولايات الدولة الملية بالسكان فان مدخل أهليه يبلغ ٦١ قسماً في كل كيلومتر مربع . وهو لمصري مددً بليغ لا تتجاوزه إلا ولاية دار السلطنة وجزيرة ساموس . فان مدخل قاطني الولاية الاولى هو ١٦٢ شخصاً في كل كيلومتر مربع أما ساموس فاهلها ١١٣ قسماً في الكيلومتر . الا انه لا يجوز للناحية بينهما وبين لبنان لأن ولاية دار السعادة تشمل الاستانة الملية وهي كما لا يخفى من حواضر المدن واكثرها سكناً فيزداد عدد اهلهام مدخل اهل الولاية التي هي داخلة فيها . وهكذا ساموس فانها جزيرة كثيرة الخيرات حسنة التربة ليس فيها جبال عالية فلا حجب اذا تقاطر اليها الناس ليستوطنوها . أما لبنان فبارة عن سلسلة جبال عالية كثيرة الصخور قليلة الحصب ومع ذلك ترى مصانع وقرى متقاربة مكتظة الاهلين بحيث يصح القول انه لا يوجد في قطر آخر جبل يور عدد سكانه على سكان لبنان

على ان الامر لم يكن كذلك في سالف القرون فان لبنان كان قراً مقترفاً لا يأوي اليه الا كواسر الوحوش وليان ذلك ما نحن نبحث في هذا الشأن لرى كيف احتل لبنان سكانه او لا قبل عهد النصرانية ثم غنياً في زمن الرومان واخيراً منذ

(١) راجع في مجلة اللاهوت الكاثوليكي، 1902، Zeitschrift f. kathol. Theologie، 402 p. بحثاً حثاً في ما نحن بصدده للدكتور شندرا تريبس كطينا سابقاً

دخول للولنة فيه وهي اطوار ثلاثة توافق احوال هذا الجبل الثلاث من حيث السكن فتمت الاهلون الى ان بلغ حددهم الى ما زله اليوم



اعلم انه مما لا يختلف فيه اثبات ان جبل لبنان كان في الاعصار النابذة قليل السكان ولا غرو فان وضع هذا الجبل وهيئة واحواله الطبيعية والجغرافية مما يمنع من تولد السكان اليه . فان مشاركة اليا صرود لا يمكن سكناها لبعدها ليس قط في فصل الشتاء لكن ايضا في بقية السنة . وهي المنطقة التي تعملو ١٨٠٠ متر فوق سطح البحر . فان القسم الذي يلو هذا الخط يُعرف بالجرود لان ارضه جرداء كثية الصخور لا يلبث فيها الزرع الا ضارياً وبعد صاء ومشتة . وتزيد على ذلك ان لبنان كله لم يقيم قط بمأش اهل لا سياً في عهدنا مع تراحم السكان فيه . وليس هذا ناجماً من تضاؤل اللبنانيين وتكاسلهم لان كل الكتبة لسان واحد على هيئة قلآن هذا الجبل وملازمتهم العمل ومواظبتهم على الفلاحة . وفي جانب آخر ليس للبنان مناخهم معدية يمكنهم الارتاق برافقتها ترويضاً مما ينتصهم من الضلالت . وكذلك ترى اسباب التجارة قليلة في لبنان لا يباع بها لان الطرق التجارية لا تتفرقة فتخيه قوافل التجار . بل الاخرى ان يقال ان حياة كسدة قائم في وجه الاسم الواقعة على حطية قري يتبعها فرقاً كبيراً من حيث الهواء والنبات وكلاهما يختلف في وجه لبنان . واذا استقرت التاريخ وجدت سياسة شوبها متبانية يعيش كل شعب على حدة معزولاً عن الآخر مع كونهم يتحدون كلهم الى عنصر واحد

ومما يشهد على صخرة السكنى في لبنان انك لا تجد في خلال جباله سوى مسالك حرجة وشاب ضيقة لا تقطع الا بالجد الجهد . اما السبل التجارية اللاحجة التي كانت القوافل تسلكها فانها كانت تمر شمالي لبنان وجنوبيه فتعطف في وادي النهر الكبير او تجاري سيرة نهر الليطاني والطريق الاولى هي التي اغنت طرابلس في الزمن القديم اما الثانية فكانت مبلجة لعدة صور العظمى . وبمكس ذلك لم تُصب بيروت مقاماً كبيراً في التجارة اذ كان يفصل بينها وبين دمشق والبلاد الداخلية سلسلتان من الجبال المرتفعة الى ان كُتحت طريق الشام بعد السنة ١٨٦٠ ثم أنشئت

السكّنة الحبيدية بأنتمصر الأكسان بكّد جيّته على ما اقامت الطبيعة في وجهه من العراقل والعروق

هذا وإذا تمصّنا أقدم ما سطره المؤرخون من لبنان وجدناهم يصنون هذا الجبل بمثابة كشيقة تريئة . ويوافق هذا الوصف ما ورد في الاسفار المقدسة واقدم الآثار الاشورية . وقد دلت هذه الحالة قرونًا متواترة كما يشهد على ذلك مؤرخو اليونان والرومان الذين ائتمنا نصوصهم مرارًا في مطاوي كلامنا عن الارز (ج ١ ص ١٣٩) وفي مقابلتنا بين لبنان وجبال الالب (المشرق ١ [١٨٩٨] : ٧٢١) . ومن عجيب الامور ان هؤلاء السكّنة لا يذكرون البتّة شيئاً من قرى لبنان وأنما يدّعون فقط للندن الفينيقيّة الواقعة على ساحل البحر . نعم انّ بعض المستشرقين استشفوا من وراء اسم « أميا » الوارد في مراسلات تلّ الهامة (المشرق ٣ : ٧٨٩) قرية « لميون » ألا انّ الامر ليس بمتروفضلاً عن ان لميون واقعة في سهل منبسط طيّب التربة قليل الارتفاع وليست هي في وسط لبنان

واوّل ما ورد من لساك الدساكر اللبنانيّة في اساطير المؤرخين انما جاء في جنراية اسطرابون اعني قبل تاريخ الميلاد بزمان قليل بعد ان فتح بُنيّوس بلاد الشام الآلهي لساك ثلاثة حصون او قل بالاحرى ثلاثة عشوش الحصص تدعى جينرتا وسنّان ورومة (المشرق ٥٠٧ : ٢) ومواقع اخرى مثلها اكثرها قريب من البحر . ومما يستدلّ من مجرد ذكر هذه الحصون انّ سكنى الجبل كانت عنقوفةً بالاختار لا يترصّنه الا قليل من السكّان . وسنعود الى ذكر هؤلاء اللصوص مند كلامنا عن الايلوديين وهم قوم من عرب حوران امتزجوا بالنصر اللبناني

أما الكتابات القديمة فهي حزينة جداً في لبنان وكلّ ما وُجد منها لا يجاوز قدّمه اوائل التاريخ للمسيحي وقد اكتشف مظهرها قريباً من الساحل ليس بعيداً من جبيل ويهوت وهذا دليل واضح على قلّة سكّان لبنان قبل المسيح . ولنا ايضاً على قولنا برهان آخر في ما نراه من الاخربة القديمة في لبنان فانك قلّما تجد فيها من الآثار السابقة لهد التصرانيّة وكذلك النقوش المعنونة على الصخور فهي كلها من عهد الرومان اللهم الا نقوش وادي بوسا قرب المرمل وسيأتي ذكرها ومع كلّ هذه الشواهد انّنا نرجح كون لبنان لم يتخلّ من بعض المراكز الآهلة

كان موقعا في وسط الجبل اتخذها الاقدمون في بعض الوديان والبطائح الحسنة القوية الكثيرة لياه السهبة الزراعية (١) . وكذلك كنت ترى في خلال القنات منازل للحطابين كانوا يحدون فيها الحطب لاسيما الارض الذي كان القداماء يقبلون عليه لتجهيز مبانيهم ومنه كان التليقيون يمترون سفنهم ولساطيلهم (٢) . ولعل بعض القرى التي تُعد من اقدم دساحر لبنان كاهدن وبشري اي ابتدأت على هذه الصورة فكانت اول امرها كمصانع لتحليب الارض وبغيره من الاشجار الجبلية العظمية . وقد اوردها في ما مر كتابات يونانية وُجدت في اهدن ترتقي الى التاريخ المسيحي ومنها يستدل على ان تلك القرية سبقت عهد النصرانية . اما بشري فان اشتقاق اسمها على رأي البعض من اسم الالهة عشتار وبه دليل كاف على قدم عهدا

ومن القرى التي زُجج قديمها المرمل الواقعة على متلحف لبنان الشرقي . ولا غرو فان موقعا في بطحا مخصصة غزيرة المياه مما يستدعي الى استعمارها وبقرها وُجدت ضيقتان فيها كتابات لسورية قديمة تشير اليها قريبا ومن الامكنة التي تولا الناس في غابر الايام بعض المقامات التي اتخذها الاهلون كنسك دينية منها البثونة وقرا ودير القلمة ومشقة . فان هذه اللحلات وان لم يرد ذكرها قبل ايام الرومان فان اصلها فينيقي محض لا محالة

وعلى هذه الصورة اضحى لبنان شيئا فشيئا مددا للسكن . فان الاهلين ضربوا اطلابهم اولاً قريبا من المدن الساحلية وفوق دني لا يجاوز علوها من ٩٠٠ متر الى الف متر حيث الهواء لطيف والرزق مضمون . ثم اخذ لبنان يُجرد من احواله الكثيفة الدفة لتأجج الاهلين بجشها فصار الناس يفلحون الاراضي التي تومت منها الادغال ويشيدون المباني للسكن وكان ذور الثروة من اهل الساحل يتوغلون في فصل القبط مشارف لبنان ترويحاً لنفس وطلباً للراحة بعد ما تجسموه من الاسفار الشاقة



فاخذ من ثم التطلين يتوغلون في لبنان فازداد عددهم وغرا خصوصا بسد التمتع الروماني . وقد لسلنا فوصنا ما نجم من دخول الرومان في سورية من اللانفع الجمة

(١) وما زرع فيها الجفنة فان مورث التي ذكر في كتابه (١٤: ٨١) بحر لبنان والطرأ

(٢) راجع ما سبق لنا في الجزء الاول في هذا الخصوص

(راجع الجزء الأول ص ٢٠) فان علكهم رفع بها الى اعلى مقامات السورن والتقدم. فهم الذين قصوا اجنحة النق ومسدوا لروقة السلام فوق كل الالهين على لختلاف اجناسهم. ومن اعمالهم المشكورة انهم استأصلوا شاة اللصوص الذين كانوا تحصنوا في لبنان فذكروا معاقلم واعادوا الأمن الى السكان (ج ١ ص ١٤٦). فراجت اسواق التجارة واضمت المدن الساحلية محطاً للقوافل ومركزاً للعمليات لاسيما جبل بيروت وصور فاقشرت منها هذه الحركة الى ضواحي لبنان المجاورة لها. ومما زاد في خصب الجبل ما ابتناه الرومان من التقي جلب مياه لبنان من صونها فكان ذلك من ادعى الوسائل لكسر الحضارة وتلطيف الهواء في مدن الساحل. ومنها ايضا السكك الرومانية التي كانت تستدبر سائرة حول لبنان. واحدى هذه السكك كانت تتحقق الجبل في حوضه سائرة الى جنوب العاقورة ومنها الى بلبك (المشرق ٢ [١٨٩٩: ٣١٤٤]). ولا كان لبنان لم يزل بعد مزداناً بغاباته سى الرومان باستقارها ووضعوا لذلك قوانين مملوءة حكمة اشراها ساجاً ولا عجب اذا رأينا لبنان في أيام الدولة الرومانية تنميت احواله وتوتت شؤنه والى ذلك العهد تنسج هذه كتابات منها يستدل على وجود قرى وضياح او بالارى مزارع وحساكر. ومن غريب امر هذه الكتابات أنها لا تحتوي علماً لمكان واقع في قلب لبنان. ومجمل ما تتضمنه اعلام شخصية فقط وفي ذلك العهد استبدل الرومان للمابد الفينيقيّة الصغرى بياكل فضيمة يتولاهما عدد غفير من السدة وارباب الدين فكان يقاطر اليها الزوار زرافات. ومنهم من كانوا يبتارن تلك الاسكنة لسكانهم فأنشئت هذه قرى حول هذه المقامات الدينية. وكان لهذه المياكل اوزانها وغاباتها المقدسة واوقافها وكرومها. ومعلوم أنه لا ندعة للقيام بكل هذه الاملاك من حلة وفلاحين يستكرونها (١). فلا غرو ان ضياءً كثيفة ظهرت على هذه الطروقة الى حيز الوجود غنص منها بالذكر قرية دير القلمة التي كان يجمع الى هيكلا اهل بيروت ويقضي فيها مستمر الرومان فصل الصيف والى هذا الزمان ننسب ما اكشفت في لمكنة عديدة من الآثار الزمانية وادوات

(١) راجع قلموس القاديات اليونانية والرومانية لسانطير (Saglio) ك ١ ص ١٥٠

الغلاحة كالناصر والاجران والرحي الضخمة (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ١٠٧٠) والنواويس ومدافن لا يستبقى عددها متوفرة في الصخور وكان الرومان كلّفين بنرس انكروم فبشوا همة الاهلين على فلاحتها فاحسّت صنوف الحر اللبنانية ان اشتهرت في العالم الروماني فُهرُف بالحدود البيروتية (راجع بليزوس ك ١٤ ع ٧ ، ٩ وك ١٥ ع ١٢ ، ١٨) . ومن ادلة الزراعة انك ترى بين البثونة وبعلبك كتابات عديدة تحُد الاسلاك وتعرّز بينها . وفي امكنة اخرى كتابات غيرها منها لاتيكية ومنها يونانية يُستفاد منها تعدّد السكّان وتوفّر المنازل . وهذه الكتابات قد اثبتناها في مقالاتنا في مطاوي كلامنا عن كل محلّ بجرود قلّتراجع . ولدينا غيرها ايضاً ستبتهب انشاء الله عند مجئنا من القرى الواقعة في النطلف الشرقي من لبنان حيث نشأت قرى عامرة بعضها في جوار بعلبك وبعضها في ضواحي زحلة ككرزل ونيحا وجديس . ومتا يجدد بنا ذكره ان كلّ هذه الكتابات والمادّيات لا تتجاوز القسم للتوسط من لبنان اعني الى نحو ١٠٠ مدّ من سطح البحر وفي ذلك دليل على ان القسم الاعلى لم يُتخذ بعد للسكنى وانما كانت النهابت تكتلّة كما في القرون السابقة

*

وفي اثناء ذلك ظهرت النصرانية ففتح ظهورها باباً جديداً للتحدّن والحضارة في لبنان . فانّ المستمرات الراهبانية التي ذكرناها سابقاً (ج ١ . ص ١٠٩) اتخذت لبنان مقراً لاعمالها السكّية وقد اختارت لذلك اقرى ما وجدته من الادوة فصار للنّسك يُجبلون فيها يد الحراثة . حتى اضمحت هذه الناسك بعد قليل . مراكز اضياع عديدة كما جرى في اوربة حيث ترى مدّة كثيرة كانت في لؤل امرها ديرة للرهبان اوى اليها اقوم فصار مع قادي الايام بلاداً ولسة

ولكن لا يسنا السكوت عن امر يذهلنا ايّ انهال وهو قلّة الآثار النصرانية في لبنان قبل القرن السابع فانه لا تكاد تجد اثرًا واحدًا منها يمكن نسبته الى النصراني بلا ريب مع صكّة المادّيات الوثنية الموجودة في الخاء الجبل . وكذلك ترى من الكتابات اليونانية واللاتينية قسماً صالحاً وهي كلها لبسة الانصنام اللصم ألا غس اوست منها باليونانية . فيايت شمري ما السبب في ذلك . آيس هذا دليلاً على ما لكة النصرانية في سبيلها من الرقيل لما حاولت ان تقشر قاعه الخلاص

بين اهل لبنان . ولنا في تحليل ذلك سبب آثر وهو ان القوز الاخير الذي ناله الدين
النصراني في لبنان إنما كان على يد قوم من الآراميين ليس من اليونان ولذلك لا تجد
من الكتابات اليونانية النصرانية الأثر القليل

فان تحسبنا الآن الى ذكر تاريخ لبنان في القرن السابع وجدنا هذا الجبل قد دخل
في طور جديد يظهر للردّة والوارثة الذين لعبوا دوراً مهماً في طوارثه المختلفة . وكان
قبلهم لم يفلح منه إلا ساحله ووسطه بعد تجرّدها من غاباتها أما لبنان الاعلى والجرود
منه فإنه لم يزل قفراً خالياً من السكّان حتى أوى اليه اللولوة قاضى مبعوداً حافلاً
باطلين كقيّة نواحي لبنان . وسنبين ان شاء الله قريباً كيف تركت الأئمة المارونية
الأثنا قدّم على هذا البحث فصلاً آثر في شوب لبنان القديمة وسكّانه الاولين

• الامم البائدة في لبنان

ان بين الامم التي سكنت في سالف الازمنة مشارف لبنان ولوديته شوباً دثر
رسمهم وباد اسمهم . ومنهم من خلفوا لهم ذكراً كبنى كتمان والفينيقيين والآراميين
فاحتلوا ربوعه وتوالوا في سكناه فصارت سلاتهم ككنولة هذه الشجرة الكثيرة
القروع والنصر الاصلي لسكّان لبنان الحاليين . وليس في خاطرها ان تدون هنا
لساطير هذه الامم فان ذلك يقتضي كتاباً ضخماً يخرج بنا عما نحرّناه من
الحلّة في الكتابة وانما نبعث فقط عن بعض هؤلاء الشعوب الذين همّنا ذكرهم
ممن قصصوا على لبنان فاستوطنوه كلّهُ اوقساً منه ردها من الزمان ثم درسوا اما
بالمهاجرة الى غيرهم من الاقطار سواماً بفتح الفتحاين او باختلاط بعض بقاياهم بالناصر
الواردة الى لبنان

وهذا النظر العمومي مع قصره كافٍ ليعطى قراءتنا طمأً باخلط القبايل والامم
الشتى التي يتركّب منها اهل لبنان وفي بحثنا هذا نقيع أكثر شجر فشمبر على حسب
توالي الازمنة وكرور الاجيال

١ الحثيون

لم يكن ذكر الحثيين مستفيضاً بين العلماء قبل اواسط القرن الماضي . وغاية ما كنّا

نعلم من امرهم ما ورد من اخبارهم في الاسفار القدسة . فان ابراهيم الحليل عقد معهم عهداً ذكره سفر التكوين (ف ٢٣ ع ١٠ - ٢٠ وف ٢٥ ع ١٠) . وكذلك قد اتخذ عيسون اسحاق امرأتين من بني حث (تك ٢٦: ٢٠) ومن نسلهم كان اوربأ الحثي زوج بشتابع احد قواد جيوش داود . هذا الى اشارات أخرى عديدة يلمح اليها الكتاب الكريم ويؤخذ منها ما كان عليه الحثيون من عظم الشأن وكبير الامر . على ان بعض الكتب لم يألفوا من انكار هذه الامور او الانقياب في صحتها وذلك لانهم لم يجدوا في غير الاسفار القدسة ما يؤيد صدقها . وكانوا يزعمون انه ليس بين الوريثين كاتب واحد ذكر الحثيين

وقد شاء الله ان تشهد الاكتشافات الحديثة لصحة ما ورد في كتبه المزعومة وهالك بيان الامر : كان بلغ علماء الماديات منذ اوائل القرن التاسع عشر ان في مدينة حماة صفائح من الحجارة الضخمة عليها كتابات تشبه بعض الشبه الكتابات الهيروغليفية المصرية وهي تختلف بها . ولم يقنّ لاحد من الآفريين ان يفحصها فحصاً مدقّقاً الى عام ١٨٧٢ . فلما تفرغوا للبحث في تلك السنة اخذ الدهش منهم كل مأخذ اذ تحقروا ان الكتابات المذكورة للحثيين وان هي الا آثار الاولى التي تنبئ عن دولتهم العظمى التي اُمتحى ذكرها (١) . فحصل العلماء ينصمون النظر في آثار تلك الأمة ويبحثون عن دلائل أخرى توقّهم على سرارهم فما كذبوا ان اكتشفوا بعد زمن قليل عدّة آثار لزال كل الشبهة فوجدوا الماديات الحثية متحدة في حلب الشهباء وفي سهل عمن شرقي اطاكية وقريباً من الاسكندرون وفي مرعش وبوابلس على حفة الفرات وفي جهات أخرى من بلاد الاناضول . وكانت هذه الماديات اما كتابات منقودة واما كتابات مع بقايا ابية فضة او نائل او نقش منقورة في الصخر او خواتم وغير ذلك بما اطلع اصحاب القُد على تمدّن واسع قائم بذلك . فذ ذلك الحين دخل الحثيون في نطاق التاريخ ولم يد احد يشك في وجودهم

ثم واصل العلماء ابحاثهم فاطفوا رائد النظر في الكتابات المصرية القديمة والكتابات

(١) راجع كتاب *الأمم دلت* W. Wright : *The Empire of the Hittites*
ثم الكتب *The City and the Land*

الاشورية لهم يجدون فيها ما يزيدهم علماً بهذا الشعب المجهول . فما كذب ظنهم بل
أعلموا على افادات عديدة تبيّنوا منها أموراً لا تخصي بمخصوص الحثيين ودولتهم .
ولخضره الاب دي كارا اليسوعي فيهم مقالات مهمّة نشرها تباعاً في مجلة الآباء
اليسوعيين الايطاليّة التمدّن الكاثوليكيّة^١ . اوزنت في ذكرها مستفيضاً بين اللشرقين .
ومع كل ما كتب عنهم في هذه السنين الاخيرة لا يزال العلماء يجهلون لشيء كثيرة من
اخبارهم واسرار تاريخهم وسيبقى الامر كذلك ريثما لم يسد الحظّ احدًا من ارباب
العلم على قراءة الكتابة الحثيّة التي لا تزال مجهولة . ولا ظنّ احدًا يقوى على قراءتها
حتى يجد كتابة بلتين حثيّة وغيرها تكون كمنفتح لما كما جرى لشسپوليرون عند ما
فك اسرار اللغة المصريّة بواسطة حجر رشيد (راجع للشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٩٢)

ولكن من كان ياترى هؤلاء الحثيون ما اصلهم ما فصلهم ؟ غيب انّ الحثيين
ليسوا من اهل الشام وانما قدموا الى سورية من جهات الشمال . لما عصرهم فالزاي
الشائع حتى الآن انهم ليسوا من بني سام^٢ . وما ثبت من امرهم انهم كانوا تولوا
منذ القرن السادس عشر قبل المسيح البلاد الواقعة في شمالي سورية بين نهريّ حمرين
والفرات . ثم تقدّموا حتى سلطوا في القرن الرابع عشر على وادي نهر العاصي وسهل
البقاع حتى جنوب فلسطين في جوار مدينة حبرون حيث اجتمع بهم ابراهيم الحليل
وبشوه من بعده

وكانت في ذلك العهد حاضرة ملكهم في سورية مدينة قدس التي يظنّ العلماء
انّ موقعها كان في الملح المعروف اليوم باسم تلّ نبيّ مند عند بحيرة قلينة قريباً من
حمص^٣ . ولا زيد هنا ان نبط الكلام في الحثيين ولغاياتنا ان نذكر ما كان لهم
من الملاقى مع لبنان

(١) راجع ما كتبه في هذا الشأن العلامة مسيرو في تاريخه القديم (٢٥٣ : ٢) في دي نشرير
(De Lantsheere) في كتابه عن اصل الحثيين ولقبتهم ثم جنس في كتابه عن الحثيين والارمن

وهو يزعم ان الحثيين قبيلة ارميّة

(٢) راجع مقالاتنا المنشورة Notes épigraphiques et topographiques sur

l'Émésène, p. 46



صورة احد غزاة الحثيين (من اثر قديم)

وان سألت هل احتل الحثيون هذا الجبل ؟ أجبتا انه ليس لدينا اثر صريح
 يثبت بهذا الامر ولا غرو لانه كما قلنا سابقاً لا نعلم الا الترد القليل من تاريخهم واتساع
 دولتهم . وزجج كونهم اضطروا على الاقل جهات لبنان الشامية ولعمري كيف يقبل
 العقل ان امة قوية رجالها معاو يروبو اتخدت لها عاصمة مدينة قدس لم تمتد ظل
 سطوتها على شمالي لبنان وليس بينها الا قاب قوسين اعني سهلاً ضيقاً فقط . ولو
 افترضنا ان لبنان في زمانهم كان عبارة عن غابات كثيفة هل اهل الحثيون امره
 وفي وسعهم ان يستثمروا خشب ارزو الفاخر ويستخدموه لمبانيهم الكبرى
 وعماثرهم ١)

وعلاوة على ما تقدم لا يمكننا ان نسلم بان الحثيين تناضوا من احتلال وادي النهر الكبير الذي يفصل لبنان من جبل النصيرية وهم يلمنون ان هذا الوادي طريق للأمم النافحة . وذلك يظهر من تاريخ الفراعنة انهم اذ ان دعسب الساني لما اتى لقائه الحثيين سار الى محاربتهم ماراً بهذه الطريق

فلا بد اخن من القول ان الحثيين بعد ان استولوا على البقاع ملكوا ايضاً حلف لبنان الشرقي والممالك التي تنضي الى لبنان الغربي . وبما يؤيد هذا الرأي ان سهول البقاع المتوسطة كانت في تلك الازمنة القاصية مارة من مستنقعات مائية لا يمكن استيطانها فلزم اذا الحثيين ان يسكوا الجهات المرتفعة فوق تلك البقاع

على اننا نرى دلائل أخرى باقية الى عهدنا تحملنا على ترجيح هذا الامر وهي اسامي عدة امكنة في سورية تدعى « حثا » او « كثرحاثا » فارتأى العلماء ان هذه الاسماء اشارة الى احتلال الحثيين في بلاد الشام لان « حثا » او « حثا » هو اسم الحثيين قس . فان صدق هذا القول ولعل فيه شيئاً من الصحة أفليس لنا ان نقول عن القري الموجودة في لبنان باسم « حثا » او « كثرحاثا » انها آثار باقية من زمن الحثيين . بيد ان هذا القول ليس باطع لانه يمكن اشتقاق « حثا » من لفظة سريانية « حثا » التي معناها « الحديدية » او « الجديدة » ويؤيد ذلك ان قري لبنانية عديدة تدعى ايضاً « حث » و « مبيدنة » ونمد « حثا » اقرب الى السريانية من سواها . ولسيادة الطران بطرس شلمي كلام حسن في هذا الشأن اثبت في المجلة الكتائية (Revue Biblique, 1901, p. 587)

ومن الاسماء اللبنانية الكثيرة الورد اسم « شعور » او « شاور » كعين شاور في حماتا وغيرها . وكذلك « جسر الشفر » او « جسر الشعور » في ولاية حلب . وقد ثبت الآن ان شاور كلمة حثية الاصل وهي فيها « ساغورة » (١)

هذه آثار جنتها هنا للاستدلال على اقدم الشعوب البائدة في لبنان وهي كما ترى خفيفة الا ان امانا وطيد ان الاكتشافات المستتبه سوف تطلعتنا على ما هو اقوى منها حجة وادلى يأتى والله على كل شيء طليم

(١) راجع مقالة لخصرة الكاتب ا . شندا في مجلة Mittheil. d. Vorderasiat. Gesell., 1902, p. 19

٢ اليونان

انتفض جبل الحثيين في الشام (ولبنان معها) فتطلب الفرائضة على سورية . ثم تبهم ملوك اشور الكلدانيون وخلف الفرس الاشوريين . وكل هذه الدول بعد كسرتها تركت من آثارها شيئاً في بلادنا ولا بد ان يكون تتلف من تلك الامم بعض بقايا امتزجت باهل فيليقية امتزاج الماه بالراح حتى لم يعد يمكن لفرز هذه العناصر القريبة من الاهلين الاصليين . وكان لبنان في عهد كل هذه الدول قليل السكان للاسباب التي ذكرناها في مقالاتنا السابقة وان كان عدد المهاجرين اليه لم يزل يزداد يوماً فيوماً بقراهم السكان وحرائه الآكام الوهنة عند منطف الجبل

ولما كانت اواخر القرن الرابع (ق م) ظهر ذلك البطل الصندي والملك العظيم اسكندر ذو القرنين المقدوني فكان اول ما تطل الى عتقة البلاد السورية وكان يملك عليها وقتئذ داريوس ملك الفرس فرحف اليها بمجنودو بعد ان غلب اعداءه في سهل فيليقية قريباً من مدينة ايسوس فما مر عليه بضعة اشهر حتى فتح سواحل فيليقية وخضعت له دمشق ولم يبق في وجهه الا صور فعاصرها مدة الى ان اخذها عنوة في تموز من سنة ٣٣٢

وكان في اثناء محاربة الاسكندر لصور قد احتال بعض اجلاف اللبنانيين قوماً من اصحاب الملك فتتلوهم . فسار الاسكندر بقسم من صكركه الى لبنان فلم يلق في وجهه عدواً ثم وصل الى البقاع والجبل الشرقي فباد بعد عشرة ايام غاماً ظافراً

وما لبث ذو القرنين بعد فتح صور حتى اخضع بلاد فلسطين ومصر ثم سار الى اقاصي الشرق ففتح ما فتح ومات بعد عشر سنوات في ايلول سنة ٣٢٣ ق م

فصار سورية من بعده الى احد قوادس سلوقوس نيقاطور تملكها وألحق لبنان بها فدخل هذا الجبل تحت حكم السلوقيين الى ايام الرومان

وهنا مبسّط مهم لم نكن نشره في لولان بعض المصلدين استندوا الى حجاج واهية ليؤيدوا زعمهم الباطل

وذلك القضية المطالب بآبائها هل يا ترى لما استوى اليونان على جبل لبنان غلب النصر اليوناني النصر التيفيني او الآرامي بحيث يصح القول ان اليونان من الامم التي استوطنت لبنان

نجيب على هذا القول بالاجمال أننا بينما غير مرة ان النصر المتخبط على سورية في عهد اليونان كان النصر الآرامي لا اليوناني (راجع المشرق ٣ : ٢٦٨) . فان صدق ذلك عن سورية عموماً فهو اصدق ولحق من لبنان خصوصاً فلأن آرامية سكانه في أيام الدولة اليونانية اوضح من النهار

وكأنني بالعرض يستوقفني هنا ليرد على هذا القول بدليلين على زعمه مقنعين اولهما اسماء اعلام الامكنة وثانيهما الكتابات اليونانية في لبنان

نجيب على الاعراض الاول أننا اذا استثنينا بعض امكنة من سواحل فينيقية او من مستعمرات اليونان (راجع المشرق ٣ : ٢٧٠) لا تكاد نجد اسم قرية في لبنان مشتق من اليونانية بل اكثر الاسماء ان لم نقل كلها آرامية - محض مع بعض اسماء عربية احدث عهداً . وترى العابد الكبرى نفسها كدير القلعة والمثنية التي تسمى لساها الآرامية لا تعرف لها اسماً يونانياً . وما لا مراء به ان اللد الساحلية التي صنف اليونان اسماءها الآرامية حادت بعد حين الى اسمائها الاصلية

اما الاعراض الثاني المسند الى الكتابات اليونانية التي وجدت في لبنان فانه يظهر لأول وهلة اقوى حجة وادلّ بياثا ولكن اذا سبرناه بميزار الانتقاد وجدناه وانما كالاتراض السابق ولا يثبت البتة زعم الحجج

لا ننكر وجود الكتابات اليونانية في لبنان وقد اسعدنا الحظ على اكتشاف كثير منها ابرزناها الى عالم الوجود في الجلات الاوربية . لكن مجرد وجود الكتابات اليونانية في محل ما لا يدل على كون اهل هذا المكان من اليونان . زى اليوم في لبنان عدة كتابات تركية او فرنسية على بعض المباني المستعينة فهل يستنتج احد من هذه الحطوط ان اهل لبنان من النصر التركي او الفرنسي ؟ وكذلك في لبنان عاديلت وكتابات لاتينية كثيرة من عهد الرومان فمن يا ترى زعم لاجل ذلك ان اهل لبنان كانوا رومانين . وغاية ما يستدل من الامران الرومان ملكوا لبنان او ان بعض أسرات منهم احتلت بعض انحاء الجبل لترويح النفس كما يفعل اليوم كثير من الاوربيين . وكذلك الكتابات اليونانية انما تدل على ان اللغة الرسمية كانت في ذلك العهد لغة اليونان وان بعض وجهاء اللبنانيين جنحوا الى آداب اليونان ولتتهم كما يتبرج اليوم ابناء الوطن فلا يحكمون بنير اللغة الفرنسية ولا يكتبون الا بها

فدليل الكتابات وحده لا يجدي إذاً نقاً لبيان عنصر أمّة ما اللهمّ إلا بأن يضاف إلى أدلّة أخرى تاريخيّة وضعية تزييل الشبهات. وقد لحظ ذلك أحد علماء مصرنا وهو مُؤدّك الشهير (١) قال : « أنه لا يجوز الاستناد على مجرد وجود كتابات في إحدى النقات او عدم وجودها للقول بأن اهل ذلك البلد كانوا من ذلك العنصر او لا ». مثال ذلك مدينة بيروت التي لم يُلقَ فيها حتى الآن كتابة فينيقية أنيسوغ ان نقول أنّها لم تكن فينيقية ؟ كلا. وكذلك لبنان ساء من زعم ان اهله كانوا يونان او رومان لوجود كتابات قديمة فيه من عهد هاتين الدولتين

وعلاوة على ما تقدّم أمّا زى الكتابات اليونانية المكتشفة في لبنان مشحونة بالاغلاط مشوّمة بالتصحيحات غير تامّة العالني وكلّ ذلك دليل على أن النشأ والخفارت كانوا يوسمون الالتاظ رسماً مادياً وهم لا يدركون معانيها (ج ١ ص ١٢٧)

وان قال قائل أن اعلام الاشخاص المرسومة على هذه الآثار يونانية اجنبيا مع اكبر العلماء باحوال الروم وهو العلامة الشهير مُنسين (Mommson) في تاريخه (٢) : « أن اغلب هذه الاسماء ليست يونانية او ان كانت يونانية ترى معها الاسم النيليقيّ او السامي الذي كان يُعرف به الشخص ». وفي هذا القول بطة واضحة على أن اليونانية لم تكن سوى مسحة ظاهرة وزيّ خارجي تزيّا و اهل لبنان حباً بالجاه ونشها بتأدي ذلك العصر

ولعلّ المقترض يزيد على ما سبق اعتراضاً ثالثاً يقول : « ان قيام مبيودات اليونان مقام أكمة فينيقية والشام دليل على تغلب اليونان ». اجبتا ان هذا البرهان والحق على طرفي قبيض - فانه لا يوجد بلد حافظ لهلة على مبيوداته القديمة مثل لبنان والشام فانّ الدين الآرامي والفينيقي صبر على كل التقلبات السياسية الى ان غلبتها النصرانية. وكلّ ما يمكننا ان نسلّم به من هذا القبيل ان بعض اساء الأكمة الفينيقية برزت على صورة يونانية في نطقها . وكذلك اطلق الكتبة اليونان واصحاب الامر على هذه

(١) راجع المجلة الاسيوية الآلانية ١٨٨٥, p. 333 ZDMG,

(٢) راجع Roem. Geschichte, V, 453



تمثال المشتري (بعل) البعلبكي في دير القلعة

الالهة اسما غريبة قدموا هذا
 « جوبيتر » وذلك « ابولون »
 اما الالهون فحافظوا على
 اسماهم لكنهم بكل حرص حتى
 ان المؤرخ مئسرين السالف
 ذكره يبين في تاريخه (ج ٥ ص
 ١٥٢) ان اهل سورية لم
 يختلطوا باليونان الا اختلاطاً
 سطحياً واثبت ذلك بانهم
 حافظوا على ادبهم الخصوصية
 في حلب واقامية وحمص
 وتدمر . وكذا قل عن دير
 القلعة حيث شاعت عبادة بعل
 مرقد . وهذا البعل كان
 مشهوراً وقد ورد اسمه في
 الكتابات اللاتينية على لفظ
 « جوبيتر » لا لكونه الها
 رومانياً بل مراعاة للدولة
 واستجلاً لحاظ اليونان
 والرومان واستدولاً لعلابهم
 اذ كانوا يحجبون اليه . ولعل
 سذاجة بعل مرقد سوره ايضاً
 بهذا الاسم دلالة على
 اماتهم للسلطة الرومانية
 واعتصامهم بمجملها . ولذلك

ترى بل ببلبك وهل دى القلمة ملتبين في الكتابات باقالب جوبيتر رومية الظلمى
 العروف « جوبيتر كايترولان » فيديمان مثله بالاله الصالح الاعظم Jupiter)
 optimus maximus وكذلك ترى الهة سامية ملتبة بسم الهة الرومان
 « جونون للكة (١) » (Juno regina)

وقد رسمنا هنا صورة تمثال جوبيتر ببلبك الذي اكتشفه حضرة الاب رتقال في
 دى القلمة ترى كم يختلف الإله التيفتي عن الإله الروماني في الصورة والمهية (انظر
 الصورة في الصفحة السابقة)

ولذا عدلت الى هيكل اقفا وجدت كذلك عبادة مشتاورت التيفية مستترة
 بداء الإلهة الزهرة اليونانية وان كانت كل واحدة مختلفة عن الاخرى . وذلك يظهر
 من شعارها الذي لا يشبه في شيء شعار إلهة اليونان

ومما قلناه من المنصر الآرامي في لبنان يصح ايضا من لتتهم الدارجة قائما
 كانت الآرامية . وهو رأي المؤرخ الشهير منسين لاذ قال (ص ١٥٢) : « لني اظن ان
 اللغة الآرامية كانت اللغة السائدة دون غيرها في لبنان على عهد قيصرية رومية » . وان
 نسب احد هذا الكتاب الى النلور والبالنة ورأى انه يفس حقوق اليونانية في الشام
 تصدى له احد ائمة العلماء المبرزين وهو فلك الاساني الذي ليس قط يوافق وطنية
 منسين بل وجد انه مقصر في حقوق الآرامية وقد اتى مصداقا لقوله بمجيج تثبت
 شيوع الآرامية بحيث لا يبقى بعدها رب (٢)

ثم ولوسمنا بان اللغة اليونانية طمست في لبنان آثار اللغة الآرامية فلا يتبع من
 ذلك ان اصل اللبنانيين يوناني . وليست الالهة وحدها كفية لتعريف الاصل . وانما
 ذلك دليل يقتضي تأييده بدلائل أخرى تبلي الحقيقة وتوضحها . فان التاريخ يفي
 بوجود اسم عديدة تكلمت بلنة غير لغتها الاصلية . فان اللاتينية مثلا درجت بين
 شعوب شتى لم يكن بينها ادنى علاقة . وقس عليها العربية وغيرها

وغلاصة القول ان المنصر اليوناني كان دافعا في لبنان عنصرا زهدا لا يماؤ .
 ونستطيع التاثيرى ندرا على اننا اطلنا القول في هذه القضية التي لا يختلف فيها اثنان
 بين علماء الماديات

٣ الايطوريون

سبق لنا القول (ج ١ ص ١٤٤) ان الرومان لما فتحوا الشام وجدوا لبنان في حوزة قوم من الغزاة كانوا مكشوا في جباله الساحلية الممتدة من طرابلس الى جبيل . وهم الايطوريون

وليس هؤلاء القوم من لبنان ولما اصلهم من اللبأ ومن جبال حوران وكافوا ذوي بأس وطمع فتحاملوا على الجبل الشرقي واتخذوا خيراتهم كلمة ثم تشرفوا الى لبنان فاستولوا عليه قبل زمن الدولة الرومانية قليل

والايطوريون احدى القبائل العربية او الارمنية (١) التي كانت منذ ذلك العهد مدت ظل سلطوتها على البلاد الواقعة في جنوبي دمشق وشرقيها . وكان شيخ القبيلة اوانكثير يدعى بطليميوس ابن منابوس من اضلم اهل سورية ثروة وقدرًا . وكان يحكم على بلد الايطوريين الاصلي (٢) ويتولى الجبل الشرقي وجهات البقاع الشمالية مع مدينتي بلبك وكغليس (Chalcis) وكان في عسكره من الفرسان يبلغ عدده ٨٠٠٠ فارس

ولما زحف بطليميوس على لبنان وجد طرابلس وما يجاورها من لبنان الشمالي (٣) في قبضة احد الايطوريين من قرابة بطليميوس بن منابوس يدعى ديونيوسيس . فاضطر الرومان لتوطيد دعائم سلطانهم ان يجاوروا هؤلاء النخلة حربًا حواريًا كانت تقيجها وبالا على اهل ايطورية فاسر ديونيوسيس فاندبهم ديونيوسيس وأمر بقطع رأسه ثم توغل في لبنان فاخرب حصون جيفرة وسنان ويروما (٤) وكان غزاة الايطوريين يتحصنون من هذه المقامات المنية على المدن الساحلية فيوسمون اهلًا غنيًا وقتلًا . وقد حاولنا في مقالاتنا السابقة ان نبين مواقع هذه الحصون فلنراجع

- (١) كل الاحلام الايطورية الاصل الواردة في الكتابات القديمة بما حرر به وأما آلامية . راجع مجموع الكتابات الآرامية (CIL, III, n° 4371 etc.) راجع ايضا تفاصيل اخبار الايطوريين في سجع الكتاب المقدس (Vigouroux: *Dictionnaire de la Bible*, art. *Iturée*) (٢) ايطورية الاصيلة توافي بلاد اللبأ وجيدود الحالية . وقد ورد ذكر ايطورية في الجبل لوقا (١: ٣)
- (٣) اعني ما يشمل اليوم قلقيجيات الكورة والبترون وقسم من بلاد جبيل
- (٤) ان صح قولنا عن وقوع سنان ويروما في كسروان فيكون ملك الايطوريين بلغ هذه المدة ايضا

وقد حارب بيسطوس مدينة كليس الإبطورية فدمرها . وكليس على الرأي
 الواقع هي مدينة عين جر التي تُرى أثرها في سهل البقاع . أما قول البعض أنها هي
 زحلة فلا نصيب له من الصحة كما سنبينه في كلامنا عن هذه البلدة
 وخلاصة القول أن الآثار تنبئنا بامتداد سلطة الإبطوريين في قسم كبير من
 لبنان الشمالي . ولما انتصر الرومان عليهم وقصروا معاقلمهم تقلص ظلهم وباد ذكروهم
 من التاريخ ولا ريب أن بقاياهم امتزجت بأهل لبنان
 ونما يدل على وجود الإبطوريين في لبنان ما وجدناه في الكتابات اليونانية من
 الأعلام الرومية لاسيما في رأس الشقمة وانحاء جبل
 وليس الإبطوريون القية الرية الوحيدة التي دخلت في عداد أهل لبنان . بل
 نجد قبائل غيرها توصلت ذلك الجبل لاسيما الترخين (١) . وهذا الأمر مهم لمعرفة
 عناصر أهل لبنان نكتفي اليوم بالإشارة إليه فقط

٢. الرومانيون

استفدنا من الفصل السابق أن الحشوش الرومانية قهرت الإبطوريين في لبنان
 وكسرت شوكتهم . ولسائل أن يسألنا وهل احتل الرومان في لبنان فاستعمروهم ؟ ليس
 وجود الكتابات اللاتينية المتعددة في هذا الجبل دليلاً على سكتهم فيه ؟ قول أن
 جوابنا من قِبل الرومان في لبنان كمجوابنا عن اليونان وقد اثبتنا أن الكتابات اليونانية
 وحدها لا تدل على أن اليونان استغادوا لبنان لسكتهم . فكذلك قل عن الرومان فإن
 الكتابات اللاتينية تشير إلى غلبتهم على الجبل وتدل على أن اللغة اللاتينية اضحت
 اللغة الرسمية في بلاد الشام في القرن الأول السابق لهد السبع والقرنين التاليين له
 هذا ولا نكر أن بعض الرومان وخصوصاً أصحاب مستعمراتي بيروت وطرابلس
 الرومانيين كانوا يملكون في لبنان اقطاعات كثيرة من جبلنا املاك الإبطوريين لكن
 الرومان في الغالب لم يتولوا بأنفسهم زراعة هذه الاملاك وإنما كانوا يهدون امرها الى

(١) جاء في كتاب البلدان للبخاري أن لبنان المجاور لبيداء كان يسكنه قوم من
 قريش ومن أهل اليمن (راجع المجلد الثاني الفلسطيني 87 ZDPV)

شركاء - وطنيين يقومون بشؤونها ويسكنونها باسمهم . وإن وُجد منهم احد في لبنان فالصواب ان يقال أنهم كانوا قرأ قليلاً . ومن ثمة لا يجوز ان نطعم الرومانيين بين الشعوب اللبنانية القديمة

• المردة

في جُبة القرن السابع اعني سنة ٦٧٧ م يذكر مؤرخو اليونان لأول مرة قوماً يصلون سكانهم في جبال الشام من جبل اللكام شمالاً الى حدود فلسطين جنوباً وهم يدعونهم مردائيين ويعرفهم المحدثون باسم المردة . ومن غريب امر هذا الشعب انه لم يبدُ في بادئ ذي بدء ضعفاً ضئيلاً بل زهاء جائاً فوق مشارف لبنان ضابطاً مضائقه شاعلاً كل قلة الحصينة على مدى طولهِ من الشمال الى الجنوب وليس من يقوم في وجهه بل كثيراً ما يتغصن من مراكزه الخفية فيغزو العائلات القريبة منه دون ان يرد احد هجاءه . ولم يزل امر هؤلاء المردة في اشتداد حتى صار كل اللهيون والطورودين من اهل الوطن واصحاب القاعة يتجنبون اليهم ويلقون بجائيتهم ويدعونهم مدداً وقوة . ولا غرو انهم لو ثبتوا مدة على ذلك لانتوا بالاعمال الخطيرة لولا ان ملوك الروم الذين كان المردة يفضون لهم امروهم بالخروج من لبنان بعد ظهورهم فيه يبضع سنين فاندثر امروهم على فور كما ظهروا بنته دون ان يبقوا في لبنان اثرأ من موروهم ١)

فمن ذا ثرى هذا الشعب ؟ كيف ظهر فجأة دون ان يذكر احد وجوده في بلاد الشام ولبنان سابقاً ؟ ألى خرج ؟ هذه اسئلة اقترحها قبلنا العلماء وحاولوا حل مقدماتها . ومما يدل على ان الامر ملتبس مريض ان العلماء ذهبوا في ذلك مذاهب شتى نذكرها هنا دون ان تبدي فيها رأياً تاركين قراءتنا ان يصوروا الرأي الذي يرونه اصح واكثر ولا بُد قبل بسط هذه الآراء المتباينة ان نروي اقوال الكتبة الاولين الذين ذكروا المردة مباشرة لان اقوالهم من شأنها ان تعرف هذه الطائفة وتبين خواصها

(١) نزم ديشان في كتابه فينيقية ان قلة سمرجيل من اكابر المردة في لبنان وهو قول بلا دليل مؤدنا على خطأ هذا الكاتب الذي يتخذ منحيته حجة لزامه . وقد يشأ غير مرة انه كثيراً ما يري للكلام على مواضع ولا يستند الى الادلة

يرتخذ من اقدم ما ورد عن المردة ان لبنان لم يكن مركزهم الاوكل. قال المؤرخ تاوفانوس عنهم (١) : « ان المردة دخلوا لبنان » . (*εἰσέλαον εἰς τὸν Λιβανον*) وفي هذا القول ما لا شبهة فيه عن مجيئهم الى لبنان من حل آخر. ثم اردف تاوفانوس قائلا : « والتجأ اليهم الوطنيون » وفي هذا دليل على ان المردة لم يكونوا من اهل لبنان بل غريبا عنه . أما عددهم فكان وانرا يبلغ « اثني عشر الف رجل » . شك السلاح دون النساء والاطفال . وبما يدل على عطشهم لهم في مدة اقل من نصف قرن ملأوا القلوب رعبا بمنزلاتهم المتواصلة

والمؤرخون اذا اشاروا الى المردة دعوههم بلفظة عسكرية وهي *στρατιώται* يراد بها فرقة من الجند او الطابور . ولسمهم هذا دليل على أنهم لم يكونوا شعبا عسكريا الشعوب بل كانوا على هيئة عسكرية ونظام حربي يفلحون الارض وقت السلم وهم على أهبة لمباشرة الحرب في أية ساعة كانت . ولنا مثل على هذا التنظيم في أمة الكرواتيين التي كانت في القرن الثامن عشر تحافظ على حدود النساء في جنوبها . وكان الرومان ايضا قوات عسكرية من هذا الصنف كانوا يقيمونها حد ثغور لمملكتهم فيدعرونها لاجل ذلك بالفتنات الحدودية (*limitanei*) اعني انهم يذبون عن الحدود ويدفعون عنها الاحياء . وكان اولادهم يرثون تلك الاملاك من بعدهم ويعبرون مجراهم في الدفاع عن ثغور الدولة . وكان الرومان يتناوبون لئلا هذا المشروع قدام الجند الضعفين في آداب الحروب ثم وكلوا ذلك بدقتر الى بعض اهل البلاد المجاورة لحدود المملكة (٢)

وان سألت عن الدولة التي كان المردة يضمونها اجيناك أنهم كانوا تحت حكم ملوك الروم فهم الذين تنتموا اليهم بالمداخلة عن الثغور الشامية وهم الذين صرفوهم عنها واتولواهم في فواحي آسيا الصغرى كما سيأتي فهذه الافادات عن المردة لا ريب قرأ بصفتها كل المعدنين لانها وودت في

(١) راجع تاريخي في جميع الآباء اليونان المجلد ١٠٨ (PG. T. 108, p. 722, 733, 737) والترجمة اللاتينية هنا لا تزدي المعنى فاما قد ترجم « *aggressi sunt* » اي « هجموا » بدلا من « *ingressi sunt* » اي « دخلوا » (٢) راجع معجم اللغات اليونانية والرومانية Saglio et Darenberg : *Dict. des antiquités grecques et latines*, I, 1974

تواريخ مشاهير الكتبة الذين عرفوا هؤلاء القوم ووصفوا لمحاولهم ولكن هنا مسألة أخرى لا يتفق فيها أولئك العلم زيد اصل المردة وجنسيتهم . فقد ارتأى بعض الاثثة ومنهم العلامة السمعاني والحافظي وبرهيج بن غرون والديهي ومن تبهم من علماء الموارنة وبعض الكتبة الادبيين كبارونيوس ولوكيان وغيرهما ان المردة هم الموارنة . واتقوى حججهم لبيان ذلك ان المردة كانوا قوماً من النصارى يسكنون لبنان ولا يعرف في القرن السابع شعباً يدين بالنصرانية ويسكن لبنان غير الموارنة . وان اعترض معترض على اصحاب هذا الرأي بقوله ان المردة كانوا فرقة جندية موفدة من ملوك القسطنطينية الى بلاد الشام انكروا الامر قائلين لو كان المردة طائفة من الجند خرجوا من لبنان بعد اعتقاد الصلح والامر ليس كذلك فان المؤرخين يذكرون انهم داموا غزواتهم بمد الصلح الذي عقده بستان الثاني وانهم لم يكتفوا من عاداتهم حتى ابرم هذا الملك ماهدة ثانية ولرسل الى المردة عصبة تصرفهم من لبنان بالوعد والوعيد الى بلاد الارمن حيث كان الملك وقتئذ (١) . فهذا الاحتجاج لا

يخلو من القوة وهو يبين ما في هذا البحث من المضلات

اماً اصحاب الرأي الآخر فينكرون توحيد المردة والموارنة ويسندون رأيهم الى كون المردة ليسوا وطنيين كالموارنة بل غرباء عن لبنان اقوه من الخارج كما سبق القول ثم استولوا عليه فحصبوه في وجه العدو مدة الى ان يرحوه بعد زمن قليل

ومما يدعم هؤلاء رأيهم في اختلاف المردة عن الموارنة ان المردة كانوا خاضعين لملك الروم . قال ابن العبري في تاريخه السرياني (ص ١١٥) : « ان المردة جنود لملك قسطنطين اللبياني ارسلهم الى الشام للمداخلة عنها » . وكل هذا لا يوافق الموارنة الذين خلطوا بينهم رقة ملوك الروم كما يظهر من تواريخهم ومن تصرفهم مع ملوك بوزنطة والملكيين انصارها

ويزيد اصحاب هذا المذهب الثاني ان كلام تالوقاوس وقندريوس (Cedrenus) وغيرهما متأني عن المردة اصلهم اللباني . والمردة على قولهم كانوا قبل دخولهم في لبنان يقتلون بلاد الارمن ولايات آسية الصغرى واليهما رجوا بعد غزواتهم في لبنان . وقد

(١) راجع ردود لطفت رحمت الحارث يوسف الدبس على الاب الصودي قاله (ص ٤٤) ورماته اليان في المشرق (١٩٠٧) : ١١٤

كشّب احد علماء القرنج لسه انكتيل دوياردون (Anquetil-Duperron) مقالتين مطوكتين في مجلة الكتابات والفنون ليثبت ان المردة من الشعوب التي كانت قبل المسيح وانهم هاجروا الى بلاد عديدة في بحر الاجيال ومنهم مردة لبنان ومن ثم ليسوا بالموارنة (١)

وان سألت الذاهبين الى هذا القول : وما هي على رأيهم جنسية المردة . اجابك بعضهم انهم اصلا قبيّة ايرانية دخل فيها اخلاط من حاصر سوريّة واورمّية (٢) والاب مرتين في كتابه المخطوط « تاريخ لبنان » يقول ان المردة من العرب وهو يشتق اسمهم من « التمرّد ». وهذا رأي ضعيف لان المردة لم يأتوا من جزيرة العرب ولا من جهة الشرق وانما دخلوا لبنان قادمين من الشمال . وهذا مما يرجع رأي القائمين بان المردة اتوا لبنان من جهة آسية الصغرى . ثم لم يُفند احد من المؤرخين عن دخول العرب الى لبنان في القرن السابع . وان قال القائل ان هؤلاء كانوا من نصارى غسان من الذين استعان بهم ملوك الروم اجبتا ان الفسّانيين لم يخدموا واتنكر ملوك القسطنطينيّة خدمة تذكر بل لم يلبثوا ان انحلّوا الى العرب مواعينهم وكل ذلك يخالف ما جاء عن المردة في كتب المؤرخين . وعلاوة على ذلك ان الفسّانيين كانوا من اليمانية وفي عهد المردة كان ملوك الروم يطاردون هذه الشيعة ولم يكن المردة من قبيلة عربية أخرى لان العرب كانوا في ذلك العهد من ألدّ اعداء الروم فليس المردة اخذوا موطأ هذا ومن القدر الثابت ان ظهور الموارنة كأمة مستقلة قد اتفق مع عهد حروب المردة في لبنان . وان لم يسلم القراء بان الموارنة هم المردة فأنه لا سبيل الى التكرار باه وجددت بين القشتين علاقات ودية . ومما يتضح ايضا من تاريخ ذلك العصر ان الموارنة عند خروج المردة من لبنان لم يقبّعوهم في مهاجرتهم الى آسية الصغرى بل ثبت معظمهم في جبالهم

أما المردة فبجّوا بعد حوثهم سكتاهم في وطنهم القديم بلاد الارمن . وزي منهم من قطن في جوار اضاالية . ودخل قسم منهم الى جزيرة قبرس واحتلّ غيرهم بلاد اليونان

(١) راجع Anquetil - Duperron : *Mémoires sur les migrations des Mardes* (Mém. Acad. Inscr., T. XLV, 87 et L. 1 et seqq.)
(٢) راجع تاريخ دولة الروم Rambaud : *L'Empire Romain au X^e Siècle*, p. 213

ومودة ونزاحها . ولم يزالوا في كل هذه البلاد على نظامهم العسكري وكان لهم ضباط يدعونهم كاتيبانو (xatibano) . هذه خلاصة ما ورد في امر للرثة ومن استؤاد امكنة ان يراجع ما كتبه عنهم قديرئوس (١ ص ٧٦٥ و ٧٧١ طبعة يون) و زوغلانس في مجموع اعمال الآباء اليونانيين (ج ١٣٤ ص ١٢٩٧) وتاريخ قبرس (ج ١ ص ١٠٦) للعلامة ماس لاتري (Mas-Latrie) والسماطي في المكتبة الشرقية بمجلة اصداء الشرق (١٩٠١ ص ١٥٦) وساخاس (Sachas : Μεσαιωνική Βιβλιοθήκη, II, 45 seqq.)

٦ الجراحة

قد رأى القراء ما في مسألة الرثة من المضلات التي لم يحلها حتى الان ضاحل العلماء (راجع الصفحة ٤١ وللشرق ١١٤ : ٥) على ان هذا المطلب قودة الى بحث آخر فمة بعض العلاقة نفي بذلك أمة الجراحة

يفيدا التاريخ ان في القرن التاسع قبل الميلاد كانت في شمالي غربي سورية مملكة صغرى تدعى جرجومة عاصمتها مرعش . والرجح ان هذه الدولة أنشئت من بقايا دولة الحثيين البائدة (راجع ص ٢٩ من هذا الجزء) خلفتها في ولاية قسم من بلادها في زمن لا يمكن ترميزه بالتدقيق . ويد اتنا نعلم ان اهل هذه المملكة لم يكونوا من عنصر آرامي لان دولة الآراميين لم تمتد الى تلك الجهات على الاقل في الحيل المذكور . ولسم الجراحة واردة في الكتابات الاشورية التي تفيض في احوال هذا الشعب والتعلبات التي طرأت عليه . ولا نجد بعد الآثار الباقية ذكرا للجراحة الى عهد الرودة في لبنان اعني القرن السابع للمسيح

قال البلاذري في كتاب فتوح البلدان (ص ١٥٩ - ١٦٣) في مطاوي كلامه من فتح العرب لبلاد الشام : « ان الجراحة من مدينة على جبل اللكأم عند مدمن الزاج فيا بين يأس وبوقا (١) يقال لها الجرجومة » فيظهر من هذا القول ان الجراحة لم يلبثوا ساكنين في المكان الذي نشرت اليه كتابات الاشوريين قبل خمسة عشر قرنا الا انهم كانوا منحصرين في قسم من اللكأم (ألا داغ) بين مدينة يأس الساحلية وخر قرأسو . وكانت مدينتهم الكبرى التي منها اتقنوا اسهم لا تزال تدعى جرجومة

(١) لم نجد في كتب البلدان لجغرافيا العرب ما يبررنا بوقا ولا كوخا من حل الطاقة

ثم يذكر البلاذري تاريخ الجراحة على مألوف عاداته في ذكر غيرهم من الشعوب القديمة فتدق في كلامه بعض الإهام لأنه يروي في حُهم الروايات المختلفة التي جمعا دون أن يكذب ذهنه في ثبات صحتها أو التوفيق بينها . ألا أن الذي يردى في كلامه ويقابل بين هذه الروايات الشئ يأخذُه الاذهال لا يجد بين اخبار الجراحة والمردة من التشابه . فان ما ذكره المؤرخون اليونان من قدم المردة من شمالي سورية الى جنوبها وعن احتلالهم جبل لبنان وسكوتهم في جوار حمص وبلبك ودمشق قد رواه البلاذري عن الجراحة على عهد الخليفة الاموي عبد الملك وهو على وشك السير الى بلاد العراق . ثم اردف البلاذري قوله بقوله : « وَضَوْتُ اليها (اي الروم) جماعة كثيرة من الجراحة وانباط وعيد اُباق من مبيد المسلمين » . وهو كلامٌ ينطبق على قول المؤرخ تاوفان في المردة كنَّ المؤرخين اليوناني والعربي سندا قولها الى رواية واحدة لا تتكاد تختلف حتى في اللفظ

ثم يتبع امر الجراحة في تاريخ البلاذري كما يتبع امر المردة في تاريخ تاوفان اعني بعد مهادنة بين الخليفة الاموي وملك الروم . وكان من نتيجة إبرام الصلح كما روى البلاذري (ص ٢٦٠) أن « تفرق الجراحة بقرى حمص ودمشق ودمج اكلهم الى مدينتهم اللكام » وهي ايضا رواية شبيهة برواية تاوفان عن تفرق المردة ودمجهم الى وطنهم . اما مدينة جرجومة فخرت بعد ذلك بزمان قليل

وبما روى ايضا البلاذري (ص ١٦١) في تاريخ سنة ٨٩ هـ (٧٠٨ م) أن « الوليد بن عبد الملك وجه الى الجراحة مسلحة بن عبد الملك فافتح مدينتهم على ان يتولوا بجيش احبوا من الشام وعلى ان لا يُكرهوا على ترك النصرانية ولا يؤخذ منهم جزية ... اما بطرشم فقتل في جماعة معه اطلاقاً ثم هرب الى بلاد الروم » . وجاء في فتح البلدان ايضا ان الخلفاء اجروا الاذواق على هؤلاء الجراحة واستعانوا بهم في حروبهم (١) وما ذلك الا لأن موقع بلادهم كن في جبال ومضائق تجري فيها صوائف العرب ضد قروهم في بلاد الروم . وكل هذه التفاصيل التي ذكرها البلاذري لا نكاد نجد لها اثرًا في كتبة العرب اللهم الا ياقوت في كتاب معجم البلدان في مادة « جرجومة »

(١) راجع فتح البلدان (ص ١٦١) . ومعجم البلدان لياقوت في مادة جرجومة

وهو ينقل هناك شيئاً مما ثبته البلاذري . ويظهر من كلام ياقوت ان الجراجمة في زمانه كانوا امتزجوا بينهم من اللال وان جرجومة حاصتهم لم تزل خواباً . وفي تاريخ حمزة الاصطفاي (ص ٣٩) ورد ذكر « مَنْ بالشام وفلسطين من الجرامعة (١) والجراجمة » ولا بُدَّ ان يسألنا القارئ هنا عن رأينا في الجراجمة أَيْكونون من المردة او يتنازون معهم . (قلنا) انَّ ما يوجد من الاتفاق بين احوال المردة ولمور الجراجمة من حيث موقع بلاد التريقين وبساتنها في الحروب وتواضعها يحسبنا على ان نطاقا بينهما . ولا غرو فانَّ اعظم المستشرقين في المانية وهو العلامة نُيليك (Noeldeke) يؤكد لنا ان العرب في توارخهم يدعون المردة باسم الجراجمة وانَّ حكايتها ائمة واحدة (٢) ونعم ايضا تصادق على كلام هذا الكاتب الثقة بعد القوي في ما كتب بهذا الصدد وان كنا نجد في اقوال البلاذري بعض الاشكال الا انَّ ذلك من الامور العرضية دون الاصلية

فان صحَّ هذا القول سمجت عنه نتائج في امر المردة لم ينتبه اليها الكتبة الاقدمون منها ان هولاء القوم لم يكونوا من اهل لبنان الاصليين بل قدموا اليها من شامي سورية اذ انَّ الجراجمة على قول البلاذري كانوا يسكنون جبل اللُكَّام الذي يختلف عن لُيسان . ومما يثبت انَّ هولاء الجراجمة لم يكونوا آراميين اي من اهل سورية الاصليين انَّ البلاذري يذكر في جملة من اضوى اليهم الانباط وهو الاسم الذي يدلُّ على كتبة العرب على الحضر الآرامي (٣) . وكذلك اذا فصصنا عن الامر على حسب قوانين علم الجغرافية وعلم اصول الشعوب وجدنا انَّ الجراجمة يتبعون الى آسية الصغرى ولذلك زاهم يوحنا بن بدثير الى بلاد الروم ويسكنون قبليقة قرب موطنهم

(١) الجراجمة قوم من انباط او آرامي الهراق وقد ارتأى نُلدك الاثالي الشهير ان كتبة العرب لم يفرقوا بين الجراجمة والجرامعة والصواب انَّ الجراجمة خير الجراجمة . وهذا ان فرقة من الجراجمة استوطنتوا الشام كما يظهر من تاريخ حمزة (ص ٣٥ و ٣٩) وياقوت (١ : ٣٦) وكلاما يذكر « جراجمة الشام » ولعلَّ « جبلي جرجق » في جنوبي لبنان وبلاد بشارة نسبا اليهم

(٢) راجع المجلة الاسيوية الثانية ١٨٧٥، p. 85. ZDMG. وقال نُلدك في ذيل تلك الصفحة « ان العلماء لم يثبتوا حتى الان وحدة المردة والمراثة »
(٣) راجع المجلة الاسيوية الثانية ١٨٧٥، p. 124-125. ZDMG.

منها . وفي فتح البلدان للبلاذري أنهم احتلوا جبل الطوار وهو من اعمال قيليقيّة كما نبّه إليه ياقوت في المادة

ومما يستفاد أيضاً من كلام البلاذري امر آخر ذو بال وهو ان قساً من الجراجمة كانوا ضريوا اثناسيوس في لبنان قال في اثناء كلامه عن الجراجمة (ص ١٦٢) : « خرج بجبل لبنان قوم شكوا حامل خراج ببلبك فوجه صالح بن علي بن عبدالله بن البّاس من قتل مقاتلتهم واقر من بقي منهم على دينهم وردّهم الى اترامهم واجلى قوماً من اهل لبنان » . وهذا دليل واضح ان قوماً من الجراجمة كانوا قبل هذا العهد في لبنان وليس هذا حادثة على سبيل التخمين بل امر راسخ يثبت للوثق نفسه في كلامه من ميون الرومي المروف بالجرجاني الذي كان موثقاً لبني لم الحكم اخت معاوية ابن الياسنيان قال (ص ١٦٠ و ١٦١) : « وانما نسب الى الجراجمة لاختلاطهم بهم وخروجهم بجبل لبنان معهم » . فكان اذن في لبنان قوم من الجراجمة وهذا ما اردنا بيانه

فقدى من بحثنا هذا الحاضر ما يؤيد قولنا السابق في ان المردة والموارنة ان لم يكونوا شعباً واحداً قد كانت على الاقل بينهم علاقات متينة . وكذا قل عن الجراجمة ولذلك افردنا لهم فصلاً وظلّناهم في سلك الامم التي سكنت لبنان . وسنبين قريباً ان هذه الامم كلها امتزجت بعد قليل امتزاج لاء بالروح

٧ المجمع

جاء في كتاب البلدان لاحمد بن ابي يعقوب اليعقوبي (١) ان الخليفة معاوية لما فتح بلاد الشام وجد مدينتها الساحليّة فارغة من السكّان فاستقدم قوماً من المجمع ليتخذوها لهم سكناً . وقد ذكر ذلك عن طرابلس وجبيل وبيروت وصيداء . بل خصّص بذلك ايضاً ببلبك وقرية في بلاد عكا . فصارت كل النواحي البيطية للبنان في يد المجمع بل اضحى قسم من لبنان في حوزتهم وهي الايلات القريبة من المدن المذكورة كما يصرّح اليعقوبي بهذا الامر

قول اليعقوبي السابق ذكره يضطرنا الى ان نجعل المجمع بين الشعوب البائدة من لبنان التي بقيت منها فيه بعض بقايا امتزجت باهل . وشهادة اليعقوبي للذكر لم نجد

لها ما يؤيدها في سائر التواريخ ووصاف البلدان (١) ألا انها تستحق الاعتبار وتستوقف الاضطرار. كيف لا وهي لكتاب من اقدم كتبه العرب عاش في القرن الثالث للهجرة وهو من المشاهير الموثوق بكلامهم وصف في تأليفه احدثا قريبة من زمانه وما يحملنا على تصديق قول اليعقوبي أننا نجد في لبنان قوما من الشيعة كالنوالة والتصيريين توتلتوا الجبل وبسطوا عليه سلطتهم وخلقوا فيه أكارا تنهى بصحة ما سطره المؤرخ الموما اليه . ومن جملة هذه الأكار ما زله في بعض اهل لبنان من هيئة الجسم وتقاطيع الوجه وسحنة البشرة التي يُعرف بها الجسم

وقد وردت ايضا في القرن العاشر شهادة اخرى تؤكد قول اليعقوبي وهي في كتاب رحة احد الاصنام الى بلاد الشام وجزيرة العرب وهو نصري خسرو الذي نشر كتابه العلامة شربل شيفر الشهير . ومما قاله صاحب هذا الكتاب (ص ١٠) ان « اهل طرابلس كلهم من الشيعة » وكذا قال من صور ولا نشك انه يريد ابناء هؤلاء الاصنام الذين استخدمهم معاوية لسكنى بلاد الشام

ولم يدرك الكتاب بعد هذا الهد يذكرون الجسم وعندنا ان امرهم ضعف بعدئذ لم يحدث في بلاد الشام من الحروب في القرن الثاني عشر فانخفض امرهم واختلطوا باهل لبنان . ومنهم التصيرية وللتاولة الذين ظهروا بعدئذ

٦

انتشار الأمة للارونية في لبنان

للأمة الارونية في لبنان مقام ممتاز لتوفر عددها فيه ولا يشك هذا الجبل من العلاقات التاريخية التواصلة حتى جاز لها ان تعتبر لبنان كوطنها الخاص . ومن ثم لا يسعنا ان نصرف عنها النظر في غضون تسريع ابحاثنا في أكثر لبنان وليس كلامنا في الأمة الارونية تاريخياً اذ لم نتوخ في مقالاتنا تاريخ الجبل بل أكثره ولا سيما ان تاريخ هذه الطائفة قد شاع اليوم فلا حاجة الى اعادة ما يعرفه القراء (٢) وعليه فنقتصر في هذا الباب على ما يختص بشؤون الطائفة وانتشارها في لبنان

(١) ألا ابن رسته والبلاذري

(٢) راجع تاريخ الطائفة الارونية للدويجي الذي نشره الأستاذ المرحوم رشيد الشرتوني

فُتدَّ هذه الدروس الخاصة الوادَ تاريخ اعمَ واكمل . وفي الفصول السابعة توطئة لهذا الباب وفيها ذكرنا الشعوب الذين جملوا قبل الموارنة سكناهم في لبنان . ومنهم من خُلف فيه شُعباً من عُنصره كالردة والمراجعة بقي منهم فئات في القسم الثاني من القرن السابع الذي نخصُّه الآن بالبحث

وكان الموارنة في ذلك العهد جارة من مجموع دُمر أرمينية لم يَمسها العنصر اليوناني وتعدُّه تقم خصوصاً على مقربة من أقمسية في جهات دير مار مارون ومنه اتخذوا اسمهم . ومن ثمَّ انكسروا في وادي الناصبي وخصوصاً في معرة النعمان وفي شيزر وحماة وحمص كما يظهر من نصِّ للمسعودي ورد في كتابه المَعُون بالتبليغ والاشراف أَلَمْنَا اليه غير مرة واذا راجعنا اقاويل قدماء المؤرخين كابن العبري في تَاريخه الكنسي السرياني (١) وابن بطريق (٢) وغيرها وجدنا الموارنة في مقامات أخرى اقرب الى الشمال كمنبج وقلنسرين والثامية المعروفة بالعوام . ومن الحضل ايضاً انهم كانوا في اطلاقية وجوارها لان اطلاقية بُد كحاضرة هذه الناحية وفيها تدخل مدينة قورس المتكرَّر ذكرها في ترجمة القديس مارون لتادودر يطلُّ اسقف هذه المدينة (٣) . وكتبه الموارنة يوافقون على انتشار طائفتهم في تلك الانحاء . وشهادتهم في ذلك صحيحة مستندة الى نصوص وضعية لا تُنكر . ونحن اولَّ من يرضى بجل هذه الشهادات المؤيدة بالبرهان

وان سأل سائل هل يُعرف عدد هذه المراكز المارونية المستعمرة في سورية الحالية وسورية الوسطى . اجبتا انه ليس في وسعنا ان نعيِّن ذلك . بالتحقيق نكتنه يؤخذ من نبذة سرمانية تاريخية اوردتها المشرق في سنة الثانية (ص ٢٦٧) قتلاً عن المجلة الاسيوية اللاتينية (ZDMG, 1875) ان هذا الف كان ذا عدد وافر اذ حضر بصفة

(١) الجزء الاول سنة (ص ٢٧٠ - ٢٧٤)

(٢) راجع تاريخه في مجموع الآباء اليونان (ج ١١١ ص ١٠٧٧ و ١٠٧٨) ومنه في مكتبنا الشرقية نسخة خطية قديمة ويزعم ابن بطريق انه دخل بين الموارنة قوم من الروم لما يريد الآراميين المتجنسين بالجنسية اليونانية كما كان منهم كثير في سورية . وان صحَّ قوله كان له شأن لتحرير العناصر السورية وغيرها

(٣) راجع كتاب البلدان لابن رسته (ص ١٠٧) ووضح البلدان للبلاذري وكتاب التنبية للمسعودي وغيرهم من كتبة العرب . وقد تبناهم في كتابة اسم قورس بالسين بدلًا من قورش بالسين وفقاً لفظ الأناضي

فرقة دينية امام الخليفة معاوية فجرى بينها وبين اليعاقبة جدال كانت فيه الدولة على اليعاقبة . وكان اصحاب هذه البعثة جبلاً كبيراً في ذلك العهد فلولا ان اللوارنة كانوا على نوع ما يبادلونهم عدداً لما حكم لهم الخليفة على انحصارهم وكان دخول الموارنة الى لبنان على رأينا في التسميم الثاني من القرن السابع هاجروا الى الجبل من وادي الصافي . وكأني هنا باقاربي يترضى لي فيقول : مالك تذكر هاجرة للوارنة الى لبنان أليس أصبح ان يقال ان سكان لبنان الاصليين هم الموارنة . فالجواب على ان مبادئ ترويج اللوارنة الديني تشبه صريحاً الى كون هذه الطائفة كانت اولاً خارجاً عن لبنان . ومن المعلوم انها تنسب الى القديس مارون وقد عاش القديس مارون في شالي سوربة في البلاد الواقعة بين انطاكية وقورس ثم تراها مواصلة سيرها في وادي الصافي في زمن لم نسمع لها بذكر في لبنان . ثم بعد ذلك بنته نجد اللوارنة يتوغلون في هذا الجبل هاجرين اليه من الشمال ونواحي سوربة المتوسطة . فلا بُدّ اذن من التسليم بتثقل الامة . وفي ترويج تاوفانوس كما في فتوحات البلاذري اشارة الى هذه الهاجرة كما سبقنا اننا

ولكن ترى ماذا حمل اللوارنة الى مبارحة وادي الصافي ولستبدال مقاماتهم فيه ليسكتوا لبنان فوجب ان الرأي عندنا انهم عدلوا الى لبنان تخلصاً من اضطهادات مجاورهم فخصّ منهم بالذكر اليعاقبة اعداءهم . وكان اليعاقبة في ذلك الوقت اصحاب بطش وسطوة لهم في الغامية ونولجها الكعب الاعلى . وكان لهم قريباً من اقامية دير عظيم على اسم ماري بالسوس (١) بلغ عدد رهبانه ٦٣٠٠ . ولما كان القريقان على طرفتي نقيض ففضي على اللوارنة المهاجرة

وقد بينا ما كان بين الاثنين من العداوة . ولنا على ذلك برهان آخر اقدم عهداً ورد في ترويج الكنيسة لابين الجعري (المجلد الاول ص ٢٧٠-٢٧٤) قال ان في عهد الملك هرقل حدث بين رهبان مار مارون واليعاقبة مشاحنات (٢) فافتزع الاوكون من ايدي

(١) راجع مقالة الاب شابر في مار بالسوس L'abbé Chabot: La légende de Mar

Bassus et de son couvent à Apamée, p. 55, 60, 63.

(٢) ان في هذه المنازعات بين اللوارنة واليعاقبة دليلاً واضحاً على بطلان مزاعم بعض الكتبة الذين نسبوا للموارنة الخنايا يل يتقرب البغادي في طريقي المسيح

اليابقة كانواهم يرضى ملوك القسطنطينية فحاول اليابقة استرجاعها في ايام معاوية فلم يتالوا بالرغوب. ولا غرو ان اليابقة كانوا يترقبون الفرصة ليذاخوا الموارنة شيئاً فشيئاً ويضطروهم الى ان يغربوا من اماكنهم فطلب الموارنة لهم ملاجئ حريضة يحصلون فيها على الدعة والسكنينة. ولعل خرب دير مار مارون حدث في ذلك العهد وكان بعض اليابقة سبياً لحرايو

يبد ان هذه المهاجرة لم تكن دفعة واحدة وانما حدثت في ازمعة متوالية فكان المهاجرون ينتقلون الى لبنان ذرافات ذرافات. وفي عهد المسعودي اي في القرن العاشر نجد منهم بقايا في وادي العاصي خارجاً عن لبنان. لما دخولهم في هذا الجبل فكان في وقت الزدة والجراحة وفيهم يصح خصوصاً قول ثوقانيس « ان كثيرين من اهل البلاد احتسوا في ذراهم (اي المردة) » وقول البلاغري في فتوح البلدان (١) « ان جماعة كثيرة من الجراحة والابطاط والبيد الاياق ضووا الى الروم » اراد بذلك المردة فدعاهم باسم الابطاط دلالة على اصلهم الآرامي

وكان دخول الموارنة الى لبنان من الشمال اعني انهم تبطنوا وادي الأرنط فاجتازوا الغامية وحماة وحص الى ان قرقرارهم في الجبل. فسكنوا اولاً جهات الشمالية ثم تقدموا الى اواسطه ثم بلغوا جنوبه. هذا ما يمكن استخلاصه من النصوص التاريخية التي ورد فيها ذكر انتشار الموارنة في لبنان

وقد بينا في مقالتنا عن سكنى لبنان في قديم الزمان (راجع الصفحة ٢٣) ان مشارف الجبل والجهات للروضة بالجرود بقيت الى القرن السابع قليلة السكّان كثيرة الغابات. اما « الوسط » فكانت مأهولة وان كان اهلها اقل عدداً من الاطراف والسواحل. فلا مراء ان الموارنة سكنوا اعالي لبنان لحراها من السكّان. واحتلوا اولاً اودية الجبة اعني مقاطعات اهدن وبشري وحذت ولهم قوا هناك بعض الدساكر التي كانت سبقت مذهبهم على الاصح كقرية اهدن وقرية بشري (٢) ومندة

(١) راجع الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب

(٢) راجع آثار لبنان ج ١ ص ١٣٧ وهناك بينا ما يخص باهدن وبشري. اما المحدث فمن اقدم قري لبنان ورد اسمها في ترمة المشتاق للادريسي وتكرر ذكرها في اخبار اسول الطائفة المارونية

ان الموارنة تزلوا ايضاً في بعض اماكن من متحدر الجبل قريباً من البترون عند دير كفرحجي القديم ١١ . ولعل مدينة البترون نفسها اصبحت من اول مسكن الموارنة كلها او على الاقل قسم منها

فيكون اذن اول مركز احتلته الموارنة عند ولوجهم لبنان ممامة الحبة وقسم من بلاد البترون فهناك كان مهد الامة المارونية كما اشار اليه غير مرة

ومن الحوادث التاريخية الاولى التي جرت بعد سكنى للوارنة في لبنان ما ذكرناه في مقالاتنا من البراجمة وهي شكوى اهل الجبل من عامل بعلبك وكان الامام الشهيد محمد الاوزاعي ممن دافعوا عنهم وانتصروا لهم . قال البلاذري في فتح البلدان (ص ١٦٢) من محمد بن سعد عن الواقدي قال : خرج بجبل لبنان قوم شكروا عامل خراج بعلبك فوجه صالح بن علي بن عبد الله بن العباس من قاتل مقاتلتهم واقر من بقي منهم على دينهم وردهم الى قراهم واجلى قرماً من اهل لبنان . فعندئذ القاسم بن سلام ان محمد بن سعد حدثه ان الاوزاعي كتب الى صالح رسالة طويلة حفظ منها وقد كان من اجله اهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجهم : « ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت فكيف تؤخذ حائمة بذنوب خاصة حتى يغربوا من ديارهم واموالهم ... »

ولما كثر عدد للوارنة في القرون الثامن والتاسع والعاشر اخذوا شيئاً فشيئاً في الامتداد الى الجنوب واحتلوا بلاد جبيل ومنا يشهد على سكانهم في معاملتي جبيل والبترون منذ ذلك العهد عدة كنائس سبق لنا وصفها في مقالاتنا عن كنائس لبنان القديمة (راجع الجزء ١ ص ٢٩) وقد بقي الموارنة في تلك النواحي قوماً من اهل البلاد كانوا يسكنون السواحل والوسط . غير ان عددهم لم يكن متوفراً . وكان اكثرهم نصاري يتكلمون باللغة الآرامية ويقبسون فيها طقوسهم الدينية . وعندنا ان هؤلاء الآراميين لم يلبثوا ان يخرجوا بعد قليل بالموارنة امتزاج الماء بالزاج كما امتزج بهم ايضاً بقايا المردة والبراجمة الذين تنقلوا في لبنان . وكثرت مهاجرة سكان وادي الأرض الى لبنان لا تزال مترصة متتابعة لزاحة اليقابة واضطهادهم للوارنة

وكان للمكثرون مع هذا يقتلون بض قرى لبنان في بلاد البقون وجبيل مثل كفرشيلين وحدتون (١) وبقيايا (٢) ودوما والقرى المجاورة (٣) وكفور (٤) وغرزوز وغيرها. وكان للكنيسة في لبنان يتبعون آنثر في فرائضهم الدينية طقس انطاكية اعني على الرجع ليتورجية القديس يعقوب التي ناقضها بعد ذلك البطريرك ثاودوروس بلسيون (٥) واستبدلها بليتورجية القسطنطينية. وفي ما خلا ذلك لم يختلف المكثرون من بقية الاراميين في اصلهم ولتتهم. وما لا ريب فيه ان الكتابات البيروانية لتصادى لبنان قليلة جداً لا يعرف منها الا كتابتان او ثلاث كتابات. اما الكتابات التي تروى على بعض الصور في سيدة نيا بكفرشيلين خطوطة بالبيروانية فليست هي للوطنيين وانما كتبها مصورون يوزنطيون او مثلبا الوطنيون كما وجدوها في اسطر يوزنطية قديمة

وبعض القرى التي كان يسكنها سابقاً للمكثرون زاحا بعد ذلك مأهولة بالوارثة إما لأنّ الوارثة دخلوها فامتزج بهم للمكثرون. وإما لأنّ المكثرين هاجروها فانتقلوا الى امكنة غيرها او لاسباب نجعلها

وخلاصة الامر أننا اذا استقننا اليهود نجد في تركيب الامة المارونية ما نجده في تأليف جميع الامم التي تتوكل أصولها من عناصر شتى. وكذلك الامة المارونية اذا اعتبرتها في اواخر القرون المتوسطة رأيتها تتألف من اصول مختلفة اولها واعطها شأناً الموارنة المهاجرون الى لبنان من سودية الشامية وسودية الوسطى ضوى اليهم قوم من الأماق والعرداء الذين لاذوا بحمى الردة والهجرة الباقين في لبنان فضلاً عما كان هناك من القطين الاصليين. فهذه العناصر كلها تآزجت بعد حين وصارت أمة كبرى ذات لغة واحدة وهيئة واحدة وغاية واحدة لا يمكن الآن اصحاب النظر معها دققوا في البحث ان يفرزوا جنسياتها الاصلية

(١) راجع في الجزء ١. ص ٨٦ و ٨٧ مقالاتنا عن حدين المطعين

(٢) تاريخ الدويج (ص ٢٠٧)

(٣) منها كفرخلدا وقد وجدت فيها آثاراً بيروانية للمكثرين

(٤) راجع كتاب خزان الكتب في دمشق وضواحيها للاديب حبيب اندي زيات (ص

١١٦) الخ (والمشرق (١٠٤ : ١٠٦)

(٥) راجع للمشرق (٣ : ٢٧٢)

فإذا لحظنا نموّ الامة المارونية كما تقدّم واعتبرنا ان عدد المواليد يفوق كثيراً عندهم الوفيات لا نعود نستغرب ما ذكره غيلابوس الصوري في تاريخ الصليبيين حيث اصى الموارنة اربعين الفاً . وهذا الاحصاء الاجمالي ينطبق على ما روي في تواريخ الاعصار للتوسطة عن الموارنة لهم منتشرون في جهات طرابلس وبلاد البترون وجبيل والجبّة الى نهر ابراهيم . وهو قول صحيح غالباً مع بعض شذوذ كما سقى قريباً عند ذكرنا قوم من غير المسيحيين سكنوا في ايلات لبنان الواقعة شمالي نهر ابراهيم

وعما ورد ايضا في التواريخ الصليبية ذكر مقدّم ماروني يدهى سحمان توكّ جيتاب في شمالي سورية ١١ ولا نعلم من اي فرقة من الموارنة كان آمن الذين في لبنان او من تخلّفوا في بلاد البوصم . أمّا كوكبة من موارنة البوصم فاقرب الى البوصاب ونجد قبل هذا الهد قوماً من الموارنة في بلاد ما بين النهرين اشتهر منهم توفيل ابن توما الماروني النجم الزهاري قال ابن الجبري في تاريخ الدول (ص ٢١٩ و ٢٢٠): « كان رئيس منجمي المهدي . . . وكان على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذهب النصارى وله كتاب تاريخ حسن (٢) ونقل كتابي ارميوس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانية الى السريانية بناية ما يكون من الفصاحة . » وكذلك نجد في عبر دجة بين اللوصل وبنداد جماعة من الموارنة ذكرها في القرن الثالث عشر الراهب ريكلد دي مونكروا (Ricold de Montecroix) وروى ان لها مطراناً يدعىها (٣) ولعلّ قيساً الماروني المؤرخ الذي لسهب في ذكره للشرق (٣): ٢١٥ و ٣٥٦ و ٤٥١) كان من تلك الجماعة . وعلى كل لا زى احدًا من كسبة الموارنة ذكر هذا المطران في ما وراء دجة . وكل هذا دليل على انّ في تاريخ الامة المارونية اموراً عديدة لم يُحسر بعد عنها اللثام . ومن المحتمل انّ الكسبة سكنوا عن هذا المطران كما سكنوا عن غيره لأنّ الاساقفة المارونيين كانوا مدّة الاجيال السالفة

(١) راجع تاريخ ملكة ايرشليم Roehricht: Geschichte des Koenigreiche Jerusalem p. 220, note 6. (٢) وجدت منها بعض مقامات مختصرة في تاريخ المنجي الذي نشره الاب ل . شيخو (ص ٣٦٩)

(٣) راجع Quatremère : Mémoire sur les Nabatéens p. 149

كنوالب للبطرك ومعاونيه دون لزوم كرسي خاص . وإنما أُجملت لهم مراكز منفردة في القرون المتأخرة فقط

وكان القرن الثاني عشر والثالث عشر قريتي نهوض وترف في لبنان . وفي ذلك العهد بُنيت كنائس عديدة على طراز خاص تزينها الكتابات السريانية وفيها من نقوش الفسيفساء والتماثيل الملوّنة ما سبق وصفه (١) . وفي هذه الابلية دليل على وفرة عدد اللبنانيين وهمتهم . لم يزل يشو هذا العدد ويقايد حتى هاجر قسم منهم الى التوابعي الجبارة من فلسطين ولأسيّا القدس الشريف وكان لهم فيه عدة كنائس (٢) . وكذلك انتقلت منهم مستعمرات الى قبرس ثم رودس . أما قبرس فقد سكنوها منذ القرن الحادي عشر ورؤى لهم في هذه الجزيرة ديراً (٣) في تاريخ سنة ١١٢٠ . وقد غرأوا غزواً عظيماً حتى لهم كانوا يسكنون منها ثلاثين ضيعة (٤) وكان يرعاهم مطران من طائفتهم . وكان بعضهم في مدن قبرس الكبرى وخصوصاً الماغوصة (٥) وكانت في ذلك العهد واسعة التجارة . أما دخول الموارنة في رودس فظنّ أنه جرى على عهد الفرسان للرؤفين بالاسبيتالار (Les Hospitaliers) لما احتلوا تلك الجزيرة فتبعهم الموارنة . وكذلك ذهب قسم منهم في القرن السادس عشر مع فرسان رودس الى جزيرة مالطة وخلق بهم بعض من انحولهم من موارنة قبرس في اواخر ذلك القرن . ولعلّ وجود الموارنة في مالطة بما ساعد على حفظ الرعية ونشرها في تلك الجزيرة . ومن المعلوم أنّ اهل مالطة يكتلون بالقسمة العربية مشوبة بإلفاظ دحية من اللغات الاجنبية

أما حلب فيظهر من نصّ ثوما الكنوطاني ورد في المشرق (١١٨:٦) ان الموارنة

(١) راجع في الجزء الاول مقالاتنا عن كنائس لبنان القديمة

(٢) المشرق ٩ : ٩٣

(٣) راجع سلسلة جلالكة الموارنة للدويحي (الطبعة الثانية ص ٢٢ الملحق الاول)

(٤) راجع تاريخ قبرس L. Macheras: *Chronique de Chypre*, trad. f. ١٩, ٢٥

(٥) رجلة في راحة بقرب دي برن (J. von Bern) سنة ١٣٤٦ إنّه وجد الموارنة في هذه المدينة يقيمون دينهم على طريقة الروم . ولا نعلم ما يعني بذلك ألبتة يريد ان الموارنة كانوا يستعملون اليونانية في طقوسهم وهي لغة اهل الجزيرة ؟ فهذا ممكن

كانوا فيها منذ زمن قديم لكن أخبارهم في الشهباء مجهولة الى القرن الخامس عشر حيث اتاهم منذ جديد من لبنان (راجع للشرق ٥ : ١٠٣٩ في الحاشية الثانية) ولتمردن الآن الى اللؤلؤة المستوطنين لبسان فانهم كانوا في غو ولاحداد يتدنون شيئاً فشيئاً في النواحي المجاورة . قال الدويهي : « وبسبب ما اشتهر به لبنان اوتنيز من الامن والطمأنينة قصد الناس من الاماكن البعيدة (١) » لسكنى النواحي التي يهجروا المهاجرون الى قبرس وجزائر البحر المتوسط

ومع هذا النمو لا رى الامة المارونية تتقدم الى الامام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر . أما لاجل مهاجرة قسم منها الى قبرس ورودىس كما سبق وأما لاجل الحروب التي انتشرت في كسروان في ذلك العهد بقيت للؤلؤة ما وراء نهر ابراهيم وهذا لا بد من تكرار ما قلناه غير مرة في مقالاتنا (٢) ان كسروان ليس من التقاطعات التي اوى اليها اللؤلؤة قبل القرن الخامس عشر . وقد اوردنا نعتاً للادريسي ذكر فيه وجود الياقبة في جونية (للشرق ١٠١٨٤١) . وان سأل القارى ومن كان يسكن اخن كسروان قبل هذا العهد . ليجنا ان معظم اهل هذه الناحية كانوا من المتاوله او من التصيريين . وكان التصيريون قاطنين ايضاً في بعض نواحي لبنان الشماليه كجبال البقون ونواحي المنيطرة والعاقورة (٣) ولكن عددهم الاوفر انما كان في كسروان . وقد ذكر صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت (٤) التزوات التي باشرها نوب الشام في أيام السلطانين الملك الاشرف خليل بن قلاوون والملك الناصر محمد بن قلاوون فصاروا التصيرية في جبال كسروان ولم يذالوا يناجزونهم القتال حتى اخرجوهم من كسروان وجعلوا مكانهم قوماً من التركمان على الاقل في بعض النواحي وبقي كثير من المتاوله معهم . هذا وان اموراً كثيرة من تاريخ كسروان لا تزال مجهولة حتى يومنا الا اننا نعلم بلا ريب ان التصارى لم يحتلوا هذا الجبل قبل القرن الخامس عشر

(١) راجع تاريخ الدويهي (ص ١٤٠)

(٢) راجع للشرق (١ : ٥٦)

(٣) ولما في التصيرية مقالة فرنسية جمتا فيها كل ما يخص بآثار التصيريين واحوالهم وسماها باسم « التصيرية في لبنان » ونشراها في مجلة الشرق للمسيحي سنة ١٩٠٢

(٤) راجع تاريخ بيروت (ص ٤٤ - ٥١)

ولما كانت لوائح القرن الخامس عشر جعلت الموارنة يتجاوزون نهر ابراهيم ويصلون الى كروان . وكان انتشارهم فيه سريعاً حتى صارت هذه المقاطعة في القرن السابع عشر كلها لهم . وامتدّ من ثمّ الموارنة الى مقاطعتي المرقّة والشوف . لكننا نقف عند هذا الحدّ لتلا ندخل في اخبار قريّة من عهدنا وليست غايتنا كما قلنا ان مسطر تاريخ لبنان بل ان نبيّن بوجه الاجمال كيف انتشرت الامة المارونية . اما تفاصيل اخبارها فليست الان من شأننا وقد مرّ منها كثير في ابحاثنا السابقة وستورد ان شاء الله غيرها في ما بعد

بحث جغرافي

في سيرة القديس مارون الناسك

لما لا نبشّنا عن مثلث الطائفة المارونية وتكوّنها نضيف الى ما سبق من الكلام بعض افادات تتعلق بحياة القديس مارون الذي خالف اسمه للطائفة الروما اليها . غير أننا لا نتجاوز الحيز الجغرافي الذي رسمناه فتتكلّم من ثمّ على حياته لا من الوجه التاريخي بل من الوجه الجغرافي لاسيما وان هذا الوجه قد كثر تناقض الباحثين عنه حتى الآن فبقيت فيه مشاكل كثيرة لا بدّ من تفكيك مضللتها



ليس في ايدينا شي . يروي اخبار القديس مارون غير مصدر واحد اصلي اي الترجمة التي تركها توادوريطوس اسقف قورس (١) وهي تركة جليّة القدر يكتفي اتساعها الى هذا الورع الجليل للحكم على مكانتها من الاهمية ولولا ايجازها للقرط لا وجدنا فيها مساعاً للانتقاد وتأخذ عليه انه اهمل الوجه الجغرافي اجمالاً تماماً حتى اننا لانجأ في ترجمة القديس مارون سوى اسم واحد من اسما . الامكنة وسبب ذلك هو انه دون ما

(١) راجع تأليفه المكون « تاريخ الرهبان » في مجموع اديابا اليونان مج ٨٧ واليه نشير في هذه المقالة

دون حمل معاصريه على سارك طريق القضية بإيراد سيرة الزهاد والقديسين فلم يخطر
 له في بال أن يشفي رغبتهم في أمور كان يفترض أنها مرفوعة عند جميعهم
 ونساء عليه نأسف كل الأسف على عدم التفاته إلى هذا الشأن الذي لو اراد
 الكتابة فيه لكان وفاء حقه من البيان بناية الضبط والدقة . وهب أنه لم تكن
 له معرفة شخصية بالقديس مارون فقد كانت له صداقة بليغة مع القديس يعقوب (١)
 لشهر تلاميذه الذي اطلع على كل ما يتعلق بين يصفه هذا اللوح اليوناني تارة بآرون
 الكبير وتارة بآرون «الاهي» (٢) . وكان توادد رطس خشي في كلامه على الإبطال
 المسيحيين الكثيري العدد من تكرار اخبار الحوادث والمعجزات فبالغ في اختصار سيرة
 القديس مارون بنوع أن من يطالعها تتبادر إلى ذهنه في الحال مسائل كثيرة لا يجد
 لها حلا وهي : أين ولد القديس مارون وأين عاش وأين دفن وأين هو الدير الذي تسمى
 باسمه . فإقاماً لهذه التواضع عزمتنا على أن نورد في الصفحات التابعة كل ما ييسر لنا
 جمعاً من المعلومات المؤيدة على قدر المكنة إلى العلم الكافي بأحوال الناحية التي
 تطورت بأريج هذا الناسك العجيب ولهذا نضرب صفحاً عن الاطناب في حياته
 متوسعين بوصف البلاد التي صرف فيها أيامه لأن ذلك اعون على فهم ترجمته

١

في القسم الشمالي الشرقي من سورية كانت تمتد في ذلك الزمان القديم مقاطعة
 كوماجينة وهي ناحية متسعة الأطراف يحدها من الشمال جبل طوروس ومن الشرق
 نهر الفرات ومن الغرب قيليقية . وأما من الجنوب فيصعب تحديدها ويمرّ لنا رسمها
 بخط غير منتسق يذهب من الفرات إلى ما تحت هيرابوليس (منبج) حتى يتصل بجبل
 امانوس (اللا داغ) ماراً تحت مدينة حلب وشمالاً بحيرة المبق بالقرب من اعلاكية
 هذا هو اعظم اتساع ادرجته كوماجينة عندما كانت تشتمل أيضاً على القاطنة
 « القورسية » (٣) التي دُعيت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة قورس حاضرتها وكان موقع

(١) راجع في تاريخ الرهبان تراجم تلامذة القديس مارون

Geostrogos (٧)

(٣) وفقاً لبعض القدماء للمؤرخين

هذه المقاطعة الثانية في جنوبي الأولى وسنذكر بُعيد هذا مقدار امتدادها (١) لأن الكلام عليها لا يخلو من فائدة كبرى للاطلاع على اخبار القديس مارون وحق يكون للتأري تصور صائب بهذه المقاطعة نكتفي الآن من القول ان كوماجينة تنطبق في الحاضر على قسم من ولايتي مسورة الغزي وحلب غير ان الجزء الاكبر من كوماجينة هذه كان في ضمن ولاية حلب اعني انه كان يشمل بالترتيب كل متصرفية مرعش ويدخل فيه من متصرفية حلب المركزية القضية ميخاب وكلس والباب وحارم وجبل سمعان ومنج . أما من متصرفية لوردية فما كان يحتوي غير قضائين غربي القرات اي جزءا من قضاء يريجيك وروم قلعة وكان الذين استوطنوا هذه المقاطعة من بادئ الامر قبائل الحثيين ومنها امتدوا بعد ذلك الى بنية سورية . يدل على ذلك ما عثر عليه الباحثون من الآثار التي ابتقاها للاجيال النادرة هذا الشعب الذي لم يُعرف من اخباره حتى الآن شي كثير (٢) . على ان القبائل المذكورة ما لبثت ان اختلطت بالآراميين الذين لسوا هناك كثيرا من الممالك اخضاها بيت حدين وارباد وكانت قاعدة هذه المملكة الثانية مشيدة في موقع قل أرقاد شمالي حلب

وكانت كوماجينة في عهد دولة السلوقيين من جهة مقاطعات الملك الذي لسموره غير انها ما لبثت ان استعادت استقلالها ولوجت ولايتها الى ملوك من اهلها . وبعد وفاة انطيوخوس الثالث في السنة السابعة عشرة للمسيح صارت الى الرومانيين فادخلوها في جهة مستعمراتهم وانما ذلك لم يدوم الا سنوات قليلة لانها في السنة الثامنة والثلاثين ردت الى ابن الملك انطيوخوس السابق ذكره وبعد مرور اربع وثلاثين سنة اي في السنة الثانية والسبعين ضمت بوجه نهائي الى المستعمرات الرومانية وكانت سبيسط حاضرة لها (ولم يجمع ما ذكرت في نظام المملكة الرومانية .

مجم ٢ من الترجمة الفرنسية ص ٣٤١ و ٣٤٢)

لما سكان المقاطعة المذكورة فكانوا آراميين أصلاً ولغة . نعم ان الأدب اليونانية

(١) راجع استرابون (١٦٤ ف ٢) وبلينيوس (٥٤) الخ

(٢) راجع الصفحة ٣٩

كانت قد دخلت البلاد بدخول السالوتيين واصابت نجاساً جديداً في أيام الرومانيين غير ان هذا النجاس كما نبّه على ذلك العلامة نُفْلُك لم يتصل الى درجة امتدت معها اللغة اليونانية او الآداب اليونانية امتداداً عظيماً بل كانت غاية ما نالوا منه ان يمتنع الغرب وطريقة العاش فيه قد فازت بشيء من التقدم وان بعض عناصر الحضارة الغربية قد تسربت الى افكار القوم للتدنيين ولتتهم . قال نُفْلُك : « اما القول بان اللغة السريانية قد زالت من المراكز المهيمنة فهو من قبيل اللبالة والنطو لأن الآرامية كانت لغة قديمة استعمالها اهل التمدن في التخاطب والكتابة ينما كان القوم في رومية وادابها لا يعرفون في ذاك الوقت حروف الهيكل . وفي أيام ملوك القرس الذين كان شهرهم قورش الملك اتخدت الآرامية لغة رسمية في مصر وفي آسية الصغرى ايضا اي في خارج موطنها الاصلي . وفي أيام الامباطرة الاولين الرومانيين نجد الآرامية ايضا كلمة رسمية لا في تدمر وحدها بل ايضا في المملكة النبطية حتى بلاد العربية في الجهة التي تُعرَف اليوم اي في ناحية غربية من منشأ اللغة المذكورة على ان ذلك لم يكن نتيجة لتبناها السالف بدليل ان آثار تدمر والنبط تنطق بان هذه اللغة اصابت غمراً وفتشاً رافياً بعد أيام ملوك القرس وعلى ذلك فقد كانت اللغة الحية في سورية وبها كان القوم يتخاطبون ويتكاثرون

» نعم ان اليونانية كانت من زمان قد حلت محلها في الاصطلاح الرسمي لكن القوم في ما خلا ذلك لم يكونوا يكتبون ولا يتكلمون إلا بالآرامية ولا يصح في كل حال تطبيق أهمية كبيرة على ما كان يعمل بعض اهل المدن من تكليف طلبة المدارس بكتابة بعض تواريخ يونانية على مدافن امواتهم مع انهم يكادون لا يفقهون منها كلمة واغلب هذه التواريخ مشوهة بالاغلاط فوق ما يمكننا وصفه (١) انتهى كلام نُفْلُك فيستدل من مربيانه ان مقاطعة كوماجينة كانت كبتية سورية آرامية محضة كما سبق لنا اثبات ذلك في غير هذا الوضع . أما مستخدمو الحكومة وقليدون غيرهم من افراد السكّان فكانوا يفهمون اليونانية ويتكلمون بها لا أكثر وفي اثناء القرن الثالث والقرن الرابع تقسمت سورية تقسيماً ادولياً جديداً

وسنذكر تفصيل هذا الامر وابخاره في خلال مقالاتنا هذه. لماً كوماجينة قسّمت على إثر القسم المذكور بسورية الفراتية نسبة الى الفرات وجعلت هيدايليس (منبج) قاعدة لها وسرى كذلك بعض التعديل في حدها الجنوبي فتشد الى الجبب ولاسيا في النواحي القريبة من الفرات غير انهُ سُلّمت عنها ناحية حلب وألحقت بسورية الاولى وكانت في جنوبي كوماجينة ناحية تُدعى «التورسية» ولا بد لنا من توفية الحكلام حقاً على هذه الناحية نظراً لا يقرّب على تعريفها من القائمة في المسألة التي نحن بصددها

وكان لهذه التسمية كما نرى من التسميات الجغرافية امتداد يظم ويقلّ بحسب الازمنة ففي أيام اسراقين كانت تُطلق على ارض واسعة تذهب من جبل امانوس الى الفرات وتشمل خلا ناحية قورس ناحيتي حلب ومنبج. غير انّها بعد ذلك كالأيام القديس يوحنا فم الذهب والقديس مارون مثلاً انحصرت بناحية مدينة قورس فمن هذه الناحية الاخيرة نتكلم الآن ولزيد التوضيح ندعها «التورسية الصغرى» وسلبحت من وصفها في كتب توادوريطوس الشهير الذي تورى استقيتها مدة طويلة من السنين كانت مسافة التورسية الصغرى اربعين ميلاً في عرض مثلها وكانت فيها جبال مستدلة الارتفاع بين سبمانه وبثانانة متر مظلمها كلس بالنايات . ومع لها ليست بذات ثروة وفني كان فيها نحو ثمانانة محلّ بين دساكر وقرى كبيرة كما يتبين ذلك من رسالة توادوريطوس كتبها الى القديس لاون الكبير فيها يجيز البابا المشار اليه انه يستي بثانانة كنيسة (١) ولم تكن فيها سوى مدينة واحدة اعني بها قورس التي باسمها تسمت الناحية كلها . وسنذكر كيف كانت المدينة في أيام القديس مارون غير اننا قبل ذلك يجب ان نعين موقعها وموقع الناحية التي كانت قاعدة لها ومركزاً مدنياً ودينياً على مسافة ستين كيلومتراً شمالي حلب تحده مدينة كلس التي هي قصبه قضاء يسمى باسمها ولذا توغلت في الجبال على مسافة خمسة عشر كيلومتراً نحو الشمال الغربي تلك الحارطة على شبه واد فني هذا الوادي كانت مدينة قورس التي كان توادوريطوس اسقفاً لها وحتى اليوم ما زالت خرائبها باطقة بكبرها واقسامها ولعل البلاد يسمونها (١) راجع الرسالة ١١٢ ولها يعرف توادوريطوس باولية الحبر الروماني . راجع ايضاً الرسالة ٦٢

« قورس » أو « كورس » وليس بين أيدينا لسوء الحظ وصف مدققي لهند الحرشب والبلاد للجاورة لها لأننا لم نرها كما أن السياح القليلين الذين زاروها لم يذكروا لنا شيئاً من نتيجة أبحاثهم عنها . وتآثر من زارها من السياح هو المسيو بوقلمسي ترجمان قنصلية فرنسة في حلب وذلك في شهر ايلول سنة ١٨٩٤ غير أننا لم نر من تقريره سوى خلاصة يسيرة ظهرت في ثمرة جمع الكتابات لسنة ١٨٩٥ (١) تتضمن ثلاثة رسوم شمسية بجّل « اخرية قورس العظيمة » ووجد ايضاً بين اوراق المستشرق الشهير فيلدنيسية مقالة عن قورس لم تُنشر بالطبع (ZDPV, XIV, 82) وكل هذه الناحية التي يسميها البحث هنا كثيراً توضيحاً للنشأ الطائفة المارونية وتاريخ النصرانية في سورية تستحق أن يقصدها الباحثون وينقبوا في آثارها بالتفصيل والتدقيق . غير أننا استدراكاً لتقصيرهم بذلك الجهد حتى نجتمع من الكتب كل ما في القورسية معلقة قريية أو مبيدة وسنجد جلّ اعتمادنا في هذه المسألة على مصنفات توادودريطوس ونستغنى عما في يميننا هذا

٢

إذا تابنا فورير (٢) وجب القول بأن قورس من اقدم المدن السورية وأنها سبقت دمشق لأن هذه على موجب قوله قد أسستها إحدى المستعمرات التي أتت من قورس . غير أن تحليل فورير متعوض لأن آية النبي عاموس (٧:٩) التي يمتد عليها لا تصحّ إلا إذا ثبت أنها تشير إلى مدينة سورية لا إلى ناحية من اسية الصغرى مع أن هذا الرأي الثاني أقرب واوفر احتمالاً (٣)

وزعم آخرون أنها تأسست اكراماً واجلالاً لقورس العظيم ملك الفرس ولسلّ هذا الزعم نابع من كتابة بعض المؤرخين البيزنطيين الذين كانوا يكتبون *Kópos* بدلاً من *Kuppos* . وكان موقع المدينة في ناحية قليلة التضاريس وكان فيها على عهد الرومانيين طريقتان رومانيتان تشبّه أحدهما إلى الرها والأخرى إلى حماة (٤) ويظهر من التاريخ أنها

(١) Comptes-rendus de l'Acad. des Inscriptions, 1895, p. 469

(٢) Furrer, ZDPV VIII, p. 39

(٣) راجع قاموس الادب الكنائية لتيكورو في مادة Cyrène

(٤) كتاب المسالك لاطوليين (ed. Parthey, 84, 86, 87) *Itinerarium Antonini*

كانت اذ ذلك مهمة لأنها احوالت اسمها الى ناحية كبيرة مثل « القورسية » التي كانت تشتمل كما سبق القول على نحو النصف من مقاطعة كوماجينة غير ان اتساعها تبدل أخيراً بالضيق كما تقدمت أيضاً ملاحظة ذلك

ويحتمل ان تكون قورس قد ابتدأت في هذه الفترة تنحط قليلاً من مقام مجدها غير أنها كانت في أيام توادريطوس والقديس مارون موقعاً حصيناً يحمي قلاع ناحية الفرات (١) واستمرت كذلك حتى التتبع العربي فألحقت فيه بناحية العواصم (٢) وفي أيام ميد الملك ضربت فيه سكة (٣) مما يثبت أنها كانت اذ ذلك صاحبة شأن ومقام وقد استرجعها نور الدين من الصليبية ومن بعده لم نفلحها على ذكر ونظن انه ما طال الامر حتى أهملت وصيرت غير أننا لا نصبر على متابعة من قال بان نور الدين المذكور هو الذي اخربها . وهذا كل ما تعلمه من تاريخ قورس اللدني

وفي أيام توادريطوس التي نهتم لها بنوع خاص لأنها كانت بالوقت نفسه امام القديس مارون تطهر قورس كمدينة صغيرة لان المؤرخ المذكور يسميها « *καθ' οὐρανὸν* » (٤) غير انه يجب الحذر من اتخاذ هذه التسمية على حرفيتها فكما ان اهالي لندن وباريس الذين يضادون او بالحري يتجاوزون شعب ملكة او اكثر قد يقرلون سائر المدن مقلدة اماكن حقيرة لا اهمية لها هكذا يمكن ان يكون قد خطر مثل هذا الخاطر للمؤرخ توادريطوس الذي اختلف رؤية مجلس انطاكية وطنه وجزيل اتساعها . ومعلوم أنها كانت اذ ذلك ثالثة حواضر العالم للتسكن او على الكثير رابعتها . وبناء عليه سقى بعد هذا انه لم يزل مزاء تاماً بسبب اضطوره الى فراق انطاكية والاقامة في حاضرة اقلية كمدينة قورس التي يشهد باهتيتها الحقيقية ان الحكومة شيدت فيها شكة للصاكر ما بين طريقين ضليعين رومانيين

والظاهر انها لم تحو غير قليل من الآثار التي وفرتها التسكن اليوناني الروماني في للندن السردية كالاتية والنامل والاروقة المتطاة المسقدة الى اعمدة بما كان يبني في

(١) C. R. Acad. Inscript., 1902, p. 513 راجع

(٢) راجع فتح البلدان للبلاذخي ص ١٢١ و ١٤٦ وقائمة ص ١٥٢ (طبعة دي فوري) أما العواصم فمن ذكرها في المشرق (١٢١:٦) (٣) للمجلة الاسيوية الانكليزية ZMDG.

1889, p. 684 (٤) راجع مجموع آباء اليونان لين (ج ٨٣ ص ١٢٢)

الشوارع المهمة ليقى المارة في أيام الصيف من حرّ الشمس وفي أيام الشتاء من الأمطار (١) وكل ما احتوتهُ من هذا التبيل قد تمّ بمساعي وعناية اسقفها العظيم الذي لا نبالغ إذا سبّناه مؤسسها الثاني

قال توادوريطوس المذكور: « انني شيدتُ في قورس من اوقاف الكتائس اروقّة عموميّة وبنيّت جسرين عظيمين واحثيت بالحمامات الموسميّة ثم انني اتخذت قنّاة واجريت فيها مياه النهر القريب وهكذا مثّمتُ للدينة بالمياه القزيرة التي كانت محرومة منها قبلاً (٢) » وكانت قورس خالية من طيب فمسي توادوريطوس كل السعي في حمل احد الاطباء على الإقامة بمدينة الاسقيّة (٣) وفي غير ذلك ايضاً من الاعمال الدالة على اهتمامه العظيم بالحاجات الرميّة لابناء رعيته

واننا لنأسف من عدم تمكننا في هذا البحث الجغرافي خاصة من الاطّاب في مآثر هذا الرجل العظيم الذي يُمدّ من مشاهير عصره ونوابغ دهره فقد كان منسجع المدارك رفيع الفهم محترماً حطام الدنيا وكان مع ميله الى القفاخر والمسللي يقدم على العظامم ويبدل كل مقتناه في سبيل الفقراء والاكثر النافعة للجمهور . وكان من الذكاء على جانب عظيم يمتدح الى الاطلاع على كل شيء والوقوف على كنهه وحقيقته . ومن الخطابة في اعلی مقاماتها لا يفوتهُ فيها احد غير فهم الذهب . ومن النصب الاسقي في اسس مراتب المنة والنعمة والتي يجتث يصبح ان يُجمل اماماً وقُدوة لكل الاساقفة في كل عصر (٤) ولهذا كان احقّ «وزع بسدوين سيد الابطال للبيجين كاتدين مارون الذي لولا آثار قلبه لجهلنا ترجمته

ان ما نطعم من الجغرافية الطبيعيّة قضاء كلّس يشرح ويستم وصف القوريّة

- (١) كانت كل المدن السوريّة المهمة مشتمة على مثل هذه الاروقّة كما يتبيّن ذلك من مشاهدة تدمر وجرش (حبلون) . ومن بقايا الاروقّة المذكورة السد الكثيرة للبرّاكة حتى اليوم في مينا جيل وشوارحها
- (٢) تاريخ الرهبان (فصل ٣١ والريالة ٨١)
- (٣) يتكلم توادوريطوس في الريلاتين ١١٤ و ١١٥ من كلام اسمه بطرس على الطبيب زماناً طويلاً في قورس . واكتشفوا ايضاً في ديليس روميّة حجر فريخ لكاهن من الخطاين صناعة اللب . غير ان القوانين التي ترتبت بعد ذلك حظرت اللب على رجال الاكليسوس
- (٤) ان سيرة توادوريطوس هي من السير البالغة حد الكمال تستحق ان يطالعها كل من اختارهم المولى لجل عبء الاسقيّة الثقيل

مثلاً يُنهم من الافادات المنشورة في كتابات توادوريطوس فإن البلاد كلها مشغولة بجبل الأكرد وهو جبل من أسناداي جبال صغيرة منفصلة عن سلسلة امانوس الكبيرة ولم تزل هذه الجبال حتى ايامنا كثيرة الآجام والغابات (١) بحيث تدهش جميع السباح الذين اعتادوا النظر الى تروى بقية سورية من الاشجار . غير انهم اذا مجشوا عن القرى المظلمة التي كانت في القرن الخامس لا يتقنون لها على اثر

وقد علمت ان توادوريطوس يتكلم على نهر بوم^٢ الى المدينة وعن جسرين كبيرين شيدهما هناك . وفي الحقيقة انه تقرأ في جوار قورس مدّة لهار منها نهر حفرين اخص السواعد الشمالية لنهر العاصي . وبالقرب من قورس يلتقي بالنهر للذ قد نهران صغيران احدهما صابون سو والثاني جاموس ديرسي ولعل مياه نهر صابون القريب من اخرية قورس هي التي بوم^٣ توادوريطوس الى كرسي اسقفته

وهو قرب الانهر المذكورة كانت بقية الناحية القورسية كثيرة ما تصاب بالحناف وقد ذكر توادوريطوس خبر حنافة اصاها في رسالة وجهها الى اريوئنداس يسأل فيها ترك الدين التي له على الزارعين باراضيه الواسعة في القورسية (الرسالة ١٣) ويذكر ايضاً خبر حنافة آخر في ترجمة بوليخرونيس (٤)

هذا ما استطعنا جمعه من المعلومات عن مدينة قورس وجيرتها غير اننا لم نقف على معلومات تذكر عن سائر اماكن القورسية لان توادوريطوس لا يشير في ما خلفه من الكتابات الا الى قليل منها مثل اسبكا ونيتيس وتيليا وثرغالا وولما وسيتا ونبارا ونيسوزا (٥) ولم يلحق بهذه الاماكن شيئاً من الاوصاف ما خلا نيارا فانه وصفها بانها مدينة . وقد رأيت لئ لا يحسن الاماكن السابق ذكرها اسماء آرامية وهو امر طبيعي في ناحية آرامية خالصة كما مرّ لنا اثبات ذلك في الكلام على كوماجينة إجمالاً وكما سنثبت بعد هذا في الكلام على القورسية خصوصاً

(١) مما يجب التنبه اليه هو انه يوجد بين لشجار هذه النباتات لشجار شجرة تنبت من نقاء قصبها . وهكذا كانت الحال في أيام توادوريطوس لانه يجبر عن القديس يعقوب التماسك الشهير انه كان يثقت من ثمار لشجار التلب (مج ٨٧ ص ١١٠٩)

(٢) راجع مجموع الآباء لامين اليونان (مج ٨٧ ص ١٢٦١)

(٣) في المجلد نفسه ص ١٢٢٩، ١٢٣٢، ١٢٥٤، ١٢٥٧، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦٤

ولم يكن سكّان القورسيّة من ذوي النفي والثروة بدليل ان لسبقهم كان يضطّر الى اسماهم والقيام بالانشغال العموميّة لسيهم . وكان في بعض اللرات يرفع العرائض من اجلهم الى الامباطورة يوحنة القديسة وغيرها من كبار النصبين (١) وهي تدلّ من جهة على شهامة قلبه وحنانه ومن جهة ثانية على شفاء الاهالي الذين يظلمهم الضرائب وثقلت عليهم جداً حتى ان الكثيرين منهم لجزمهم من القيام باصاحبها كانوا يوثرون التسوّل وهجر الاوطان (الرسالة ١٢)

وان قيل ما اللغة التي كان القوم يتكلّمون بها في القورسيّة اجاب الذين يقرّعون في الاحكام قبل الوقوف على كنه المسائل انها يعني ان تكون اليونانية لان توادوريطوس لسبق البلاد صكّب بها . غير ان هذا التعليل لا يرضينا ولا يصلح حجة لاعتقادنا لانّ لدينا من الادلّة الواضحة ما يؤيد العكس (٢)

رأينا في مقالة سابقة (الشرق ١٠٨٦:٤) ان توادوريطوس مع ان لثمة الاصلية هي اليونانية (٣) كان عارفاً ايضاً بالسرانية . غير ان المقام لم يسمح اذ ذلك بالاقتضاة في الكلام على هذه المسألة المهمة ولولا ذلك لأتينا بشهادة المؤرخ اليوناني ملالا (٢١٠) طبعه ايسفورد) وهو يثبت ان العامة في انطاكية كانوا يتكلّمون الآرامية واما الباقيون فاذا كانوا لا يتكلّمون بها فكانوا على الاقل يفهمونها . ويثبت الاستاذ العالم كوغنير (Kugener) اثباتاً صريحاً (في الشرق المسيحي ١٩٠٢ ص ٢٠٢) ان السرانية كانت اللغة الشائعة في انطاكية وضواحيها

وهنا نستأذن في ان نضمّ الادلّة التابعة الى البرلغين التي سبق ايرادها: ان ابري توادوريطوس كتبت لها علاتق مكيّنة مع التناك القديس مقدونيوس وقد اخبر توادوريطوس بالتفصيل كيف ان تجرّده لحلمة الله كان نقيجة فخرضات التناك

(١) راجع رسالة ٤٣ - ٤٥
الذين يملّون التليل الآتي من قواعد الاستدلال العقلي وهو قولهم : « ان جملة اساقفة في سورية كتبوا باليونانية فاذا سورية كلها كانت تتكلّم اليونانية » وسنثبت في ما يلي من كلامنا عن القورسيّة ان تبينهم هي اوسع من المقدمات . وقد سبق لنا تبيان ذلك في كلامنا على ناحية انطاكية (الشرق ١٠٨٣:٤) التي يحاول البعض ان يصوّروها لنا مثل بلاد يونانية . وفي امثلا
انتا فتطيع اثبات الامر نفسه عن سائر نواحي سورية حتى تيسرتم الفرصة
(٣) كما قد صرح بذلك راجع مجموع يون (في المجلد ٨٥ ص ٤٤٢)

المذكور فقال ان مقدونيوس كان يتردد على مقبلهم في اطاكية فلما ترمع تولادوريطوس اخذ التاسك يوقبه ترغيباً شديداً في خدمة الله (١) والحال ان مقدونيوس لم يكن يعرف غير السريانية (٢) ولذا قد ثبت ذلك وكان التسليم صعباً بان مخاطبات هذا الرجل القديس كانت تجري بواسطة ترجمان فيترجع عنده انه لم يكن تولادوريطوس وحده يفهم السريانية بل ان ابيه ايضاً كان يفهمها وكانت هذه العيلة كما هو معروف من العيال الوجيبة في اطاكية

ولنا في الحادث الآتي بيانه دليل اقوى واصرح فقد اخبر تولادوريطوس في تاريخ الزمان (٣) ان الشيطان ظهر له ذات ليلة في قورس وهو اسقطها فهدده تهديداً مخيفاً مرعباً وكان يخاطبه باللغة السريانية وكان احد رفاقه راقداً معه في غرفته فسمع ايضاً الكلام منه وسمعه كذلك الحشم الذين في المنزل. فمن هذا الحادث الذي اقتصرنا على ذكر خلاصته يسوغ لنا ان نستنتج النتيجة الآتية :

ان ظهور الشيطان الذي اخبر عنه تولادوريطوس لا يخلو من ان يكون اما حاضراً مجرداً او رؤيا حقيقة. على ان الظروف التي قارنت الحادث ترجح انه كان من قبيل الثاني ومع ذلك لا نجد بأساً اذا هدده من قبيل الافتراض الأول بل انه ربما جاء من هذه الحيلة أوفى وأقيد لا نحن يصددهم وطيه اذا قلنا انه كان حاضراً مجرداً فبا ان النائم لا يعلم اصلاً بلغة لا يعرفها او بلسان لا يتكلم ولا نادراً ينتج عن ذلك ضرورة ان تولادوريطوس كان يتكلم عادة السريانية او بالاقول انه كان يفهمها بسهولة. واذا قلنا ايضاً انه كان رؤيا حقيقة يصعب ان نبين كيف ان جميع سكان الدار الاستقنية فهموا مثل تولادوريطوس تهديدات الشيطان لو لم تكن اللغة السريانية مألوفة عندهم ويقول تولادوريطوس ايضاً (في المجلد ٨٣ ص ٣١٣) انه وجد كتباً كثيرة سريانية من تأليف يريصان والزنجع انه تلقاها ضمن ابرشيتيه حيث كانت اقامته او في اطاكية التي كان يتردد اليها حيناً بعد آخر كما سترى في اثناء مقالتنا هذه . ولا نجد

(١) تاريخ الزمان (بين ٨٢ ص ١٢١٤ و ١٢١٥)

(٢) راجع المشرق (١٠٨٣:٦) اما الناحية الواقعة بين اطاكية وحب فراجع بشأنها الاباء اليونان المجلد ٨٢ والصفحة ١١٦١ حيث ورد ذكر السريانية كلفة البلاد

(٣) راجع مجموع الاباء. بين (٨٢: ١٢٤٣ و ١٢٤٤)

أدنى صعوبة للتسلم بالقرض الثاني لأنه يدلُّ على انتشار الكتب السريانية في مدينة قد طاماً صوروها ثانياً محضة

وكان تولدوريطوس يرغب في زيادة النساك الكثيرين بأورشليم وبلدتهم طوليلاً وسرى بعد هذا أنه لم يكن أحد من هؤلاء النساك يعرف اليونانية . وبما أنه لا يأتي في كل ما خلفه من الكتابات بذكر ترجمان وجب التسليم بأن محادثة التي كانت تطول في بعض الأحيان ألياً (١) قد كانت تعبري بالسريانية وأنه كان يعرف هذه اللغة حق المعرفة ويشكل فيها بسهولة

ومما يجب التسليم به ويتج ضرورة مما قدّمناه هو ان الاسقف المذكور ما كان وحده يفهم السريانية بل ان جميع حشائه من سكان الدار الاسقفية كانوا يفهمونها ايضاً ولا يبعد انهم كانوا يتكلمون بها . واذا صدق هذا الامر على الدار الاسقفية فاذا ينبغي القول عن سائر المدينة التي كان الاسقف كما سبق القول اعظم شخص . معتبر فيها ؟

ليس الجواب على هذا السؤال يصب لأن كاتب ترجمة تولدوريطوس يصرح دون مواربة « بان الجميع تقريباً في قورس وفي القورسية كانوا يتكلمون باللسنة السريانية وان عدد اليونان لم يكن فيها شيئاً مذكوراً (٢) » ويؤخذ من كلامه ان ذلك كان أحسن الأسباب التي حلت تولدوريطوس على القبول رغماً عن ارادته باسقفية هذه المدينة لأنه لما كان عالماً بلوياً وخطيباً مفلحاً يضاهي فم الذهب بل يكاد يفوقه ايضاً في مسائل تفسير الكتاب المقدس رضي ولكن مع كره ومشقة نفس بان يدفن كل ما رزق من مواهب العقل في مدينة صغيرة قد لا تأتي فيها هذه الواهب بفائدة لعدم وجود جمهور من السامعين يتقدم على مجاراته في السيل الذي يرومه . غير انه ما لبث ان ذلَّ هذه العواطف البشرية واتطوع بكليته الى الاهتمام بنعمة وخير القطيع الذي فوض الى تدبيره

ولقد ادى ان يعترض يجلب تولدوريطوس ويقول انها كتبت كلها باليونانية فمن نتلقى الاعتراض بالقبول غير واجدين شيئاً من الصعوبة في ردّه وسبب ذلك ان غالب

(١) راجع في تاريخ الرمان ترجمة مار يعقوب (٢٢٢) (٢٢٢)

(٢) الاباء اليونان لمن (مج ٨٤ ص ١٤٤، ١٤٤)

الخطب التي لثواودريطوس ألقاها في خارج قورس لاثه كان من محبي الحركة والتشمل وكثيراً ما كان يزائل ابرشئته بدليل انه لما ثورت الحشومات بسبب بضعة نسطور وكان اسقف قورس صديقاً للمبتدع من صباه صدرت له الاوامر من قبل الامبراطور ان لا يبارح مركزه فثقي عليه هذا اللع كثيراً كما يتبين ذلك من رسائله ولكن ما لبث اللع ان ارتفع بد مدة وجيزة فماد الاسقف للذكور الى اسفاره وكان ثوادودريطوس يردد خاصة على اثنتين من المدن اعني بهما انطاكية وبيرويه (حلب) وكانت الاولى على مسيرة يومين من مركزه والثانية اقرب من هذه المسافة (١)

لما انطاكية فكانت وعلة ولهذا كان يكثر التردد اليها حتى اضطر الى الاعتذار لورسائه من طول اقامته بها (٢) . واشهر خطبه وانقصها كما هو معلوم شر خطب موضوعها العناية الالهية وقد شهد في رسالته الى البابا انه ألقاها كلها في مدينة انطاكية ثم انه في رسالته للحامسة والسبعين يذكر خمسة اسباب جعلته على اعزاز اهالي حلب وآخر هذه الاسباب هو انهم فكثروا يسمعون خطبة بقر ومسرّة ولهذا كان يبذل جهده في أن يلقى عليهم احسن وافضل ما عنده من هذا الصنف . ولنا ان نقول بعبارة أخرى انه كان يجب الكرازة في انطاكية وحلب ليقينه بان السامعين في هاتين المدينتين يفهمون خطبة اليونانية ويتدبرون فصاحتها بخلاف الحال في قورس على انه لا يصح الاستنتاج من هذا ان حلب كانت بلدة يونانية فقد ذكر لذلك (٣) ان الاحوال فيها من الوجه التاريخي كانت شبيهة باحوال الرها ومن المعلوم ان الرها كانت في ذاك العهد آرامية مجتة بل مركز الآداب الآرامية ولهذا يجب القول ان حلب ايضاً كانت لرومية بسكانها ولتهاا ولكنها لما كانت مدينة كبيرة تجارية لم يكن ليصعب فيها وجود جمهور من السامعين يجيدون فهم اليونانية . فان السوريين في كل زمان كانوا يتسلمون كثيراً من الالسة والامثله على العارفين بينهم بلغات عديدة لم تقت

(١) اشهر ثوادودريطوس انه كان يسافر مساء القبار من حلب فيصل الى قورس في صباح اليوم التالي

(٢) اعمال الابه اليونان (مع سمح ص ١١٣٥ و ١١٤٦)

(٣) راجع المجلة الاسبوية الالمانية (ZDMG) سنة ١٨٨٥ ص ٢٣٤

قط من يلتبسها . وكما أننا اليوم نجد في المدن السورية عدداً غيراً متين يفهمون
الحلب باللغات الأجنبية هكذا كان الامر في الامم تروادريطوس . ومثلاً لا نستطيع
ان نستنتج في الوقت الحاضر ان اللغات الأجنبية متخلفة على اللسان الوطني هكذا
القول ايضاً عن خطب اسقف قورس

فاذا كان الذين يفهمون اليونانية في قورس قوماً قليلين فما ظنك بامر الناحية ؟
وقد اخبر تروادريطوس ان سكان المقاطعة الفرانية التي كانت القورية تابعة لها كانوا
يتكلمون السريانية ١)

هذا فضلاً عن ان هيرابوليس (منبج) مركز رئيس الاساقفة الذي كان يخضع
لـ اسقف قورس كانت ايضاً مركزاً مهماً سريانياً . وبعد قليل لوفاة تروادريطوس تولى
الكرسي المذكور فيليكسيوس احد مشاهير الكتبة عند السريان . وفي جومانيقية
التي تسمى اليوم مرعش كان القوم ينصبون ايضاً على آداب اللغة السريانية

وقد سبق لنا ايضاح ما كان من هذا القبيل في مدينتي انطاكية وحلب ٢)
وعلى ذلك لم يبق من داعٍ للتسلم بأن ابرشية قورس وحدها التي كانت في شمالي
سورية خفوفة من كل اخطائها بالبلدان الآرامية قد خرجت من هذه الدائرة . والحق
يقال ان هذه الناحية كلها لم تكن لها غير لغة واحدة هي الآرامية التي كان المتأدبون
يضيفون اليها معرفة اللغة اليونانية . قال المستشرق ساخو : « من اعظم مرافق
النصرانية ان الوثعاط كانوا يستطيعون ان يكرزوا بلغة واحدة هي الآرامية من حد
انطاكية حتى بابل »

واذا حصرتنا الكلام في المتوحدين الذين كانوا يسكنون صحاري القورية ترى
الادلة متظاهرة على انهم كانوا بلهجهم تقريباً آراميين يتستون باسماء سريانية مثل
مايسياس واشبسياس ومارون وسلامانس وماريس وزابناس وباراداتوس وتاليلابوس

١) تاريخ الرهبان (٨٠ ص ٣٣٢ راجع ايضاً المجلد ٨٧ ص ١١٦٣ و ١١٦٤) وفيه
يظهر كيف ان دهبان دير على انوارات كانوا يرتلون الزايمر بالسريانية التي هي لغتهم الاصلية كما
ذكر ذلك بالنص الصريح
٢) راجع كذلك المشرق (١٠٨٣ : ٩)

ومارنا (١) وقد قال توادريطوس عن الأول اي مايسياس قولاً صريحاً « لئلا كان سرانياً بلتس (٢) » أما الراهب القديس ابراهيم الذي تركى بعد ذلك الى اسقبة حوآن في بلاد ما بين النهرين فذكر توادريطوس في معرض اخباره من زيارة الامبراطور له مع كل حاشيته ان اللوما اليه لم يكن يفهم كلمة واحدة يونانية (٣) . وروى في موضع آخر عند كلامه على التاسك تايلايوس انه لما زوره « يجب كثيراً » لئلا سمع بمجاورة اليونانية (٤) لان التاسك المذكور كان على حسب رواية اسقف قورس فيلتيّ الجلس وكل ذلك يدل على ان معرفة اليونانية لم تكن شائعة بين السوريين الوطنيين

وان قيل ما هي الليتورجية التي كان اكليروس قورس يجري عليها قلنا ان الجواب على هذه السألة امر صعب بالنظر لعدم وجود معلومات صريحة بشأنها . ولكن بما اننا قد اثبتنا ان الالامية كانت لغة الناحية ساغ ان نستنتج ان الليتورجية كانت تجري بهذه اللغة ذاتها ولعلها لم تكن تجري بغيرها الا في كنيسة قورس الكاثدرائية . وفي ترجمة التاسك ابراهيم الذي سبق الاشارة اليه دليل ظاهر على ما نقول فقد كان على ما روى توادريطوس من ابناء القورسية حيث صرف زماناً طويلاً في الحياة النسكية وفي الاحتام شخص الى لبنان وهدى فيه كثيرين من الوثنيين وطعهم العبادة الالهية الحقيقية . ولا ريب انه كان يخطبهم بالسريانية لانه لم يكن يعرف سواها ويقيم لهم الليتورجية كما قد شاهدها مستمعة في القورسية وطنه (مج ٨٢ ص ١٢٢٥) قال سائحو : « ان الاراميين كثروا النصرانية في الشرق » وعلى ذلك فان الكتائس التي أسسوها قد علموها بالضرورة ليتورجية آرمية . وكانت السريانية كما هو معلوم اول لغة ليتورجية مستعملة (٥) وفي ما اوردها هذا الشأن كناية لقارئ حتى يتيسر له

(١) راجع تاريخ الرمان

(٢) راجع ميث (مج ٨٢ ص ١٢١٦)

(٣) تاريخ الرمان ص ١٢٨

(٤) هذا مما يوجب الاعتراض ان الاسقف خالطه أولاً باليونانية

(٥) راجع في سيم الامهوت الكاثوليكي (١ : ١٤٠٣) مقالة للاب غالبي السعودي الذي

نسب اليه بنهم رأياً مخالفاً لما نحن فيه

الحكم فبقي طينا ان نبحث عن احوال النصرانية في القورسية وهكذا ننتم كلامنا
من جغرافية هذه الناحية

٣

ان القورسية كانت كلها بالتقريب مسيحية في ايام توادوريطوس حكما يُنهم
ذلك من عدد الجماعة كنيسة التي يقول الاسقف المذكور انه كان مكلفاً بتدويرها .
ويظهر انه كان قد اتخذ بعض اعوانه من الخوارة الاسقفين لادارة الكنائس
الكبرى في ابرشيته وفي رساله ١١٣ يسمي اثنين من هؤلاء الخوارة . وبناء عليه
يجوز ان نحسب القورسيه كلها مسيحية في زمانه اذ لم يكن فيها من الوثنيين الا
افراد قلائل (١)

وكان في القورسيه جماعة من المراهقة وعلى الخصوص من الرقيونيين . قال
توادوريطوس : « ان غالي قري افسدتا هرطقة الرقيونيين مع الاماكن المجاورة لها
ارجعها الى الطريق القويم (٢) . وكانت هناك ايضا قرية اخرى عامرة بالتاجين لذهب
الافوميين وقرية غيرها لريسية شوقت لآثاره الجميع بالثور الالهي وهكذا بنعمة
الله لم اترك في ابرشيتي اثرًا للهرطقة ولم يكن ذلك يستطاع دون اهتمام اخطار
وإدراقة دم لأنني كثيرا ما تعرضت لرجم المراهقة .« ويشهد في موضع آخر (٣) انه
عند عشرة آلاف من المراهقة الرقيونيين وإثر هذا الانتصار الاخير على الجميع ظهر
له الشيطان كما سبق الخبر محاولا توقيفه من قتال الثوابة والضلال

أما دخول النصرانية الى القورسيه فلا نعلمه بالتدقيق ولكننا نظن انه كان في
الصدر الاول بالنظر الى قرب هذه الناحية من انطاكية احد مهود الدين للمسيحي وقد
حضر اساقفتها مجمع نيقية . وأما خلفاء توادوريطوس فلا نعلم منهم غير اسما .
ثلاثة قط (٤) ولا ريب ان كرسي قودس قد اعميت من بعد انتشار بدعتي نسطور
ويقوب البرادعي . ومع ذلك قد وجدنا في سريده لاسقفيات بطريركية انطاكية ترتقي

(١) راجع رسالتي ٦٧ و ٦٨

(٢) الرسالة ٨١

(٣) تاريخ الرمان ١٢٤٣ الخ والرملة ٩٢٥ و ١١١٣

(٤) لوسكيان : الشرق المسيحي (٣ : ١٣٠) الخ

على ما نقلته الى القرن الثامن ان قورس كانت معدودة في ذلك العهد من جملة الكراسي المطروبيطية لكن لم يكن لها استقبالات تتبعها (راجع اخبار بطاركة انطاكية والتمس في الاسفار الاورشليمية ص ٣٣٧)

ونعلم ان جسدي الشهيد العظيم قزما وداميانوس قد دفنا في قورس ولذلك قد نُسِي هذه المدينة في بعض الاحيان اكراماً لها بمدينة القديسين . واخبر توادوريطوس نفسه كيف انه في ذات يوم نجي من الحريق الكنيسة المشيدة على ذكر هذين الشهيدين (١) القديسين . وفي موضع آخر يذكر ايضاً في جملة كنائس مدينته الاسقفية كنيسة على اسم الشهيد ديونيسيوس (٢) ويضرب كذلك عن دير قائم بمجذاه احدى كنائس قورس (٣) وفي رسائليه ٦٦ و ٦٧ يتكلم على هيكل شيدته هو وكُرْسُ للرسل القديسين (٤) . وكان في قورس ايضاً مصلي على اسم الناسك القديس موقيانوس ومن العجيب انه تشيد في حياة الناسك المذكور (٥)

فكل هذه الآثار الدينيّة تبيّن لنا الحكم بان الديانة كانت في القورسية زاهرة زاهية بالأم راعيها الاثيل واسقفها القبور

ولنا ايضاً دليل آخر على ازدهار الديانة تأخذ من وفرة عدد الناسك في الناحية المذكورة التي كانت احسن البلاد ملائمة لحياة الزهد والعبادة لانها كثيرة الجبال بعيدة عن المراكز الكبرى والطرق التجارية وافية بمحاجات قوم يكتفون بالقليل حتى كان يصح ان تُدعى فردوس للتوحدن ونسبهم وهذا هو السبب الذي من اجله انتشرت فيها كثيراً هذه الهيئة الاخوية من حياة النسك . وفي تاريخ الرهبان لتوادوريطوس الذي خصص منه النصف بتراجم عظماء الرهبان في القورسية قلنا يأتي بذكر الاديوار (٦)

(١) مجموع الاباء (مع ٨٤ : ص ٧٨٦ و ٧٨٧)

(٢) تاريخ الرهبان الفصل ١١

(٣) وكانت الكنيسة على اسم الرسل الالطار. تاريخ الرهبان ١٢٢٩

(٤) راجع كذلك المجلد ٨٧ ص ١٢٥٠

(٥) راجع للمجلد منه ص ١١٤٧ و ١١٤٨

(٦) في الرسالة ١١٧ يتكلم عن اليوس ويقول عنه انه « اِكْسَرغوس الرهبان عذلاً » وهي جارة تدل على وجود دير في قورس او في الابريشية التابعة لها . ويذكر ايضاً اديواراً أخرى في المجلد ٨٣ والصفحة ١٢٢٥ و ١٢٦٠ غير ان الاديوار كانت هناك قليلة جداً

بل يذكر التوحدين الذين كان يجتشد حولهم بعض التلاميذ فيشتون آثارهم ويهجون نهجهم غير أنهم كانوا يعيشون هم أيضاً متوحدين دون أن يجتمعوا ضمن حظيرة دير.

وكان توادوديطوس يحب ويكرم هؤلاء الرهبان القديسين الذين كانوا يطهرون ايرشيتهم عرف فضائلهم ولهذا كان يكثر من زيارتهم وعادتهم وكل ما كتب عنهم في تاريخ الرهبان قد رآه فيهم أو سمعه منهم . على أن الرهبان المذكورين قابله بجل وعافته وأجترأ في ذلك لما أبعد عن ايرشيتهم فإنه لم يجد اذ ذلك اصدقاء . أشد اخلاصاً من هؤلاء القوم الذين كانوا كما قال عنهم « يجتفرون هذه الحياة الزائفة متوهمين الحياة الأبدية (١) »

وقد سبق لنا تسمية بعض ابطال هذه السيرة النفسية بقي علينا ان نذكر اخص واحد بينهم اعني بيو القديس مارون وكل ما تقدم من الكلام جعلناه كتمهية تمهد لنا السيل لتبين وطن هذا القديس العظيم والمكان الذي صرف فيه حياته . فاذا لم نتوصل دائماً الى نتائج نهائية واذا اكتفينا اக்கثر الاحيان بالظن والتقدير فالذنب كل الذنب على فقد للعلوم المؤكدة في هذا الشأن . غير ان ما سنسطة مما يستحق الاهتمام واملنا ان يكون عرضاً لأولي البحث على الجدة والتتبع لهم . يتوقرون الى ١٠ لم نتوقف اليه . وفي كل حال ليس من غايتنا ان نازم القارئ باتباع آرائنا ونكتننا نتوخي من كل ذي ادب ان ينظر فيها منتقداً حتى تنجلي المشاكل وتتبدد الغياهب . وبما يسرعاً جداً هو ان نداءنا للطوائف المسيحية الشرقية حتى تبذل الجدة اللازم في الابحاث التاريخية (٢) قد لاقى قوماً يسمعون فبه بعض الادباء . واخذوا يشبون في توليخ طوائفهم ونشروا منها اشياء حرة بالاضبار واملنا ان يزدادوا حية في هذا الشأن لا ينجي من ملهم من النفقة . وفي هذا المقام لا نرى بداً من التناء على بعض أدباء الطوائف الشرقية لما التحفوا بيو الدروس التاريخية من التأليف النافذة حكماً ندح أيضاً سائر الذين نشروا في مجلة للشرق ابحاثاً مهمة في شؤون طوائفهم وأدبها الطقسية وآثارها القديسة

٤

ابن وُلد القديس مارون ؟ هذه مسألة كان في وسع توادوريطوس كاتب ترجمة هذا القديس ان يحلّوب عليها جواباً شافياً غير انه لسوء الحظ لم يذكر فيها شيئاً في الكلام الوجيز الذي تركه ولهذا وجب علينا ان نسمي بالانقاص عما سكّت عنه . على اننا لسنا باولئك من سمى وراء هذا الامر فان حضرة الحوري ميخائيل غبريل يقول في كتابه تاريخ الكنيسة المارونية (ص ٨١) ما نصّه : « ان القديس مارون ولد . . . في بلدة تدعى مارونيا البينة نحو ثلاثين ميلاً عن انطاكية في جوار مدينة قورس »

ورد ذكر « مارونية » في ترجمة الراهب مَلُحس التي كتبها القديس ايرونيوس فقال عنها انها بلدة صغيرة (*haud grandis viculus*) على مسافة ثلاثين ميلاً شرقي انطاكية (١) كانت ملكاً لصديقه ايشاغروس الكاهن الذي ارتقى بعد ذلك الى اسقفية انطاكية . وكان القديس ايرونيوس اُيُلم اقامته في انطاكية يقرّده الى القرة المذكورة مع صديقه ايشاغروس اللوما اليه . وهذا يوهان آخر على انها كانت قريبة من انطاكية لكن لا يسوغ ان تريد عليه انها كانت في جوار مدينة قورس اذ كان بينها وبين هذه المدينة الاخيرة مسيرة يومين على الاقل

فالى اي شيء اذا يستند قول من يقولون ان القديس مارون وُلد في قرية مارونية ؟ لا علم لنا بذلك لان توادوريطوس الذي هو المستند الوحيد لكل ما كتبه الكتابيون عن القديس مارون لا يذكر شيئاً عن مكان مولده وكل المؤرخين الذين جاؤوا بعد لسقف قورس تناولوا هذه واذا كانوا قد اضافوا بعض زيادات الى كلامه فليس لهذه الزادات عند اهل التحقيق الا قيمة كتبها . نعم انهم قصدوا قصداً حسناً فرغبوا في ان يوضحوا ما سكّت عنه توادوريطوس غير انه لا غنى للمؤرخ المدقق في امور كثيرة عن الاقرار بالجهل والقصور . وزيادة على ذلك ان التقليدات التي يتناقلها اللوارنة ساكنة ايضاً عن مكان ولادة ابيهم القديس مارون ولو كان شيء من ذلك لا تأخر

(١) وذكر الجغرافي بطليموس ايضاً مكاناً آخر في سورية يدعى « مارونية » لكن يصعب القول انه عن مارونية التي نحن بصددها ونرجح انه يريد بها مركزاً في إقليم قنسين كما ذهب اليه هرغن ١٤٥ ZDPV, XXIII, راجع كذلك Ritter, XVII, ١٥٦٩

البطريرك اسطفان الدويهي عن ايراده . وعليه فانتا نجيب كيف يمكن في هذه المسألة بسط الكلام أكثر من توادريطوس والدويهي

ثم اردف صاحب تاريخ الكنيسة الانطاكية (ص ٨٤) قوله عن ولادة القديس مارون في مارونية بقوله « انه درس العلوم في احدى مدارس انطاكية » . وهو ايضا امر لم يفتأ عنه توادريطوس وهذا قد استند الكاتب الحديث الى المودة التي زعم انها نشأت بين القديس يوحنا فم الذهب والقديس مارون الثالث (١) منذ كان يدرسان معاً في انطاكية . على أننا نقر بمصادجة اننا لانهم قوة هذه الحجة لا بل نظن ان القديس مارون كبقية نسائه زمانه في التورسية (٢) كان من اصل آرامي ويجهل اللغة اليونانية ومن ثم انه لم يدرس في مدارس انطاكية . وخلاصة القول ان الاخرى بنا ان نقر بجهلنا المكان اللين الذي ولد فيه القديس مارون

وان طلب منا القارئ رأينا في ذلك رجحنا كونه لم يولد في جوار انطاكية . وعلى كل حال لا نرى صواباً في ما اثبتته حضرة الحوري غبريل (ص ٨٧) حيث قال : « ان البرية التي انحاز اليها القديس مارون قبل انها مجاورة لتلك التي رسما القديس ايونيوس عندما اعتزل اليها . . . وذكرها في جملة كتاباته » . لأن البرية التي اعتزل اليها القديس ايونيوس معروفة محددة الاربعاء وهي ناحية مشعة القناء موقعها جنوبي شرقي حلب كانت تدعى كلسيدية (Chalcidène) باسم عاصمتها كلسيس التي تعرف اليوم باسم قلسرين وهي مارة عن قصر قصر احرنة الشمس بجوار بركة الشام لا يسكنه الا بعض عرب البادية (٣) . ومن راجع وصف هذا المكان للقديس ايونيوس لا يراه موافقاً لا قالة توادريطوس عن البلاد التي عاش فيها القديس مارون وهي التورسية كما سبق . فالرأي عندنا ان مولد رجل الله كان في الناحية التي فيها قضى اكبر قسم من حياته كما سيأتي نقلاً عن توادريطوس . ولو كان مولد القديس مارون في انطاكية او جوارها كذا ان اختار لزمه احدى الجوارى

(١) استناداً الى الرسالة ٣٦ من رسائل القديس يوحنا فم الذهب

(٢) وبأني بيان ذلك قريباً

(٣) وكانت لغة هذه الناحية هسريانية . وكان القديس ايونيوس يفهمها (راجع جملة الشرق المسيحي المطبوعة في رومية « Oriens christianus » لسنة ١٩٠٢ ص ٢٠٣)

المدينة الواقعة على مقربة من هذه الحاضرة والمقدسة بعيشة كثيرين من مشاهير البُاد وذلك ما يتضح من التواريخ البيعية المكتوبة في ذلك العصر (١) كهاذا شاهداً على قولنا مثال القديس يوحنا فم الذهب الذي وُلد في انطاكية ثم انتقل الى النساك في دير قرب من موطنه . وكذلك نظن ان القديس مارون الذي عاش ومات في القورسية وُلد ايضاً فيها ما لم يأتنا احد يروى على خلاف هذا الرأي . أما ان القديس مارون صرف حياة في القورسية وقضى فيها نوبة فالامر واضح وضوحاً تاماً بما ورد في تاريخ الرهبان توادوريطوس . فان هذا الكاتب العظيم بعد ذكره من اشتهر من النساك في انطاكية وجوارها يعلن جهاراً انه يباشر بقراجم للتسكين في القورسية (٢) ثم يذكر اعمال ميسياس واشبسياس ويشيخس الى ذكر القديس مارون فيبين بذلك ان هذا الباد الشير كان في الناحية ذاتها . وقد زادنا ايضاحاً في اثناء كلامه عن القديس : « انه هو غارس الحديقة (يريد حديقة العيشة الرهبانية) التي ترهوا الآن في القورسية (٣) »

هذا ولا نجعل بان توادوريطوس قال في ترجمة ابراهيم الناسك التي ألحقها بترجمة القديس مارون « انه هو ايضاً كان ثمرة نمت في بلاد قورس » ثم اردف قوله بهذه الفترة قائلاً : « وبها كان مولده » . فلماذا لا ترى ضرب الصنع عن التصريح بوطن القديس مارون ؟ فهل كان ذلك سهواً منه او جهلاً ؟ فهذه مُعضلات امكن توادوريطوس ان يحلها فلم يفعل . ولكنك اكنى بقوله عن ابراهيم « انه هو ايضاً كان ثمرة نضجت في القورسية » ليشير الى ان اصل القديس مارون الذي سبق ذكره كان كذلك من القورسية فليحكم القراء .

هلم بنا الان ننظر في اي مكان من القورسية تأله قديسنا الجليل . نحب على ذلك ان غاية ما اعطينا به توادوريطوس في هذا الصدد انه « تسلى الى قمة جبل كان اقام فيه سابقاً عبدة الاوثان هيكلاً للالهة » (٤) . والظاهر ان هذا الجبل كان على

(١) راجع كتاب توادوريطوس في تاريخ الرهبان

(٢) راجع التاريخ ذاته في مجموع مين (ص ١٢١٦)

(٣) راجع الصفحة ١٢٢٣ منه

(٤) فيه (الصفحة ١٢٢٤)

بعض المسافة من قورس كما يلوح من ترجمة القديس يعقوب تليذ القديس مارون حيث قال عنه توادوريطوس « أنه بعد ما سكن مدة مع عليه جاء فسكن على جبل يقرب من قورس ثلاثين غلوة » اعني على مسافة ساعة ونصف من هذه المدينة (١) . ولكن في اي جهة كان موقع جبل القديس مارون آفي شمال قورس او جنوبها او جهة أخرى والرأي عندنا أنه سكن احد الجبال الواقعة على طريق حلب اعني جنوبي شرقي قورس . ليكون مقام القديس اقرب الى اقامته في اقليم سورية الثانية حيث سُيِّد بعد ذلك الدير الذي عُرف باسم دير القديس مارون كما سترى في فصلنا الخامس آتفا

الأ أن تعريف الجبل بعينه الذي اوى اليه القديس مارون ليس بممكن . لما يبحث من ذلك اهل البحث في نواحي قورس . ولما يساعد على ذلك فحص اخربة المياكل الواقعة على قسم تلك الجبال والمتابة بينها وبين ما يرويه اهل تلك النواحي بالتقليد مع البحث الجغرافي عن مواقع تلك الاصطاع . فلا غرو أن من يتبع هذه الخطة يلقى ما لم يكن في حسابه من آثار الامكنة الدائرة في سورية . وما ادراك أنه لا يجد كتابة قديمة تعيط السر من عدة امور غامضة (٢)

ولم يُدَقَّن القديس مارون في عبيسه فان سكّان القرى الجاورة تنازحوا ذخائره للندسة حتى فاز بها اهل بلدة قريبة فنقلوها الى وطنهم واقاموا للناسك القديس هيكلًا جعلوها فيه . ويؤخذ من بعض نصوص توادوريطس أن الهيكل المذكور كان على مسافة من قورس . قال هذا الكاتب الشهيد : « ومع اننا بيمدون عن القديس فان بركته تشملنا وذكره يقوم لدينا مقام ذخائره » . ففنى بهذا بُد مدینه قورس من ذلك المقام . على أن المكان لم يكن خارجاً عن دائرة ابرشيته قورس لأن مدفنه كان قريباً من محبسه وقد بينّا في ما سبق أن القديس عاش في القورسية . ومن ثم صَحَّ عندنا قبر القديس وهيكله الأولين أنما كانا في شمالي سورية جنوبي قورس في نحو نصف المسافة بينها وبين حلب

(١) فيه (الصلحة ١٤٢٦)

(٢) كالكتابة المكتوبة بلتتين يونانية آثارية التي وجدناها في كراد الاسيية شمالي غربي حمص على تادوس قديس يُدعى قوما لم يكنّا حتى الان بيان احواله (راجع المجله البلجيكية موزيه (Musée belge, 1901) . وقد نشر حضرة الاب س . رزقال النص الارابي في مجله (الشرق المسيحي (ROC, 1962)

هياً بنا الآن نبعث من امر آخر لا تفوت فائدته كل بصير اعني مقام دير القديس مارون الشهير . قد تكرر ذكر هذا الدير في اخبار سورية ولشهر رهيانه بما ابدوا من البسالة في الدفاع عن الايمان . ولكن تُرى اين كان موقع الدير المذكور هل أقدم بجوار هيكل القديس « مارون العظيم » (كذا دعاه تولدوريلوس في تاريخ الرهبان ص ١٢٥٤) قريباً من ذخائره المباركة كما ترجع ذلك التقاليد الشائعة او كان بالأحرى موقعه في غير مكان من سورية

مها كان من صفة احد الرأيين زى الاجد بنا ان نتصمّم الآثار القديمة ونستضيء بنبراسها لتحريف موقع هذا المكان الذي في ظله نشأت الطائفة المارونية . ولا شك ان نصوص القديس تساعداً على ازالة الشبهات التي تكاثفت بهذا الخصوص . وقد عدنا ما كتبه المحذون بهذا الصدد فوجدنا آراءهم متباينة متناقضة ففهم من يجعل دير القديس عند قطاكية (١) ومنهم من يرجع كونه في ضواحي حص (٢) وبين البعلين كما لا يخفى مسافة ثمانية ايام بيت . وربما رأيت الكتاب الواحد مضطرباً متغيراً يجعل الدير طرة في محل وثارة في موقع آخر حتى أننا عدنا لبعض كتبة زماننا خمسة آراء في هذا الشأن

ومضنا ان درس الجغرافية للدق يُفضي بصاحبه الى الرأي الصحيح ويُرشده الى الطريق التلي . ولا بُد لنا لبيان هذا الامر من تعريف الاقسام السياسية التي كانت عليها سورية الشمالية وسورية الوسطى في عهد القديس مارون اعني في القرن الخامس والسادس فاذا وقفنا عليها تبيننا على التريب الايالة التي فيها كان موقع هذا الدير المشهور . ثم نضيف الى هذه الاعلام الصومية بعض نصوص جغرافية تزيد بحثنا ايضاحاً

كان الرومان على عهد تولدوريلوس يدعون باسم سورية الرومانية كل البلاد المُقسمة الارباع الواقعة في وسط التخرم الطبيعية التي يحدق بها البحر المتوسط وجبل طروس

(١) راجع الدويجي (ص ٢٦ و ٦١)

(٢) اعني في وسط الطريق بين اللاقية وحص (راجع امداء الشرق السنة الرابعة ص ٩٦)

وبادية الشام ودية طور سينا . وكانوا يقسمونها الى اربعة اقسام كبرى او اعمال اعني سورية وفينيقية واقلم العرب وفلسطين . ومن هذه الاعمال لا يهتأ هنا سوى سورية وفيليقية فنقصر كلامنا عليهما

وكان عمل سورية يُقسم الى ثلاثة اقسام او ولايات يستوفا سورية الاولى او سورية للمروقة ثم سورية الثانية او سورية الحلبية ثم سورية الثالثة للمروقة ايضا سورية التراثية

وكانت قاعدة سورية الاولى للمروقة بالمجوعة اطلاقية الطلمي وهي تمتد من جبل لباتوس (الكّام) شمالا الى مدينتي اللاذقية وجبلة جنوبا ويمتددا شرقا سورية الفراتية . فكانت سورية هذه تشمل القسم الغربي من ولاية حلب الحالية ومصرفية اللاذقية من ولاية يبرود

وكانت سورية الثالثة اي التراثية تضم كل البلاد للمروقة سابقا باسم كروماجينة (راجع خريطة سورية) وقد مرّ وضعها فلا حاجة الى اعادة الكلام فيها . وكانت حاضرة سورية المذكورة مدينة منيج (Hierapolis)

أما سورية الثانية (١) للمروقة الحلبية (Syria Salutaris) فكانت حاضرتها اقامية (قلعة المضيق) وكان يدخل في حيزها ابيفانيا او حماة . وكانت حدود هذه الولاية الجنوبية تمتد الى جوار حص فيلحق بها اداتوسة ومريين ورقانية التي موقعها على مسافة ثمانين ساعة الى عشرين فرسخا من حمص . وعليه فتكون هذه الولاية مطابقة تقسم من ولاية حلب في جنوبها الشرقي ولقائمية حمزة المركزية في ولاية حمص . وكلامنا في هذه المقالة خصوصا من هذه سورية الثانية فلا بد للقارئ ان يودعها ذاكرته ليتبنا في بحثنا

وكان عمل فينيقية وهو القسم الثاني من سورية الرومانية يقسم الى فينيقية لبنان وفينيقية الساحلية

(١) وطوبو فلا نرى وجه التعيين في تحديد بعض المحدثين لسورية الثانية حيث قال : « سماها الاقدمون سورية الثانية لتمييزها من سورية الاولى التي تسم جميع ما هو من مريش مصر الى مصر دجلة »

تقليقة لبنان التي مدار كلامنا عنها هنا كانت حاضرتها حمص على الاقل مباشرة لأنّ قسماً من سيطرتها بعد ذلك صار الى دمشق . وكفأنا هنا علماً ان فيليقية لبنان كانت جنوبي سورية الثانية الطيبة

فلنعودنّ الآن الى دير القديس مارون لتعرف مرقم . وبما اتفق عليه في هذا الباب ثيف الكتبة ان هذا الدير كان على ضفة نهر العاصي . وكذلك لا خلاف بانّ موقعه كان في سورية الثانية . وهذا امر يلوح كالشمس في راحة النهار لمن طالع العريضة التي وجهها وهبان هذا الدير الى البابا القديس هرمزداس مع سائر الكتكبات الرسيمة التي ورد فيها ذكره فانها كلها بلا استثناء تجمل دير القديس مارون في سورية الثانية فان صحّ ذلك بطل زعم الذين بجأوا عن دير القديس مارون خارجاً عن هذه الولاية . ومن ثمّ فلا صحة لقول من ذهب الى انّ هذا الدير كان مجوار انطاكية (١) او قريباً من حمص لانه لو كان في ضواحي انطاكية لكان من سورية الاولى اي المجوفة ولو جاور حمص لحدّ من فيليقية لبنان

ولكن بقي ان نعيّن مكان هذا الدير ضمن تقوم سورية الثانية في جوار نهر العاصي . وليبان الامر زى هنا ايضاً اصلاح بعض الاغلاط الجغرافية التي شوشت هذه المسألة وجعلتها مرتبكة منقطة

فالغلط الاول هو غلط الذين قرّبوا موقع اقامية من حمص فجعلوا الديتين مجاورتين وهو غلط عظيم ورد في تاريخ سرياني لدير مار باسوس ذكره لتفنيده فقال صاحبه : « ودير الشهيد مار باسوس في بلاد اقامية على مقربة (كذا) من مدينة حمص الكبرى » . وقد شط كاتب هذه الاسطر وسبب شطوطه انه وضع تاريخه في زمن كانت حمص بلغت فيه مقامياً ساماً فيهرو شهرتها . ومن ثمّ فأننا نطرد الذين استكدوا الى هذا القول ليجعلوا موقع دير القديس مارون في جوار حمص بدلاً من

(١) راجع تاريخ الكتبة الانطاكية (ص ١٠٩) وتاريخ الطائفة المارونية للدويهي (ص ٢٩) وقد روى هذا العلامة (ص ٦٥) نصاً قديماً في سرود ورد فيه ما نصّه : « قرية سرود في جبل السويدية على مسافة مساوية بين انطاكية ودير القديس مارون » . قلنا ان كان المراد بالسويدية القرية الحالية المروفة بهذا الاسم انقص القول بان دير القديس مارون كان موقعه بين انطاكية والبيس . وهو زعم مردود

اقامية لاسيما ان اقامية كانت أكثر خربت بعد ان احرقها كسرى الثاني فزادت
حصص بنجرها قليلاً

وبما يشهد لنا أيضاً على ارتقاء حصص وفرونها في تلك الايام ان العرب بعد
فتح الشام لما قسموا سورية الى اقاليم متعددة دعوا ابناء جلاوا حصص جنداً
وادخلوا تحت حكمها مدينتي حماة واقامية . وهذا دليل واضح على عظم شأن
حصص عند دخول العرب بلاد الشام لانه كانت من اكبر مدن سورية في وسطها
الشرقي . فلا عجب لانه ان كان البعض اتخذوا حصص كميناً لتعريف المسافات
كما انهم حسبوا اقامية وحده قريبتين منها لوقوعها تحت حكمها

والنقط الثاني في هذا الباب ان قوماً دخلوا بين اقامية وحماة وجعلوها مدينة
واحدة وذلك لبعض التشابه بين اسم اقامية وليثانية (اسم حماة اليوناني) . وهو زم
باطل فوي به مكتبة عديدون الى غاية القرن الثامن عشر منهم الكاتب دي لاروك
في رحلته الى سورية (de la Roque : *Voyage en Syrie*, I, 239) ولو كان في
الشرق المسيحي وغيرها كثيرون بعد ما فسرهم منهم الروم الى بعض العديدين من
المكتبة الشرقيين

والصواب في ذلك ان اقامية هي كما قلنا سابقاً قلعة المنيق شمالي شرقي حماة .
وقد اصابنا القناع من هذه الحقيقة للمرة الاولى العلامة بورخاردت (Burckhardt)
تنبه العلماء المحققون في قوله بعد ذلك بنحو ربع القرن . وعليه فلا تعجب على بعض
مكتبة الشرق العلماء ان ضلوا في ذلك سواء السبيل

ولعل سبب آخر دفع هؤلاء المكتبة الى ان يحسبوا دير القديس مارون في ضواحي
حصص وهو موقع مغارة الراهب . فان هذه المغارة او بالتحري هذه سلسلة المناد التي
وصفناها في الجزء السابق (ص ١١٠ وفي الشرق ٢٦٤:٤) موقعها جنوبي حصص عند
رأس الناصي . ولا كان بعض العامة يعرفونها باسم دير القديس مارون بل قوماً ان
المراد بهذا المكان ذلك الدير الاول الذي بُني على اسم قرياً من اقامية
فكل هذه الزمام اوها لا يجوز القول بها . ومن ثم لا نرى ما كتبه البعض في
هذا الصدد مضبوطاً حيث جعلوا دير القديس مارون « على تخوم حصص » او « في بلاد

حصن وحامة « او « بين حصن وحامة » (١) او « في حصن » كما ورد في تاريخ ابي القدا (٢) وقد تبعه الاب ميشال جوليان اليسوعي (٣) او في وسط الطريق بين اقامية وحصن على رأي الاب قاليه الصوري (٤)

والقول الفصل عندنا في ذلك ان موقع دير القديس مارون فوق هذه الامكنة شيالاً ما وراء حماة . ومن كادوا يصيبون الهدف في ذلك العلامة السعدي من كتبة القرن العاشر الميلاد فانه عين موقعه بقوله في كتاب التثنية (ص ١٢٣) : ان هذا الدير كان « شرقي شيز » . يقرب نهر الأرنط نهر حصن وحامة . وشيذ هذه تعرف في عهدنا باسم شينجر وهي في نصف الطريق بين حماة واقامية اي قلعة الضيق . وقد افاد الكاتب ميتة ان الوارثة كانوا كثيرين في معاملات شيز وسورة النعمان واقامية يسكنون في وسط تلك البلدان . وعندنا ان سبب نحو الوارثة ووفرهم في تلك الجهات لما كان قريهم من هذا الدير العظيم كأبوا حولة ومنه قدموا وانتشروا في جهات البقون وجبل كما يبتأ ذلك في مقالة سابقة

واصدق ما ورد في ذلك انما جاء في الآثار الارمنية التي نشرها الحوري فو (Nan) الافرنسي (Opuscles Maronites, II, 22) وقد ذكر هناك ان دير القديس مارون كان « قريباً من اقامية في وادي العاصي » . وقد آتوا قوة على سواه لأن كاتب هذا الاثر قدم من سواه عهداً سبق غيره الى ذكره (٥) وقد عرف موقعه بدقة وضبط . فن هذا النص مع ما يستفاد من مراجعة اقوال المؤرخين يتضح لنا ليس قط ان دير القديس مارون كان في سورية الثانية بل انه ايضاً كان في نحو مركز هذه الولاية

ونما يريد رأينا ما ورد في تاريخ رهبان القديس مارون للشمهدين . قال كاتب اخبارهم ان هؤلاء الرهبان بعدد ٣٥٠ خرجوا سنة ١٧٠٠ ميلاد دير القديس سمعان

(١) راجع تاريخ الكنيسة الانطاكية (ص ١٠٩، ١٧٥، ٢٥٧، ٣٦٩)

(٢) راجع تاريخ ابي القدا (Hist. anteval., ed. Fleischer., p. 112)

(٣) في رحلته الى سورية وسينا (١٧٨)

(٤) راجع اصداء الشرق (الجزء ٤ ص ٩٠)

(٥) لا نجهل ان مريضة رهبان القديس مارون الى البابا هريزداس اقدم من كاتب هذه الآثار الارمنية الا ان تلك المريضة لا نفيدنا عن موقع الدير سوى كونه في سورية الثانية

المودي اذ هجم عليهم للتصحبون فقتلهم . فيؤخذ من هذه الرواية لئلا كان بين رهبان الديرين علاقات متواصلة وانما لم يكونا مبتعدين كثيراً الواحد عن الآخر . على اننا نعلم ان دير القديس سمعان كان موقعة في جبل بركات على مسافة بعض ساعات من حلب غربياً ١٦ . فلا بد اذن من القول ان دير القديس مارون كان ايضاً من جهة قريبة من اقامية كما سبق . وان افترض علينا احد ان المسافة بين الديرين لا تزال كبيرة اجبتنا ذلك صحيح لكن الامكنة التي يختارها غيرنا لموقع هذا الدير اذا جعلناه في حصص او حماة تريد هذه المسافة زيادة بالغة بحيث لا يدرك القارئ سهولة هذه المخابرات بين الديرين لاسيا كيف لمسكن نحو ١٠٠ راهب (٢) ان يخرجوا في وقت واحد فينتقلوا الى الدير الآخر . ومن ثم لا بد القول ان دير مار مارون كان ارقى شألاً كما تشهد عليه الآثار التي استندت اليها

وان كانت النتائج السابقة هي صحيحة فينتي ان تنحصر الجماعات كلها من دير القديس مارون منذ الان فصاعداً في وادي العاصي قريباً من قلعة المضيق . فلبغي على الاثريين ان يتجسسوا في تلك الجهات وينقصوا الاخرى ويجمعوا التقاليد الباقية بين اهل تلك النواحي ريثما يصلحوا على موقع هذا الدير الجليل الذي احتله متون من الرهبان الصالحين قدسوه باعمالهم ويرحيهم ويشهد على ذلك السعدي في كتاب التنبية حيث قال (ص ١٩٣) : « ودير مارون ببيان عظيم حولة اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها رهبان وكان فيه آلات من الذهب والفضة والجواهر شي . عظيم فخر به هذا الدير وما حولة من الصوامع بتواتر الفتن » . فلا شك ان بناء عظيماً كهذا لم يخرب دون ان يبقى منه شي . من آثاره . وان قيل ان خرابه سبق القرن العاشر فيصعب وجود بقاياها . اجبتنا ان هذا الدير كان موقعة بعيداً عن البلاد الآهلة بالسكان كما ان قلعة المضيق أصبحت منذ لاجيال متدعة معزلة عن الطرق اللاحقة

(١) وليس كما زعم حضرة الخوري فبريل « حذاء انطاكية » (ص ١٧٥) كذلك لا يمكن ان نعلم بما جاء في ذيل الصفحة نفسها
(٢) قفا ١٠٠ راهب . ولعلم كانوا اكثر والنايت المقرر ان عدد القتلى للمبتعدين منهم كانوا ٣٥٠ وقد فر منهم مسجونون حارين . وسيا في قريباً ذكر دير آخر قريب من دير مار مارون بلغ عدد رهبانوه سنة آلاف راهب بنيت

قلم يكتوئها الحراب والنهب فلا ريب ان تكون أيضاً آثار هذا الدير الذي عُرف
باسم دير البُرد باقيةً بجوارها حتى اليوم

٦

البحث في ما سبق ان القديس مارون عاش وتوفي في القورسية . وفيها دُفن أيضاً
ليس بعيداً عن مكان وفاته . وذلك واضح لمن اعتبر قول توادوديطوس . وقد أدى
بنا من جهة أخرى مجال البحث في الفصل السابق الى ان نجعل دير القديس مارون
قريباً من اقامية اعني على مسافة نحو مئة كيلومتر جنوبياً من قورس . وكأني بالقارئ
يستترب الامر ويحد في تعيين موقع هذا الدير خارجاً عن القورسية بعض التناقض
ويشك في صحة النتائج التي استنتجناها

كلّا لا تناقض في ما قلنا . وان يكن في الامر مشكل . ولنا المشكل اعظم
واقوى اذا ما جعلنا موقع دير القديس مارون في جهات حمص
اعلم انّه لا يُعرف نص واحد يذكر صريحاً ان جسم القديس مارون دُفن في
الاقامية . بل في قول توادوديطوس ما هو عكس ذلك . ولنا يثبت التقليد ان
رأس الناسك القديس بعد خراب ديره القريب من اقامية نُقل الى لبنان
لما دُخِر القديس فلا نعلم أُنقِلت ايضاً بعد وفاته ببضع سنوات الى جهات
الاقامية لم لا وان كان الامر عسلاً ولعل الباحثين يجدون حسلاً لهذا المشكل في
التفاصيل التاريخية النادرة التي كتبت عن ادير اقامية ونواحيها

وكتبت هذه الاذهار كثيرة قد ذكر منها توادوديطوس في رسالته الى ١١٩
ديرًا «موقفة على ثلاثة اميال من اقامية» طلب ان يعقل فيه وهو يسميه ديره كلمة
حاش فيه الشبهة الرهبانية ١)

ونعرف فضلاً عن هذا الدير قرب اقامية ديراً آخر شهيراً وهو دير مار بشوس ٢)

١) ان توادوديطوس كان داعياً الى سنة كهنته فدخل في جملة اكليس انطاكية
٢) راجع كتاب العلامة رويس دوقال في الآداب السريانية (ص ٢٥٢) والمجلة الشرقية
اللاتينية (ZDMG, XXX 217)

الذي نشره الخوري شاور كتاباً موسماً (١) ومما ورد في اثباته أن عدد رهبانه بلغ ٦٣٠٠ راهب (ص ٦١) - ألا أن صاحب هذا الكتاب قد وهم بقوله أن هذا الدير كان في بلاد حمص أو قريباً من هذه المدينة (٢) والصواب أن دير مار بئسوس كان بجوار اقامية . وفي ما سبق اشرنا الى هذا الخلط وسيبه ولا نحال أن الكتبة خلطوا بين دير مار بئسوس ودير مار مارون لوقوع كلا الديرين في جوار اقامية . والدليل عليه أن للديرين اسماً مختلفاً فضلاً عن أن دير مار بئسوس اضحى بعد قليل مركزاً للبدعة العقوبية (٣)

فوجد عدد واقر من الادوار في قواحي اقامية يوهان جديد على ما كان لتلك التناك من القام الرضيع والشهرة الذائعة ولا حرج بعد ذلك ان نسلم بصحة ما رواه الرواة من خطر دير القديس مارون وعظم شأنه

ومما اجبر به توادريطوس ايضاً أن القديس التناك مرقيان القوسي ارسل واحداً من تلاميذه اسم افايئس فوكل اليه بان يمتد اديرة عديدة بقرب اقامية وبالاخص عند نيقرتا (Naxos) وهي بلدة واسعة كثيرة السكان ابقي فيها افايئس مهيدين لتعليم الحكمة السويّة دمي الواحد باسمه . وجمع فيها فرق التي راهب تجندوا للفضيلة ولازموا التي (٤) . وقد ورد لسم نيقرتا هذه في كتابين يونانيتين تراهما في مجموع الكتابات اليونانية (٥) تحت المئدين ١٨٥٥ و١٨٧٧ وفي جدول المخطوطات السريانية المصونة في المتحف البريطاني (Wright, Cat. 756. c. 2) اسم رئيس توكي رئاسة دير نيقرتا . أما نيقرتا المذكورة فليس لدينا نص صريح يفيدنا عن موقعها بالتدقيق في جوار اقامية قلّة ما نعلم من امور تلك الناحية (٦)

(١) J.-B. Chabot: *La légende de St Bassus et son convent à Apamee*, راجع

1893

(٢) فذ جاء في مجلة الشرق المسيحي ذكر دير ثالث في اقامة (KOC. p. 1902, 611.)

(٣) راجع ايضاً مقدمة الخوري شاور (ص ٩٥ و ٩٦)

(٤) راجع تاريخ الرهبان في مجموع مين (ج ٨٢ ص ١١٢٨)

(٥) CIG, 9835 et 9877

(٦) طالع ما كتبه في هذا العهد الامتاذ هرمان (ZDPV, XXIII, 145)

ولعل سائلاً يطلب أو ليس دير القديس مارون أحد الأديرة التي ابتناها القديس اغناطيوس في جولة اقامية ؟ اجبتا ان هذا لربي سبقنا إليه حضرة الأب جوليان السومعي في كتابه عن جبل سينا وسورة (١) « ولا نرى دائماً لانتكاره اذ ان درس الامكنة ومواقفها لا يخالف هذا للذهب وفي سند في التاريخ لان وفاة القديس اغناطيوس وقعت بعد وفاة القديس مارون ، على أننا لا نوافق حضرة الأب جوليان في زعمه بان « دير القديس مارون كان بين اقامية وحص على ضفة الناصي ليس بعيداً من حص في المكان المعروف اليوم بالدير الكبير (٢) »

قد مضى علينا نحو ثلاث سنوات منذ زرنا هذه القرية الواقعة على مسافة ساعة ونصف من حص في شالما الغربي على ضفة الناصي القريبة ووجدنا فيها آثاراً قديمة بيد ان نظرها لم يُمدل بنا من رأينا وفي حجبتنا السابقة ما هو كافر ليانه . وعندنا ان حضرة الأب جوليان خدع بما كتبه المؤرخ الشهير صاحب حماة الملك للويد ابو القداء وهو يحيل الدير في حص نفسها . ثم فرغ أيضاً اسم « الدير الكبير » ألا ان سائرنا ولاية سورية روت اسم هذه القرية على صورة اخرى فدمتها « الدار الكبير » ولعل الصواب « الضهر (الظهر) الكبير » كما سمعناه او فهمناه من اهل القرية وهذا الاسم يوافق المسمى لان القرية على ظهر دوة

وقد ذهب الأب مرتينوس السومعي في تاريخه للخطوط عن لبنان الى ربي آخر نستلفت اليه نظر القارئ . قال المؤلف للذكر الذي وقف كل حياته على البحث عن لبنان وتاريخه : « لا يعد ان القديس ماري (Marès) الراهب القس في ناحية اقامية الذي وجه اليه القديس يوحنا فم الذهب رسالة (٣) هو القديس مارون سنة (٤) لان الاسمين ماري ومارون لا يختلفان عند كتابة اليونان في سورة وليس ماري سوى مارون مع اختلاف حركة الراهب في اليونانية فشح هذا الاسم في الناحية . اما تقييده

P. M. Jullien s. j. : *Sinai et Syrie*, p. 178 (١)

(٢) فيو صفحة ١٧٨

(٣) هي الرسالة ٥٧ وهي غير رسالتين الى مارون الكاهن

(٤) هذا زعم لا يمكننا التسليم به اذ ان فم الذهب ثبت في هذه الرسالة ان ماري حاش في مقاطعة اقامية خلافاً لثبوتة من القديس مارون

بالقديس قد جرى على ذلك رهبانة تبجلاً في قاتندي بهم فم الذهب
 « ومثالثنا في ذلك مثال ديرين آتوين في جهات اقامية عُرف الواحد منها باسم
 القديس سمعان والآخر باسم القديس اناطولوس (١) وتؤكد هذا الرأي المخالف للرأي
 الصومعي رواية توادوريطوس في تاريخه (٢) الذي يفيد ان جمهور الرهبان الذين اتوا
 من القورسية الى بلاد اقامية لينشوا فيها الاديير كانوا تلامذة للقديس التاسك
 مارقيان ليس تلامذة القديس مارون لأن للورخ المذكور افادنا انه لم يخرج احد
 من رهبان القديس ملرون من بلاد قورس (٣) ولا يعبد ان تلاميذ القديس
 مارقيان وكان اصلهم من بلاد قورس (٤) دعوا احد الادييرة التي شيدها في بلاد
 اقامية باسم القديس مارون لا كونه الا ان كلام توادوريطوس صريح في القديس
 مارقيان حيث قال : « ومارقيان الالهي هو الذي انشا كل ادييرة بلاد اقامية (٥) »
 فلا يمكن ان يُعبد احد هذه الادييرة لتلامذة القديس مارون . . . ومن
 ثم لا نستغرب القول بان ماري الذي اوفد اليه القديس يوحنا فم الذهب برسائير
 كالحد روماء الدير مع القديس سمعان (٦) هو مثني السدير وان عُرف باسمه أولاً
 دير القديس مارون . هذا ونقر ان الافادلت التاريخية في هذا الخصوص لمخلّة جداً .
 ومن المحتمل انهم لم يميزوا بين القديس مارون والقديس مارقيان الذي ورد مكتوباً
 في بعض النسخ ماريان (٧) »

هذا ما رواه الاب مريتنوس في تاريخه وهو زعم نوره على ملكته دون ان نحكم
 فيه (٨) . وما يزيدُه بعض الوجوح شهرة القديس مارقيان فان اسم هذا القديس كان
 دائماً مستفيضاً حتى ان معاصريه شيّدوا بيعة على اسمه قبل وفاته اُنيستروب احد

(١) راجع توادوريطوس في تاريخه المذكور (ج ٨٧ ص ١١٢٨)

(٢) في المجلد والصلحة منها

(٣) راجع تاريخ الرهبان (ج ١٦ و ٢٥)

(٤) او على الاقل كبارهم الذين شيّدوا الادييرة

(٥) تاريخ الرهبان (ج ٣)

(٦) راجع رسالة القديس يوحنا فم الذهب الى

(٧) راجع تاريخ الاب مريتنوس الصفحة ٢٢٢٨ و ٢٢٢٩

(٨) الا زعمه بان ماري مارون اسم واحد ثالثنا لا نسلم به

ان يكون رهبانه حاولوا بعد مجيئهم من بلاد قورس الى انحاء اقامية ان يخلدوا ذكره باثاء ديو على اسمه . وعلى كل حال لو صح هذا الرأي لفض للشكل الذي نحن بصدده ويظهر لكل البان كيف دمي احد اديرة اقامية باسم القديس مارون الذي توفي في القورسية . وما لا شبهة فيه ان في السنين الاولى من القرن السادس كان الدير المذكور لا يُنسب الى غير القديس مارون ولن اقتضنا لن رهبان الدير حصلوا على قسم من ذخائر القديس مارون او على جمعه الطاهر كله فلا عجب ان يكون التعلد للقديس امتد الى كل جهات بلاد الشام

لما ما حدث بعد ذلك لدير القديس مارون فيفيدنا به ابو القداء اذ يعطنا في كتاب تقويم البلدان (ص ١١٤) ان الملك مرقيان وسع في السنة الثانية للملكه امني سنة ٤٥٢ . ولما تحمل اليعاقبة على ابنه فاختربوها (١) في اوائل القرن السادس اعاد بناء الملك يوسطنيان الكبير (٢) الذي ضبط زمام الملك من سنة ٥٢٧ الى ٥٦٥ . وقد اخبر سعيد بن بطريق في تاريخه ان هرقل الملك تقصد هذا الدير سنة ٦٢٨ لم رحل ظافراً الى سورية فاوقف عليه اوقافاً عديدة (٣) . وفي عهد هذا الملك جرت بين اليعاقبة ورهبان ديو مار مارون مفاوضات ذكرها ابن العبري في تاريخه الكنسي وقال ايضاً ان المولوة اخذوا من اخصاصهم عدة كنائس أبي هرقل ان تود الى اليعاقبة (٤) . ولم يزل هذا الدير زاهراً في سنة ٧١٥ كما ورد في نص سراني نشره الحوري فوترجة بالفرنسية (٥)

والظنون ان خراب هذا الدير تم في القرن التاسع فاضطرو رهبانه ان يأتوا الى لبنان مع سكان الناحية المجاورة له . وفي قول السحودي الذي اردناه سابقاً ان دير القديس مارون كانت اقلته في عهد امني في اواسط القرن العاشر) يد الزمان

(١) وقيل انه خرب بزلزال

(٢) راجع كتاب هريرهوس في الابنية (ك ٤ ف ٩)

(٣) راجع اعمال آباء اليونان لمين (PG, CXI, 1089) وراجع الصفحة ٣٦ من الجزء الثاني من تاريخ ابن بطريق

Euynchus, ed. Chelkko, II 269

Chronicon Eccl. I, 270-274

(٥) Bulletin de S. Louis des Maronites, Janvier, 1903, p. 346

فغريب . ثم لا تعود ترى في من بعد ذلك أثرًا في التاريخ حتى أن القوت الرومي لم يذكره في معجم البلدان مع أنه اقاض في وصف اديرة كثيرة لشتهرت في بلاد الشام منها خربة ومنها مأهولة بالرهبان . وكذلك تصحنا تأليف جغرافي العرب المتعددة لمثلنا نجد شيئاً عن دير القديس مارون فذهبت مساعينا سدى ولم نقف على ضائقنا مع أن هؤلاء الكتبة كزروا سرلوا اسماء الاديار الشامية ورووا من ابيات الشعراء ما ورد فيه ذكرها

وهذا لصبري من الامور الثرية أن ديرًا طار اسمه في البلاد مدة القرنين السادس والسابع فاصاب من الشهرة ما اصاب في تاريخ سورية الديني يصح بعد مجده نسباً نسباً لاسيما ان دير القديس مارون لم يكن ديراً منقطعاً لا قوة له بل كان يدخل تحت حكمه اديار أخرى تعرف له حقوق السيادة كما كان شأن الاديرة في سورية الشمالية وسورية الوسطى فان اديرتها الرهبانية كانت ترتبط بين بعضها بروابط متينة بحيث تكون السيطرة لدير اعظم تخضع لرياسته بقية الاديار المجاورة له (١) . وهو امرٌ يصدق في دير القديس مارون الذي امتدت رياسته على سائر اديار سورية الثانية . غير أنه يزعم علينا ان نبين حدود هذه الرئاسة وسعة نطاقها . فلا تعلم أكانت هذه الرئاسة شريفة حقاً او كان لرئيس الدير الكبير بعض السلطة على بقية الاديرة . كما أنه يصعب علينا ان نبين اصل هذه السلطة فلا ندرى أكانت ناتجة من تفرع دير من آخر او بلادة منشي الاديرة او بخروج مستمرة رهبانية من الدير الاكبر فكل هذه المباحث موصلة لا يُستطاع حلها سهلاً

وعلى كل حال ان تقدم دير مار مارون ورياسته على بقية الاديار ان الامور الحربية والاعتبار فان ذلك يبين لنا كيف امتدت سريعاً الطائفة المارونية ليس فقط في بلاد اقامية لكن في الاقاليم الخارجية عنها ايضاً . وعلى رايانا ان كل دير من هذه الاديار المتولدة بدير القديس مارون اضفى بعد مدة مركزاً قسمة من المؤمنين الذين غوا عدداً بعد حين وانتسبوا الى القديس مارون . وفي مثلنا السابقة عن اقتشار المارونية رأينا كيف خرج منهم فئات دخلوا لبنان واستعمروا الجهات المجاورة

(١) راجع ما مكتوب في ذلك العلامة تلك (ZDMG, 1875 p. 423, note)

لصوتهم وازدهادهم
 يرى القارئ أن هذا البحث الجغرافي عن سيوة القديس مارون يرتبط بالبحث
 السابق أعني أصل الطائفة المارونية وكيفية انتشارها (١) وهذا ما حملنا على التدقيق
 في تعريف الامكنة التي نشأ فيها القديس مارون وكيف لا وهو أبو طائفة تمتد من
 اعظم الامم اللبنانية حطرها هذا الرجل العظيم ببشيرة وموت.

✱

وفي الختام احبنا ان نلخص لقراء ما اكثنا في بيانه في هذه المقالة لتبقى
 خلاصتها في ذاكرتهم :
 ١ لا مرا. ان القديس مارون عاش ومات في القورسية
 ٢ ان الرأي الاصح في مولده انه وُلد ايضاً في القورسية وليس في جوار
 انطاكية

٣ دُفن القديس مارون في حدود القورسية الجنوبية
 ٤ كان موقع دير القديس مارون مهد الطائفة المارونية بين نهر العاصي
 واقامية . وهذا بما لا ريب فيه
 ٥ لما كيف دُعي هذا الدير باسم القديس مارون وكيف نُقلت اليه ذخائره
 فامرن لا يمكن القطع بها فتسنى ان يحكمهم خيراً فيها حكماً فصلاً فيصرح الحق
 عن محضه

٧

في لغات لبنان القديمة

قد استدلّ القارئ من الابحاث السابقة (١) ان لبنان مع ما طرأ عليه من تقلبات الاحوال وتماقّب الأمم في سكناه لم يزل مقاماً لشعب اصلي كان سامياً ينسب عليه النصر الكنعاني والآرامي . ولنا في درس اللغات المستعملة في لبنان ما يؤيد هذه النتيجة فان التاريخ والبحت اللغوي يثبتان صريحاً ان اللغة الشامية في لبنان سكنت ابد الهبة سامية

ولنا في اكتشاف مراسلات تلّ العمارنة التي وصفناها سابقاً (٢) ما يربّي حجتنا من هذا القبيل الى القرن الخامس عشر قبل المسيح . فان في هذه الكتابات عدة تقارير ارسلها ولاية صيدا وجبيل ويروت الذين كان لبنان تحت حكمهم الى فراعنة مصر وكلها باللغة البابلية التي كان يطلق بها هؤلاء الامراء وعلمهم اجمون . وهو لسري اسرّ ذو بال يؤخذ منه ان اللغة الاشورية كانت شائعة بين اهل لبنان ان لم تكن لغتهم الوحيدة . فيسوغ اذن القول بانّ لؤلّ لغة شهد التاريخ على وجودها في لبنان انما كانت لغة سامية اعني البابلية . وقد حاول اللغّاطف (١٩٠٣ ص ١٧٥) في وصفه لكتاب تاريخ يروت ان يذكر ذلك حيث قال : « ان استعمال اللغة الاشورية في الكتابات السياسية والتجارية لا يكفي دليلاً . . . على انّ السكان الاشوريين كان شائناً في ظهوراني الأمة التيفيقية » الا انّ في قوله لسططاً ولو تمخّض نفوذ الأمة البابلية في بلاد الشام منذ ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح لما جدد ذلك (٣) والاكثر للثب على مكان البابليين وكنسهم الراجعة في هذه البلاد لسيدة حتى انّ كثيرين

(١) راجع الفصل المسنون « الاسم القائمة في لبنان » واصل « انتشار الأمة المارونية » الخ

(٢) راجع مقالتنا « احوال لبنان في القرن الرابع عشر قبل المسيح » (في الجزء الاول

ص ٧١)

(٣) راجع المقالات المسنة التي كتبها في هذا الصدد حضرة الاب دي لابر اليسوعي

(P. Delattre : Le pays de Chanaan, province de l'ancien empire égyptien)

من العلماء المبرزين كـشكرو (١) وغيره يزعمون أن مـسارك بابل استولوا على الشام في ذلك الهد الهيد ولأن القياثل البابلية التي كانت على ضفة نهري الفرات ودرجة امتدت وانتشرت الى سواحل البحر المتوسط . وهو رأي راجح كان يحيز لنا بان ننظم البابليين بين اسم لبنان البائدة لولا رغبتنا في اقتصار الابحاث . وما لا يُنكر من آثار للمعاملات بين بابل ولبنان المواد البنائية التي وجدت في اخربة بابل مما نقل من لبنان كاللوز والخام الايض والحجارة . أفستغرب بعد ذلك كون اللغة البابلية انتشرت في ضواحي لبنان

والظاهر ان سيطرة اللغة البابلية في الشام امتدت الى نحو القرن الرابع عشر قبل المسيح ومن تبصر في مكاتبات تل العمارنة وجد فيها الفاظا وتساير من اللغة الكتمانية وهذا ناتج من استيطان قبائل الفيلقيين والكتمانيين قبل ذاك الهد سواحل الشام ولم يلبث الآراميون أن يتمسبوا أفكارهم ويختموا بهم (٢)

واعلم ان اللغة الكتمانية (التي تشمل السورانية والنيقية) واللغة الآرامية متجاورتان حتى تقلبت الآرامية وصار لها السبق فكانت تكون هي اللغة الوحيدة بعد جلا بابل . على ان بعض معاملات لبنان لاسيا ما كان منها مجاوداً للمراكز الفيلقية الكبرى ثبت مدة بعد ذلك على استعمال اللغة الفيلقية

فمن ثم لا نشط اذا قلنا ان اللغة الآرامية ملكت دون منازع في لبنان مدة نصف والث سنة . قال المؤرخ مـسن الشهيد في تاريخ الشام على عهد التت الروماني « ان لبنان يحصر انكلام لم يتغير قط عنصره » (٣) اعني انه بقي آرامياً جنماً ولغة الى نحو القرن الرابع عشر من تاريخ الميلاد

ولا صاد الاثر الى القرس بعد البابليين بقيت السيطرة لغة الآرامية وكان ملوكها يتخذون هذه اللغة كاللغة الرسمية ليس قط في بلادهم لكن ايضا في

(١) راجع كتابه الأخير H. Winckler : Keilschriften und das alte Testament,

1903

(٢) راجع كتاب فـشكر Winckler : Die Voelker Forderungen

(٣) راجع تاريخه (Roem. Gesch., V, 418)

الإقطار الخاضعة لهم كمصر وآسية الصغرى . والاكتشافات الأثرية في مصر تؤيد ذلك فإنّ العلماء وجدوا عدّة كتابات أصدرها ولاة الفرس باللغة الآرامية . وكذا فصل من بعدهم ملوك بني ساسان فإنّ رسائلهم كانت مكتوبة باللغة السريانية (١)



لما السلوقيون فإنّ نفوذهم في لبنان كان ضعيفاً لاسيّما من حيث اللغة فإنّ اللبنانيين داوموا على استعمال اللغة الآرامية مزوجةً باللهجة النيفقية . ومن عجيب الأمور أنّ انتشار لغة الآراميين بلغ على عهد السلوقيين مبلغاً عظيماً فاطمحت اللغة السائدة في كل آسية السامية أعني في سورية وما بين النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب (٢) لأنّ اللغة الرسمية بين عمال الدولة ولغة العلماء كانت اليونانية في كثير من تلك البلاد دون أن تنتشر في عامتها (٣)

ثم تولى الإيلطيونيون على لبنان (٤) فلم يصدروا شيئاً من لغة وكان الإيلطيونيون عرباً وأصلهم من حوران من الجهات الجاورة لجبل حمون . ومع كون المؤرخين لم يصرحوا بأيّة لغة تكلمت قبائلهم لا نشكّ في أنّ العربية أو الآرامية كانت لغتهم الخاصة كما يستدلّ على ذلك من اسمهم وهي عربية أو آرامية وإن سلّمنا أنهم تكلموا بالعربية لا نرى بدءاً من القول بأنهم اتخذوا الآرامية كلغة معاملاتهم وذلك لأنّ الطرق التجارية بسبب الحروب التي وقعت بين الملوك السلوقيين وملوك مصر اللاتين كانت تحوّل إلى جهات جزيرة العرب بعد مرودها سابقاً في سورية الشمالية وسورية الوسطى فصار العرب وسطاً لهذه التجارة الواسعة . ولما لم يكن للعرب وقتئذ كتاباة خاصّة اضطّرهم الأمر أن يتخذوا اللغة والكتابة الآرامية الشائعة في حدود بلادهم بين مجاورهم الآراميين أمّا التبط وهم من اقارب الإيلطوريين وجيئتهم فإنّ لغتهم التبطيّة لم تكن سوى

(١) راجع مقالة كاهنمار عن التبط. Quatremère: *Mémoires sur les Nabatéens*, 137.

(٢) راجع للجملة الانبوسية الآرامية. ZDMG, 1885 p. 333.

(٣) راجع مقالة الدكتور شنداء عن الآراميين. Sarda: *Die Aramaeer*, 4, 23 etc.

(٤) راجع الصفحة ٣٩

لهجة آرامية. وامتدت اللغة الآرامية في شمالي جزيرة العرب الى حدود الحجاز وذلك في القرون الاولى من تاريخ البلاد الى القرن السابع مئة. والادلة على ذلك كثيرة فان الكتابات التي وجدت في كل تلك الاغصاء انما هي بالآرامية ليست بالعربية (١) وما قلناه من الشام وجزيرة العرب يصح ايضا عن شبه جزيرة طورسينا وفيها كتابات آرامية لا تخص ابقاها لنا عرب تلك الجهات

فن ثم نصادق قلما على قول العلامة لذلك وقوة حجة في زماننا عند العلماء : « قد تناوبت في لبنان هذه اللغات الثلاث اعني اكدانية ثم الآرامية ثم العربية ». وكان يمكن هذا المستشرق الشير ان يقدم على هذه اللغات اللغة البابلية الا انه لنا كتب هذه الصبغة لم تكشف بعد مراسلات تل العليانة . اما اللغة الفيليبية فان الآرامية صحت آثارها في لبنان كما في سودية كلها في قرون النصرانية الاولى (٢) أما اللغات الاخرى غير السامية فانها لم تنفقط بالسيطرة في لبنان ، واذا خصصنا بالنظر اللغة اليونانية وجدنا ان اللبنانيين لم يتكلموا بها مطلقا . وقد بينا في ما سبق ما معنى الكتابات اليونانية التي وجدت في لبنان (راجع الصفحة ٣٥) واثبتنا ان وجودها ليس بدليل على شيوع هذه اللغة بين العامة كما ان وجود الكتابات اللاتينية المتعددة فيه لا يدل على ان اهل لبنان تكلموا بهذه اللغة . وحدثنا ان هذه الكتابات لم يفهمها غير العمال الذين آثروا بصنعها . ولا نستثني من هذا الحكم الصنائع الذين حفروها فانهم كانوا ينقلونها قلا ويصورونها دون ان يفهموا على ضررها

*

وقد ذاحت اللغة الآرامية شأنا بدخول الموارنة في لبنان فاضمت في انطونهم اللغة الوحيدة مدة لجمال متواليه . وتشهد على ذلك اعلام قري لبنان التي هي في الغالب

(١) راجع مقالة كتر مار في الطب (١٣٢ و ١٣٤) وقال المسودي في كتاب التنبيه (ص ٧٩) : « وكانت بلاد العرب اليوم وبرما ومدنها الجسن وحماة والمجهاز والهامة والعروض والبحرين والشجر وحضرموت وحمان وبرما الذي على العراق وبرما الذي على الشام . وهذه الجزيرة كلها . . . لسانا واحد سرياني » . راجع ايضا مقالات لذلك ZDMG, 1871, 122 ومقالات شكلر (H. Winckler: *Mitteil. vordern. Ges.*, 1901 ; 130) وكركنة فيليب برجه (L'Arabie avant Mahomet, p. 9)

(٢) راجع Ad, Harnack : *Mission u. Ausbreit d. Christentums*, p. 430

مشتمة من اصل سرياني كما يتّضح ذلك سابقاً وسيأتي بيانه بنوع ايجلي
ولمّا ظهر المسلمون واستولوا على سواحل الشام اخضت العربية تنتشر شيئاً فشيئاً
في جهات لبنان - وساعد على انتشارها ايضاً دخول الايطوريين كما سبق (الصفحة ٣٩)
ثم دخول المتوالة والتصيريين من بعدهم (١) الا أنّ اللغة الآرامية دافعت من
حقوقها مدافعة جيّدة ويشتدّ من كلام يعقوب دي قياي من كتبة الحروب الصليبية
انّ العربية امتدت في الجبل ايّ لامتداد (٢) ومع ذلك ان ابا الفرج ابن العري (٣)
كان يسمّى في القرن الثالث عشر السريانية كلغة لاهل لبنان الا أنّ لغة العرب لم تزل
في غوّه وانتشار حتى غلبت السريانية شقيقتها في القرن الخامس عشر لكنّ هذه لم
تتوار باتمام الا تدريجاً وكان لاهل بعض القرى الداخلية كبشري وحسرون وجيتها
يتكلمون بها حتى في القرن السابع عشر (٤)

وبقي من آثار السريانية بعد غولها أنّ كثيرين اتخذوها كتاباً للمؤلفات العربية
كما يظهر من كتبة المخطوطات بانكرشوني - هذا فضلاً عن هذه الفاظ وتباير
سريانية باقية في لهجة اللبنانيين (٥) تليّ باكان من السيطرة للغة الآرامية في لبنان بل
قُل في اكثر انحاء المصود القديم - كيف لا ومن اقدم لهجاتها اللغة الاشورية التي وُجدت من
آثارها كتابات راقية الى ١٠٠٠ سنة قبل المسيح في اقطار آسية الغربية واضحت
السريانية مدّة احصاء عديدة حتى بعد القرون المتوسطة لغة علماء الشرق كما كانت
اللاتينية لغة علماء الغرب وكان المسلمون ايضاً يدرسونها لكتبة فوائدها (٦) وقد كتب
بها الارمن مدّة قبل انتشار الارمنية وجوفها - وقد بلغ امتداد هذه اللغة الى اقاصي
الشرق في الصين شمالاً وفي الاقطار الهندية جنوباً كما لها بلت جنادل النيل - فلا
نظنّ أنّ لغة اخرى حتى ولا اليونانية جارت السريانية في اتساعها اللهم الاّ الانكليزية
في عهدنا

(١) راجع مقالاتنا الانريسية من التصورية في لبنان (مجلة الشرق المسيحي، 1902, ROC)

(٢) تاريخ القدس ج ٧٧

(٣) راجع تاريخ مختصر الدول (ص ١٨)

(٤) راجع مقالاتنا «فرا غريغون» في السنة الاولى من المشرق (ص ٥٧)

(٥) راجع مقالة الاب پاريزو في المجلة الاسيوية الباريسية (١٨٩٨ ص ٢٨٦)

(٦) فيها (ص ٢٤١)

قدى شطوط القنالين بأنّ اللغة الآرامية كانت لغةً خامئةً بربوة . وقد قدس الشرق زعم الذين نسبوا الى اوريجانوس مثل هذا القول . والادرج ان اوريجانوس نفسه كان يعرف هذه اللغة ويتكلم من انوارها . وكذلك لولئك الرجال العظام الذين شرفوا الشرق بعلومهم كالسايرس القيصري وتوادوريطوس وروحنا الدمشقي والي قرة . وغيرهم وفي ما سبق كفاية لتعريف شرف السريانية واتساع نطاقها في العالم

٧

رسم خرائط لبنان

لا يحفل احد فائدة الخرائط في الدروس الجغرافية . فلولاها لضرب الدرس الريح وكتب على صفحات الماء . فيكون مثلاً مثل استاذ الطبيعيات لا يُثبت عليه بالمعانيات او مثل مدرّس الرياضيات لا يقيّد علمه بالتموينات الحسابية ولكن اين هذه الخرائط ؟ فانّ لبنان الذي طبع مدار دروسنا محصور الحدود وليس له خرائط خاصة به الا الترد القليل . اما خرائط سورية العامة فان مقياسها قصير حرج فلا تجد فيها للبنان مكاناً يذكر مع انك لو ادرت درس هذا الجبل لا نعمة لك من خرائط كبرى ذات مقياس واسع ومثل هذه الخرائط عزيزة الوجود

*

اول من وصف لبنان سقايون الجغرافي العظيم الالهة اخطأ في هذا الوصف وبخطائه كان سبباً لاهام الذين اتوا بعده . وقد اثبتنا عند ذكرنا لبنان ووجهه امتداده وحدوده في زور الاجيال (راجع ص ٦) ما ارآه هذا الكاتب الشهير في حق لبنان اذ بدل وجهه فظن ان هذا الجبل والجبل الشرقي يتدان من التراب الى الشرق بدلاً من الجنوب الى الشمال . اعني انه كان يحفل احد طرفي هذين الجبلين عند بحر الشام والطرف الآخر عند دمشق كما ترى في الرسم الذي ثبت في الصفحة التالية فلمصري ان مثل هذا الوهم كان من شأنه ان يشوه صورة لبنان كما تُشوه صورة الانسان لو جعلت قدماء في رأسه ورأسه في قدميه . ومع سوء هذا التصور للبنان قال رأي سقايون الخطوة لدى كثيرين ولم يقدّر بليزيرس الطيحي وغيره من اصاوا للرأي في تعريف موقع لبنان ان يخطوا هذا الزعم

سفرًا يشره في اواخر القرن السابع عشر من حلب الى اورشليم واكثر فيه من التفاصيل الجغرافية - فنبه هذا التأليف افكار ريلند واستفاد من خريطة كان رسمها موندل المذكور ولم ينشرها بعد

فكانت هذه اول خريطة للبنان وهي بالقسبة الى معارفنا اليوم محلة من وجود عديدة كانها عمل تلميذ لا يحسن الرسم فلا تكاد تجد فيها سوى بعض اسماء الامكنة الواقعة على ساحل البحر دون مراعاة للمسافات التي بين الانهار ومواقع المحلات . اما جهات لبنان الداخلية فهي خاوية ليس فيها اسم بلد اللهم الا بحيرة اليثونة . ومع هذا ترى صاحبها قد اصاب في رسم وجهة لبنان والجبل الشرقي وجعل الجبلين موازيين مع الاشارة الى سهل البقاع المنبسطة بينهما . وتلك نتائج حسنة بالنسبة الى ذلك الزمان لاسيما ان ريلند كان مهذب هذا العمل الطريق لمن يأتي بعده . وزال العقبات التي كانت تحول دون الترقى الجغرافي في درس لبنان

هكذا نشأت اول خريطة لجبلنا فكانت مع نقصها اساساً بنى عليه كتبة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فصنوها وكثروها . وقد اشتهر بينهم الجغرافي الجرمانى كرل ريتير (Ritter) الذي افرد لوصف لبنان قسماً كبيراً من المجلد السابع عشر من تأليفه المعنون « الجغرافية المقابلة » وهو اوسع وصف يعرف لهذا الجبل لم يفقد شيئاً من محاسنه وفوائده بعد نصف قرن من مده ظهوره

الا ان الخرائط اللبنانية في هذه المدة لم تحط بهذه الخطوات في سبيل التقدم بل بقيت على خلكها . وانما كان اصحاب خرائط سورية يخصون لبنان بمكان صغير فيثبتون خريطة ريلند السابق وصفها مع شيء من التحسين في الدلالة على مصب الانهار ونقوش الارض وقياس المسافات وكذلك ترى زيادة في اسماء القرى وذكرها لاقيسة حلو الآكام والقسم وقد امتازت بين هذه الخرائط خريطة فلسطين للرسم الالمانى الشهير هنري كيهپت (H. Kiepert) التي نشرت في سنة ١٨٥٦ ادرج فيها صورة جبل لبنان ولكن هذه الخريطة كانت على مقياس ... فلم يكن صاحبها لضيق المكان ان يتسع في ذكر هذا الجبل واعماله . ثم اعاد كيهپت رسم خرائط سورية غير مرة دون ان ينال لبنان حظاً اوفى من المرة الاولى

وبعد سنتين لظهور خريطة كيهپت ابرز سنة ١٨٥٨ الضابط الهولندي فان دي فلد

(Van de Velde) خريطة حسنة للأراضي المقدسة جعل حدودها الحالية لبنان الى النهر الكبير. وكان مقياس هذه الخارطة $\frac{1}{110,000}$ اعني أنها كانت نحو ضعف خارطة كبيرت فثال لبنان خطه منها وهي تستحق ذكراً خصوصياً ليس فقط لبعثها لكن أيضاً لسيّاحها على طريقة طيبة. فان ولسمي الخرائط السابقة كانوا بنوا رسومهم على اقوال اهل الرّحل والمسافرين الذين دونوا ملاحظاتهم بدون آلات رصدية او بلا تدقيق. كافر في الرسوم او الحسابات التي يضمنونها. فاراد فان دي قلد ان يسد هذا الحلل فطاف جهات فلسطين هذه الناية امّا لبنان فانه لم يُجرح فيه غير رصد قليلة بنفسه لكثرة وجد في بعض زملائه ما اغشاه نوعاً عن ذلك فان الاميركي رويمن وقنصل يروسية في دمشق المألمة وتشتين كانا يشارا بعض هذه الرصد. وكذلك كان ضباط البحارة الانكليزية قاسوا سواحل لبنان والجهات المجاورة لها. فانتفع فان دي قلد من هذه الساعي الطيبة الجلية ورسم خارطة وفقاً لها فبدأ عمله بحكماً وانياً يُمدد بروذه كتطعيم مهمّة في تزيين خرائط لبنان (١٠). ثم زار فان دي قلد ثانية جبل لبنان وطبع خارطته بعد مدّة فزاد في تحسينها وتلافى شوائبها

هذا ومع فوائد الخرائط المذكورة لم يتفرغ الى ذلك العهد احد من العلماء لرسم خارطة خاصة بلبنان دون سواه حتى نهض لهذا العمل الجليل قوم من ضباط البشة الفرنسية الى سورية فوسموا بعد الرصد واقيسة مواقع الامكنة خارطة لبنان تُعرف باسمهم مقياسها $\frac{1}{110,000}$ طولها ٨٩ سنتيمتراً في عرض ٦٧ اودعوا من اعلام الامكنة ما لم يسبقهم اليه غيرهم وهي تحتوي ليس فقط اسماء معاملات لبنان بل تمتد أيضاً الى الجبل الشرقي والبقاع وبلاد بشارة

ومن محسنات هذه الخارطة ان اصحابها كروا اقيسة الارتفاعات التي قام بها سابقاً والتفصل بقرن الانكليزي مع غيرهم من السلاط الاميركان والانكليز والالان وكتاوها. واصلحوا أيضاً اطلالاً اخرى عديدة كما انهم اتفقوا تصوير لبنان في سلسلة الكبرى وفي القروع المتشعبة منه مع حسن رسم انجاده ومشافره ومنطقاته ووجهه اوديعه وكل حوزته وبلوطه فضلاً عن طرقه وتبانيه. وكانت هذه القوائد مدونة في الخارطة

على احسن هيئة ولوجود ظفر
ولما ظهرت هذه الخارطة الفرنسية في غضون سنة ١٨٦٢ استحسنها فان دي
قلد نكتته ودأ لولائها اصحابها يشرح يرشد القراء الى بيان طرائقها والادوات
المتعملة لرسمها ومركز اقيسة مثلثاتها الى غير ذلك من القوائد اللازمة لضبط الرسوم
وتحقيق صحتها . وقد انتقد غيره على هذه الخارطة فاعخذوا عليها بعض المآخذ منها ان
اقيسة السواحل لا توافق الخرائط البحرية التي كان الانكليز يقومون برسمها آنسخر
تحت نظارة انكومندان ملبيل . فمن اين يا ترى هذا الاختلاف واي الفريقين هو
المحقق او المحقوق ؟ فان الرسام ديسرد كيرت بن هنري كيرت الشهير اعلن ان
اقيسة الضباط الانكليز لا تتطو من الخلل (١) وكذلك زى كتبة الانكليز قد اثروا
اطيب التناء على الخارطة الفرنسية للبنان (٢) التي يرجع كون اصحابها استفادوا من
اعمال الضابط الفرنسي ديولن (Desmolins) في اقيسة الساحلية . وزد على ذلك
ان العلامة النمساوي دينر (Diener) من علماء الجيولوجية قد استصوب عمل
الخارطة نفسها

ومتن لم يستحسنها السيئة ايزابل برون امرأة السائح الانكليزي الشهير (٣) بيد
ان رأيا ضعيف في رسوم الخرائط ولعلها لرائت بهذا الانتقاد ان تبين فضل خارطة
زوجها التي ليست بشي . على رأي كيرت . وكذلك الدكتور پوست من اساتذة
الكلية الاميريكية في بيروت فانه وجد الخارطة الفرنسية قليلة الضبط في تعيين مواقع
الامكنة كثيرة الاغلاط في تدوين الاعلام العربية (٤) ونحن لن كنا نعلم بما فرط
في خارطة الضباط الفرنسيين من الاغلام في تعريف بعض مواقع الامكنة زى ان
اغلاط الانكليز والاميركيين في الاعلام العربية اكثر واقلع كما اشار الى ذلك العلماء
الالان كالمالمة سوسين (٥) فيصح فيهم للثل « ايا الطيب لشرف نفسك »

(١) راجع ملاحظاتي في ملحق ركة البادون فرن اربهم الى خليج العم ج ٢
ص ٣١٦ و ٤٠٥

(٢) راجع المجلد ٧٥، ١٨٦٥، PRF

(٣) راجع الكتاب ١، ٩٩، Unexplored Syria

(٤) راجع ١٨٩٢، ٢١٩، PRF

(٥) راجع المجلد القلطيانية الالانية ٤٥، XIII، ٢٤٥، V، ٢٤٢، IV، ١٧٩، III، ZDPV

والرأي الأرجح منته في خارطة لبنان التي رسمها الضباط الفرنسيون ما قاله فيها ويشرد كيبورت ابن الموماً إليه « ان خارطة لبنان حسنة الرسم يروق الصين النظر فيها ولكن الواصفين قد باتوا في وصفها (١) ». فكأنه أراد بذلك ان هذه الخارطة مع ما فيها من الحسن ليست تأمة كلمة . وهو حكم صائب ألا انها لما كانت الخارطة الوحيدة للبنان انما الرجوع اليها في تقويم هذا الجبل . وعندنا ان اصحاب هذه الخارطة لم يطوفوا كل للحة عكار . أما جبل اكرود فقد غُشيتا في رحلتنا اليه سنة ١٨٩٩ ان الضباط الفرنسيين لم يدخروه مطلقاً (٢) . على ان هذه الملاحظات عرضية لا تمس جوهر العمل الذي ادى للعلم ولا يزال علماً مشكورة . ولا بد من الرجوع اليها والاستناد الى معلوماتها القليلة في بابها حتى يقوم قوم من اهل الضلالة والخبرة فيتلوكوا الحلل

ولهذه الخريطة رسم مصغر الحقة للسيورين بكاتبه « بته فيليقية » مقياسه اصطنعه اصحاب الخارطة السابقة انفسهم الا ان الاعلام فيها قليلة لان المقصود منها انما كان قطع الدلالة على العاديات في لبنان

هذا وقد ورد آنفاً ذكر خارطة الانكليزي منسل البحرية . وهي مفيدة لتعريف اقيسة عدة مواقع كما انها تصلح لبيان علو مشارف لبنان الداخلية . وعلى رأي ويشرد كيبورت لا يمكن ان ترفقات هذه الخارطة الا في الخط الساحلي . أما جهات لبنان الداخلية وتحديد مواقع القرى واسماها ووصف الاشجار والطرق ومنطقات الجبل فان منسل تصرف فيها على حسب تخيله (٣) . وقد اثني الجغرافي ديفر (٤) على ضبط اقيسة الانكليزي في تعريف اعالي لبنان بينما ترى غيره كريبورد كيبورت وباتسكنهورن قد انتقدوا عليها في صحة ضبطها



(١) راجع رحلة اوينيم السابق ذكرها

(٢) راجع مائتا Notes topographiques sur l'Emèse

(٣) راجع رحلة البارون اوينيم السابق ذكرها ج ٢ ص ٢٦٦ و ٤٠٥

(٤) راجع كتاب Libanon Grundlinien einer phys. Geogr. von Mittel-Syrien, 9

وفي سنة ١٨٨٤ نشر الدكتور لورته متقدم المكتب الطبي في ليون كتاباً اسمه «سورية كما هي اليوم» اتقن طبعة وزينة بالتصاوير البديعة وهو يحتوي على فوائد جمة في شأن الجغرافية وخصوصاً تاريخ بلادنا الطبيعي وقد اضاف اليه خريطة فلسطين ولبنان مقياسها استند فيها (على ما جاء في صدر الخارطة) الى اصدق الورد واحدها هذا دون ان يُطلعا على طريقتي في اصطلاحها غير ان الذي يتصفها لا يجد فيها شيئاً جديداً والاخرى ان يقال لها دون خارطة البشة الفرنسية فن ذلك لن نتواتر الجبل ليست بواضحة فضلاً عن كونها غير صحيحة. ثم ان في اسماء الامكنة اغلاطاً عديدة. مثال ذلك انه يدمو بحيرة «زينة» «لجينة» وكذا دعاها مراراً في الكتاب. أما اقيسة العلوفلا توافي في الغالب اقيسة غيره من الكتب ممن يؤتى بهم. والنظار من كلام المؤلف انه دون هذه الاقيسة نقلاً من بعض الادوات الصغرى غير المضبوطة. وخلاصة القول يلوح من درس هذه الخارطة ان صاحبها لم يزد شيئاً على معلوماتنا السابقة وانما نقل ما الى به الكتب المتقدمون دون تور كلف ولا ايجاد ذهن. وهذه الخارطة مع قلة ضبطها متقنة الطبع تُفيد الذين لا يطلبون الدقة في التفاصيل ويكتفون بنظر عام وهي بالخصوص تساعد على مطالعة كتابه.

وهذا الانتقاد والتنقيح احق بخارطة الاميركان للطبعة بالمرية على البحر سنة ١٨٨٩. فانها ليست فقط كثيرة الخلل لكنها ايضاً مبهمة لا تقرر لغزارتها العين ولا يأنس بفوائدها العقل. والدليل على قلة ضبطها ان اصحابها لم يذكروا لها مقياساً وانما يقيسون للسافات على مشية الحيل وهي لمعري دلالة تناسب مجاهل الفريقية وما شاكلها من الاقطار اما بلاد متحدثة كسورية فلا ترضى بها

ومن معاييب هذه الخارطة ان نتواتر الجبل وسلسلته الوسطى مدلول عليها ببعض الخطوط المغرشة للصل اما تفرعاته وانجاده ومعاطفه وادعيته فكل ذلك مُهمل لا ذكر له. وقد أُشير فقط الى مجاري الانهار بعض الاشارة. وهذا ان هذه الخارطة لا تصلح للمدارس ولها تؤدي بالاحداث الى الوهم والتلظ. وزد على ذلك ان اسماء امكنة عديدة في هذه الخارطة لم تذكر لضيق المل. لأمأ صورة الاسماء فهي مضبوطة في الغالب لجبل لبنان لكنها لبقية انحاء الشام كما لحظ الامر العلامة المستشرق

فان يركم في المجلة الاسيوية (JA, 1895, 490) وأما السبب في هذا النقص ان اصحاب هذه الخارطة لم يرسوها رسماً مستقلاً بل اتبعوا فيها الخرائط الانكليزية التي تكثرت فيها مثل هذه الاغلاط ومن لوهاهم انهم جعلوا مديرية هرمل ملاصقة لبنان مع ان موقعها في ولاية سورية وان كانت تنحصر متصرفية الجبل . وكل هذه الشوائب تنزع عن الخارطة الاميركية صحتها العلمية ولذلك لا ترى احداً من المستشرقين يرجع اليها في اوصافه . وحكمنا هذا شخص في قسمها اللبناني لما رسم بقية النحاء الشام فقد تعددت فيه الاغلاط وتوقفت اسباب للزلات ونشرت الاعلام نكتنا نجتري بالاشارة لتلا نخرج عن دائرة موضوعنا

ولا ندعه لنا من ذكر خارطة الدكتور النموسي دير التي ترى في آخر كتابه عن لبنان المطبوع سنة ١٨٨٦ . والغاية من كليهما جيولوجية لبنان اي تعريف طبقات لوطه ويدخله ايضاً فوائد جديدة جغرافية كوصف ارتفاع الجبال ووجهتها وانحطاف وديانها واقية معاليها . الا ان الاستاذ ريشرد كيبرت مرتب في صحة هذه الاقسية الاخيرة لعدم وقوفه على اسلوب دير في تدوينها . وكذلك تراه يذكر بالتمسك اقية الارتفاع التي اجراها احد معلمي كلية بيروت الاميركية للمعلم رويوت وست ونشرها في مجلة فلسطين الانكليزية (PEF) سنة ١٨٩١ (ص ١٤٧) و ١٨٩٢ (ص ٢١٩) و ١٨٩٦ (ص ١٦٥) . ولا غرو فان هذه الاقسية لا تراعي درجات الحرارة وذلك امر واجب لضبط قياسات البارومتر . ثم انه اهمل في تدوين هذه الاقسية رسم خارطة لبنان فينتي القارئ متعصماً لا يميز النقط القسية من سواها . اما قياسات الدكتور يست الاميركي فيرتاني ريشرد كيبرت (ص ٤٠٧) انما ليست ذات شأن . ومجمل القول ان العلماء حتى اليوم لم يضبطوا ضبطاً تاماً اقية مشارف لبنان فلا تزال على شكل من صحتها

هذا ولا يجهل احد من السياح دليل فلسطين رسومية للنسب الى يدكر وهو كتاب كثير القوائد وضمة عالان المانيان شهيدان سوقسين وبسنير واصحابه بخرطة للبنان مقياسها وهي قسمان يحوي احدهما شمالي لبنان والاخر جنوباً الا انما شمالياً لا تتجاوز خط طرابلس فلا تتضمن جبل عكار . وهذه الخريطة قد قام بعملها رجل واسع الخبرة في فن رسم الخرائط ألا وهو هنري كيبرت . ومع شهرة هذا العمل وكثرة عاينه لا يسمن السكوت عن بعض قاتنه منها ان اعلام القري اقل

عددًا من الخريطة الفرنسية . ولعلّ انحصار صاحبة على هذه الاسماء دغبة في توفير المكان ثم انّ القاية من رسم هذه الخارطة ليست التعليم المدرسي فاكثرتي الرسم بذكر الاعلام التي فيها ما تهتم المسافرون معرفة . أما ضبط الاسماء فيحتاج ايضا الى اصلاح ثلاث ازل و قدم المطالعين لاسيا ان دليل بيديكرو قد اتبع في نقل الاعلام العربية طريقة الحروف القردة المتقطعة الشائعة عند كبار العلماء الاجانب . ولوقصد يديكرو لا يمكنه سد هذا السلل . ولعلّ فضل في طبعة الاخيرة التي لم تطلع عليها . لكن الطبعة الرابعة التي في يدها تاريخها سنة ١٨٩٢ وهي غير مصلحة ومع هذه النقصان ترى خريطة بيديكرو حسنة يستفاد من مراجعتها وان لم تكن عن الخريطة الفرنسية

وفي الدليل عنه خريطة اخرى مقياسها كخريطة البشة الفرنسية تتضمن جهات بيروت على مسافة ٢٩ كيلومترا طولها في ١٩ ك عرضا فيها كل ما يوجب اليه من وصف الامكنة . وهي في هذا القسم أغنى من خريطة الضباط الفرنسيين

أما احسن ما وضع من الخرائط للبنان فهي خريطة حديثة رسمها ريشرد كيبيرت الذي تكرّر الشاء على يراسته في هذا الفن وألحقها بكتاب في جزئين القصة البارون فون اويهم حواثة : Vom Mittelmeer zum persischen Golf. Berlin, 1900 . فالخريطة تاريخها ١٨٩٣ غير انها لم تتم الا بعد تلك السنة والدليل على قولنا انها تتضمن عدة فوائد من تاريخ سنة ١٨٩٨ . وهذه الخريطة مقياسها وحدودها شمالا مرعش الى خط الناصرة فبصرى ومن ثم لا ترى فيها لبنان الأمصرا . وهي مع ذلك غاية الاتقان ومثال يقتدى به من حيث رسم الجبل وتعرف حلفاته ولوديه ومباري انهاره وحسن ضبط اعلامه . وخلاصة القول لا نجد في هذه الخارطة غير عاسن اللهم الا اقيسة قم لبنان فأتنا في رب من صحتها لاخلافها من الاقيسة للعودة . مثال ذلك جبل صين فان العلماء يحسبون طول حادة ٢٦٠٨ م وقياس في هذه الخريطة ٢٢٥٠ مترا وكذلك اجمع العلماء سابقا ان اعلى قم لبنان تتراوح بين ٣٠٦٠ مترا الى ٣١٠٠ م والعلامة كيبيرت في خريطته يزعم ان الشارف التي تطل على وادي الارز يبلغ بعضها ٣٢١٥ مترا وفيها

٣٣٦٠ م . ولم نعهد احداً من العلماء ذهب الى ذلك الا يُرتن الذي لا يوثق بكلامه من هذا القبيل

على ان العلامة كيبرت يفيدنا في ملحقه انهُ اخذ هذه الاعداد عن خريطة مخطوطة للخواجه عبدالله طيمه . وعندنا ان العلماء لا يكتفون بهذا السند الوحيد وفي الحتام ان طلب احد رايانا في الحرائط اللبانية اشرا اليه ان يقتني خريطة البعثه الفرنسية سنة ١٨٦٠ مع خريطة ريشرد كيبرت وبها غنى عن غيرها الى ان يرسم لنا احد العلماء قريباً ان شاء الله خارطة جديدة تستوفي كل الشروط المرغوبة مستنداً الى الاعمال السابقة مع اصلاح شوائبها

٩

لبنان : بحث في انجاده واغواره

قد اظهرت ابحاثنا السابقة غير مرّة خطر لبنان وعظم شأنه في سورية . فان كان قول الكتاب انكريم عن بلاد الشام « بانها تدلّ لبناً وصلوا » لا يزال صحيحاً في هذه كما صحّ سابقاً فليس ذلك الا من فضل الالهر التي تتولد في بطون لبنان ومن تأخير الجبال الشاهقة المكلفة بالتلوج التراء في الهواء واحوال الجوّ . وعليه فانه من الواجب اللانذب ان نبين خواص لبنان في وضعه وهيئته وطلوه وحزونه فنتشرحه تشريحاً لنقف على دقائقه وخفاياه . وذلك اقوى حامل لبيان مجاري مياهه وتفرع الانهار على جوائيه كما سيأتي بيّنه هذا

■

قال اليزي روكلو (E. Reclus : *Aste Antérieure*) في وصفه للبنان : « اذا ما أقيت يصعدك من البحر الى سلسة لبنان المستطيلة رأيت من هذا الجبل نظراً سهياً فيلوح لك انزق او روجياً في الصيف ومشملاً في الشتاء والريح يجلباب تلعب القضي . واذا تصاعدت الامجزة في الجوّ البست قمة التازمة ثوباً شفافاً هوائياً غاية في اللطف . وتراه مع عنوبة منظوره لا يخلو من مطوة الصلابه والسّمتم قدى ذلك الجبار يسجلى بشلوعه الشديدة ويطلع برأسه الشامخ لا يرقم في وجهه قائم . على ان النظر الى محاسن هذا الجبل من كسبر هي دون جماله من بعد . قدى ظهوره على طول ١٥٠

كيلومتراً (والاصح ١٨٠ كيلومتراً) اقبح ابيد لا تكسوه الحضرة تجد ودينة متشابهة ومشاركة كأنها قُذت على قالب واحد »

هذا هو الوصف الذي خصّه ذاك الجغرافي الشهير بلبنان . وان دققنا من بعده في تعريف هذا الجبل قلنا : ان لبنان يشبه مجدار عظيم من الصخور وجهته من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي . ومن الجهة الشرقية تراه ينقطع بنيةً أما من جهة الغرب فهو يتفرع فروعاً متعددة الى هضبات شتى من آكام ويطون وسهول ودُنى متسلسلة يدخل بعضها في بعض . ولذا استكثت هذه التفرعات الكثافة والتجشّعات غير المنتظمة تحققت ان سلسلة لبنان العظمى قد وضعها الخالق على صورة نظامية وجانب كبير من البساطة . ولذلك قلنا ترى في لبنان تلك للناظر المتباعدة التي تقرأ لها العين في سواه من الجبال ولنا البصر يقع على حاجز كبير في حدود الاقوى يتواصل على خط مستقيم لا تكاد قمة العليا تتأز من جهة اقسامه

ومن درس جغرافيته سرديّة ودأى متواترها وأقروا لبنان ببعث لا يرى فيه تلك الأطوار العجيبة التي تقوم في السهول للتبسطة او في وسط الانحدار للرتفعة فتتطلب النظر بمشارفها وقرونها السامية كجبل قنتو (Ventoux) في فرنسا وجبل اتنا في ايطاليا ويوكن تشاريف في جزائر كناري وجبل الاقرو في جهات انطاكية او الالپ في بروسة فان مثل هذه الجبال تأخذ بمجامع القاب لتطيقها رؤوسها في الجبل . أما لبنان فلا اثر فيه لمثل هذه القرون الباسقة التي تنصب طولها المهشمة بالادوية فوق قعرتها الاصلية . وكذلك ليس في لبنان مثال لتلك القن للروسة المدعوة في بعض البلاد الجبلية كبلاد الالپ والبيروناي والمسلاط والابّر والاسنان كما انّه خالو من القسم المخروطية للشكل او ذات التقاطيع المخروطية . ومجمل القول انّ ظهر لبنان ينبسط انبساطاً متساوياً على خط سوي يبلغ معدل علوه ٢١٢٠ متراً تركب فوقه اهاضيب ودوابر عذبة تتخلط في هيئتها مع السلسلة الوسطى الاصلية

الا انّ للبنان خواص اخرى تجعله من الجبال المتأز يبهاتها فن ذلك تقاطيعه التي ترى في المتخلف للولاي للساحل . فهناك عددٌ وافر من الادوية والهادي والشباب والألهاب الصلبة المرتقى والوهاد التي تفصل الجبل الى نشوز مختلفة كأنها القلاع الحريزة . وذلك ما سهل لاهل لبنان ان يعيشوا في جبلهم في الامن والراحة .

وكذلك تتحدث فيه الامم المختلفة التي التجأت اليه وتوطنته فاشتطت الانساب وتوفرت المشاكل في تعريف اصولها الشقي

١ اودية لبنان

وان لنتقلا الآن الى وصف اودية لبنان التي تنحط بها الجاري المائية وجدنا ان وضع هذه المنهضات والبطون هو على خط عمودي بالنسبة الى ظهر الجبل بالعرض منه . ولما كان الجبل موازياً للبحر مجارياً لساخه تحدرت منه السيول الى هذه الادية فانصبّت في بحر الشام على اقرب طريق . والمياه قد فتحت لها مسيلاً على خط مستقيم بعد نفوذها في اعطاف الجبل وخوقها قروعه الثانوية . ولو اردنا ذكر الادية التي هي في لبنان على شكل خط عمودي معروض لتمدت الاجزاء . فمن ذلك اكثر مجاري السيول كنهير بيروت ونهر الكلب ونهر ابراهيم وامثالها . واكثر وجود هذه الادية المعترضة في شمالي لبنان اي في مشارفه العليا حيث تبلغ معظم قوتها

الا ان ظهر الجبل عند بلوغه شمالاً رأس الشعلة يميل ميلاً ظاهراً الى الشرق وتتسع فروعه الغربية وتتفرع منه عدة الادية اللاحقة به تيل معه فتصب الى الشمال الغربي وهي لا تزال مع ذلك تابعة للخطوط العمودية الا ان زواياها بالنسبة الى الساحل اقل اقرباً فتجري الى البحر من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي . واذا بلغت منتهى لبنان في الشمال الغربي رأيت ضلع الجبل تتسع فيها الوديان على شكل المروحة نصابها ظهر لبنان المركزي

وفي لبنان ما خلا هذا الادية العمومي او المعترضة اودية اخرى توازي طول الجبل وتجري معه على خط مستقيم مثال ذلك شمالي لبنان في جبل مكّار نهر خالد وما ينصب فيه من الجداول والسيول . ومثل هذه الادية الموازية للجبل كثير في لبنان الجنوبي على جهة طريق الشام الجنوبية فتدعى مسايل المياه التجارية في سورها ظهر الجبل في اعاليه حتى اذا بلغت اسافله صقلت بفتة واعوجت على شكل الزاوية المنفرجة . وان اعتبرت اغلب الانهار الواقعة في تلك الجهات كالليطاني والزهراني والاربي والدلمود وجنتها على هذا المثال قائتها تجري اولاً من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ثم تتغير على فور وجهتها وتتخذ في مضايق تسيل منها الى البحر على خط عمودي معروض

وليس بين هذه الانهار ما يقطع ظهر لبنان ألا الليطاني وحده، فإن رأسه على منطف لبنان الشرقي وهو يصب في البحر متحداً الى منطفه الغربي وذلك من عجائب الامور اذا اجتريت على وادي هذا النهر وقابلت بينه وبين ضئيم الجبل الذي تنفقه مياهه. ولعل ما ارتأه في هذا الامر العلامة ت. فيشر لا يخلو من الصواب وهو قوة بان الليطاني كان قديماً في اسفل مجراه نهراً متسرباً الى باطن الجبل فلم تزل مياهه تعمل في الصخور التي تخفيه عن النظر الى ان اختفها وعليه فيكون الجسر الطبيعي الذي يرى حتى الآن في محور اثرًا لحالة النهر السابقة وبقيّة من التناظر الصخرية الطبيعية التي جرى تحتها النهر مدة احقاب عديدة

وبما يجدر بنا قوله ان الادوية اللبنانية وتتميزها الجسم انما هو من فعل العوامل الطبيعية التي انجزتها. ألا وهي الثلوج والجليد والأمطار واللياه الجارية وكلها قد تسلطت على صخور الجبل فتقرتها وحفرتها على شكل الوديان. وذلك امرٌ يسهل الوقوف عليه في الامكنة التي ينبط السيل بين جدران الجبل المركبة من طبقات صخور نظامية فهذه الطبقات ترى على الجهتين مناسبة لبعضها. وقبلنا ترى في لبنان وادياً ألا وتنتظر آثار المياه على جانبيه فتتضح طوعاً مجراها سابقاً ثم هبوطها على مدى الاصهار وهذا عمل اللياه وبموجبها للصخور يبدو للعيان في اخوار هلاكية تختلف سعة وعمقاً حفرتها في اواسط الجبل وتتكون من مجسوع شعابه ومن الخسافات وتوهراته. واجمل ما يرمى من هذه البطائح بطيختان الواحدة في لحف صنين والاخرى تُميت المنطرة. وعند افتح اطلع آخر قليل الاكساع ككتة غاية في الحسن لما يُجدى به من المناظر البهية الآخرة بمجامع الابصار

وهي اللياه ايضاً حفرتها الالهاب اعني الصدوع التي تقوم في الجبل تجاه الناظر اليها كالحائط لا يُمتقى. فإن السيول بقوتها قد تغلّت الصخور ولم تزل تناسبها الحرب حتى غلبت صلاحيتها ودخلت في قلبها. فن ذلك وادي نهر ابراهيم في مسيل الاعلى فأزلا من قرطبة ومضيق نهر انكلب وما يفيض اليه من الادوية كهر صليب. كذلك نهر بادرع الاعلى مع ملحقاته ونهر الأوتي قرب جزين. واضلم هذه الالهاب نهر قاديشا فإن عمقه لا يقل عن ٥٠٠ متر فيسبل نوعاً مضائق بلاد كولورادو في اميركة قتي فير المياه تهبط من اطراف الى اعماقه مزيدة فتسيل متلوية في تلك الفتنة الطبيعية التي

خزنها ربحاً عن صخورها الصماء . وهو لمعري منظر مهيب يزيد روحاً اذا قوبل بما يجف
به على جانبي الوادي من الاشجار للشفقة على شكل الدرج ومن الصخور المختلفة الالوان
وللبنان شباب أصل بين منطفيه منها الثاقب يتوغلها المسافر فيجتاز وسط
الجليلين او الرونيين متبهاً لمخرجات الوادي ومنها الشايا والعبّات تسير بين الجبلين
للتصبيين على متون مرتفعة . مثال ذلك العقبة التي بين العاقورة وأفقا التي تُدعى ثنية
المنيطرة وتعد من اقدم مسالك لبنان ومناقله بيد ان مثل هذه الشايا قليلة في لبنان
لاستواء خط قسمه الاوسط في الارتفاع . فان السائر لا يتطأ التود بل كثيراً ما
يجري على جانب الوادي او على ظهر الجبل . وفي بعض اللجالات كجواز الباروك وصتين
وجبل الارز الذي يبلغ طوله ٢٦٠٠ متر ليس فرق يذكر بين الجبل وطريق السابعة
٢ منطقة الثلوج المخلفة في لبنان

ان اسم لبنان يُشعر بيباض قمه فانه مشتق من اصل سامي « لبن » ومعناه
الجبل الايض ليس كما زعم البعض لاجل صغوره الكلسية التي يتركب منها بل
لما يتوج رأسه من الثلج الفراء . فان هذا المنظر في بلاد تُتعد فيها وفرة القيط
كان من شأنه ان يؤثر في عجيبة الاسم البائدة

ومع هذا ليس في لبنان رأس يبلغ منطقة الثلوج المخلفة . وكذلك النتائج الجبلية
المتجذبة فلا اثر لها اليوم . وغاية ما يلقاه المسافر في اعالي جبل الارز مدى احواض
في أمن من الشمس تتراكم فيها كميات وافرة من الثلج تبقى فيها حتى في معظم حارة
الصيف . وهذه المستودعات لا تُرى في قبة جبل المكمل الذي يبلغ ٣٠٠٠ متر لكن
في منطفاته للمتلة من اشعة الشمس . وكذلك في صتين وفي جبل المنيطرة بعض
احواض مستديرة لا تعمل فيها الشمس لا لارتفاع الجبل لكن لكثافة الثلج للترامية .
وعلى رأي علماء الطبقات الارضية لا يتقص لبنان الامة متر يبلغ طول الجبال الخالدة
الثلوج التي لا يذوب ثلجها صيفاً مع شتاء لارتفاعها وقلة حاراتها

ومن تفرع الجبل من الجنوب الى الشمال وجد الجبل يقايد علواً وكذلك يتسع
مرصاً . ولو تأمل الناظر من طول الجوز عرض لبنان بين صيداء ومشفرة لوجده لا يزيد
عن ٢٩ كيلومتراً وهو يبلغ بين بيروت وقبّ الباس ٣١ كم ومعظم اتساعه بين طرابلس
وهرمل ٤٦ كم . فيكون لبنان على شكل مربع منفرج عن زاويتي الطويلين

٣ وصف قُسم لبنان

ليس يوسنا ان نصف كل قم لبنان المختلفة وقترحاته المتعددة وانما نذكر منها
اخصها ليكون القراء على بصيرة من امرها

يتحدى لبنان جنوباً عند الوادي المبيق الذي فيه يسيل الليطاني وعليه تشرف
قلعة الشقيف في طو٢٧٠ متراً من سطح البحر. ثم لا يزال في تصاعد حتى يبلغ ١٠٣٠
متراً عند جبل سمق ثم يتصل بجبل ريمان الذي به دُعيت احدى مدوكلات لبنان.
واعلى قمه هناك ١٦٩٣ متراً. ثم يزيد علواً عند قرنين محدّين يدعيان توأمات نيبا
(١٨٥٠ متراً) يراها البحارة عن بعد وكانوا الى القرن الثامن عشر يستدلّوا بها على
موقع صيدا ١)

ثم يتوصّل الجبل وينضم الى بضه متواصلاً فيسير قطباً للركزي على خطه متساو
كأنه جدار امرد لا نبت عليه فذاك جبل باروك وفي آخره وهددة ظهر البليد
(١٥٩٢ م) تقطع لبنان الى نصفين وهي نقطة مهتة للمواصلات بين انحاء الشام
وفيها تمر طريق دمشق والسكة الحديدية التي جعلت لبيروت مقاماً راجعاً في سورية
على انه اذا كان هذا الضيق يقسم لبنان الى قسمين متساويين على التقريب
فان بين القسمين اختلافاً كبيراً في الهيئة فان القسم الشمالي يأخذ في الانبساط وتتسع
انجاده حتى تبلغ حدة اميال. منها نجد جبل الكنيسة (٢٠٣٢ م) ونجد صئين
(٢٦٠٨ م) الذي على شكل مثلث عظيم فيه الشرفات والاغوار والادوية يلوح لمن
يرقبه من سهل البقاع كأنه بحر صجاج. اما من جهة بيروت فيكتسب هذا الجبل مع
قرنيه الشاهقين فيخطف الابصار بمجاسته ووفرة مناظره

وصئين في طوله ثالث جبال لبنان بعد جبل النيطرة وجبال الارز. ويعد من
هذه الاخرة ٢٠ كيلومتراً بينها جبل النيطرة اللتاز بشجته للسطية (٢٩١١ م)
وفي متنها مجاز ظهر التضييب يمر به السفر من وادي قاديشا الى بعلبك

ثم تتحدى اعلى قم لبنان ومجموع جبال الارز الذي يلوح للناظر من طرابلس او
من البقاع كأنه سور منيع قائم كالصعود. وهو في الحقيقة نجد ولسع مساحة ١٠٠
كيلومتراً مربع وفيه سلسلتان متوازيتان مختلفتان وجهتهما من الشمال الشرقي الى الجنوب

الغربي طولها نحو ١٥ كيلومتراً فيها شعوف ورووس متعددة لم يُضبط حتى اليوم قياس طولها وكُلّس ظهر التضيب وجبل المكمل والقرّة السوداء وتيارون فتى الجغرافيين يحددون هذه الشرفات حدساً فلا يتفقون بالقياسات كما ذكرنا سابقاً في بحثنا عن خواص لبنان (راجع الصفحة ١٠٦) . وثمة هناك سبب هذا الاختلاف كان القائد مُنسل والضباط الانكليز اقتاسوا طول هذه المشارف بطريقة الرسوم المتكئة . وتجهيز الضباط الفرنسيون سنة ١٨٦٠ في خارطة البعثة الفرنسية دون ان يفيدوا من طريقة اقيستهم . ثم اورد الجغرافي ر . كيبرت في خارطته قياسات عناية للاقيسة الشامة قبل اخذها من خارطة الخواجا ع . طمس وفاداً من سبب استقاده اليه في رحلة البارون فون اوبنهم (١٨٦٢ و١٨٦٧) قال : «دانة فضل هذه الاقيسة لأن صاحبها ثلها بواسطة ميزان البارومتر الزئبقي وهي توافق اضبط الاقيسة دون ان نتحقق ما بينها من الملائمة» . وهو قول بين للدخ والانتقاد يحلنا في ريب عن صحة هذه الاقيسة ولستألتها . والسلي يقال ان في خارطة للسويكيبرت ارضاً غربية كجبله مثلاً حملاً فوق عين صوفر . وعليه فأننا فضل مقاييس المهندسين الانكليز والفرنسيين اذ كانوا مجهزين بالادوات للضبوطة لاتخاذ هذه الاقيسة وهم يُعيدون استمالها فدونك بعض امثلة لهذه القياسات لتعرف ما بين الجغرافيين من التباين : ١- تولمات نيجا . الحساب الشائع ان طولها ١٨٥٠ متراً اما دينر فانة يحسب طولها ١٧٨٠ م = ٢ المضييق بين جبل الكنيبة وصتين . تتراوح الاقيسة بين ١٧٥٧ م وهو عند الاصح و ١٥٠٠ م = ٣ صتين يعمل بقرن طول ٢٧١٢ م وكيبرت ٢٧٥٠ م . والباقيون ٢٦٠٨ م وهو الاربع = ٤ جبل الارز اعلى شرفاته القرّة السوداء ٣٣٦٠ م (من ر . كيبرت) ثم تيارون ٣٢١٥ (عنه) وهي اقيسة باقية لم تبدعها في غير خارطة كيبرت . وقد سبق ذكر سندهم في روايتهم اما اصحاب الخرائط الاخرى فأنهم جعلوا ٣٠٦٦ متراً لقياس أعلى مشارف الارز وهي ايضاً ارفع قم لبنان . الا ان بقرن قد زاد شيئاً على قياس اسلافه وهو مع ذلك لم يبلغ قياس كيبرت وليس لدينا داعٍ لمجملنا على بذق قياسات الاولين . وبعد هذه الملاحظة في اقيسة مشارف لبنان فلتواصلن وصف الجبل . فان جبل الارز شألاً يهبط نحو ٨٠٠ م فتصل به سلسلة جبل مكّار (٢١٣٩ م) وطولها ٤٠ كيلومتراً تنتهي شمسها الاخيرة عند وادي النهر الكبير الذي يحد لبنان في شامه كما

يحدُّه البطاني في شرقه وجنوبه والماصي في شماله الغربي والبحر في غربه
ولوادي النهر الكثير شأن خطير في التاريخ والاقتصاد . فانَّ الطبيعة نفسها قد
اختطَّت هذه الطريق فانَّها الوحيدة من الاسكندرون الى حيفا حيث يمكن قطع
الجبل بسهولة . لانَّ النهر وبقيَّة المواصل الطبيعية قد بسطت في هذا المكان وادياً
مُلساً قليل الانحناء . لا يتجاوز اعلاه ١٠٠٠ امتار . وفي طرفيه سهلان احدهما شرقي وهو
وادي الماصي ينفذ من شمال سورية الى دمشق اوسهل البقاع والآخر غربي ينفذ الى
البحر . ولذلك قد اسرعت الامم فابنت المدن المارة على طرفي هذه الطريق الطبيعية
فشيَّدت شرقاً حمص او مدينة قدس القديسة التي خلقتها لاذقية لبنان . ومن جهة البحر
بُنيت سبيرية التي تعدُّ ذكرها في مراسلات قل المارونة ثم عرقة ولوواد في الجزيرة
للروقة باسمها واشيراً طرابلس . وقد نالت كل هذه المدن من الحضارة سهماً فانَّها
لانَّ طريق التجارة كانت تمرُّ بها منذ المصور الحالية . وان كانت طرابلس لم تزل حتى
يوماً هذا مدينة معتبرة وتزدهر كل يوم ترقياً فانَّ الفضل في ذلك لموتها في طرف هذه
الطريق التجارية واذا ما اوصلتها يوماً السكَّة الحديدية بداخل البلاد وهو امر قريب
النال كما رأيت اضحت مُجارية لبيروت تبارفها في تجارتها ونفوذها

*

هذا وبما يستحقُّ احباراً في درس هيشة لبنان واحواله الجغرافية صغوره التي
يتركَّب منها . فانَّ هذه الصغور كما سبق القول اغلبها من المركبات الكنسية . وللطوب
لنَّ الحجابة الكنسية كثيرة التفتُّت تحمل فيها المواصل الجوية قسطها ولذلك تراها
منحورة متعلِّمة ذات مخارِب وثقوب عديدة كأنها الترابال . وبض هذه الصغور
مترامكة بعضها فوق البعض فيها الشقوق والتخاريم والشرقات يقلُّها الناظر من بعيد أنَّها
بقايا ابنية قديمة . واذا رقت اعالي لبنان من طو ١٠٠٠ متر الى ١٥٠٠ م وجدت من
هذه الصغور القريبة ذات التخاريم والشرقات ما يزيدك اندهالاً خصوصاً قرب اقنا
وريفون وعجتون ومزرعة كفرديان وتودين . وهي قليلة تحت طو ١٠٠٠ م واذا فرمت
الجبل فوق طو ٢٠٠٠ متر لا تجد منها شيئاً لانَّ البرد الذي لا يزال في اواخر السنة
قياسه تحت الصفر لا يحل الصغور بل ينفذ في قلبها ويشقها شقاً تقري قسماً تمُّ كل
قم الجبل حتى انها في بعض الامكنة تتراكم كأنَّ السان في وسطها يجري في مقطع

من الجبال

وكذلك للصاعدة في هذه القمم فعل لنزاد الانواء في اعالي الجبل . والصاعدة فضلاً من ضرباتها وسحقها للصخور تحرك الريح والمواء بتدويراتها فتدوي لها الادوية وتتأثر منها جوف الجبال فتتخسف او تنساقط . ولذا اظفت الى عمل الصواعق فعل الزلازل وفعل المياه في سيلانها فهت كيف يندك الجبل اندكاً ويتعرض فتتحد جنادل الى الامعات جارقة في مسيرها التربة والنبات

فكل هذه العوامل للخراب تقرب الى النهم رلي العلامة ديز في تحصيب لبنان (١) حيث يقول ان علو لبنان كان في الاعصار السامة السابقة لهد التاربيخ اعلى منه اليوم بحو ٣٠٠ متر فلم تزل دواعي الدمار تسعوه وتعرف تربة الى السهول حتى صار على ما هو اليوم . وهذا امر عتمل فافترض ان في كل جبل تحرف عوامل الطبيعة خمسة امتار من رأس الجبال فلا يثبت ان يصح حساب ديز . وان كان هذا القول صواباً ادركنا صحة قول الأقدمين بان جبلنا كان سابقاً متوجاً بطرج مخدنة فدعي لهذا السبب بلبنان لي الجبل الايض

ومن مقاييل هذه الجروف للمائة الناور والكهوف التي يتأرجحها لبنان . فان الطبقات الكلسية الاقوية الشكل او المنحرفة انحرافاً خفيفاً كثيرة في الجبل يقرض بينها شقوق او اقسام مختلفة التركيب والصلابة بينها قطع سرية التفشت وشبكة الانحلال . فاذا جاءت العوامل الخارجية جرئت الاقسام الضيفة الباطنية وتركزت الطبقة الكلسية العليا فاضعت الصخور على شبه الشف . وهكذا كانت قديماً تلك المآوي الارضية التي كان يسكن تحت ظلها السكان الاقدمون . وبعض هذه المآوي قد احتوتها عوامل الجو والمياه مما اذ تسرت الى باطن الصخور فانتكلت قسماً منها وتوكت وسطها خلوا على صور اغوار ولسة وكان للبعض منها مداخل طبيعية ضيقة فثبتت المياه من داخلها فوسمتها وجعلت لها دعاليز . كما ترى منارة لتطلاس العليا العروفة بمنارة البلاقي وكناوتي نهر الكلب اللتين نضبت اليوم مياهما ولا يزال حتى الآن يظهر فيها اثر الماء

وكثرة هذه المآوي القديمة مكن قبائل عديدة من سكنى لبنان في الاعصار الحالية

كما اثبت ذلك الاب زُمون في الشرق (١ : ٦٧ و ٤٣٥٣) . ومن هذه الكهوف الطبيعية ما اصلحه الناس وزادوا في توسيعه أما ليتخذوه مدافن لموتهم وأما لياؤوا اليه مع قطعانهم او ليسكنوه زهداً كما ترى في مناسد القوزل وعدلون وهرمل (راجع ج ١ ص ١٠٩) . وربما اضافوا اليه البناءات العظيمة فصارت هذه المناور كقسم من اديار الرهبان كما ترى في قزحياً وقثوين . ومنها ما زيد في تحصينه فاضى كاتلاع للنخلة مثل قلعة نيجا الشهيرة في تاريخ القرون للتوسعة باسم شقيف تيرون . وهي عبارة عن صخر قائم عمودياً على علو ٣٠٠ متر . وفي وسطه كانت عدة كهوف وسُحها البناؤون فسكنها الجند ولا يبلغ الصاعد هذه المناور إلا بجري صعب الارتقاء . وفي هذه القلعة تحصن الأمير فخر الدين الثاني في القرن السابع عشر كما ورد في تاريخ لبنان . وقد وجدنا في هذا المكان كتابة على اسم الملك الظاهر بيبرس بعد ان التزمه من ايدي الفرنج

وكذلك نُقِصَ الى جوف المياه الجسور الطبيعية التي في لبنان . فان للمياه المتجمعة سورة تحميها من كل الهواجز التي تلقاها في سيلها ، لم تجد طريقاً اخرى لتتجعد منها . فقرأها تصدم الصخور وتنفذها في انسابها الاقل صلابة فتفتح لما مجرى يوسع يوماً بعد يوم حتى تجري في مسيل واسع وتبتي الصخور الصلبة فوقها على شبه جسر طبيعي . وطبقات هذه الجسور التحتانية كثيراً ما تسقط لضعف دعائمها التي تحجزها المياه وتسلط العوامل الجوية عليها . وهكذا ذهب الزمان بقسم من تلك المعابر الطبيعية التي كانت تجمع بين معاقل اودية لبنان وتجري فيها السيول الجارفة . وأما بقي منها بعضها الآخر

فمن هذه الجسور معجوبي طبيعي ليس بمستبعد العاقورة وهو عبارة عن صخور تثبتها سيول المياه على شبه القبة . واضلم منه شائناً الجسر القريب من نبع اللبن العروف بجسر الحبر تراه فوق الميل كاقوس العظيمة وهو يجلي على علو ٦٠ متراً وطوله ٣٠ م في عرض خمسة امتار . ومن نظر اليه عنه طرفة من طرف الدهر قد شادته الطبيعة وجعلته كآية من آياتها التي تسمى القلب بظلمها وحسن صنعها . وفيه من التناسب والإحكام ما حل بعض الكتبة على ان يزعموا بان ايدي البشر ساعدت على تركيبه . وهو قول بعيد

ثم يوجد جسر طبيعي ثالث على منصرف لبنان الشرقي يحدُّ فوق وادي الليطاني
الزهي وموقعه على بعد نصف الساعة غرباً من قرية يحسور في وسط الطريق بين جزين
وحصياً وهو حتى اليوم ممر للسادة بين القريتين. يدمونه جسر القوة ونهر الليطاني
يسيل تحته على عمق نحو ١٠٠ قدم وطول ٢٢ قدماً ومعظم عرضه ٦٨ قدماً ثم يضيق
الى تسعة اقدام . وتطو هذا الجسر طبقة من التربة نبت فيها الاعشاب والدغل
ولتختم هذا الباب بذكر النقطة التي عندها تنتهي المساكن . وهو خط يصعب
تحديده قلّة الاقيسة القانونية الدالة على حلو الضياع والقرى . ثم ان هذا الخط يختلف
مع اختلاف احوال الجبل فان لبعض الامكنة موقفاً حسناً يصونها من هبوب الرياح
فيسكنها ان تشاد في مغالي الجبل ولولا حسن موقعها لا امكن الاهلين سكناها . وفي
اوربة قائمة السكّان الذين يبيتون في القرى فوق ١٢٠٠ متر لا تتجاوز ٣٠٠٠ نسمة .
أما لبنان فان القرى التي فوق هذا الملوّ ممتدة كبسكتنا مثلاً (ملوها ١٤٣٠ متر)
وعين صوفر (١٣٠٠ م) والعاقورة (١١٠٠ م) واقل منها الضياع التي فوق ١٥٠٠ م
وهي عينات (نحو ١٧٥٠ م) واليتونة (نحو ١٥٤٠ م) وعزرة قرية صغيرة شالي
غربي زحلة (١٥٤٠ م) ١ . وفي الجبل قرية حديثة علوها قريب من ١٥٠٠ م
كاهدن وجسراي والحلث . اما فوق علو ١٨٠٠ متر فلا تجد الا أكواخاً ومآوي للرعاة
وربما تختلف المكتبة في تعيين العلو لاختلاف مواقع اقيستهم في القرية نفسها . ومن
المعلوم ان بعض القرى تشغل في الجبل نحو ١٠٠ م بين اسفل دورها واعلاها
أما النقطة التي يلبت فيها الثبات فهي كما لا يخفى اعلى من نقطة المساكن البشرية
فان بعض مزارع لبنان موقعها على علو ١٨٠٠ م بل ٢٠٠٠ إلا ان هذه المزدحعات
الاخيرة لا تكون الا في الاودية والاغوار التي هي بمنزلة عن الرياح . وترى في هذا
الارتفاع شجر البلوط العادي الكبير الامتداد وشجر البطم البني والشرج والخوخ
البري . وبعض شجر الرمرض عظيم وطول باس . واشهر اشجار لبنان الارز الذي
موقعه على علو ١٩٢٥ م

(١) يزعم لورث في كتابه سورية الحالية (١٩٢٦) ان علو عيناتنا ١٨٠٠ م وعلو اليتونة
١٦٥٠ م لكن هذه اقوال تخمينية لا يؤخذ بها . ويصل كيرت علو عيناتنا ١٦٨٠ م واليتونة
١٩٤٥ م وهذا دون القياسات المقبولة . (راجع مقالة للاستاذ الابركي وست (PEF, L. C., West

مياه لبنان ورسم مجاريها

ليس هذه المرة الأولى نبش من مجاري المياه في لبنان . فأننا في كلامنا عن عين افقا (راجع ج ١ ص ٥٠) ألمنا الى هذا الامر . لكن خطر الموضوع يجذبنا الى ان نخصص في فصلا اوسع مهد اليه القول رسنا لأنجاد لبنان واغوار . وليس بحثنا الحاضر جغرافيا محضاً بل علمياً اقتصادياً . فان المياه في البلاد الحارة من اعظم عوامل الاقتصاد كما سترى . ودرسنا هذا لئلا يساعد على بيان النظام العجيب الذي وضعت تالمى في الطبيعة لموازنة قواها . ولولا ذلك لظن الناس ان هذه الجبال الشاهقة ربما كانت كعاجز يوق المواصلات بين الاهلين او اعتبرا هذه مجاري المياه التي تندفع احيانا كسيول جارفة طامية حدودا لتشاطهم وحصاراً لاعمالهم . ولو تروا لأدركوا ان الجبال والمياه معاً أخرى بان تنظم بين العوامل المساعدة للمرء اللهم اذا عرف ان يستخدمها لمصالحه

وبحثنا هذا يتناول ثلاثة فصول : أولاً رسم عيون لبنان ثم رسم انهاره واخيراً رسم المياه والشواطىء البحرية

١ رسم عيون لبنان

نقسم هذا الفصل ايضاً الى ثلاثة ابواب فبين كيف تكونت هذه العيون في لبنان ثم نعدد صنوفها المختلفة ونختم بذكر الجداول السارية في اسراب الجبل

١

كيف تكونت عيون لبنان

تصدر عيون لبنان من مياه السماء التي تجود بها الطبيعة على بلادنا فتغمرها بها اما بهبوط الامطار التريزة واما بمخزن الثلوج المكتمة في اعالي الجبل كما سبق . والارض تزوي من هذه المياه الفائرة في كبدها فتشربها قابلية ترشعها ولولا ذلك لانحدرت هذه المياه زائخة كالسيول الجاحضة في انبان المواصلات والامطار الفاضة ودفعت في مسيرها التربة بل سحقت الحصى واقتلعت الحجارة قلبت البلاد ظهراً لبطن حتى انها

في بعض الاحيان تنفّذ زمن قليل صورة الامكنة ووضعا الجيولوجي. وليس كذلك والحدّ له عمل المياه الداخلة الى قلب الارض فانّها اذا خفت في باطن القربة صفت وتخلّصت من كل الاجسام التريبة التي اجتذبتها ثم تروق بالتدريج وتأخذ من الطبقات التي تتجاوزها حاراتها وتخلّل ما تجد فيها من الاملاح القابلة التحليل ولا تزال تتحدّد وتنضب الى ان تبلغ طبقات الارض التي لا تغرقها المياه فليسح فوقها حتى اذا وجدت لها منفذاً تبحّث منه عيوناً

ونفوذ الامطار في بطن الارض يجري على طرائق شتى على اختلاف طبيعة القربة فاذا كانت الارض نائية لا يبلغ الماء اعماقها لاسيّاً اذا سحّ المطر وتولّ شايب وكان وجه الارض مع ذلك مائلاً بحيث يسهل السيلان. ومن عادة القربة الزراعية المتركبة من بقايا النبات والحيوان ان تخلص كمية عظيمة من المياه لتغذي بها النبات. فترى من ثم عظم شأن القربة الزراعية في الفلاحة. وبما تتورّف المياه بسهولة الطبقات الرملية المختلطة بالحي. وليس الحواري والصالح كذلك فان الماء لا يفرقها للزوجةها وانضم اقسامها فيجتمع فوقها اما في الاسراب او في السقنات على وجه الارض ويطلق بالنبات ضرراً لآثاره في بعض الامكنة وقصاه في أخرى

اما النبات فقد دلّ السيو الزباني روكو على عمه بالنسبة الى الندوة. فانه بعد اخذ نصية من الماء المتحد من الغمام يساعد على نفوذ ما فضل منه الى اعماق الارض. فاوراق الاشجار مثلاً تنفّذ وماء سقوطه بان تصبّ قطلة قطلة على الارض فتبتل به وتكسّر شيئاً فشيئاً ينما يتحدّد قسم آخر من ماء المطر على ساق الشجرة وجذورها فيدخل تواء في اعماق الارض. وقد لحظ الطيغمون ان الخلي واصناف النبات التي تنمو فوق الجبال اذا سقطت عليها الامطار او التلويج رويت ندوة واتضحت كالاستفنج فخرت في مطاوي تصدّاتها ماء كثيراً تنال منه القربة حظها بعد نزوب طرائقها. وفي بعض جبال اسكوسية وارلندة عدد لا يحصى من هذه النباتات يبلغ الماء المخزون في خلال اوراقها واصنافها آلاف الوفرة من طالت الماء (١). ومن هنا تعلم سوء صتي رعية المتر في الجبال فانها آفة للنبات وهي ليس فقط تبردها من خضرتها التي تربتها ولكن تجرها من الندى والرطوبة التي تحتاج اليها بلادها الحارة

هذا والصخور منها تنحصر كالقبة العادية كيات من لاء تختلف على اختلاف شقوقها وتباعد دقاتها. لا يخرج عن هذا الحكم إلا حجر الصوان المانع وليس منه شيء في لبنان. وجبلتنا على عكس ذلك يتركب اجمالاً من حجارة كلسية كثيرة النخور والفتوب تنفذ فيها الامطار كما في غريال. ونحت هذه الصخور عادة طبقات



من الصلصال لا ينفذ فيها لاء سهلاً فإذا اهاز اليها الماء نضّ قليلاً ونشأ منه جداول تجري على حسب ميل طبقات الصلصال واختلاف هيتها بميل المياه الى

ان تجد منفذاً تسيل منه الى الخارج. والياه التي تنحدر هكذا فوق الصخور الكلسية ومنها الى الاراضي الصلصالية هي اوفر بالاجمال من سواها لطول مسيرها في باطن الارض الذي ربما يبلغ مئات من الاميال قَرْدُها على مدى سيرها الياء للتحلّية اليها. وبمثل هذه الينابيع عين انطلياس وعين نهر الكلب في جيتا فان اكثر مياه مديرية القاطع تجري من الاولى كما ان معظم مياه كسروان الاسفل تجري من الثانية. ومن هذا الوجه يصح قول الجيولوجيين عن وفرة هاتين المينين وعن ييوسة للعاملات الواقعة تحتها

٢

اختلاف ميون لبنان

يختلف موقع هذه الميون حسب اختلاف الصخور التي تهبط عليها مياه الامطار. تدرى بعضها بمسدة جداً من مهبط الغيوت والبعض الآخر يبع تُنحيت الامسكة التي تزلت فيها هذه الياء. ففي لبنان ميون لا تبعد سوى بضعة امتار من قبة الجبل او نبوده. وهي قرة المياه قللة الساحة التي تجمع ماءها وقصر مسيلها في بطن الارض لما الميون النزيرة المياه فأها تلبس خصوصاً في الودية عند لحف الجبال اوفي وسط الاطاع الواقعة تحت سلسلة جبلية فتال الادلى عيون الماصي الفائضة في سفح جبل هرمل وعيون نهر يدرت ونهر انطلياس ونهر الكلب السائقة في لحف لبنان اما مثال الثانية التي تتخبر في وسط السلسلة الجبلية عند وطم المشارف الثانوية فالانهار الجارية في اوسط لبنان كنهر قديشا تحت جبل الارز ونهر ابراهيم تحت جبل منيطرة

ونهر دلمود تحت عين زحلنا وكهرّي الاوّلّي والزهرانيّ فإنّ كل هذه العيون تلبّس في سفوح الجبال اللاحقة بالسلسلة الاصلية التي يترى سطعها انكليسي من مياه الثلوج والامطار الشتوية فتضحي كخزان لا تُفقد منه المياه التي تسيل الى ان تبلغ طبقة من الصخر الرملي الصلب يُدعى «بُرقة» (grès) لا يمكنها اجتيازها فتنتج لها سيلاً وتسمح على ظهر الارض (١). ومن اعتبر مساحة الجبل الذي يخزن في صخور وادنه القاحلة كلّ هذه انكمية من الندوة وهو شبه بمصفاة واسمة الجوانب بيضة القور لا يكاد يتسبّب من وفرة المياه التي تجري بالميون اللبنانية

تدري من هذا الوصف صدق ما كُرّاه غير مرة وهو ان لبنان كحوض يكثر في احشائه تلك الانهار الكبيرة وخصوصاً العاصي التي تحمي مياحه بلاد سورية وتنشئها بما تجديها من المراتق المتنوعة. ومع صحة هذا القول تجد انحاء عديدة من لبنان في حاجة ماسة الى المياه كجسات البقرون والشوف مثلاً. وخصوصاً بعض الماملات السفلى التي تقتصر الى الماء لا يشرب اهلها الا من الآبار. والميون في بعض هذه الامالات لا تتجاوز عدد الاصابع كما في جهات البقرون والغرب التي لم تحطّ بنصيب صالح منها. وان سأل القارئ وما سبب هذا الاختلاف لجبناه انه ناشىء عن تركيب لبنان الاصليّ فإنّ بين نواحي ثنورين وحسرون وشريّي واحسنن القرية من الصخور انكليسية وبين بقية القاماتية للقرية من الصخور منها قطعة مستطيلة من البرقة ذات الصخور الرملية الصلبة التي لا يتخذ فيها الماء فاذا بلغت المجاري فوجدت امامها هذا الحاجز انصهرت الى الجهات التي تطلوها فتتفجر فيها او قننت في باطن الارض فتجري في اسراها وتنصب في البحر كما سيأتي. وما تقوله عن هذه الجهات قد تمحق بالبحث الجيولوجي وتراه مثبتاً بالمقابلة في نواحي الشوف حيث تجد ايضاً تحت قشرة الارض العليا طبقة من الصلصال والحجرى لا تفرقها المياه (٢). وهي حالة يصعب اصلاحها ومن ثمّ فعل اهل تلك النواحي ان لا يصدقوا بسهولة اقوال بعض الثاقن او بالارى المشوقين الذين يدعون بمرفة المياه التي تحت الارض

(١) راجع كتاب العلامة دير (Diener, p. 129) وخارطة الجيولوجية للبنان

(٢) راجع خارطة الجيولوجية التي رسمها الاب زنون اليسوي في كتابه «لخون» صفة لبنان الجيولوجية» (Esquisse géologique du Liban)

وعلم أن ما يمكن قوة إجمالاً أن كمية المياه الجارية من الميون تختلف على اختلاف غزارة الأمطار. بل ترى بعضها لا يظهر إلا في فصول السنين الكثيرة الأمطار أما الميون الثابت جريهاً فإن كمية ماؤها ليس بثابت. وكل يعلم أن بعض



هذه الميون منافذ هجرية (estavelles) ممتدة هي فوق المنبع الأصلي بل تمتد عنه أحياناً مسافة تُذكر وتنتشر عند تواتر الأمطار وإذا صار الصيف بقي المنبع الأصلي وحده فتكون هذه المنافذ كمصارف تخفيف سودة المياه على المين الأصلي كما ترى ذلك شتاءً في وادي نهر انطلياس بين المين الحالية ومخارة البلاني

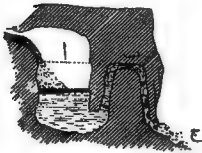
وما نقوله من هذه المنافذ يمكن قوة من بعض المخاد التي كانت المياه تجري فيها سابقاً كثارة انطلياس مثلاً المروقة بالبلاني التي موقعها نحو عشر دقائق فوق المنبع الكبير فإن هذه المارة راقية إلى الطور السابق للتاريخ وأما المياه فيها ظاهرة على حضيضها وجدانها وبما يرى في وسطها من الحصى المصقولة باحتكاك المياه. والجميع أن قسماً من الصخور في باطن المارة انحسرت فسدت مؤثر القوة القديمة التي كانت تسيل منها المياه. وذلك في اعصار قديمة جداً لأن هذه المارة صارت بعدئذ مأوى لاهل لبنان الأولين كما ثبت ذلك حضرة الاب زموفن في المشرق (١ : ٩٧) . وكذلك مغارة نهر الكلب اللبني. ولعل أجمل هذه الاغوار المائية مفسرة نهر بيروت وهي على مسافة ساعة من منبع النهر الحالي. وعلو موقعها يصد عن التوقّل إليها ولكن ترى عند مدخلها آثار المياه القديمة. والتقليد الشائع عند اهل تلك الجهات أن هذه قنطرة اوسرب يتصل بدير القلعة وهو زمع سرحدود. وكذلك أخيراً مفسرة امقا العليا فانها منفذ هجري تسيل منه المياه في وقت الفصول انكثية الأمطار هذا وإنه ليصب أحياناً بيان البلاقة الموجودة بين المين الأصلي والمنفذ الثانوي التي تجري على مسافات تختلف عن بعضها بعداً. كما أنه لا يسهل ادراك سر اتصال عين احدهما مترابطة الماء والاخرى متقطعة

وقد ظهر في ما سبق أن كمية الماء التي تجري مع ميون لبنان لطيفة جداً وقد قاس منها الجيولوجي فرانس (Frans) ما يبلغ في الثانية اربعين قدماً مكعباً. فحين

جزين التي يتجاوزها غيرها في غزارتها تصب في الثانية ٣٩٠ ليترًا . ومن الامور للقرّة ان بعض ينابيع لبنان كانت سابقاً اغزر منها اليوم . فالتاريخ يخبر عن عين الرمرق قرب بعلبك انها في عهد الرومان كانت تنفي بمحاجات مباني دير القلعة وهكذا ولذلك قد ابتوا لها قناة ترى آثارها الى زماننا مع انها في الوقت الحاضر ترة المياه لا تحتاج الى قناة . لما في القرون الوسطى فلم تزل كثيرة المياه حتى ان الدويهي يدعوها نهرًا في تاريخ الطائفة المارونية (ص ٩٨) . وزعم صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص ١٢) أنها كانت تجري الى بيروت في قناة . وهو امر لا يمكن اثباته لكنه يبين غزارة هذه العين التي لا تكاد اليوم تحصى في عداد الينابيع اللبنانية

وان سألت الآن عن درجة حرارة المرون في لبنان اجبتك ان العلماء لم يبحثوا في ذلك الا قليلاً . وما يقال اجمالاً ان حرارة المياه الجارية فوق طولق مدمي دون حرارة الهواء المصدق بها (١) . والمياه على قدر طول مجراها تزيد درجة حرارتها الاصلية عند انبجاسها لأنها في سيرها في الاسراب الباطنة الدافئة تأخذ من حرارتها . ولذلك ترى بعض المرون القوية كتبع انطلياس ونبع نهر بيروت قليلة البرودة . فهذه الينابيع وان كانت تتركب من مخلب ثلوج لبنان تنقص برودتها لطول مجريها في بطن الارض تحت سلسلة الجبل الى ان تنفذ الى الهواء فوق سطح البحر بقليل فتصب فيه . وهذا معدل درجات الحرارة لبعض ميون لبنان بالنسبة الى المقياس للنوري : نبع جزين ١٣ . وكذلك نهر الكلب ١٣ . نبع الباروك ١٠ . نبع القتا ٨ . نبع اللين ٥ . نبع السل ٤ .

وفي لبنان ميون كثيرة دودة كما مر في وصفنا لاققا وبحيرة الشونة (راجع ج ١ ص ١٩ و ٢٠) . وشها نبع عرمتا في جبل الرمان ينقطع مراراً في السنة لاسياً في الربيع قري مياهاً تزيد وتنقص كل نصف الساعة وربما انقطع تماماً ثم عاد الى مجريه وسبب انقطاع



المياه على هذه الصورة: لأن المياه بعد نضوبها واجتيازها في طبقات الجبل تبلغ الى حوض داخلي ينفذ الى الخارج يجري على شكل المص (انظر الصورة ص ١٢٣) فإذا توفرت امتلاء الحوض حتى يساوي سطح مائه الخط (١) ثم يزيد ارتفاعه في المجرى المحف على حسب قاعدة مساواة اللامعات في الاوعية المتصلة الى ان يبلغ اعلى نقطة من المص في (ب) فتجري الى (ج) وهو التبع وتسيل حتى تنقص المياه فيبسط سطحها الى فم المص الداخلي وينقطع الماء بتهمة ويدوم انقطاعه طول الدة اللازمة لارتفاع سطح الماء في الحوض الى (١) تعود الى الجري وهلم جرا

ومن النتائج ما يفرد كد تغليره كالتوفرة فيبلغ طولاً مختلفاً في الهواء وتظن ان لبنان لا يخلو من مثل هذه الميون وان لم يحضرا الآن مثل ذلك . وفي نبع اظلماس تخرج المياه مزيدة بينها شبه فوارات تلو نحو قدم فوق جلة المياه . وهذا يرى ايضاً في ميون نهر العاصي في لطف جبل هرمل

لما الميون الحارة والمعدنية فان الماء حتى اليوم لم يفردها للبنان بمكان فيها . وجهة ما يقال ان تركيبة الجيولوجي يدل على انها قليلة اللهم الا بعض الميون الداخل فيها كميات مختلفة من الحديد يمكن تمييزها بتلون مجاريها لان المياه الحديدية تفسد مسيلها عند سيلانها بدقائق الحديد الداخل في تركيبها . أما الينابيع الكلسية فكثيرة يرسب كلسها حولها او في مسيلها فيتشجر ولا يزال يزيد حجماً حتى انه في بعض الاماكن يمد المجرى تماماً

وهو السبب عينه الذي كوّن في بعض الكهوف والتاور تلك الرسوبات الحجرية التي ترى على شبه الممد . فان المياه بتعليبها من سقف الخارة تنترك بعض دقائقها الكلسية في الصخر فاذا تواتت هذه التقلبات زمناً مديداً زاد التشجير على شبه اساطين (stalactites) ثم ان قطرات المياه يسقطها على الحفوض تنترك قسماً آخر من كلسها الباقي فيتشجر الكلس ويرتفع على شبه الشموع (stalagmites) وربما بلغ الاسطوان المتحد من عل الشموع المرتفعة من لسفل فصار كلامها كعمد متروكة (١) وفي مغارة نهر الكلب من هذه التشجيرات كثير ترى في التور الذي يدخله عادة الزوار

الأ أنها ابهى واجل في قلب الجبل . وقد اخبر المهندسون الإنكليز الذين نفذوا الى بطن مغارة جيتا في اليلول من سنة ١٨٧٣ ثم سنة ١٨٩٦ أنهم عبروا مجازاً حرجاً طوله عشرون متراً قضي عليهم اضيق المسار ان ينبطحوا على بطونهم ثم اجتازوا في احواض ومجاري متوالية حتى بلغوا شبه غرفة واسعة وجدوا سقفاً مزينا بهذه الاساطين المتحجرة البديعة المنظر لما الحضيض فكان مرصعاً بأشكال الصد الغريبة الصورة

٣

مجري المياه في الارباب

تستقر كلامنا السابق في حيون لبنان نذكر هنا شيئاً عن جداول المياه في اسراب لبنان لا بين البعدين من العلاقة اذ ان العيون لا تتبجس عادة الا بعد قطعها مسافة في بطن الارض

سبق لنا القول من وفرة مياه حيون لبنان . فان بعضها اذا برزت من مكانها جوت كانهار قادمة على حمل القوارب . ويكون تفجرها غالباً في لمكة قاعة ولودية كثيرة الصخور لا ترى حولها سوى الجنادل العالية والحجارة الصلبة فيؤثر منظر مياهها الرائقة كالأزلال في قلب الناظر اذا قابل بين صفاتها ووحشة المكان قراها تنفجر حيواتها اسير حلت قيوده فتنشط بمركبها ويرد من محبسها الى النور مسرعاً الى الشمس ليتجلجلب بضائها . واذا سارت من منبعها انصببت ضفتيها واحيت ما تحته من القربة فينبت الثبات وينور الزهر وتعتد الاشجار بافهامها الخضرة

فهذا رأس النبع في بيروت ومياهه التزيرة الا ان هذه المياه كما لا يخفى ليست بنات هذه الصخور البامدة فلا بد لاذاً من البحث عن اصلها في اغوار الجبل الباطنة حيث تنفذ المياه المتحبة من الاعالي فتجتاز في الطبقات الكلسية كما بينا ثم تتجمع في الاحواض جارية . ومن الانهار ما يعد مسيلة في قلب الجبال مسافات بعيدة تبلغ نيفاً و ٢٥ كيلومتراً منها مثلاً نهر سورج (Sorgues) في فرنسا الذي يفسد من حوض فوكلو . وهكذا ايضا جبل لبنان فان مياهه تسيل في المجاري الداخلية قبل يرونها الى النور كما ترى في نهري ابقا والكلب المتجريين من كهفها

وما قلناه عن طول مجرى نهر الكلب يجوز تأويله أيضاً عن مفارقة القنا التي منها خاصة يسيل نهر ابراهيم فإن منخلها في حلف صغور يبلغ ارتفاعها ٦٠٠ او ٧٠٠ متر لما منظر مهيب قل وجود مثله في العالم على قول ريسان والدكتور لورث . وللنشارة سُحِبَ عديدة ودعاليق زرمية يصب مبرها لسعة أحواضها وكثرة مياهها . ولا يبعد يكون اتصال بين هذه المنارة وبحيرة البثونة وليس بمستحيل وجود سرب طبيعي كهذا طوله اثنا عشر كيلومتراً

وليس قولنا من المياه الجارية في بطن الجبل منظر آخر وهو غرود بعض المياه في لبنان دون ان يبقى لها اثر والرجح ان هذه المياه تتصل بالبحر فتتفد فيه جارية بمجارى باطنة ومنها ما هو على قدر انهار غزية . وهذا امر طالا لحظة الجيولوجيون في السواحل البحرية لاسيا التي تتركب من صخور كلسية

ومن تتبع ساحلنا القيني وجد في بعض مواقع ميوناً تتبع على سواحل سطح البحر وقرب بيروت منها عين غربية . وقها تحت كلية الاميركان لا يكفي البعض من ان يشربوا من مائها بل يكرمونها ويوقدون فيها الشمع تديةً وينسبون اليها القوالت العجيبة وهي تُدعى عين الرئيسة . ومنها ميون أخرى فوق الجبلون الصغير المعروف بالمدور حيث تتبع المياه ولا تزال تحضر الركاز التي اقامها المهندسون لسند السكة الحديدية المتصلة بالرفأ

وبعض هذه الميون ترى آثارها في وسط البحر كمعين ارواد الشهية التي تُرى قريباً من جزيرة ارواد . واهل تلك البلدة اذا صعب عليهم الوصول الى البر استقوا منها لشربهم . ولا ريب ان مياهها جارية اليها من جبل التصيرية . ولو بحثنا لوجدنا غيرها في جوارنا اكثر منها عدداً لأن مياه لبنان انخر من مياه جبل التصيرية . ولدينا مثال قريب منا عند محطة الماملتين ثريد العين المدورة نبع مار يعقوب تُرى في البحر على بعد ٢٠٠ او ٣٠٠ متر من الساحل . واذا كان البحر هادياً لاحت فائرة في وسط النمر وتبقى مياهها مدةً دون ان تخرج بمياه البحر . ولو بحث المهندسون على وجهة هذه المياه لامكنهم ان يتصوروا لها منفذاً في البر فيُنشروا بها الساحل ويسقوا بها المزروعات حيث تقل المياه

لأن قولنا السابق عن ميون لبنان ليس بمستوفٍ الا ان يثبت الترقا . ويستدعي

نظروهم الى البحث في هذا الامر الخطير فيجدون فيه كنهس لمباحث عديدة جدوة بهمهم . وليست هذه الابحاث نظرية فقط بل عملية ايضاً كما رأيت في قولنا عن الينابيع البحرية . ولو تفرغ اصحاب للرؤى الى هذا الامر لوجدوا وسائل متعددة تمكنهم من مقاومة عدو بلادنا العظيم اعني جند الارض والقنولة . فان حياة سورية متوقفة على كثرة مياهها وحسن تقسيمها . وهذا امر غاية في الخطر فتركي الاقطار في اسباب الصمران والاقتصاد والثروة . ولو وجد الاهلون مياهاً غزيرة لادلت همهم ونالوا من التلال ضعف ما يحصلون عليه اليوم

لكننا نتأسف على قلة العلماء الذين يتفرغون لدوس المياه اللبنانية . ولا ترى في اوردية بهذا الأ وفيه كثير من الجيولوجيين الذين يهتمون المياه بنظروهم . وهذا عندهم ليسهم ان وجدوا كلامنا قصيراً في هذه المادّة . وانما املنا ان مقالنا تستلفت انظار بعض الخواص فيجدون بالأ هذا الامر الخطير بدلاً من سميهم وراء امور اخرى لا طائل تحتها

١١

رسم المجاري النهرية في لبنان

١

المفادات محوطة

بأي اسم ندهو مجاري المياه في لبنان ندهوها اتياراً او جداول او سيولا فقط . ذلك ليس بأسر سهل لولا ان المادة قد غلبت على السن القوم فيدعون بالنهر مسيل المياه عموماً فيقولون نهر بيروت بل يقولون نهر الطلباس مع ان مجراه لا يكاد يبلغ خمسة كيلومترات وسبب ذلك ان العرب لم يعرفوا في جزيرتهم ألا المياه الجارية في بعض فصول السنة وخصوا اسم النهر بتلك الادوية والمياه الجارية جرياً متواصلاً بلا انقطاع سواء تبلغ البحر او تنصب في نهر آخر (١)

فما يبقى لنا سوى ان نجاري المادة المألوفة التي لا تخاو من سندكنا اشار الى ذلك

(١) وقد افرز كتيبة الصليبيين بين مدين الصنفين فان ظلموس السوري يدع باسم « rivus » كراي ليلطين وسمى الاقطار كنهس الكلب « fluvius »

اليزابي دوكلو في كتابه عن الارض حيث قال (ص ٣٥١) : ان كمية المياه التي تجري في مسيل دون آخر لأمر عرضي يختلف في قارة دون أخرى وفي بلد دون بلد على مقتضى خطر مجمل المجاري المائية فلو اعتبرت مثلاً بعض انهار اوربة وعارضتها بانهار اميركة كالامازون وما ينصب فيه من الودية لما استعجت بان تُدعى جداول . ثم ان كمية المياه ليست بحاجة بل تختلف على مدار السنة . وبعض الانهار التي كانت في سالف الازمنة على سعة نهر السيبي قد صارت بعد التقلبات الطارئة على سيارتنا « انهاراً بلا ماء » لأن للانهار كما للانسان حياة فتشأ وترخو ثم تنقص وتتلأشى . اهـ ولا ريب في ان الانهار اللبنانية كانت في سالف الاعصار وعلى الاقل في الاطوار السابقة للتاريخ اعظم منها اليوم واكثر ماء . وكفى دليلاً على قولنا ان ننظر احواض هذه الانهر الفسحة وسعة مسايلها القديمة . فانها تنهي صريحاً باقتصار مجاري مياهها . وربما وجدت في اعالي الودية مناوئ يملو بعضها البعض كانت المياه تتجسس منها فن فخص هذه الاغوار وسعتها واكثرها الباقية فحق ان كمية المياه كانت اوفر منها اليوم وما يقال من نقصان مياه الانهار اللبنانية في الزمن السابق التاريخ يوجب ايضاً الباقية على رأينا للقرون التاريخية . والشاهد على صحة قولنا ما تراه من الحلوجز وسدود الانهار التي تكونت عند مصابها في العهد التاريخي وكذلك السهول المجاورة لهذه المصاب فانها تدرية الهد . وكانت هذه الانهر قليلاً بعد خروجها من الوديان التي منها نبت تبلغ البحر تراً . وكان لا بد لها بلوغ البحر من كمية عظيمة من المياه ليتمكن ان تلغز بما تقاه في وجهها من العوائق كقاومة الامواج البحرية ومهب الرياح وركام الرمل الذي تنثف السواقي

ولدينا ادلة اوضح على كثرة مياه بعض المجاري المائية . ان قناة الرومانين عند نبع نهر بيروت تسدل صريحاً على ان اصل هذا النبع كان ثمة في الاعصار الاولى لتاريخنا . وكذلك قد قاس العلماء كمية المياه التي كانت تجري منها قندروها بخر مكعب في الثانية وذلك دون ان يصيب الزدردات اذى من قلة السقي . أما اليوم فلو استقي البيروتيون كمية كهذه من ذلك النبع لقتلت السهول المجاورة ردها وجئت فلا بد اذن من القول بان مياه نهر ماغوراس وهو قب نهر بيروت قليلاً كانت اغزر منها اليوم

هذا ثم أتت أوردنا سابقاً (راجع ص ٩٨) قول اسطرابون بخصوص لبنان والجبل
اشرقي ويسمى أن هذا الجبل في الشبر وهم في تيمينه وجهة هذين الجبلين لاذ زعم
انها يسيران من التراب الى الشرق بدلاً من الشمال الى الجنوب وجنبا سهل البقاع
التي أولها بالبحر وكان يحسب ان الادن ونهر الكلب يجريان فيها . وأدى به وهم
هذا الى ان ظن بإمكان خوض نهر الكلب والسير عليه بالمراكب . ولعله يوجد حجة
لندافع بها عن قول اسطرابون وهي ان مياه نهر الكلب كانت في سالف الاعصار
اوفر منها في زماننا . وهذا مما يلاحظ من الطرق التي تروى في مضيق نهر الكلب رابطة
بعضها فوق البعض واقدها طريق المصريين والاشوريين تملو فوق الطريق الحالية نحو
ثلاثين متراً . ثم جاء الرومان ففتحوا طريقاً اخرى تحت الاولى ببضعة امتار كان السابغ
يجرون فيها الى زمن ترثيد المرات وهي ايضاً فوق سطح البحر بنحو عشرين متراً كما
تروى في صورتنا . فليت شعري كيف يقال ان القنما اختاروا لهم طريقاً في هذا الطريق
لينقلوا اليها حُدهم الحرية وامتقهم بعد البناء لولا ان يقال ان مياه النهر كانت
اغزر منها اليوم . وعليه فان كلاً لا نوافق اسطرابون في قوله من خوض نهر الكلب (١)
فلا بأس من القول بأن طبقة مياه هذا النهر كانت اعلى منها في هدا وكينها اوفر .
وزد على ذلك ان سطح البحر قد انخفض بتأدي الاجيال كما ستروى

وخلاصة الكلام أننا لا نخالف الجمهور في تسمية مجاري المياه اللبنانية بالانهار
وان شاء القراء امكناً ان نقسمها قسمين الانهار الساحلية والانهار البرية . فالساحلية ما
كانت اوديتها محصورة قليلة الاتساع واكثر انهار لبنان من هذا الصنف الا النهر
البيطاني والنهر الكبير فيدخلان في حيز الانهار البرية وهما يقعان في اوسط البلاد ما
وراء سلسلة لبنان العليا . ومن عين خارطة لبنان تتضح لأول وهجر ان هذا الجبل لا
يحتمل لير مياهه مجاري كثيرة الاتساع طوية المسافة . ولو نظر الناظر من عل لما
قاس بين ضلع لبنان للركزي وساحل البحر اكثر من ثلاثين كيلومتراً وكذلك في
حلف الجبل لا تروى سهولاً فسيحة رجة الارجاء . يمكن الانهار ان تتساب فيها وتأخذ
مداهلها في التفرج والتدوير كما ان الادوية اللبنانية وكلها على خط متساو قائمة على

قطب الجبل لا تتحسّل اتساعاً كبيراً. وفي الواقع أنّ أكثر انهار لبنان سيول لا يتجاوز طولها بض الاميال تندفع من اعالي الجبال دفقة واحدة الى البحر . وليس بينهما نهر واحد يمكن القوارب فضلاً عن المراكب الجري عليه . وذلك لكثرة انحدار مسيلها او لا يتوسلها من الصخور وهذا ما منع للأحين ان يجفوا نهرى الكبير والليطاني وكلاهما طويل المسير كثير الالتواء كانّ العليقة احدتهما ليوصلا بين جهات قاصية (١)



رُجا احتاص على الجغرافيين في وصف مجاري مياه البلاد ان يميّزوا لكل حوض النهر الاصلي الذي فيه تنصبّ قِيّة المجاري المائية كانهار ثانوية . وليس في وصف انهار لبنان مشكل كهذا لِمَا عرفنا من تركيب هذا الجبل ووجهته . والانهار اللبنانية تشبه اجهزة صنيعة قليلة الاشباك تجمع صكها في قناة مركزية الرطوبة التي تأتياها في فصول الشتاء الجداول الصغيرة الواقعة على جانبيها . امّا النهر الكبير الذي يسيل في وادي منبسّ لا في مضيق كتبعه من الانهار اللبنانية فله سواعد تنصبّ فيه اكبرها وادي خالد يكاد يساري النهر الكبير بكثافة مياهه حتى يبقى الناظر في ريب اي منهما هو الشبّ الاظلم وعلى كل حال لا يُنكر ان تبع وادي خالد اقصى سواعد النهر الكبير جنوباً وابدها من مصبّ هذا النهر في البحر . وكذلك نهر الليطاني فلائذ يسيل في وادي البقاع المُتسع تجد سواعده الجارية اليه فيجّة لجريها وهي ككلها بالنسبة اليه كمجار ثانوية اذ تنضمّ اليه في السيل المركزي . غير ان بعض كتبة الرب قد جعلوا عين جار كتبع نهر الليطاني . وما لا يُنكر ان مياه نهر الزاهر الذي يجري من هذه العين اوفر من مياه الليطاني التي ينصبّ فيها . ولكن قد وهم هؤلاء الكتبة بمحيطهم عين جار كاصل الليطاني لوفرة مياهها بدلاً من التبع الأقصى . فانّ الانهار لا تُعدّد بما يأتياها من السواعد بل ببنائها الاصلية القاصية . ولولا ذلك لُذّ نهر اليرموك كاصل نهر الاردن لتزارة مياهه وهو يصبّ فيه . وهذا منجب لا يسلّم به احد

واذا اعتبرنا هيئة مجاري الانهار في مسيرها وجدنا ايضاً ان هذا منوط بتركيب

الجبل فإنّ المياه تجري حسب وجهة الادوية وتركيب الصخور . فلما كانت هذه الادوية متساوية ومركبة من صخور كلسية لا تقوى على سودة المياه سارت الانهار فيها على خط مستقيم . واذا وجدت النهر يـرـج في سيرة فذلك دليل على اختلاف طبقات للكان الجيولوجية كما ترى في اكواع قنار لبنان الجنوبية كالدمور والاولي والزهراني فانها بعد خروجها من بين الصخور الصلبة (grès cénomanien) تبلغ الجهات المركبة من الصخور انكلسية السهة الانحلال فتعدل من الجنوب مائلة الى البحر . وهذا يظهر خصوصاً في نهر الاولي كما سترى

وهنا لا بد لنا من الفسات الانتظار الى النتائج الوخيمة التي اذى اليها تجريد لبنان من غاباته بحيث صار هذا الجبل لاهلاً بالبوادي القاحلة الجديبة وهو حي بان يكون في سودية بقرلة جبال الالب في سويسرة . وذلك ان مياه الامطار والثلج بدلاً من ان تتور في التربة وتنفذ في جذور الشجر صارت تتعذر مسرعة الى اسافل البلاد وهي تجرف في سيرها ما امكنتها من التربة والحجارة والصخور وربما هبطت الى الادوية قطع كبيرة من الروابي والجبال بقوة السيول والاعاصير . ثم توالى على الجبل آفة أخرى وهي آفة العزى والواشي التي تقطع النبات او تقتلع جذوره فقتل الجبل كل تربته الزراعية وانتصبت صغوره المتجردة وانفتحت فيه الوهاد العميقة للحجارة التي صارت مجازاً لسيول جاحقة لم تر سابقاً . واضمحى الماء آفة للغراب بعد ان كان نعمةً ينحصب التربة وينادي جذور الاشجار بالملاح النافعة التي يحلها . وهكذا تمل تلك الاعاصير الممطرة التي تصيب في كل شتاء بعض اقسام الجبل فتسد للزودرات وتهدم البيوت والطواحين وتغرب في يوم ما يحصل عليه بعد سنين من التعب . وذلك لان اصحاب الارزاق لم يحافظوا في جهلهم على النباتات وقطعوا اشجارها الثمينة بنية في الريح فاد عليهم طمطم وبالأ

فلما لاف هذه البراني ليس من وسية النجم من نصب الاشجار فانه قد ثبت بالتجربة ان مياه الامطار الساقطة على النباتات لا يسيل منها الا ستة اعشارها فينفذ في الارض ويسيل منها سبلاً منتظماً . وكذلك من الوسائط المسماة للامانة اضراى الاعاصير ومياه الفيضان الاحراض والقنوات لسقي الاراضي وتجربك الوسي

والآلات . فيصير بين الطبيعة والاعمال البشرية كتاباً في الحدم . وإنما كل ذلك ينهب سدًى بخراب التابوت والأشجار

وكذلك يجب ان ننسب لتجريد لبنان من شجره أكتاع مسيل بعض الانهار لاسياً في الجهات القريبة من السهل كما ترى في نهر يروت ونهر الجوز . فإن المياه عند خروجها من مضيق واديسا اذا قوبلت بأكتاع مسيل النهر لا تكاد تبلغ القسم العشرين منه فلا ترى منها إلا جدولاً صغيراً يجري بين الصخور المحللة وركام الحصى والرمل . وإن ذلك إلا ما جرفه النهر من اعالي الجبل في أيام السيول الشتوية . ولو كان الجبل مرسواً بالقباب كما سحا يهزم القرية ولا زحف امام هذه الصخور بل لبقى في حدوده

وفي الانهار صخور قليلة الارتفاع تقترض المياه فتتحد هذه منها مزيدةً فتلك الجبال . والتظاهر أن هذه الصخور شلالات قديمة حملت فيها المياه حتى انتقصت بالاحتكاك . وفي انهار لبنان منها كثير تتحد الأودية وميلها . أما الشلالات العالية فتالية اشهرها شلالة جزين طوها من سبعين الى ثمانين متراً . وتقل مياهها في الصيف حتى لا يبقى نسبة بين ارتفاعها وقلة مائها . وفي نبع اللين شلالة أخرى ومن خواصها القريبة أن المياه باحتكاك سطعها الذي تعبط منه قد تقهقرت نوعاً الى نبعها (١) . وعلى جانبي المياه جدران خرقتهما المياه فيمكن بتقدير ارتفاعها قياس عمل المياه وتقهرها مدة كروز الاعمار . وهذا شبه ما جرى لشلالات نياغارا الشهيرة في امريكا

٢

الصاب والسدود النهرية

وإن الاتحاد كما لا يخفى بقدر انقلبا من مصتها تنقص مياهها إما بالتبخر وإما بضياعها في قلب الأرض قبل ان تبلغ البحر وكيفية مياهها عند اقل منها في مسيرها . وهذا القالب على انهار لبنان لاسياً نهر يروت ونهر الجوز والزهراني . وما ينقص مياه نهر يروت ما يؤخذ منها لسقي المزروعات في السهل . لما نهر الجوز فأنه في الصيف يتقطع جرياً الى البحر

والانهار اللبنانية كلها اذا صبت في البحر لا تتسع ضفافها عند مصبها بحيث يتوَكَّب منها خليجان أو جُيُون بل لا ترى لها اخواراً صغيرة مستديرة . والسبب لذلك أولاً قلة مياهها ثم خصوصاً خلوص البحر المتوسط من المد والجزر . والجئون الواضحة تشكّون بصل الانهار والبحار معاً وذلك في البحار المفتوحة والسواحل للتحركة لقوة المد والائواء فهي قلعة على سواحل سورية لا تشرد الا عند مهب الريح الشمالية . ومعروف ان كل مجاري مياه لبنان تصب في البحر غرباً فلا نجد الامواج البحرية قوة كافية لتوسيع مصبها وحفر قاعها

وليس عمل امواج البحر كعمل المجاري والمد في توسيع مصب الانهار . فان هذه الامواج تأتي من غمر البحر منفجرة وتصدم الساحل على شكل زلوية حادة فتضلع منه حطامه ثم تنقل الى مصب الانهار مع ما تأتي به الامواج من الرمل بديرها المتوازي للساحل . فالجزي النهرية يميل بازاء هذه القوة العجيبة وينطف شيئاً فشيئاً ثم يتراكم في عرض مسيله حاجز من الرمل موازن للجري البحري . وبعد مدة تشكّون عند الساحل شبه جزيرة ترى في احد جوانبها الساحل البحري وفي الجانب الآخر ضفة النهر يضلان الماء للالح عن الماء الحلو على مسافة عدة اميال وهي ثمرة تمسك وبارة تشب على حسب اختلاف الادياع والمجاري ومد البحر

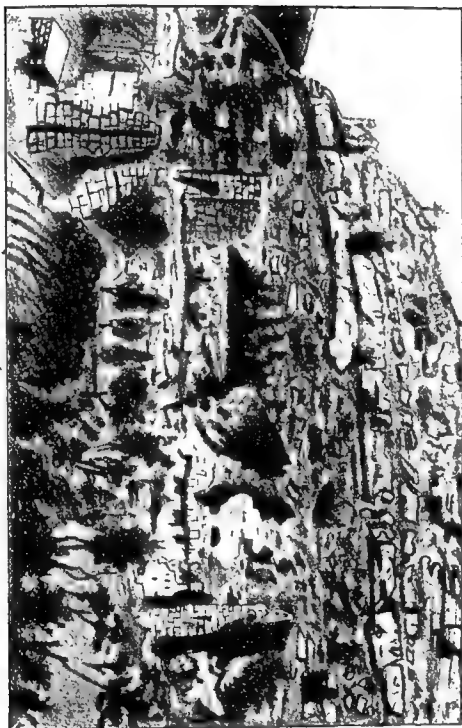
وهذا اصل الحواجز المختلفة النظم من الحصى والرمل التي ترى عند مصب الانهار اللبنانية . والنيل عند مصبه في البحر ينقل اليه الوف الوف من طئات الرمل والطين فاذا صار فصل الشتاء نقلت الريح القربية هذا المحمول الى السواحل فيتراكم عندها وتريد بها فرجتها . اما الباقي فينتقل الى جهات الشمال وتبديل ما رسب منها في طريقها بما تقتله الامواج من السواحل ثم تتور الرياح القربية التي تهب على سواحلنا نحو مبتي يوم في كل سنة فتقل هذه المواد الى مصاب الانهار وتدحرها فيها ولولا ما كسوة قوة النهر المتحد من مشارف الجبل لسدتها تماماً . على ان هذه القوة العاكسة هي دونه قوة البحر الذي لا يزال يقيم سوره الرمي في وجهه النهر ويقويه . وقد لحظ التقدم هذه المظاهر ففسرها نتيجة القتال الذي تشب بين اله النهر واله

البحر للدمر يسيرون إذ تراجعا بالحجارة . ويذهبون الى ان الحصى التكوّم عند مصبّ النهر هو كشافه على هذا التتل الزعوم . وكانوا يحملون خصوصاً موقع هذه الحروب عند مصبّ نهر الدلمور حيث يرى سدّ قريب الشكل من صخر الحجارة . وربما ساعد البحر في عمله النهر نفسه بما يجرّقه من الجبل من الطين وغيره . نعم ان هذه الحواجز غالباً تينة رخوة قليلة الثبات تتغير هيئاتها السيول الشتوية وتقسّمها الى اقسام متعذّة ألا ان البحر الذي لا يزال سطحه ثابت الطور يقوّي هذه السدود ويرصّها حتى يحصل من اجتماعها جزائر مثلكة الزوايا كما ترى في البطلاني

واكثما يظهر عمل البحر على مصبّ الانهار عند نهر ابراهيم . فانك تجد بين ساحل البحر والجسر القديم مسافة ٥٠٠ متر وفي هذه الفسحة آكام رملية عليها بعض نباتات من القصب وشجيرات خيفة ضاوية تدلّ على ان الفسحة تريد متانة وثباتاً . ومن اعتبر تركيبها وقف على عمل البحر كما انه يتّين فمل النهر في مفاكسه . وعندنا انه لمن المرجّح كون البحر كان سابقاً ينسر الصخور التي فوقها بني الجسر العربي القديم . وبقية السهل التي بين الجسر للذكور والبحر تدرك من جوف مجاري النهر والبحر المتساكنة ولا ريب هنذا ان مياه النهر كانت بعد خروجها من مضيق الوادي تنصبّ في البحر على خط مستقيم على مقتضى ميلها . اذ ليس ثمة حواجز صخرية او غير ذلك بما يبدل بها عن مسيرها والفسحة كلها مركّبة من رمل وطين يسهل قطعها . الا ان الرياح الغربية حملت هناك كمية وافرة من الرمل آفقتها كروية وعدلت مياه النهر نحو الجنوب فزاد مجرى نهر ابراهيم بتوالي الاصهار نحو الف متر . ولعلّ كان اطال مسيره جنوباً لولا ما يقوم في وجهه من الصخور المنتصبة على البحر التي تضطّره ان يصبّ في الجون الذي هناك

لما نهر الدلمور فان جوف الرمال البحرية والطين للنهري قد تكوّم عند سده الجنوبي وارتفع هذا السدّ وتكّن حتى مال بالنهر الى الشمال

ووجود هذه الحواجز يسمّ كل الانهار اللبنانية حتى ان نهر الكلب نفسه لا يخلو منها دغماً من موقع بين الصخور . وهذا النهر يصبّ قوّاً في البحر عند رأس شالي . لما الضخّة الاخرى فلا تتسع اكثر من متره لجرى المياه . فكان ينبغي للنهر ان يبلغ الساحل بكلّ قوّه بعد خروجه من مسيله الحرج فلا يعلّ يميناً او شمالاً ومع ذلك ترى



آثار التناج الرومانية عند نهر ابراهيم.

عند مصب سدّ من الرمل متحدباً من جهة البحر قائماً تحت الصخور الشايّة متركباً
من رسوب البحر وجوف النهر

٣

الانهار العامة

انّ ما سبق وصفه عن نهر ابراهيم والسهل التكوّن عند مصبه يقوده الى
الكلام من « الانهار العامة » كما سمّاها المؤرّخ هيروdotot متلفظاً . ولا مشاحة
فان للمياه الجارية عملاً متضاعفاً فانّها اذا ما اخرجت من جانب هُتّرت من جانب
آخروما مسحت من احد الامكنة نقلته الى محلّ فروع حيث يرسب ويترامّ بقدر ما
حفر وجوف في مسيرهِ . وانّا جَرَفَ الانهار وحماها اظهر للعيان ولوقع في القلوب
لانّ قسماً كبيراً من المواد الرسبية يخفى عن النظر في عمق البحار

والانهار اللبنانية من الانهار العامة فانّها استعصت هذا الاسم بما واصلته من
العمل منذ قرون متعدّدة . كان البحر في الاجيال النافرة يبلغ لحف الجبال فينطحها
بامواج التلاطمة دون ان يتوسّط بينها شيء من السهول بل لم يفصل بينها حاجز
من الرمل . فان تغلّبت هذه الحال قائماً ذلك من فعل الانهار فهي هي التي اقتلعت
من اعطاف الجبل ومتعذر الاودية تربتها وصغورها فدرستها الى الخلفان والافوار
البحريّة التي كانت ترى سابقاً عند لحف الروس الجليّة الدافقة في البحر فلم تزل
تنقلها اليها حتى امتلأ قاعها . وكانت الرياح التربيّة تهبّ في تلك الاثناء من جهة
البحر فتضج امواجه فكانت الامواج تندفع الى السواحل وهي حاملة موادّ ترابيّة وطيناً
من التيل المصري ورملًا قتلتها احمالها في مدخل هذه الخلفان فاجتمع عمل الانهار
والبحر ممّا وتكوّنت بذلك بعد مئات من الاجيال تلك السدود المحدثّة والاعكام
القليلة الارتفاع التي قامت بعدئذ في وجه البحر وردّت صدماتها كما ترى في صورة
نهر ابراهيم (انظر الصورة) الذي سبق عنّه الكلام . ومن درس سهلة الذي لا يزال
على مرأى منا يتّسع يوماً بعد يوم لحدك بانتظر ما يجري في سالف الزمان اذ كانت
اتوى الطبيعة مع العوامل الجويّة اشدّ فعلاً منها اليوم . امّا الانهار فبعلت هذه

السدود كمنّ تعمل من ورائه عملاً متواصلًا ماحيةً من اعالي الجبال ما امكنها من
الصخور والطين والحصى والذرة الزراعية منيةً بها السهول . قلت شعري أليس هذا
عملًا متواصلًا يقوم مقام الحراب والعمران

فلى هذا التوال تكوّنت شيئًا فشيئًا تلك المكثات الساحلية التي نرى عند
مصّب أنهارها والحقول الخصبة التي تمتدّ على ضفاف الأنهار في جوار البحر . وهذا
تاريخ السهول والحدائق التي ترين الساحل عند جونية وصيداء والدامور . والتي
في صحنها قامت قديما المدن الفيليقية الصامرة مع ما يحدق بها من البساتين . وعلى
الخصوص ساحل بيروت فأنه ثمة الأنهار والسيول التي تجتاز في اوديتها كوادي
الشوفات ووادي شعور ونهر الموت ولاسيما نهر بيروت فأنها كلها اجتمعت فأنت
بجوادها ووجدت في ضعف عملها ما يساعدها على اتمامه . لأمّا سهل طرابلس فأنه لست
درجب جوانبه كان يقتضي عملة انشط وقد تراطأوا على الشغل واحسنوا العمل
نحسّ بالذكر وادي بطران ونهر ابي علي والنهر البارد ونهر مكّار والنهر الكبير
وهو اعظمها . وكذلك الصغور حيث اليوم اسكة طرابلس المروقة بالبنينا وما
حولها من الاراضي فإنّ هي الا سهل تركّب من مجرفات نهر قاديشا وصار لاحقا
بالبر وانما كان في سالف الدهر جزيرة منفصلة عن سلسلة الجزر البحرية التي تعدّ
اليوم مرفأ البلبّة جنوبا ١)

وباجتماع هذه العوامل الثلاثة ومواصلة عملها على مدى الاجيال نشأت هذه الواحة
المحببة المجاورة لطرابلس . ومن اعتبر تركيبها من الصلصال والمواد الكلسية
التعددية من الجبل ودقّ النظر في تربتها السوداء اللزجة وما تغلّه تلك الانحاء من
الحبوب مع مزدعاتها الخصبة من الزيتون والنخل والتوت وقصب السكر ادرك عظم
شان هذه المدينة وحسن موقعها الاقتصادي كما انه لا يتعب بما كتبه في شأنها
الكتبة الفرنج في القرنين للتوسّط اذا اعتدوها كجنت عدن

(١) راجع وصف لبنان لدينر Diener : *Libanon*, p. 210 ثم مقالة الأستاذ مول
Hull في المجلة الفلسطينية الانكليزية (PRF, 1885, p. 175) راجع ايضا
H. Prutz : *of the physical Geology of Palestine*, p. 75 وكتاب H. بروكس :
Aus Phœnicien, IX

وهي العوامل فيها التي شَدَّتْ ساعدها واحسَّتْ العمل في جوار بيروت . فإنَّ هذه المدينة كانت كطرابلس وصور وصيدا . جزيرة صخرية تقوم فوق المياه وكان البحر العجاج يبسط ملكه فوق البر الذي ترى فيه اليوم غابة الصنوبر . فلما تحدرت السيول اللبنانية وملأت هذا النور بما سحط من لبنان وساقط مجاري البحر قسماً من تربة مصر الى سواحلها امتلاً البوخاص الذي كان جنوبي غربي للدينة واتصلت الجزيرة بالبر . ولنا شاهد حي على فعل البحر احيى التلعات الرملية التي جاءت من القارة الافريقية فتقلت على قول الشاعر لامتئين « الى نبع لبنان قطعة من صحراء مصر »

وهذه الظواهر الطبيعية انما هي نواميس مقررة استقلت اليها الانظار ارباب وصف البلدان منذ زمن مديد . وليس ما حدث في سواحلنا الفينيقية سوى مثال بمصر لما حدث في الامتصاع المصرية . فإنَّ مصر السفلى الى الثلث العظيم المروف بالدلتا لم يكن في عالم الوجود في غابر الأيام لاذ كان مجرى المتوسط يد مياحه وسيطرته على اسافل تلك البلاد الى سفح جبل القطم حيث شيدت بعدنفر القاهرة ولنا في تركيب شط العرب مثال آخر أقرب عهداً في ازمنا التاريخي . فان المياه بالآثار الاشورية يتفقون على ان اجتماع النهرين دجلة والفرات حد شط العرب انما هو حدث يهي على الأقل بعد الطور الاول من تخرين بابل وان النهرين كانا يصبان في بحر السجم كل مجرود لكن مياهما لم تزل تنقل الرواسب التي تراكت فالت بسورها الى أن التفتيا في السير وجوا في مسيل واحد قبل ان ينصب في البحر (١) . وحتى اليوم اذا نظرت الى الطين النقول مياهما تحققت ان ساحلها يزداد كيلومترياً لتساعاً بعد ثلاثة ارباع القرن . وقد ذكر البلاي ووكلو (الارض ج ١ ص ٢٧) خلجاناً من الماء اللالح صارت سهولاً بعد مدة لا تتجاوز حياة الانسان وكذلك مسايل كان ينبعث فيه الطلح اضعفت فتواء

أجل ان سيول لبنان لا تشبه إلا بعد انهار افريقية وما بين النهرين لكن عملها ايضاً على قدر قوتها فتوالت سهولاً قليلة الاتساع بالنسبة الى وادي النيل وسهول

بلاد العراق (١) يد أن العوامل واحدة والعمل واحد مع اختلاف سمه وعظمه بحيث
يمكناً تكرار ما سبق قوله بأن لبنان اقاد سوروية كما اقاد النيل ارض مصر .
ولذلك ترى كسبة الاسفار المقدسة اذا ذكروا لبنان فطلق لسانهم على مدحه .
قال ريتو (٢) : ان بلاد فلسطين كلها تشخص بالنظر الى مشارف لبنان وجومون
الكلية بالتلوج الفراء لان منها تأميا البركة والحصب واذا سمعت الفلاح كما الراعي
والقول كما النبي والعلم كما الشاعر رأيتهم جميعاً يستعيرون من هذه الجبال المباركة
ابعد ما لديهم من التشابه واجل ما عندهم من الرموز »



وقبل ختامنا هذا الفصل في انهار لبنان لا بد ان نرين يوجيز الكلام ما لبعضها
من الخواص بصفة حدود للماملات والايالات . فان منها وهو النادر ما يكون
كثير المياه طويل الجرى كالنهر الكبير الذي يحده فينيقية ويفصلها عن سوروية بمناها
الحصري اعني بين سوروية بطالسة مصر وسوروية السويقين (٣) . ومثله الليطاني الذي
يحده شمالاً بلاد فلسطين وفصل بين فوسلي صور وصيدا .

ولكن أغلب الانهار اللبنانية التي تحده الماملات انما هي مجار قليلة المياه وتجري
في اودية عميقة تنتهي عند البحر بمضيق او رأس يقوم مقام القلعة . واحسن مثال على
ذلك نهر الكلب فانه لم يكن حراً بأن يجعل من الحدود قصر يحجراه وقلة عرضه
الا ان مصبة عند رأس تدافع عنه بسهولة شرفة من الجند فتزدج جيشاً حرموا
جبل في خطراً ضليلاً في كل الازمنة . وقد كان هذا النهر على عهد الفينيقيين حدّاً
لاملاك بيروت في الشمال كما كان الدامور جنوباً يفصلها عن املاك صيدا . (٤) واليوم

(١) راجع ايضاً ما كتبه هيلملة كلرمون خاتو من تقسّم نهر الاردن الى الجنوب واتساع
صوبه في مجلة لوط (RAO, V, 277-280)
Erdkunde, XV, 16 (٧)

(٢) اطلب بشتان وهولشر : *Palæstina in der vorchristlichen und hellen Zeit*, p.8

(٣) وكذا كان على عهد الصليبيين يفصل الدامور ولاية بيروت من ولاية صيدا . راجع
سكتاب داي في المستعرات القرنية (Rey : *Colonies francaes*, 509)

ايضاً نهر الكلب من حدود لبنان يفصل قاطناتمية الملق من كسروان . وقد كان على عهد رعمسيس الثاني قاصلاً بين املاك المصريين في الشام وملكاء الحثين . والتأصب الذي اقامه هذا الملك عند نهر الكلب انما هو ذكرٌ ودليلٌ مما على حدود دولته (١) ويوجد مجرى آخر اصغر من الانهار السابقة مسيلاً واقل شأناً يزيد به جدول العاملتين الذي اتخذه القداماء ايضاً كاحد حدود البلاد . وفي عهد القرنج كان الفاصل بين البالة اورشليم والبالة طرابلس ٢٦ والسبب ان ضفة الشمال عند رأس حرج ضيق المجرى لم يكن السير فيه الا بقر الصغور لجواز الطريق الساحلية . وهناك اليوم برجٌ قديم دلالة على ما كان له من الاهمية العسكرية . وشالي هذا الجدول بتدنى بلاد طرابلس لما جنوبه فيلق بيروت او بصيداء على حسب تقلبات الدهر اذ يقتل مركز الولاية الى بيروت او الى صيداء . ومن هذا اشتق اسم للعاملتين الذي هو قديم في التاريخ كما يشهد على ذلك الكتابة العرب والراكون (٢)

وناهنا ملاحظة أخرى وهو انك لا ترى على ضفة الانهار اللبنانية لا مدينة ولا قرية مهنة (ZDPV, XXVII, 124) مثال ذلك حواضر فينيقية كصور وصيداء وبيروت وجبيل والبقون فكان حقيقاً بها ألا تبعد عن هذه الانهار . ولعل السبب في ذلك ان في جوار هذه الانهار وعند مصبها تكثر الامراض الوبائية والحشيات ويفسد الهواء . ثم ان الفينيقيين كانوا تجاراً لا يُتَوْن بالزراعة والزرعة ومن ثم لم يختاروا لمدينهم السهول ومجاورة الانهار بل كانوا يفضلون الرؤوس الداخلة في البحر والحلجان التي تصلح لمرافق سفنهم حيث يسهل عليهم في حصونهم البحرية رد هجمات العدو وركوب البحر وتأمين سفنهم من الرياح وتراكم الرمل ويسهل وسفها بالاضائع . وكل ذلك اوفى بالمرلم ضد الرؤوس الصخرية . وما يدل على انهم احتسوا اختيار موقع هذه المدن انها لا تزال في مراكزها القديمة مع ما طرأ عليها من التقلبات العديدة وصروف الدهر . بل ترى بعضها تتقدم كل يوم في معارج الفلاح

W. M. Müller, *Asien u. Europa*, 222 ; Schrader - Winckler, *Keltis-*

scripfien, 184

(٢) راجع المجلة الاسيوية (١٩٠٣ ج ١ ص ٢٦٧)

(٣) راجع اخبار الاميان (ص ١٨)

مياه لبنان البحرية

كان يجمل بنا بعد ذكرنا ينابيع لبنان ولها دور ان نفرد بمبحث بحيراته . الا ان البحيرات في لبنان غاية في الندرة . وقد سبق لنا وصف ما يرى منها اعني بركة الليثونة وبركة ثانية اصغر منها وهي بركة الزينة (١) وقد اطلقنا منذ زمن قريب على بركة ثالثة قريبة من الزينة لم نجد لها ذكراً في الحواشي اللبنانية تدعى رام الزينة ولعلها قامت الجرافين قريبا منها او لتشابه اسمها

وان اردت ان تروها فسير من بركة الزينة متوقفاً في الجبل نحو الجنوب فبعد ثلثي الساعة تبلغ الى وادي حرج لا منفذ له الا من شاله تحيط به الجبال العالية هناك رام الزينة وهي على شكل دائرة اهليجية طولها ١٢٠٠ متر في عرض ١٠٠ م ومياهها كدرة متوحة تتحرك من ذوبان الثلوج للترجعة للجبال التي تكسها فلا تسيل منها لعدم وجود منحدر تجري منه لان الجهة الشمالية المفتوحة تملو قليلاً عن سطح المياه فتسحب من السيلان . اما قعر البحيرة فيتركب من حجارة كلسية نخرة كطبقات لبنان العليا ولذلك لا يسلك المياه . فاذا وافي شهر تموز نضبت البحيرة ونشفت تماماً . وليس سلك في هذه المياه وانما ترى فيها الضفادع الناقاة وبعض الحيات للآنية

*

وتستد لدروسنا السابقة في مياه لبنان بقي علينا ان نبعث في مياه البحرية التي تمتد الى لطف هذا الجبل ونقسم كلامنا الى باين مدار الأول على المياه الساحلية وما يطلب عليها من الظواهر الطبيعية اما الثاني فنخصه بالساحل منه وهيئاته اعلم ان للبحار في كرتنا الارضية شأن عظيم لا يكاد يفني به الوصف وان

قصرنا النظر على مياه البحر وحدها وجدنا ما لها من الدور المهم في حياة سيوتنا فان الاوقيانوس كموضها العظيم وينبوعها الاول تتصاعد منه الاجمعة فتقطب البرود وتشتتها بمياه تنعشها وتحيا وتجعل سكناها عذلاً بل لذيذاً طاماً

كذلك سبق لنا وصف العوامل الجوية من انواء ودجاج وامطار التي تصمم اطوارنا وقيم جبالنا فتحتك بها وتقطع صخورها وتجرف تربتها الى السهول والى مصب الانهار واصحاق البحار . فكل ذلك من اعمال البحر ومن نتائج تحولات مياهه بالحرارة . فان السحب اذا تصاعدت من الاوقيانوس انقذت في اعالي الجو وتساقطت على هيئة ثلوج تجمد فوق مشارف الجبل وفي اوديته وتعمل في صخورها فتصلها ثم تدفع تلك النتائج والصخور الى اسافل البلاد فتتحول الى تربة زراعية . ومن هذه المياه ما ينفذ في قلب الجبل فينخره وتتكون بذلك المناور او تجري المياه فائرة بمقد ان اجتذبت بسيرها المواد المعدنية التي كانت مكونة فتنجس ميوئناً معدنية ذات خواص حمية . وما قولنا الان بالانهار التي تتدفق في كل انحاء العالم وتنقل في جسم الارض الحصب والقوة كلها الشرايين في جسم الانسان تحيي كل اعضائه . أليست هذه من افضال البحار الراجعة الى اصلها بعد دوران عجيب وسقي الارض العطشى

نعم ان ما يرى على الارض من ظواهر الحياة في المواليد النباتية والحوائية بل في حياة البشر كل ذلك مصدره البحار وحوكها للتواص . وكذلك لا يشك احد في ما لتتو الجبال وارتفاعها من التأثير في احوال الجو الان هذا الاختلاف الطارئ عليها بقوة سنن العناية الالهية انما تجريبه بجانب عظيم حركت البحر ومظاهره . فان كان الشتاء على وجه الارض أطف وحارة الصيف اخف وحالات الجو من طرف الى آخر تجري بتدريج لتلائمك الاحياء بتأثيرها على فورفا ذلك الا لان المياه البحرية تخزن الحرارة فتذشرها في الشتاء كما انها تلتطف شدة التبط في فصل الصيف . وكذلك في الاوقيانوس مجار تنقل المياه القطبية الى خط الاستواء ومياه خط الاستواء الى القطبين فتعادل بذلك احوال الجو ولا يتقل الهواء من حالة الى اخرى الا تدريجاً . ومثله الهواء فانه لولا البحار لكان شافاً لا يمكن استنشاقه وانما ترتبط المياه البحرية التي تكثر رطوبتها حتى تقاضي الارض مع الرياح . فالاوقيانوس افن يدمج الأهوية

ويجمل توازنًا بين انحاء الارض المختلفة ويبعث الحياة على الارض ويحفظها بعد ان عُنيَ
بتركيبها اذ حثَّ برمتها بواسطة المجرة وعبوره وانهاره.

١

المظاهر البحرية العمومية

تحت هذا العنوان نجتمع كل المظاهر التي تلوح في البحر المجاور لسواحلنا اللبنانية
فندون ما يخصُّه و ان كانت هذه الملاحظات قليلة ليست ذات بال . والسبب ان
بحرنا المتوسط احد الانجر الداخلية للقفلة لا يتصل بالاقيانوس الا ببوغاص حرج طرفة
بضعة لميال زيد بوغاص جبل طارق . ومن المعلوم ان البحار الداخلية لا تشارك
الاقيانوس الكبير باختلاف مظاهره ووفرة حركاته بل ترى كل شي فيها على نظام
واحد وسداجة عظيمة . وكذلك ليس مجال للكلام عما يحدث في البحار القطبية من
قطع الجليد الطافية على وجه الماء لتمد مجرأ من القطب كما انه ليس من اثر لجاري
المياه الحارة (Gulf-stream) . اما للدول الجزر فلا يكاد يُشمر بها

وزد على ذلك ان العلماء الذين درسوا خواص مياه بحرنا المتوسط انما اكتفوا
بمجاهة الغربية للبحارة ليطالية وفرنسة اما الجهات الشرقية منه اي الانحاء القريبة
مننا فان انجاهم منها جرت يتسرع فهي لذلك قليلة التدقيق . وهذا هو السبب الذي
يصده من تدوين النتائج للقررة والاعلامات الرائنة بهذا الخصوص . فان الاعداد
التي وجدناها من هذا القبيل غير مضبوطة اكثرها مبني على التخمين ودعا كانت
غير موجودة

❦

اعلم ان اول ما ينظر على ذهن العامة اذا نظروا الى البحر انه كهواية ليس لها
قر ولا حد يحصرها . ثم يقب التفكير فيردى بصاحبه الى ان يجمل لهذا القدر قياساً
على التعريب لكن الاسباب المذكورة آنفاً تحول دون هذا التحقيق ولاسيما في جهات
البحر الذي تهتنا معركة المجاور لسواحلنا . ولما يحوز القول بالاجمال ان اقصى اعماق
هذا البحر المتوسط او بالحي هذه البعيرة الداخلية ليست هي الانحاء الغربية منه .
والذين سهروا القدر في التراسي المصرية وجدوا فيه اعماقاً تليف عن التي مسرت

والاقسية للحاددة التي اجراها الطاء في سواحل بلاد الشام بعيدة عن مثل هذا القمر الميق

ثم ان الاعماق القاصية تكون عادة عند النقط البحرية المجاورة للصخور السوداء التي تغرس تراً في البحر لاسيما عند الرؤوس الساحلية والمشارف الصخرية التي تطل على شج المياه فان الرياح الزمازع والاثواء تنير الامواج وتصل بلا انقطاع في اركان الصخور واصولها . اما اذا كانت السواحل تتزكج من الرمال فتقى قعر البحر لا يتعدى الا تديجاً حتى ان عمق المياه لا يزيد عن عشرين او خمسة وعشرين متراً على مسافة تختلف بين كيلومتين الى ثلاثة كيلومترات . وليس السبب خلوص هذه الاسكن من الرياح والاثواء التي تخزع اعماقتها . انما يتلى الحفر بما تأتيه المجاري والرياح من الرمال اما من السواحل عند هب الريح ولما يجروف الانهار من اعالي الجبل

والذين فحصوا عن اعماق الخور المنسوب للضرب يقرب يروون وجدوا ان معدل قعر البحر في الكيلومتر الاول بين ثمانية ابواغ الى عشرين باعاً انكليزياً (١٠) والباع الانكليزي متر ٨٢ ستيماً اعني من ١٦ متراً الى ٣٦ م . اما غور جونية فأعق فان قاع البحر على مسافة خمسمائة متر من الساحل يبلغ عشرة ابواغ اي نحو ١٨ متراً كما ورد في خارطة الكومندان الانكليزي مؤنسل التي سبق تعريفها في مقالاتنا من خرائط لبنان وبازاء هذا الخليج صينه على مسافة نحو ثلاث ساعات من الشاطئ قد وُجد أقصى غور سُب بالقياس في الساحل الصيقي وهو يبلغ ١٠٨٤ متراً . واذا تقربت من الساحل بازاء بروج عرش جنوبي جيبيل كانت نتيجة السبر ٢٣٠ باعاً انكليزياً . وكذلك الجهة التي هي بازاء مصب نهر الكلب فانها بعيدة القمر . ونذكر اننا قبل بضع سنوات اذ كنا نتجول على الطراد الافرنسي شقي لم يمكن ان يرسو هناك قصر سلاسله التي لم تبلغ القعر . وفي الواقع ترى الخرائط البحرية فجبل عرق هذا المكان ٢٧٠ باعاً انكليزياً . وبخلاف ذلك بينا طرابلس وغورها المتسع فان عمقها قليل يتراوح بين ستة وثمانية ابواغ . ما لم تيسر الى بُد كيلومتين او ثلاثة

(١) راجع خارطة لبنان البحرية والارقام فيها بالابواغ الانكليزية وهي تدل على اعماق

البحر

كيلومترات من الساحل وهذا ما يضطر السفن البخارية بأن تبعد عن الشاطئ وإذا ما أراد أهل الامر أن يمتدوا رسى هذه المدينة فلا بد لهذا المشروع من نفقات طائلة فلهذا هذا العمق كما سبق

أما منخل ميتا بيروت فقام مياحه ١٥ متراً . وهذا العمق لا يرى وراء السد الكبير إلا على نحو مئة متر منه ولن سرت شالاً الى مسافة كيلومتر وجدت غور البحر بالغا ٢٩٠ باعاً بينا العمق في جون الحضر على الخط نفسه وعلى مثل يمد من الساحل لا يزيد على ٢٥ باعاً الى ٣٣ . وفي ذلك تأييد لقولنا عن الاعماق المختلفة التي تروى عند الصخور الساحلية وعند السواحل الرملية

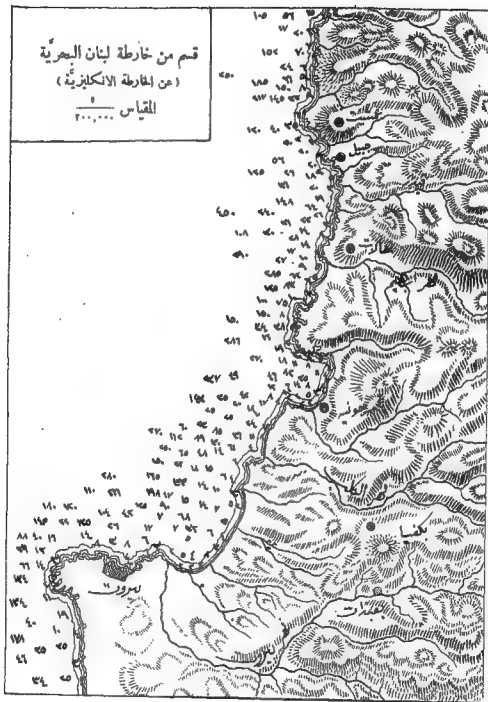


وأعلم ان تبخر المياه في كل البحر المتوسط سريع جداً . وهو على سواحل فرنسا وساحل جنوة لا يقل من ستيمتر كل يوم في فصل الصيف ومجمل ما يتبخر منه في اشهر الصيف الثلاثة ٦٠ ستيمتراً . أما سواحل الشام فلا وراء بان تبخر مياها اعظم لارتفاع ميزان حرارتها . وقسم من هذا الماء الذي يقوده مجرى مياه الى بالامطار النادرة التي يجاد بها وبالانهار التي تجري اليه وهي بالنسبة الى ما يجمره ثلث كميته . ولولا اتصال مجرى بيوغاص جبل طاروق ومنه بالاقيانوس لقلت مياحه الحلوة وزادت ملوحة واضحى كبحر لوط في طعمه إلا ان الاوقيانوس يده مياحه وهي اقل منه ملوحة ويروض له خسائره فيتوازن البحران

وأعلم ان مياه الاوقيانوس تأتي مجرى بمجرى عظيم يتحد على وجه البحر المتوسط الى مسافات بعيدة . وكذلك يحدث على طول السواحل مجار اخرى منها المجرى الذي يتقل الى سورية ومل مصر وطين نيلها (١) . وحتى الآن لم يُحسن العلماء معرفة خواص هذا المجرى ووجوه قوته كما انهم يجهلون امورا كثيرة متعلقة بالمجاري البحرية وعلاقات الاوقيانوس ببحر المتوسط . ونما افادنا بعضهم بخصوص المجرى الموازي لساحلنا ان قوته تبلغ في كل ٢٤ ساعة شرين كيلومتراً سيده من الجنوب الى الشمال . وهي افادة زوينا

قسم من خارطة لبنان البحرية
(من الخارطة الانكليزية)

المقياس
1 : 200,000



على حالتها اذ لم يمكننا تصحيحها. والجاري البحرية في البحر المتوسط من الظواهر التي ليست ذات شأن عظيم كما هو الواقع في البحار الواسعة وذلك لظهور من المد والجزر ومن الانهار الوافدة والأخوار العميقة للتمصع بالواضيس الضئيلة (١)

ومن ينقص مياه بحرنا لم يجد فقط ثقلها النوعي اعظم من المياه العذبة بل شحها ايضا لن ثقلها وهو (١,٠٢٩) فرق ثقل الاوقيانوس (١,٠٢٨) بلمقد. والظاهر ان سبب ذلك حرارة الشمس التي تمص من مياه بحرنا اكثر مما تأتي به الانهار. فاقبى من الماء يزيد ثقلاً لوفرة املاح التي لا تتبخر. والامر في جهاتنا السورية اوضح لان انهارة لا تنفي البحر بمرادها كندرة مياهها. وعليه فأتينا نظن ان ملحوة بحر الشام تتجاوز ٣٨ مللترًا وهو مدلل بقية البحر المتوسط. وتعليلة قلة المياه النهرية العذبة كما سبق ثم امتداد جهاتنا عن يوغاص جبل طاروق حيث يأتي من الاوقيانوس مجرى من المياه اقل ملحوة. ولعل قوة هذا المجرى لا يظهر اثرها في جهاتنا السورية. ولنا على ذلك بعض الترويض بالكسبات الوافدة من الماء العذب التي يصبها النيل في بحرنا فتأتينا بجري ساحلي مع ما يأتي من الرمل

قلنا ان المد والجزر قليلان لا يكاد يحس بهما الناظر. وسمتهما في سواحل الشام مختلف بين ثمانية وعشرة سنتيمترات. ولحظة المد والجزر نتيجة اشرا اليها في مقاماتنا من مجاري الانهار في لبنان وهي انسداد هذه الانهار بما يراكم في مصبها من الرمال فيضطر الاهلون بان يشقوا مراسي منهم الى مسافة لبعد على الساحل كما ترى في مرسيلية بالنسبة الى نهر الرزون وفي الاسكندرية بالنسبة الى النيل. وهذا مما حدا بالتيقنين ان يبنوا منهم على مسافة من الانهار

*

قد قيل ان الحياة تظهر خصوصاً بالحركة. وليس في الطبيعة كمن احيا من البحر. وحياتنا هذه تلوح بسلا غير منقطع لاسياً بتأثير في البرود التي لا يزال يتبدل هيئتها وذلك على نظر منا. وبذلك القارى ما قتناه سابقاً من اعمال الانهار التي نسبتنا

(١) رجع ما كتب في المجاري الساحلية ككتبرون. Kaltbrunner : *Manuel du Voyageur*, 438 - 439

لها خراباً وعمراً وهذا يصح أيضاً في البحار . ثم تشهد بعض النصوص التاريخية التي أُلحنا إليها على وجود جُزُر صغيرة بازاء بيروت او على مقربة منها . والدليل على ذلك ما ورد في القرن السادس للمسيح في قصائد الشاعر نونس المعروف بالديونيزياك (Dionysiaques) فائدة وصف بيروت وصفاً يدلُّ على نظر اللبان وبنيتها بالمدينة الجبيلة الجزائر (Edmonac) . وكذلك جاء في تواريخ الفرنج ان ديراً أُقيم في إحدى جزائر بيروت (ZDPV, X, 310) فوجود بناء كهذا لا يكون الا اذا اُنتسبت الجزيرة بعض الاتساع . ثم ان خرائط مرسومة في ذلك العهد تشهد ايضاً على وجود جزائر مجاورة لبيروت (ZDPV, XXI, 116) . فكل هذه الأدلة تبين صحة الامر بلا محال . فترى كيف تولدت هذه الجزائر ؟ ألبتخاف في الارض او زلزلة ؟ هذا ليس بمحال . ولعلها خربت فيما خرب في الزلزال الذي ذكره القريني في تواريخ المالك (Ed. Quatremère, I, 1^{re} partie, 145) حيث قال « ان سبع جزائر من بلاد الفرنج في الساحل خُسفت وتوارت في غمر البحار » . وقد بقي من هذه الجزائر صخور تطلو سطح البحر اعظمها شأنًا جزائر الحمام في رأس بيروت وآثار المياه فيها ظاهرة وهناك مبرخنة الامواج في وسط صخورها وهي لا تزال تعمل فيه ريثما يتم بها عمل المياه فتتوارى بقايا هذه الجزيرة في قاع البحر وما يقال في تدمير المياه أنظر للبيان في الزئوس الصخرية فان اسافلها مرساة للمجاري المائية التي لا تزال تنخرها . وانما عمل البحر فيها يختلف في السرعة على حسب وجهة الامواج وتركيب الصخور وصلابتها . وبذلك يملأ نثر الصخور الساحلية وهبتها المتقوسة كما ترى في رأس بيروت . وكذلك الانوار والكهوف والحنايا المستديرة التي تحكم منها مياه البحر فيقتضى بحسبها العجب

٢

أَكْشَبَةُ الرَّمْلِ

ومتما يوط يدرس المياه الساحلية في لبنان أَكْشَبَةُ الرَّمْلِ التي تتراكم على الشواطئ بفعل البحر . وترى هذه الكشبان على سيف مجرى التوسط وهي قليلة الارتقاع لضيق دائرتي وقلة ما يجري فيه من الماء والجزر فلا تستطيع الرمال ان تجد مداها

من الحركة والانتشار . لما تكوّنوا فيحدث عادة في الشواطئ الرملية القليلة الانحناء . فتسبب الرياح دقاتها وتنقلها من مكان الى آخر حتى اذا وجدت في طريقها حاجزاً من صخر او نبات تجتمعت حوله ولا تزال تنمو شيئاً فشيئاً الى ان تصير على شبه ريوقة . ثم تهب الرياح وتلعّب السواقي في اعالي هذا الكتيب التي لا تمنعها امواج البحر فتندي رمالها اليابسة وتنقلها الى ما وراء . هذا التلّ فيشكّون منها تلّ آخر وهلمّ جراً . لما الامواج فتناطح سفح الكتيب الأوّل وتنقل اليه رمالاً جديدة تملأ وتنكمّون فتصل الرياح فيها كما فعلت سابقاً . وهكذا لا تزال هذه الهضاب الرملية في حركة دائمة تتقدّم الى الامام دون انقطاع . ويكون امتدادها بأن تجري الى حيث تجد نثراً من الارض او حائناً فتجتمع حوله ربيّ جديدة مستندة الى اطراف الاكشبة السابقة . وهي لا تلبث بعد حين ان تولّد أسكاًماً اخرى فتتصّب على شبه سلسلة من التلال المتحركة يفصل بينها ألهاب وادوية ضيقة مستطيلة (١)

على انّ الاسكام الرملية التي تُرى في سواحل بحيرة المتقلّ الحلي من البزور والد ليست كأكشبة البحار الواسعة . كما انه لا اثر لهذه التلال في السواحل الوطنية للتركية من المواد الصلابة او الصلبة التي لا تحركها الرياح والامواج بسهولة كفعالها بالرمّل وانما تتكوّن فيها سدود من الحصى التي تقلبها الامواج على بعضها الى ان تُفصل بالاحتكاك وربما تكوّمت اكواماً دون التلال الرملية علواً واتساعاً

وان سرحنا البصر في سواحل بلادنا وجدنا مصداقاً على قولنا اذ لا يوجد من هذه النشور الرملية الا في بعض تقطع معلومة ترح فيها الامواج والرياح مما كثل اشباه جزائر صور وبيروت وطرابلس . وكتبان الرمل لا تتكوّن في كل هذه الجهات من جهة الشمال بل من التراب حيث الشواطئ السفلى الرملية فتسببها الرياح الرئيسية للتواصلة فتتراكم فعالها . وهذا بما يلوح خصوصاً في نواحي بيروت فسقّى ثمت تولّد الرمل الذي يذخّ يجرّله ورجله ويخلي سهولاً خصبة تنوص في وسطها بيوت ولشجار لم ينظر الناظر غير اعاليها . وكذلك طرق المجلات فان الرمال تملأها بحيث لا تعود تصلح للسير

(١) راجع ما كتبه روسكوف في كيفية تكوّن هذه الاكشبة في كتابه « الارض » ج ٢

على أن هذا الداء دواء إذ يمكن أن يُحمل حدٌ لعل الرمال بالزراعة ونصب الأشجار التي وحدها تقوم بازاء هذا الداء الواجب فتقوى على ذرقته ودقائه. ومن السبب السبب أن في هذه الرمال مع يابستها قوةٌ خصبة ومائيةٌ كافيةٌ لغذاء بعض النباتات التي لا تؤذيها الرياح البحرية المشبعة ملحاً بل تمتد جذورها الى اعماق الباقية لتمتص الرطوبة التي تحتاج اليها لحياتها. فمن ذلك بعض النباتات الزاحفة الطويلة الانصاف على شبه الجبال كاللوب قراها تمتد على وجه الارض كشبكة تربتها بزهورها واوراقها. ومن النباتات الرملية اشجار اليسوزا والصيبر وبعض الشجيرات المشوكة وكلها يرث غارات الرمل ويمنع عن أن يتعدى طوره.

لكن هذه الوسائط ربما قصرت عن ادراك الناية او بطلت منافعها كما يجري كثير من الشات الفض الذي يأكله الماعز. فلا بد من اتخاذ احتياطات اعظم بنصب اشجار تقوى على السواقي وتسد الطريق في وجه الرمال. وهذا ما قامت به الدولة الفرنسية في إحدى مقاطعاتها التي كثرت فيها الرمال وهي مقاطعة عسكرية المجاورة للادرياقوس فان الرياح مع الامواج البحرية كانت تسفي عليها كمية من الرمال كادت تسببها كالكفن بعد ان غمرت قسماً من قراها. فاردت الحكومة تلافي هذا الامر فباشرت بنصب غابات الشجر منذ نصف قرن وهي لا تزال جارية في العمل وحتى تنجزه عتاً قليل فصارت كشبان الرمل في بلاد عسكرية مودداً للثروة بعد ان كانت آفة متلفة. فان غابات تلك العاملة الواقعة جنوبي غربي فرنسا تمتد اليوم ككتفي لها لما يستكثر منها من الخشب وما يستخلص من الموانع الانتيجية وهي تساوي في السنة مئات الوف من الفرنكات. أما الغابات نفسها فيشتملها المارون بخمسة وعشرين الى ثلاثين مليوناً. ومن القوائد التي احدثتها تلك الجبهات بفضل الغابات اشباب وافرة يبتها الرمل الرطب وهي تصلح للدواشي. وكذلك قد تلاشت المستنقعات التي كانت في تلك الانحاء لان جذور الشجر امتصتها شيئاً فشيئاً الى ان يبيت وصار الهواء بقائها نقياً طيباً واضحت الغابات على هذا النمط زينة وشفاً مآ

وهنا فليسبح لنا لرباب الاران نستلقت انظارهم الى رمال بيروت التي يمكنها ان تنحصب مدينتنا وزينها اذا ما اعملوا فيها ايدي الزراعة. واول ما ينبغي فعله ان لا يخصص للبدون وللرعان ان يروا فيها مولسيهم. فان رمال بيروت في الربيع تأتي

شيء من الكلام وببعض الابنية التي يكتبها ان تشمو وتزكو لولا يتجول فيها هؤلاء الرعاة بقطعانهم فيجولونها الى رمال جوداء تتلاعب بها الرياح وتنتشرها على انحاء المدينة في بعض فصول السنة بدلاً من ان تكون بقعة خضراء خضراء تروق العين بضادتها وتخصبها بخرائها

ولنقع من ذلك ان ترس انصاب الصنوبر فان هذا الشجر كما حُفَّت الاختبارات التالية شرقاً وغرباً انجبع حواء لهذا الداء وقوى عامل على رد غارات الرمال . ومن ثم لا يواظب الانسان غير نفسه ان تناقض في استعمال هذه الواطئة القريبة المثال التي من شأنها ان تصلح تامله وهو السبب الاوحد في ما يجري من الحفل في تولد قوى الطبيعة المتسمة وفقاً لنظام العناية الصمدانية

ويؤيد قولنا ما كتبه في هذا الصدد كل الذين يجشوا عن تكون الأكشبة الرملية فانهم يتفقون في القول بان هذه التلال حديثة النشأة وان في مكانها كانت سابقاً تجمد الاحراج والغابات فلما قطعت اشجارها استولت عليها الرمال . وهذا قول عمومي يصح في السواحل الاوربية كما في سواطي بحرنا . ومن تصفح التواريخ البيوتانية او اللاتينية لا يجد ذكراً لهذه التلال الرملية الى هذه القرون الوسطى بل تراهم على عكس ذلك يشيرون الى الغابات القائمة مكانها او في عمارتها

ان في نصف الطريق الجارية بين صيدا وبيروت في الملح المعروف بني يونس بناء قديمة تراكت عليها الرمال فلم ير منها الا قبعتها البيضاء . وهي بناء اسلامية بلا شك تدل هبتها على اصلها وزهتها . تكون الرمال تواردت عليها حتى كادت تغطيها بظرف بضعة مئات من السنين . وكذلك اذا سرت شألاً الى شهر التسدي على مسافة نصف ساعة جنوبي خلة بلغت موضعاً يدعى التصر كان بقرية حلة تغطيها الرمال في هدة . والرجح ان ذلك حدث بعد الاسلام فيكون عمل الرمل فيها حديثاً . وفي نقط اخرى من الساحل عند رمال بيروت آثار تدل على عمران سابق وحديثة هذه الرمال

وقد ذم بعض الكتبة ان اصل بيروت من غابة صنوبرها وان معنى اسمها الصنوبر . وهو قول ضعيف والرأي الاشد ان اشتقاق اسمها من البلد ومبناها مدينة الآبار . لكن في هذا الزم نفسه دليلاً على قدم غابات صنوبر بيروت وقد افردنا لذلك مقالة مستقلة (راجع للشرق ١ : [١٨٩٨] : ٩٣٩-٩٤١) حيث اوردنا عدة شواهد على قولنا

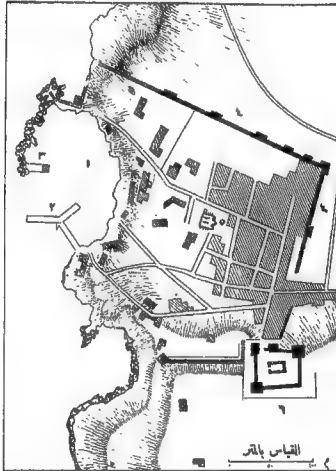
فلترأى فأنها تثبت أن قسماً من شبه جزيرة بيروت كان مزدناً بناية من الصنوبر
وبقيت هذه الحال الى القرن الثالث عشر كما يشهد على ذلك الشريف الادريسي إذ
قال ان « غابة صنوبر بيروت اثنا عشر ميلاً في التكسير تتصل الى تحت لبنان »
وهذه المسافة الواسعة لا تدع مكاناً للزراع كما ترى اليوم ما لم يُقَلَّ أن هذه الغابة
كانت تشغل السهول التي فيها اليوم مزارع الزيتون وهي المعروفة بصحراء الشويفات .
وهو قول بعيد لأن هذه المزارع كما يظهر قديمة ايضاً ورد ذكرها فيا لدينا من
سجلات وتواريخ القرون المتوسطة . ويكتفي لرد هذا الزعم ان القننة الرومانية المعروفة
اليوم بقناطر زبيدة لم تُتخذ غالباً الا لستي هذه المزارع الواقعة في ارباض البلدة .
وبقيت غابة بيروت زاهرة غيباء بعد الادريسي فان صاحب تاريخ بيروت (ص ٥٧)
ليس فقط يذكر ما كانت عليه سهول بيروت من الحصب والزعبل بل يروي ان
اصحاب الامر اجتمعوا من صنوبر المدينة عادة لمبارية اسطول صاحب قبرص وقد وصفها
بحسرة : « قيل انه لم يهد قط عمارة مثلها عظماً وسرعة وكثرة صنّاع وقوة حزم » .
ومع هذا الوصف البالغ للمعارة لم تنفذ الغابة لأن المسافرين الذين زلوا بلاد الشام
في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ذكرها بيد انهم لم يجدوها في اناسها
السابق . وعندما ان الزمان اخذت منذ ذلك الحين امتي بعد تجهيز عمارة بيروت في
اواخر القرن الرابع عشر ان تمتدّى طورها . لأن ما قطع من الصنوبر لم يُروض
عنه يترك اشجار غيرها وربما قطعوا منها غيرها بعد ذلك كما فعل محمد الجزائر (١) .
ومن ثم لم تجد الرمال ما يتعرض لها في سيرها فتراكمت الى ان وصلت الى حدها
المعروف في زماننا وهو امر يوسف له وتنمى ان اصحاب الرواة يتلافون الامر وقد
يُنْتِج لهم ما وراء هذا الاصلاح من القوائد والارباح الطائفة مع ما يجزم منه من
الزينة للبلد والتلطيف للهواء

٣

ارتفاع الساحل البحري

ان ساحل فينيقية منذ ابتداء طور العالم الرابع لم يزل يرتفع شيئاً شيئاً الى الازمنة

المروفة بالتاريخيّة. وهذه نتيجة البحوث جيولوجيّة مقرّرة اثبتتها حضرة الاب زموغن في كتابه رسم لبنان الجيولوجي (١) تلخّص هنا أدلّته مع اضافة معلوماتنا الشخصيّة قد اتسعنا في مقاتلتنا عن مجاري لبنان النهرية في وصف السدود التي تروى في مصب كلّ انهار لبنان واثبتنا اصلها بفعل مياه البحر والانهار معاً. وهنا لا نرى بداً



رسم جيل نقلاً عن السيّد راي

١ المرفأ ٢ بناية المرسى ٣ بقايا برج ٤ سور البلد ٥ كنيسة مار يوحنا ٦ القلعة

من زيادة عامل ثالث لظهور هذه الحواجز ألا وهو اندحار المياه البحريّة عند ارتفاع

الساحل الذي يتولي الاعصار ثأراً تدريجياً وتصاد . ومن الشواهد على ذلك انك ترى على طول الساحل سلسلة من الصخور تطفو الآن فوق المياه البحرية طفواً يختلف تحديد ارتفاع هذه الصخور في اعلاها مسطحة دلالة على فعل الامواج فيها اذ كانت فائضة في المياه . وفي امكنة اخرى ترى كيات من الحصى الصقولي باحتكاك المياه على بعد من الامواج او على نشرها لا تبليها حتى في الاتواء الشديدة . فوقها دليل على ارتفاع السواحل مع ما يصعب من تتهقر المياه

وزد على هذه البينات المبرهنة دلائل اخرى تُستفاد من فحص بعض السواحل اللبنانية . فمن ذلك ان الصخور التي بُليت عليها صيداء في سالف الاعصار قد ارتفعت كما يلوح ذلك من قلة المياه في مرسى تلك المدينة . وكذلك امام الدرية عنها جزائر وصخور يُرى مثلها امام صور وطرابلس وكلها حديثة العهد مرفجة من الرسل المتلاصق التصلب والمجون بالاصداف البحرية وهي كانت سابقاً في قعر المياه فلما تحدرت المياه ظهرت هذه الصخور متصاعدة فوق سطح البحر

وانا شاهد آخر على قوتنا في الراسي الفيضية فان ما يُرى فيها اليوم من الصخور ثم من تراكم الرمال انما سببه الاول ارتفاع الساحل . وان اعترض احد علينا بقوله ان السفن الفيضية القديمة لم تكن تحتاج الى غور عميق من المياه اذ يفيدنا التاريخ بانها كانت تشبه بقوارب كبيرة مسطحة كذهبيات مصر التي يمكنها ان تصعد النيل الى حدود الاقصر . اجبتا بأن الامر معلوم ولكن هبنا ان تصدق اليوم اوصاف المؤرخين للمراسي الفيضية القديمة وهم يبالغون في ذكر رحبها وأمنها للسفن أما اليوم فلا تكاد هذه المراسي تشمل اكثر من احدى سفننا التجارية كما انها لا تقي المراكب من الرياح وانواء البحر . وانما تنتهي اليها قسط بعض السفن الشراعية الخفيفة . فلو لا ارتفاع الساحل لا أمكن تليل هذا الامر . ولن قيل ان هذه المراسي ملئت بالصخور والاطلال على عهد الامير فخر الدين المعني . قلنا ان هذا الواقع قد تناقش قوم من الكتبة اللدنيين ولم يستدوه الى مؤرخ ثقة . فلو صح لا سكت عنه كسبة زمانه او احد المتناصل والتأخر الاجانب الذين كانوا يتاجرون في بلادنا على عهد . والاربع عندنا ما قلنا وهو سبب طبيعي ثبت اليوم بالبحث الصحيح ومن ثم لا نرى سندا لا ترويه العامة من فخر الدين انه غمر مرسى صيداء بالاطلال والصخور

هذا وقد اشرنا غير مرة الى قول الجيولوجيين بان هورت كانت في الاصدار
الفاخرة جزيرة تحيط بها المياه بحيث كانت هذه المياه توصل خليج الحضر بوادي شعور .
اما اليوم فبين هذين الطرفين سهل مخصبة ليس لوجودها تعطيل أثر الارتفاع تلك
الامكنة . وكذلك قد وجدت في امكنة شتى صِدْر من الحصى البحري المصقول
والصدف منها على طريق الشام عند المعلم المعروف بلوكسدة الطران ومثلها على
منحطف الاشرفية عند مار ديتري وهذه الامكنة تتراوح بين عشرة امتار الى ١٠
متراً فوق سطح البحر فلا شك ان وجود هذه الآثار البحرية دليل على ان المياه
كانت تغمر تلك المجلات ثم تحدرت بارتفاع تلك المواقع

وعما سبق لنا قوله في مقالتنا عن مجاري لبنان النهرية ان سطح المياه عند مصب
نهر الكلب كان سابقاً اعلى منه اليوم وأيدنا رأينا بأثار السكك المصرية والاشورية
والرومانية وكلها تروى في قطط الطريق الحالية . ولا نظن ان الاسم القديع قمت
هذه الطرق في تلك الاشوار الصعبة لولا انها كانت مضطرة الى ذلك بما وجدته من
الروايات الطبيعية في سيرها ولاسيما ارتفاع المياه البحرية والنهرية معاً . وهكذا يجوز
شرح نص اسطرابون حيث قال ان نهر الكلب يمكن خوضه بالسفن وقد مر . وزد
على ذلك ان في الطريق الرومانية التي هنالك بقايا اصداف بحرية وحصى مدلوكة
ملتصحة ببعضها . وهو دليل على بلوغ البحر الى تلك النشور في الازمنة السابقة
للتاريخ . وعليه فتستحق الادلة على الطورين معاً . اما كون الطريقة المصرية فوق
الطريق الرومانية والطريق الرومانية اعلى من الحالية فهي ذلك دليل ظاهر على ان
تحدر المياه وارتفاع الساحل كان تدريجياً بمرور الدهور

وكذلك ترى بين نهر ابراهيم وجبيل وبين جبيل والبتون جنى من الاصداف
البحرية على علو عشرة امتار من سطح البحر حالياً . وذلك مما يثبت ايضاً قولنا عن
ارتفاع الساحل

ثم انما في ملاوي كلامنا عن ثمة (راجع الجزء الاول ص ١٤٦) ذكرنا لها
خندقين خليطين نُقِرا في رأسها الذي يتروى موقع البلدة . واليوم اذا اجتعت قمر هذين
الحديقين اللذين يفصلان رأس اقة من البحر وجدتهن باساً لا تُصل الى البحر . وهذا
ان الامر كان على خلاف ذلك في عهد الفينيقيين وهم الذين قاموا بهذا العمل

المظيم ونحروا الحندين ليجلّهما ماء البحر ويردّوا بها غارات العدو من الجهة الشرقية عن المدينة التي كانت حصناً حصيناً فان يبوستها اليوم تدلّ على أنّ الساحل ارتفع فلم تعد المياه البحرية تتصل بهذين الحندين وكلّ هذه الأدلة والأثر التي ذكرناها قد جُعلناها من امكنة شتى على الساحل النينقي مباشرة من مصب نهر التماسية الى نهر ابي علي . وهي تبين على أنّ الساحل النينقي ليس قطعاً في الازمنة الساجدة للتاريخ لكن بعدها ايضاً لم يزل على تصاعد متوالٍ والبحر على تقهقر وتحدّ . وفي كل ذلك تتحقّق السنّة التي وضعها الخالق عزّ وجلّ فانّ البحر لما كان يطني ويبني فيدمر بياحه الساحل صار لذلك فعل انعكاس من جهة الساحل بأن ارتفع واعلى فظهرت الحكمة الصدفية التي جعلت للطبيعة سنّة توازن القوى لا تتعداها . وفي درس الجغرافية ما يكشف لنا القناع من هذه الحقائق والسنن التي فيها نظام الخليقة كلها

١٣

السواحل اللبنانية

ألّمنا في خلال درسنا لرسم الجبال اللبنانية الى السواحل النينقية قلنا انّ من خواصّها وحدة سياقتها وجمعها على خطّ مواز لجبل لبنان اللهمّ الا رؤوس قليلة كراس بيروت ورأس الشقمة التي تشدّ نوعاً من هذه الحلقة الصومية . وهذا فصل نفردّه لدرس تلك السواحل مباشرة بالشمال

❦

فان اطلقنا رائد الطرف الى هذا القسم الشمالي وهو الواقع بين مصبّ النهر الكبير ورأس الشقمة وجدناه بالفتاح أنّه يخالف بقيّة الساحل في خطّه المتساوي . وما ذلك الا لسبب اختلافه طرأ على وجهة الجبل كما سبقت اليه الاشارة في بحثنا عن رسم لبنان فترى الساحل يستدير على صورة هلال من حدّ مصبّ النهر الكبير الى الصخور المتواصلة التي تطنو فوق سطح البحر عند ميناء طرابلس وهو الجون المعروف بجون مكّار . ولا غرو انّ هذا الجون كان ارضى خليجاً كبيراً بعيد النور بين جبل

التصديرية ولبنان لولا أن مياه النهر الكبير مع نهر عكاك والنهر البارد حالت دون ذلك بما جوفته من التربة التي ملأت تلك البطحاء. فلما لم تجد هذه العوامل التربة كفواً لتصدي لها كبعض المجاري البحرية لومدة البحر وجزوه فطفت فعلها وكرمت جروفها في تلك الوعاء التي كانت جديرة بأن تكون خليجاً ذات شأن أثير وفوائد اقتصادية جمّة . لذا أن البحر كان يستطيع أن يتدفق إلى داخل سورية ويصير لها بمثابة قناة بحرية أو كخليج قورقوس يقرب البلاد الداخلية لاسيما وادي العاصي المنصب إلى للاملات التجارية . وما أدراك أن هذا الخليج لو وجد لم يؤثر في تجارة بلاد آسية الغربية (١) فيحول إلى طرابلس كل الحركة التجارية ويتوقع عن صيدا .

وصور سيطرتها البحرية

وجنوبي هذا الجون بين ميناء طرابلس ومنفذ الجبل سهول خصبة تكونت بما جوفه اليها من التربة نهر قاديشا على طول بحر الاجيال جاريًا بذلك مجرى الانهار الثلاثة السابق ذكرها . وبطنه اتصلت بالبحر الصخور التي بُنيت فوقها ميناء طرابلس وتحولت البقعة الى شبه جزيرة على شكل مربع غير متساوي الزوايا . والرمال قد سطت على الجانب الغربي من هذا المربع كضلعها في غربي بيروت والسبب واحد غير أن رمال بيروت اوسع منها مجالا وافر كمية .

وان سرت جنوبي هذه شبه الجزيرة رأيت الساحل يقترب من الجبل مستديراً على شكل جون آخر يحده جنوباً رأس الناطور . والدائرة الساحلية كلها جبال متواصلة لا يفصلها عن البحر سوى قطعة ضيقة من الرمال التي قدتها الامواج . ثم يأتي ما وراء رأس الناطور خور صغير يليه رأس ثقفة وهو دون رأس الناطور صغيراً نكتة اغرب منه صودة . وهو عبارة عن قطعة ارض مستطيلة طولها ١٠٠ متر في عرض عشرة امتار فقط يفصلها عن البر خندق قمره في الصخر الاصم على ما يظهر قدماء الفينيقيين . وذلك ان الفينيقين كما لا يخفى كانوا من ارباب البحر فوجدوا في هذا الرأس ما يرغبون فيه لتقائهم البحرية اعني مرتأين تلتجى اليها جنوباً وشالاً سفنهم فتأمن من الاتواء مع قربها من الجون الشمالي ومن الخليج الجنوبي الذي بدؤه عند رأس ثقفة منتهياً إلى رأس الشقرة

وفي وسط هذا الخليج الجنوبي المستدير على شكل نصف دائرة غير منتظمة سهول تكوَّنت من بحوف الانهار لا يقل عرضها عن كيلومترين إلا أن المياه المنحدرة من الاديّة الجاورة قد استقمت في قسم منها لا تجده في مصبها من الرمال المتركة الحاضرة بينها وبين البحر . وأنما ترقى الفلاحة في تلك الانحاء . قد زاحم منذ اسد قريب تلك المستقمت فحصرها ولطّ يبيدها ويلاشيا لأن الزراعة تجدد في تلك التربة للتركة من المواد الصلابة والكليّة ما يصلح لسوّها ووفرة ماؤها . وعلى ظننا أن حاجة شكّا سوف تُضفي من اخصب جهات لبنان وقد فُتحت لها حديثاً طريق مسلوكة تصلها بناحية البقون والناقصات الجنوبية ديتاً تلتها السكك الحديدية ويحدّ هذا السهل في جنوبيّ ذلك الرأس المستطيل المرتفع على شبه جدار هائل يزيد رأس الشقمة الذي يشرف على البحر بطول ٢٠٠ قدونيّة . ومن نظر الى هذا الجبل الشاهق من جهته الشمالية اخذ الانتذهال من غرابة صورته فيحسبه كدارعة عظيمة راسية في الرافد مجرّدة في مقدمها بهما ضخم كلهما على وشك الخروج لتسخر مهاب البحر . وعند جنوبي غربي هذه الدارعة القريبة من جهة نهر الجوز سهل حشوش يفصلها عن البحر بمسافة لا يتجاوز عرضها نصف كيلومتر وتربة هذا السهل جيدة لولا أن قلّة الماء لا تسمح بتوفير مزرعاتها كسهل شكّا . أمّا من جهة الجنوب فإنّ رأس الشقمة يشرف على وادي نهر الجوز ولا يفصله من هضاب لبنان الشرقية إلا اخاديد عميقة حُدّت في تربة مكوّنة من الحواري وقطع الصوان شأن الجبال التي تتوسط بين ناحية الكورة والبحر . وبين تلك الاخاديد مسلك يُعدّ من اصعب مسالك لبنان واشدها خطراً لانه كثير القرب تنوص الرجل في لونه الوحشة صيفاً وتولج في طينه اللزج شتاءً

فقد نأى تقدّم أن رأس الشقمة كمكّعب مرتفع معتل من كل جهاته قريب من الشكل المربع المستطيل طوله مسد ساعة وعرضه نصف ساعة ومعدل طول ٢٠٠ قدراً تُرى في قمتي قرية حمامات البانّة ٣٠٠ م . ومساحة في اعلاه مسوية ذات احكام قليلة الارتفاع وهو يجني الخشاء خفيّاً من الشرق الى الغرب مع بعض الاديّة غير العميقة من تلك الجهة يُعرف اكبرها بوادي الرب . ومياه الشتاء تجري في فصل المطر منحدرة من تلك الاديّة الى البحر . وليس ثمة ينابيع ماء والتربة قليلة

الحصب كثيرة الحجارة ألهم ألا بعض البطائح قريباً من دير النورية حيث الترى قد خصب بما تساقط فيه من اوراق الشجر وبقايا النبات

وليس رأس الشقة متفرداً بما يخصه من الهبة الغربية قطع بل هو تنوط مسألة أخرى تاريخية يتضمن حل مشكلها مزيد تمييز الطريق الرومانية التي كانت تمر هناك وتتصل بطرابلس . وهي طريق لاشك في وجودها وقد وجدت منها آثاراً باقية فوق حوش على رأس الشقة . فترى من اي جهة كانت هذه الطريق تتحد الى سهل شكاً ؟ ومما لا ينكر ان منطف هذا الرأس من جهتي الشمال والجنوب لا يحتمل طرقات مسلوكة لوعودتها . أما عتبة المنسلطة فانها كما سبق غير مطروقة شتاء وصعبة المسلك في بقية فصول السنة . فهل ياترى قد درست آثار الطريق القديمة بطولها . الحدائق لاسيا فعل الزلزلة التي حدثت على عهد يستيانوس فذلك رأي زنتيه ولا نعلم ما فيه من الصحة . وأما عرضناه لنظر العلماء دون بت الحكم فيه

أما اسم رأس الشقة عند الاقدمين فهو كما ألقنا اليه سابقاً « ثيوروسيون » ومعناه باليونانية وجه الله . ودُمي ايضاً « ليثوروسيون » اي « وجه الحبر » وفي هذين الاسمين على المرشح اشارة الى اسم الاله التيفتي القديم . وفي جنوبه الغربي قرية صغيرة تدعى حتى الان وجه الحبر وتاميك به اشارة الى اسمها السابق . والحجارة كما لا يخفى كانت من معبودات الاقدمين . ولنا في صور مثال على ذلك لأن معنى الصور الصخرة كما هو معلوم وصور ايضاً من أسماء السوريين (١) وما هو اصح من ذلك ان عرب الجاهلية كانوا يبدون للماء باسم الحبر . فيكون مدلول ثيوروسيون وليثوروسيون ووجه الحبر اعني الاله الحبري . وقد كنا في ما مر ارتأينا ان هذا الرأس هو ما دعاه الاشوريون « بل الرأس » أما فشكل قد زعم ان « بل الرأس هو مضيق نهر الكلب ولا نعلم على اي سند يؤيد زعمه . وابد من ذلك زعم حضرة الاب لا يخرج في كتابه عن الديانات السامية ان « بل الرأس هو رأس الدامور . والوطنيون يدعون رأس الشقة وكان بقاعة الفرنج يعرفونه باسم « رأس وجه » فصنعوه ودعوه كاپوج (Capouge) وكابوني (Capponie) ركاب فينج

(١) راجع كتاب فشكل في الكتابات الاشورية ص ٢٥٨ و ٤٧٧

(Cap ponge) وكاب دوج (Cap rouge) كما اشرنا الى ذلك سابقاً . وزعم دينان انه دُعي باسم كلب مادون (Cap-Madonne) . فيكون في هذا الاسم لشارة الى ديو سيدة الثوربة . وكان السلاحون يهايون هذا الجبل يتخفون الرياح التي تهب في جوارحه . ولذلك ترى في دير الثوربة نذوداً للسلاحين نذوداً بها عند الانواء وقاموا بوفائها . وقد اختبرنا نحن ايضاً غير مرة في اسفارة قوة الرياح في هذه الجهات بحيث كانت مراكبتنا البخارية نفسها تشعر بضلها فاذا ما اقتربت منها تحركت بحركة غير مألوفة



ووجهة الساحل من مصب نهر الحوز وتاجية البترون تعود الى خط الجنوب الغربي تابعة في سيرها وجهة قطب الجبل الاصلي بكل دقة كما يتحصل من مجرد النظر الى خارطة جبل لبنان . أما تركيب الساحل فيتأرجح بين الصغور والتعلس الرملية المختلفة السعة

واذا جاوز الساحل مدينة جبيل استدار على صورة خليج واسع قريب القعر مركزه عند نهر ابراهيم ونهاية استدارته عند رأس الماملتين (١) وهذه استدارة الساحل توازي استدارة قطب الجبل الاصلي وتقعيره حد جبل المنيطرة وذلك بمقتضى قاعدة راهنة اقتضاها سابقاً في رسم جبل لبنان . وكذلك خود جونية فان استدارته توازي ما حصل لقطب الجبل من الاتواء بين المنيطرة وحنين شرقاً . وصين يبرز هناك على صورة مثلث على الساحل زاويتان وهما رأس صربا ورأس نهر الكلب . وهو يؤثر في وجهة الساحل الذي يعدل من الجنوب ماثلاً الى الجنوب الغربي

ورأس نهر الكلب لحي و ان يُعد كدعامة للبنان وهو يحد النهر جنوباً ويدخل في البحر . وان اعتبرته في جهة الغربية من جهة البحر وفي جهة الشمالية من صوب النهر وجدته متصباً كجدار قطع عمودياً والامواج تلاطم اسفله . وصغوره تلامس البحر وهي كثيرة النخارب متقطعة منقورة مقعرة وذلك بلا شك من عمل

(١) وهناك ما دعاه الشريف الادريسي بطفة السلام والصواب طفة سألن

البحر فيها في الآمنة النارية اذ كانت مياه البحر المتوسط تغمرها لعل سطحها فوقها .
ولما هبطت المياه وصارت الصخور بارزةً عملت فيها العواسل الجوية مواصلةً لعمل
المياه . ثم كان لا بد من تحت هذه الصخور تسير فيها طرق السواحل فثقلت طرق
متعددة . منها طريق العجلات التي تجري قريباً من البحر وهي تدور حول رأس النهر
وفوقها السكة اللبنانية الحديدية تجري على خط موانئ طريق العجلات . واذا
رقيت الى نحو ٣٠ متراً فوق سطح البحر وجدت الطريق الرومانية متقوية في الصخر
على عهد مرقس اوريليوس تشهد عليها كتابة جميلة ترى حتى يومنا عند الجسر الحديث
وهذه الطريق يوصل اليها بدمج منحوت في الصخر وهي تستدبر مع عطفات
الجليل . وفي ذروة هذه الصخور اقدم الطرقات الساحلية وهي التي سلكها الاسوريون
والمصريون بمجردهم تدل عليها أنصاب عديدة فيها كتابات سملرية وعبروغليانية .
وقد مر ذكرها

ثم نجد في لبنان وادياً متسكاً بين جبلي صنين والكنيسة يوازيه خليج مار
جرجس او خور الحضر . ويبدأ هذا الوادي حدةً مستديرة شرقاً يجاريها أكبر
الروؤس الفينيكية وارجعها اعني رأس بيروت . وقياس جهة هذا الرأس الشمالية مباشرةً
بالصخور التاتم فوقها المسلخ الى الروبة التي تعلوها المنارة لا يقل عن ستة كيلومترات
وثلاث هذه المسافة تشغلها البنايات البيرونية . فيكون مقام هذا الرأس بما يجدي
خصوصاً بيروتنا حتماً ويصل وضعا من ابداع مواقع المدن الساحلية . وطبقات هذا
الرأس السفلي تتركب من صنف من الطباشير كثير التفتت يجمع اقسامها ملاط من
الظفران . وامواج البحر قد نفذت الى هذه الصخور وفتكت اوساطها وتركزت مقوفها
بلا دعائم لتندمها . ولذلك ربما تداعت هذه الصخور وهبطت وانخفضت بفعل تلك
العوامل انخسافاً لا يكاد يصدق به من لم يائنه . وما يشهد على ذلك صخور ترى في
وسط البحر وليست هي الا بقايا جزائر فصلتها هذه العواسل الشديدة من الساحل .
ولنا شاهد حي على قولنا في جزيرة الحام جنوبي رأس بيروت . وهناك ايضاً
كهفان شهيران تكوّن على هذا النمط عين . ولا شك ان سقفاً يسقط عمّا قليل كما
جى للكهوف المجاورة التي ترى اليوم على شكل نصف دولقرا على صورة جسور
طبيعية الى غير ذلك من الهياكل الثرية التي سبق لنا انكلام فيها

وفي جنوبي غربي هذا الرأس تمتد رمال بيروت التي يبلغ معظم طولها سبعة كيلومترات في عرض كيلومتر ونصف . وقد بيّنا في ما مرّ تركيبها وأصلها البحري وهي ترتفع على بيروت من الجهة التي تنتهي عندها الصخور ولعلها تنمر بتأثيرها حدائق المدينة لولا أن غابة الصنوبر تودّ قسماً منها

وجنوبي شبه جزيرة بيروت يعود الخط الساحلي الى استقامته المسلة لا يخالقها سوى بعض ركاب الصخور تنصب من مسافة الى اخرى اخضها رأس الدامور عند نهر الدامور ثم رأس جدره في وسط الطريق بين نهر الدامور والأولي ثم رأس الرميّة بتقربة من الأولى ولهذا الرؤوس الثلاثة جُرن تجاورها وفي أثرها أخيراً رأس صرقت بين صيداء واليطاني على نحو نصف الطريق بينهما وبعد هذا الرأس لا يخالف الساحل الخطّ المستوي الى نهر القاسية



قد لحظ قراءنا في ما سبق لنا من وصف الساحل الفينيقي أنما لم نأت بذكر الجزر وعدم وجودها ثمّ يزيد في وحدة أناس هذا الساحل . على أنه في مرفأ طرابلس من جهتها الجنوبية الغربية عدّة جزر تدمي أكبرها النخلة وهي تبلغ نحو مئتي متر بارتفاع وقد فكّرت الحكومة السنيّة غير مرة بنقل الجبل الصخري والبضائع اللويزة اليها ومع قلّة الجزر في سواحلنا قد توقّرت الصخور البحرية وهي كلفت سابقاً متصلة بالساحل لاسيّاً بالرؤوس البحرية . وكثير منها لا تطفو فوق المياه وفي مصادمتها خطر متواصل للسفن التي تلاصق نواحيها وخصوصاً اذا اجت قرباً من الرؤوس المذكورة

وما سبق يلوح جواراً بأن السواحل الفينيقيّة لم تعدّها الطبيعة لتجارة السلاط ولسكنى قوم من البحّارين إذ لا تكاد تجد عندها مرفأ صالحاً كما أنه ليس فيها نهر داخليّ يمكن خوضه . هذا فضلاً الى استقامة خطها الساحلي الذي تكثر فيه الرؤوس والصخور دون خلجان أو انوار تأوي اليها الراكب ومدن جزيرة تستلقت اليها

تظار البحرين

ومع كل ذلك ترى التاريخ يشهد لعظم تجارة الفينيقيين واتساع نفوذهم ووفرة مقايضاتهم . أفليست مناقضة بين هذين الأمرين ؟ لا لسري لأنّ فينيقية موقفاً خصّت

بوجود غيرها وذلك لتوسطها بين جهات المالك الشاهانية ووقوعها في طرف آسية غرباً فتجتمع بين الشرق والغرب . وإن قيل إن جبل لبنان حاجز شاهق يحول دونها لاجئنا أن لهذا الجبل في شماله وادياً عميقاً وهو وادي النهر الكبير يمكن القوافل أن تسير في بطائمه فلم يسهل الفينيقيون عن طرقه مع ما طبعوا عليه من التفنن في ترويض الصنائع التجارية . فإن أهل فينيقية ادركوا ما خص الله به من حسن للموقع موطنهم فكبدوا وجدوا لتحسين شؤنها والتعويض عما ينقصها . ولذلك جروا في مسالكهما الطبيعية وفتحوا لها مراقي صناعية كافية لمن تلك الاحصار وهي زوارق مسطحة قلبية العمق كان يكفيها ما لا يكفي في زماننا للسفن للتوسطه الكبير ومن فحس المدن الفينيقية وتبحر في وضعا السابق استدل على أن اصحابها كانوا من مودة البحارين كما نعرف قوة اجنحة الطائر بملو طيرانه وسرعة جريه . وما لا ريب فيه أن البحر كان موطن الفينيقي وكان لا يرى في البر إلا مقاما موقفا يبغي فيه كالطائر حثا تأوي اليه حيناً فرلخه ثم يعود ذلك البحار فيخوض بجاري البحر بارتياح كما تجد السككة راحتها في غمر المياه

وهذا ما حل الفينيقيين على ان يستخيروا لسكتهم الاسنة والرؤوس الداخلة في البحر وإن قل ماؤها الشروب او بصلت عن مصب الانهار اللهم إلا بعض مستعمراتهم كبيروت التي توفرّت المياه في آبارها فاشتقت منها اسبها . واستوطنوا بعض جزر كصور وصيداء اللذين كانتا سابقاً في جزيرتين . لما التالب على المدن الفينيقية فتنازها على الرؤوس البحرية وذلك لسببين ههنا البكارة عادة الاول ان السفن تكون وراء هذه الرؤوس في مأمن من تراكم الرمال الذي يحصل قريباً من مصب الانهار والثاني ان المياه تكون ثمة ابعد غوراً من امكنة سواها . والدليل على حسن اختيارهم لهذه المواقع ان مقام المدن الساحلية لم يتغير منذ نحو اربعة آلاف سنة ولم تتشعب الشعوب التي خلفت الفينيقيين مدناً غير ما سبقهم اليها الفينيقيون وإن كان بعض المدن القديمة قد انحط شأنها انحطاطاً كبيراً

هذا وقد بقي علينا البحث عن امر آخره علاقة مع وصفنا السابق لسواحل

لبنان . ثريد الكلام من الرافئ التي تفتح المدن الساحلية مسالك تجارية مع
باطن البلاد وتقرّب الوسائل لمواصلة الاطراف القاصية والجمع بين الاهلين
وان احتبنا اول مدينة من فينيقية الشالئة اعني طرابلس الشام وجدناها خالية من
الرفل مع ان الطبيعة قد خضت طرابلس بما يحفلها من أهات المدن . فان موقعها
قريباً من وادي نهر انكبير ومركزها المتوسط بالنسبة الى جهات سورية لاسيا قريبا
من وادي الماصي واتصالها بالبقاع وانحاء دمشق لما يتحد بينهما من السهول الجامعة بين
اقاصيها فان بُني لها مرفأً واتصلت بها اسلاك السكك الحديدية اضمحت احدى
حواضر بلاد الشام بل جاز ان تكون مرفأً طلب وهي اخرى بذلك من بيروت
والحائل الكبير دون ابقاء ذلك الرفل في طرابلس لا تكون الامر مستحيلاً بل
لا يقتضيه من النفقات الباهظة . وبما لا ينكر ان الصخور الطافية على وجه البحر من
جهة الغرب يسهل استخدامها لصيانة هذا الرفل من الريح الغربية التي يكثر هبوبها
في سواحلنا . وكذلك يمكن ان يُسند الى هذه الصخور شالاً حاجز يقوم في وجه
الامواج الشالئة . لولا ان ابتناء يقتضي مبالغ عظيمة لُبُد قمر البحر من جهة
الشمال وهو يبلغ ضعف عمق بيروت اعني ثلاثين متراً ثم ان شاطئ البحر على طول
كيلومتر بنف قليل الماء فيستلزم لاصطناع مرفأٍ اعمالاً تراتية مهمة . وقد فُكرت
الحكومة السنية غير مرة باصلاح مرفأٍ طرابلس . فمن ذلك ان صاحب الدولة فحي
حسن باشا وزير الخارجية وضع للحكومة السنية تقريراً يبين فيه ضرورة ابتناء مرفأٍ
طرابلس وقدّر النفقات لهذا المشروع بنحو ١,٥٠٠,٠٠٠ فرنك . وعادت احدى
الشركات الوطنية الى النظر في هذا الامر سنة ١٨٨٦ وبجث منه وعن السكة الحديدية
بين طرابلس وحمص لا بين المشروعين من العلاقة اللازمة فكانت نتيجة البحث انه
يلزم لذلك ١٦ مليوناً من الفرنكات ولعلّ ضعف هذا المبلغ لا يفي بالمغروب
وان نظرنا الى البتون وجدنا انّ وضعا الجبتراني لا يناسب فتح مرفأٍ فيها لوقوعها
قريباً من رأس الشقعة وفي سفح مشارف لبنان الشاهقة . وزد على ذلك ان شطها
كثير الصخور . وان صح قول المورخ مالالا ان الزلزلة التي حدثت على عهد يستيان
أجدت البتون مرفأً فذلك قول لا يمكن بيان صحته اذ لا نجد اليوم له اثرًا بل
تستحيل الدلالة على مكانه

ولجبل مرفأً صغير طوله مئتا متر في عرض مئة متر (١) وليس من حاجة الى توسيع نطاقه قلّة الحركة التجارية فيه ولعدم اتصاله بالأراضي الداخلية لما جوية فقد مرّ الكلام عنها سابقاً فلا نعود اليه . وكذلك فحضر الصنع عن بيروت ولها المرفأ المعروف الحديث النشأة الكافي لتجارتها الحالية . فلم يبق لنا لتمام هذا الفصل سوى البحث عن مرفأ لصيداء.

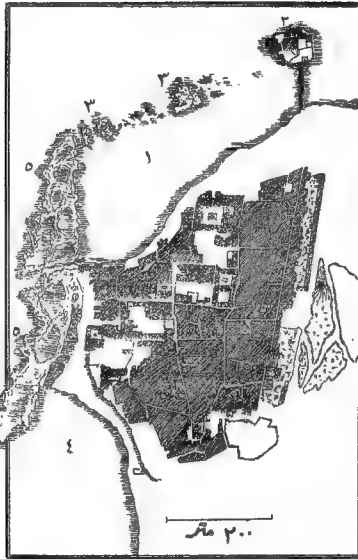
يلوح أنّ مدينة صيداء القديمة كانت جزيرةً كما كانت صور وصيفتها وكان لها مرفأً أن احدهما في جنوبها والآخر في شمالها . وكان الاول يُدعى بالمرفأ المصري وقد تراكمت فيه الرمال التي سقّتها الرياح الجنوبية الغربية من جوف النيل فأنسدّ بحيث لا يمكن استعماله . لهذا المرفأ الثاني فاحسن وضاً صورة صيانة كافية الصخور التي تمتد حوله . الا انه صغير طوله ٦٠٠ متر وعرضه مئتان ولا تدخله إلا المراكب الشراعية ولا عاد الى صيداء قسم من حياتها التجارية في القرن السادس عشر كانت السفن ترسو شماليّ هذا المرفأ في نوع من البناء مقترح من الطرفين ووراء جزيرة صغيرة من الصخور التي فوقها كان بُني قصر قديم . وكانت السفن في مأمن من الريح الصرصر التي تهب من الجنوب الغربي إلا أنّها كانت معرضة للولاح الشائبة وليست هي دونها خطراً . والرسو في هذا المكان صعب جداً لأنّ قعر البحر هناك صخري لا تغشبه فيه المراسي فضلاً عن أنّ القلوس كانت تنفخ بالاحتكاك . إلا أنّ هذا المرفأ كانت تحميه قلعة مبنية على صخر يجري بلزاً البلدة وهي متصلة بالبرّ بجسر متعدد القناطر (٢) . أما اليوم فليس هذا المرفأ بكافٍ للسفن البخارية قلّة عمقه ولذلك ترسو بعيداً من الشاطئ.

وبقي هذا المرفأ مع خلله الى غاية القرن الثامن عشر مورداً تتقاطر اليه السفن التجارية . وكانت تجارة دمشق تنصرف اليه . ثم بطل بفعل الزمان وعندنا ان هذا المرفأ قد سدّته العوامل الطبيعية . وان قيل أنّ لصيداء مرفأً داخلياً يمكن اصلاحه

(١) راجع رسمه ص ١٥١

(٢) راجع كتاب المسير ماسون (Masson) عن التجارة القرنية في البلاد الشرقية

اجبتنا ان الامر ليس بسهل مهما قاله السيولوتيه في كتابه عن سورتيه (ص ١٨) .
اما الرفأ الشمالي السابق وصفه والمصون بقلعة البحر والجسر ذي التناظر فان اراد احد
اصلاحه عجز عن ذلك ان لم يضع حجرية موازية للشاطئ يبلغ عرضها ٦٠ متر ليكون



صورة مرفأ صيدا.

١ الرفأ الشمالي ٢ قلعة البحر ٣ بقايا الرصيف القديم ٤ الرفأ الجنوبي ٥ جزر صخرية

ثمة من المياه ستة امتار ثم يتخفي ابتداءً سد يستند الى القلعة ومع كل ذلك يكون هذا المرفأ مرضاً للريح الشمالية . وعليه فأنتا ترى مع الاسكليزي لوقت كبرون (Lovett Cameron) ان هذا المرفأ لا يكون موافقاً للتجارة ما لم تُبنى عليه التفكات الطائفة (١) . لما البلاد الداخلية المتصلة بصيداء قليلة الحصب . ولا أمل في جعل هذا المرفأ فرصة دمشق إذ ان بين صيداء ودمشق حوالي من الجبال كما بين دمشق وبيروت . ومنذ ان هذه التفكات لو صُرفت على طرابلس لكان الريح اصبح والتنع اهم والله اعلم

١٤

لمحة اقتصادية

في مجاري المياه اللبنانية

قد ذكرنا غير مرة في ما سبق من كتابنا ان مجاري المياه في لبنان عوائد جمة ودوراً مهماً في اقتصاد الاهلين . الا ان كلامنا هذا كان منبجاً في مطاوي ابحاثنا السابقة ولمن لم يستلقت اليه انظار القراء . فرأينا العود الى هذا الموضوع احمداً لنظم شأنه ولذلك افردنا فضاء مفرداً نبين فيه ما تحويه هذه المياه من الكتوز الدفينة التي جعلتها الناية الالهية في ايدي الوطنيين ومن ثم نبعث اولاً عن المبادئ العمومية التي يستند اليها هذا البحث ثم نتبع مجاري المياه فرداً فرداً لنترى ما يستفاد من كل منها وذلك خصوصاً على ثلاثة وجوه : إلما بالري شقى المزروعات التي تيسر دون الماء . وإلما بتحريك ادوات المعامل بدلا من النعم واصناف الوقود . وإلما بنقل الماء الشروب الى المدن الكبرى المحتاجة الى مناهل يستقي منها السكان

المبادئ الصومية

قد اتاح الله لبلاد سورية قوى طبيعية عجيبة لو استناد منها الاهل ان لوجدوا فيها مولود ربح لا تقف لولا ان هذه القوى تذهب سدئ وتتلشى دون فائدة بحيث يصح القول انه ليست الطبيعة تقصر عن خدمة الانسان وانما الانسان هو القصر في استخدام قوى الطبيعة مع قرب متاعها . والحق يقال ان مجاري المياه اللبنانية كافية لان تحول بلادنا الى مجمع زاهية بسعي شركات زراعية او تغذية بالمعامل الصناعية فيقتات من ارباحها الوف من السكان الا انها تنحدر في الصالب الى البحر بلا فائدة او تستفيع في البطاح الويشة لا يستثنى من هذا الحكم الا نهر او نهران يستترف اللبنانيون مياهها لري المزروعات . اما نتيجة هذا التهامل فبنست النتيجة لذ ترى الارض في فصل الشتاء مغورة بالمياه المفرطة الضررة بالزراعة والصحة الصومية مما وفي الصيف تنقص المياه وتنضب الى ان تيس البقول ويثلف اهل بعض للمعاملات عطشاً مع قطعانهم

وقائدة المياه ظاهرة في الزراعة لا يجهل ضرورتها احد . يد ان قليلين يدركون طعة ذلك وبأي طريقة تعمل المياه في النبات

ان عمل المياه في الفلاحة يكون خاصة على وجهين مختلفين : الاول يدورته والثاني بتوكييه الكيومي . وذلك ان الماء اذا نفذ في الارض لطف حرارتها واطلاً نحو النبات ولولا السقي لركا قبل اوائه ويدس دون ان ينال من الغذاء ما هو ضروري لنبوه القانوني . وبسببه ما يصيب الولد اذا نشأ وكبر قبل السن الطبيعي فربما اذاه غوه الى ان يئمه . فكذلك النبات لا يأتي بشره او يكون غره قليلاً فانها . وقد ادرك العامة هذه الحقيقة في بعض امثالهم الشائعة فقالوا عن البذور النامية بسرعة وافرط « طويل بلا غلة » لهم بان الزكاه الظاهر ليس بدليل على كثرة الامار

اما كون الماء يفيد النبات بتوكييه الكيومي وجوهه فذلك لانه يساعد النبات على تحليل المواد المثنية وتوكييه منها اجزاءه انكرونية وعلى امتصاص الاسلح لمدينة من الارض با مجديه للنبات من الرطوبة . ولعل صلة لشد وقوى با مجرقة في

سيرة من التربة ويسحب من بقايا النبات والاحرام المختلفة. وهذه المواد الجروقة تجري عناصر مخصبة اذا ما رسبت واختلطت بالتربة الزراعية اصلحتها وصارت لها بمزلة السداد ودرجات بلغت كمية هذه التربة التي تجرفها الانهار الوف الوف من الطلثات. قال اليزاي روكلو في جغرافيته (ج ٢ ص ٦٧٨): ان نهر دورنس احد انهار فرنسا الجنوبية يمر في السنة نحو ١٨,٠٠٠,٠٠٠ طن من التربة للجروقة وذلك ما يساوي مكعباً جهاته ٢٢٠ متراً رسبت على سطح متساوٍ في طبقة سمكها سنتيمتر واحد فكانت مئسع الارض التي يخصبها في السنة مئة الف هكتار. وهذه التربة للجروقة معدة احسن اعداد لنمو النبات تستخلص جذوره منها كمية من الازوت الغني اكثر من كمية ١٠٠,٠٠٠ طن من سجاد الترانو المعروف بخصبه. فلا غرو اذا كررنا مع الطبيعي الشهد ماوريشلي: ان الطين الذي تجرعه المياه لث من رمل الذهب. ولعل ذلك ما دعا قداماء السوريين بان يسثوا «نهر الذهب» (Xpoooboz) بعض الانهار التي تجري في بلادهم كهر بردى في دمشق ونهر عرش ما وراء الاردن والنهر الذي كان يجري بجوار مدينة لوقاس (وهي مدينة لم يحدد موقعها حتى اليوم) فليت شعري من يمكنه ان يثنى ما اتت بكل هذه المياه من الكنوز الزراعية منذ مئتين من السنين. اقليلست هي حقيقة لث من معادن الذهب التي تنقى كروزها بعد مدة قليلة؟

ولما في النيل مثال قريب عن منافع هذه الجروف التي تسحبها الانهار فان هذا النهر العظيم في فصل الفيضان يدحو كل يوم ما يلف عن الف الف كيلو من المواد التطرونية ويصبها في البحر وهو مع ذلك يخصب في طريقه مسافات قدرها ملايين من الفدادين. ومع اننا لانعلم بالضبط بطرق التحليل الكيميائي ما تحتويه المياه السورية من القوة المعدنية الا انه لا مرموز انما غنية بها وكفاك دليلاً ما يستفاد بالمقاييس. فان الاختبارات الجيولوجية في اوردية بيثت ان معدل ما يدخل من نيفرات البوطاس في متر مكعب من مياه العين والانهار الجارية في الجبال المركبة من الطباشير يبلغ ١٣ غراماً اما النسبة فتختلف بين ستة غرامات الى ستين غراماً ومعلوم ان عنصر الطباشير هو الغالب على جبالنا فلا بد ان تكون نسبة نيكالات البوطاس في مياهنا اقرب الى ستين غراماً لارتفاع درجة الحرارة فتبقى من ذلك ما تكسبه السهول المركبة عادة من الصلصال اذا اختلطت فيها هذه المواد الطباشيرية لان الصلصال

أما نخبة الناصر انكليسي التي تحملها المياه . ومن ثم فبني على الاهلين ألا يقتدوا شيئاً من هذه الكنوز ولا يدعوها تسقط في البطائح او تنصب في البحر دون فائدة هذا وأما تعلم ان كل المياه لا تصلح لتسميع التربة لأن ذلك منوط بكميها ألا أيتها كلها تطفئ الحرارة بطراوتها وتفيدها ندوة وتريدها خفة وتسول فلاحتها للناس وللبهائم ثم تحمل الناصر النخبة لتتغذى في بطن الارض وتقسها اقساماً متساوية وتريد مراقبها وغلاتها على قدر ارتفاع درجة الحرارة حتى ان التربة يمكنها ان تأتي في السنة الواحدة بنتين متواليتين بدلاً من غلة واحدة غير مستوفاة في الاراضي اليابسة وذلك رغماً عما يطرأ على الهواء من الثقيل الجوى . فهذا امر ينعف جليل لا يوازيه آثر فكم رأينا من الزرع المفقود أما قللة الامطار او تأخر وقوعها بعد ان امتصت حرارة الصيف ندوة التي . وخلاصة القول ان السقي للنظم هو الذي يترك الزروعات ويبدل على التيف بطراوة مناسبة لكل قطر ويضي التربة بالساذجاً ويخلط العناصر فينضجها بلا نفقات ويكثر غلاتها بلا تعب وبأني اخيراً بالراحة والراحة (١)

ولهذه الانهار في غير بلادنا نفع آخر لم نحصل نحن طبع وهو خوض هذه الانهار وركوبها بحيث تصير كطريقة للواصلات التجارية . وقد حرمنا ذلك لاسباب منها قلّة مياه هذه الانهار او بالآخرى هذه الجداول واختلاف كميتها في فصول السنة . اجل ان بعض هذه الجاري كالنهر الكبير والليطاني كثيرة المياه في ينايرها ورووس هيرنا ألا انها تجري في المضائق وبين الجنادل والصخور التي تعمق مسيرها فلا يمكن ان تحول الى مجار مستقيمة السير متساوية المسق مستوفية لشروط الملاحة وقد شبهها الاقدمون

بضوازي الساع الثمرة الطباع من اسد وذهب (٢) لشدة جريها وقد فاع مياهها فبعد هذه المقدمة هلم نبحث عن كل نهر بانفراده لتستدل بوضعه من القوائد التي يمكن تولها من مياه من حيث الرجوه التلة التي سبق ذكرها اعني الري وتجريك للعامل وتزويد المدن بالمياه

(١) راجع كتاب الاديب ودج مدور الفنون سورية الزراعية (La Syrie agricole, P. 74, 84-85)

(٢) دما الاقدمون عن الكتب باسم نهر الذهب (Λύκος) والليطاني عن (Λέωνος) (راجع كلاهما السابق (١ ص ٢١))

كيفية الاتطاع من الامهار اللبنانية

فلنباشرن بالانهار الجنوبية واولها (الليطاني) وبما ان هذا النهر يجري بادي
 بده في السهل فلنبحث من جوييه في البقاع ونحوصاً من ضفتي النريية لان الضفة
 الشرقية لاحقة للجبل الشرقي ثم ننبه الى مصبه في البحر
 ليس نهر الليطاني قبل بلوغه للقفّة الا مسيلاً قليل المياه بطي السير لا ينسد
 الزواحة افادة تذكر فيستقمع في السهل ولنا يضي مجراه حيثما ما وراء معلمة زحّة
 حيث يصب فيه البردوني والبردوني نهر غرير لا تقطع مياهه صيفاً وشتاء تعدّه التلوج
 النراء للتهجمة في قم صئين وهو كافر ليس قنط لان يحرك الطواحين التي ترى اليوم



منظر الليطاني قريباً من قرية برمش

في طريقه ولكن يمكنه اذا بُنيت له قناة حسنة ان يؤد بالماء الغروب كل مدينة زحلة ومملكتها اعني ٢٥,٠٠٠ نفس . وهو على خلاف ذلك لا يُستعمل الا كسجري لاوساخ المدينة قري مياه الزلاية عند معيها تنصب متعكوة سوداء في الليطاني .
فيا ليت شمري أهلكذا تُقصد كروز هذا النهر الذي لا يقل طول مسيره من ٢٤ كيلومتراً ؟

واذا سرت ونهر الليطاني جنوباً وجدته يزداد ويقوى بما يجري اليه على ضفتيه من السواعد كشتورا ونهر عين جار ومياه قب الياس وعين قلعة المضيق الى غير ذلك من الجداول الصافية المتحدرة من لبنان ومن الجبل الشرقي الننيبة بالمراد الكلية . وهذه المياه لو اُتخذت لسقي سهل البقاع لفتت تربته الصلابة واصلحته لولا ان هذا النهر يبلغ حيثنذ في طرف السهل الجنوبي الغربي مضيئاً بعيد النور مرتفع الضفتين بحيث لا يمكن الاستفادة منه لا للزراعة ولا للصناعة . وبعد اجتيازه في هذا النور المشرق يندفع بقوة ضلعية وهو عند مخرج يدعى بالقاسية ثم لا يزال جارياً حتى ينفذ في البحر . ولو سمي بعض اهل المهة لأمكنهم ان يستفيدوا من مجراه فيسقوا الضواحي القاحلة التي بين صور ومصب هذا النهر فيكسبوا للزراعة مساحة تبلغ ستة كيلومترات طولاً في عرض كيلومترين ويتف ويمولوها الى بقعة كثيرة المرافق طيبة الانثار كبقعة صيدا المشهورة بنصبها وهي اوسع منها خمسة او ستة اضعاف . وما خلا السقي يجوز ايضاً استعمال هذه المياه للمعامل الصناعية بان تُحصَر وتُجمل على شبه شلالات متحدرة

*

(الزهراني) هو من اطول الانهار اللبنانية مسيلاً ومياهه قليلة لاسيما في فصل الصيف . واذا بلغ الجهات السفلى اذار نحو ثلاثين طاحوناً وسقي بعض الحقول . لكن كثيراً من مياهه لا تأتي بقاءة فالو استعملت لسقي السهل التهبط عند مصبه لأضحت حدائق صيدا . ثلاثة اضعاف ما هي اليوم وزادت ارض الفلاحة نحو الف هكتار بدلاً من الارض البوار التي تروى هنالك قاحلة وابسة لا يزكو فيها زرع اللهم إلا بقما قليلة السمّة تأتي بفلات زاوية واعلم ان مسيل الزهراني عند اقترابه من البحر هو دون سهل صيدا فاذا عزل

الاهلون على استخدام مياهه فينبغي لهم ان يبتئوا لها قناة في حلو الرادي فيقتسبونها على مقتضى حاجات ارباب الفلاحة . وحي هذه المياه وان كانت اقل من مياه الاولى ألا تتوكل سدّي ولا تُحمل فتتجمع في مستنقعات وبتة . وكان الرومان قد ادركوا قهها فوضوا للزهراني قناة عند منبع ترها مقنودة في الصخر وهي تتصل بقناة أخرى مبنية بالحجارة المطلّة تتبع الوادي وتدور حول الجبل متواصة بصيداء . ومن المرجح ان اهل صيداء قديماً كانوا يشرون من مياه هذا النهر فيفضلونها على مياه الاولى ولذلك لم يأنفوا من كثرة النفقات لجلبها من منبعها ١١

(الاولي) من الانهار التي يقدّر نفعا الاهلون . كيف لا وهو غزير المياه يستلقت اليه الانظار بوفرة مادته . وقد عرف الشيخ بشير جنبلاط في اوائل القرن التاسع عشر ما لهذا النهر من الجدوى فاحتدق قناة جعلها عند نبع الباروك فجلب الماء الى المختارة وقسمها من ثم بين القرى المجاورة فاحالها الى جئات غناء تشبه غور دمشق الشهير بمجصبها . وفي وادي بسري قناة أخرى قدّعة تجتمع المياه لمنفعة اهل صيداء فيستعملونها لسقي البساتين وشرب السكان ثم تنفذ في قناة تحت الارض وتسل الى البلد حيث يستفيد منها الصيداويون لخدمة نحو ٨٠ بناية عمومية من مساجد وكنائس وحمامات وتقيم الى ٩٢ مأسورة قسقي كل احياء البلدة . واذا اضفت الى ذلك عدة طواحين تدريها المياه عرفت غاية ما ينال الاهلون من الاولى . الا ان هذه المنافع بالنسبة الى غزارة النهر قليلة لاذ لا يستفيدون الا من ثلث مياهه فيضيع منه ثلثان في البحر . ولو شاء الصيداويون لأمكنهم ان يربحوا من هذا النهر فوائد جمة بنفقات قليلة فيتخذوا المياه المقنودة لمعامل شتى وتوسيع نطاق بساتينهم التي هي مورد ثروتهم

(الدامر) يصح في قولنا عن الاولى . فان هذا النهر كثير المياه غير ان معظم مياهه تنصب في البحر بلا قع . وان امنت النظر في الخدم التي يربطها وجدتها قليلة بالنسبة الى وفرة مادته فانه في سيرة الاعلى وعلى مقربة من مصبه يدير عدداً من الطواحين . أما بين هذين الطرفين اي من جسر القاضي الى السهل فانه يسير في واد

محقق ضيق لا يمكن تجهيز الطواحين عنده . وقد كان الأمير بشير عمر الشهابي ابتقى قناة من نهر الصفا احد سواعد الدلمور وجو ماءه الى بيت الدين فانتفع به اهلهما واهل دير القمر . وهذه القناة لا تزال حتى اليوم تواصل غنماتها لسكان تلك الناحية . ثم ان مياه الدلمور تسقي أيضاً مزارع التوت في جات اللقطة وتجعل أربابها كراضر فيحاء وحدائق غناء يندر مثلها في بلاد الشام . على ان كل ذلك قليل بالنسبة الى ما يمكن تحصيله من هذا النهر فلو وسّمت قنواته لاستطاع اصحاب العامل (الكراخين) ان يولّدوا من تحدر مياهه قوة كهربائية كافية لتدوير دواليهم وان يستقوا السهول الرجبة التي بين اللقطة وحلّة . وقد زادت اليوم منافع المياه منذ تجرت طريق السجلات بين بيروت وصيدا . فآخذ عدد السكان ينمو وهم يحاولون الارتقاء بالزراعة الا ان مساهمهم سوف تجب اذا لم تتوفر كمية المياه التي يحتاجون اليها

(نهر بيروت) يأتي بالمنافع للتظيرة منه فانه يحرك الطواحين العديدة ويستقي السهل كله ولذلك ترى مسية يابسا في وقت الصيف من الجسر الذي بنىه المرحوم رستم باشا . واذا بلغ الى البحر منه شيء . فذلك من فضلات التقي بعد سقي الزروعات وهذه التورات غير محكمة تسيل منها المياه وتنسبط في سهل بيروت وقطيلياس ولا تلبث ان تتحوّل الى مستنقعات تلبث منها الجرائم الوبيئة للبيئة الحبيبة اللاربية . ولو لم يلبث هذه التقي بغير كافية لتحدثت الى البحر . هذا ولا ينكر ان للزارع في هذه السنين الاخيرة قد اتسعت فتشفت بذلك احوال الجوّ وقلت الحبيات نوما . وأملنا ان الزارعين يفرغون للجهود ويضاعفون الناية في اصلاح ما بقي من الحقل لتزيد بذلك ارباحهم ويتلاشى كل خطر على الصحة العمومية

وفي القسم الاول من كتابنا « تسريح الابصار » (ص ٢٨ - ٢٩) وصفنا القناة التي غني بيتانها القديما لسقي سهل بيروت وجلب المياه العذبة للبلدة . ومن اعتبر مشروهم هذا اخذه العجب من حسن نظرهم وامانة رايهم وكماهم فضلا ان مياههم كانت تجري الى بيروت بقناة منقطة بصفائح الحجارة فتأتيها صافية باردة يتهنأ بشربها السكان دون خطر من الجرائم الكبدية

(نهر اضيلياس) استفاد منه منذ احد اقاضل الوطنيين لانشاء معمل ورق اضطرته الظروف الى تركه ومياهه تدبر بعض الطواحين الا ان تسمة اعشارها لا

تجدي تمّاً فذهب سدّي وتنصبّ في البحر بعد قطعها مسافة قليلة



(نهر الكلب) ان مياه هذا النهر تؤدي خدماً عديدة كسقي الزروع وتزويد الطواحين. الآن فانتدتها الظلمى دي بيروت وتزويد أهلها بالمياه الطيبة بفضل شركة المياه المروعة التي ذكرناها غير مرة في مطاوي أبحاثنا السابقة. ومياه نهر الكلب تُخزّن ليس بعيداً من منبعها فتجري في قناة مكشوفة فتتبع تعرج الوادي وتوربّه حتى تقرب الى نحو عشر دقائق من مصبّ النهر في البحر فتستند في القلّة التي يلوها دير مار يوسف البعج وتجري المياه في سرب يؤدي بها الى الضيعة. وقد جعلت من مسافة اخرى كوى نُقِرت في صلف الجبل لرحض القناة اذا دعت اليه الحاجة ومن الضيعة ترى القناة مكشوفة حتى تبلغ آخر ما عمل الشركة حيث ادواتها الدافعة ومصافيها قريباً من محطة الضيعة وفي العمل رُفّاس مائي يدفع الماء في القساطل التي تجلبه الى بيروت. واذا قلت المياه في فصل الصيف اتخذوا آلة بخارية جرّوها منذ بضع سنوات لوقت الحاجة. ولهذا المياه احواض عديدة في كلّ مار مقري تتجمع قبل ان تُقسم على احياء المدينة. وامتياز هذه الشركة كانت الدولة الطيبة منحة للمهندس الفرنسي المسيو تقيّين الذي نال ايضاً من تطلّعاتها امتياز ابليّة للرفأ سنة ١٨٨٢ ثمّ تشكّلت شركة المياه كما هي اليوم سنة ١٨٧٦ وأُغْمِيت بعد مدّة الاعمال التي يوشى بها قبل ذلك الهد بسنة وعُرفت منذ ذلك بشركة مياه بيروت - Beyrouth Water works Company limited ولما انتهت حديثاً زمن الامتياز الممنوح لهذه الشركة جددت على شروط اشتراطها عليها الحكومة السيّة منها ان تخفض اجورها وان تبيع جاناً كل يوم ٢٥٠ مقراً مكعباً من الماء وان تنقص قسط البلدية الى ١٥٠٠ فرنك واذا استهلك ديمتها مع دفع الفائدة يكون ثلث الارباح لبلدية بيروت هذا وان الاطلاع على احوال هذه الشركة لأمر صعب جداً فلا يمكننا ان نعلم من مدخلاتها ومصاريفها الا شيئاً قليلاً استندناه من تقرير بعض الانكليز. من ذال ان الشركة كانت ربحت في سنة ١٨٨٦ ١٩٣٢٨٧ فرنكاً وان عدد المشتركين كان ١٥٦٣ وليس لدينا تفاصيل لما قبل هذه السنة. ودونك جدولاً اخذه ايضاً من مصادر انكليزيّة يبين اجمالاً حالة اعمال الشركة من السنة ١٨٩٠ الى ١٨٩٦

السنة	المدخول	المصروف	الربح الخالص	الاشتراكات	اشتراكات السقي
١٨٩٠	٣٠٢,٦٩٥ ف	٠٧٨,٦٧٤ ف	٢٢٤,٠١٧ ف	١٩٨٣	١٢٧
١٨٩١	٣١٢,٤١١	٠٨١,٧٥١	٢٣٠,٦٦٠	٢١٢٠	١٢٥
١٨٩٢	٣١٤,٨٦١	٠٨٧,٨٠٤	٢٢٧,٠٥٧	٢١٤٦	١٤٣
١٨٩٣	٣٢٢,١٦١	٠٩٦,٥٣٤	٢٢٥,٦٢٦	٢٢٢٣	١٤٢
١٨٩٤	٣٤٣,٠٦٣	٠٩٦,٣١٣	٢٤٦,٨٦٩	٢٤٨٠	١٥٠
١٨٩٥	٣٥٢,٣٤٧	١٢١,٥٦٤	٢٣٠,٨٨٣	٢٨١١	١٢٧
١٨٩٦	٣٥٠,٣٨٠	١٢٠,٩٦٠	٢٢٩,٤٢٠	٢٨٩٦	١٥١

وللشركة رأس مال قدره ١٤٤٠٠٠ ليرة إنكليزية ويظهر من ترقّي أعمالها وزيادة عدد مشتركيه وإسراعها في تجديد الامتياز للنوح لما ان لمودها على قدم من النجاح هذا فضلاً عن ارتفاع اسعار الاقساط . على ان الشركة قد تحكّلت نفقات في جلب المياه خصوصاً لاجرة العتلة التي حُصبت في اليوم كما تحسب للعامل في لندن (٦ شلّينات) ولتعب السرب في تلّ دير مار يوسف البرج الذي بلغ الاربعين في المئة من مجموع النفقات . وزد على ذلك ما صرفته في مدّة دعاوي

والشركة تستطيع ان تسلم في بيروت مقراً مكبّاً من الماء في الثانية والاشتراكات تقايد يوماً فيوماً لأن كثيراً منها لا تتجاوز ربع اللتر للمكّب فليس من ورائها ربح يُذكر . وفي بيروت الآن ثلاثة احواض قريباً من تلّ مار مقري اقدمها الحوض الاسفل عتواه ٢٨٠٠ متر مكّب وقد بُني حوض آخر قريباً منه مضوطة ٣٠٠٠ متر مكّب والحوض الثالث هو الاعلى مشوطة ٢١٠٠ متر والشركة تفكّر في ابناء حوض رابع فيكون للشركة عند قطع المياه ما يكفي لتزويد البلد مدّة ٤٨ ساعة . واعلم ان الآلة البخارية التي جُبرت في الضيعة وكثرت نفقاتها يبلغ مدّل تشغيلها في السنة نحو ٢٠ يوماً فقط عند قص المياه

وفي الضيعة ثلاثة ارباع لاء الذي يحرك الرقاس تنصب في البحر . أمّا الماء المستعمل لري السهول المجاورة فرجحه لا يُعبأ به لأن الزراعة هناك ليست بمنصبه وذلك انّ الربح البحريّة لا توافق زراعة الثوت واللبون فلا يبقى الاقص السكّر والقول . واعلم ان لياه في الضيعة تسقط من علو ١٨ متراً قوتها كافية لتحريك الآلات اللازمة لتزويد بيروت بالكهرباء .

ومجمل القول ان مياه نهر الكلب تنفع خصوصاً اهل بيروت وهي ايضاً تُدِير طواحين عديدة وتسقي بفتحها البساتين الواقعة شمالي النهر . ومع ذلك ينصب منها في البحر نحو نصفها فتذهب قاذنة



(نهر ابراهيم) هو نهر غربي للمياه ومع ذلك ما كنا نراه يفيد شيئاً الا انه يدير بعض الطواحين ويسقي بعض الحقول . ومن ثم اتجهت الافكار الى عقد شركة لاستخدام هذه القوة الضائعة . وقصدنا ان تستقي البقع الواقعة شمالي النهر وجنوبه وان تجلب الماء الشروب لجبل وعشيت وما يليها والمأمول انها تنجز العمل قريباً . وكان في حسابنا اتخاذ القناة القديمة التي كان الرومان يحلبون بها مياه النهر الى جبل . الا ان هذه القناة التي تُد من اعمال الهندسة الحليوة كقناة بيروت قد استولت عليها يد الحراب بحيث يصعب الاتفاف منها

ويؤخذ من بحث سابق للمشروع اللار ذكره ان مياه النهر في معظم فصل القيط لا تقل عن ٢٤٠٠٠٠ متر مكعب في اليوم اعني مقدين ولربسة سنسقات في الثانية . وبما تقصده الشركة فتح قناة كافية جلب ٢١٥٠٠٠ متر مكعب كل يوم لتسقي بها ما بيانه :

المجموع

- ١ ٦٠٠ هكتار من التوت يقتضي لكل هكتار في اليوم ٤٨ مترًا مكعبًا من الماء ٢٢٨,٨٠٠
- ٢ ١٥٠ هكتارًا اخرى لتسقي حقول من التوت وزردعات يلزمها في اليوم لكل هكتار ٩٠ مترًا مكعبًا ١٣,٥٠٠
- ٣ ١٠٠ ه. لتسقي زردعات البقول والخضرة تحتاج في كل يوم لكل هكتار ١٢٢ مترًا مكعبًا ١٢,٢٠٠
- ٤ ٤٠ ه. من زردعات قصب السكر يلزمها لكل هكتار ١٨٠ م مكعبًا ٧,٢٠٠
- ٥ قوتين جبل وعشيت بماء وغطيات أخرى ٥٥,١٨٠
- ٦ استخدام كمية من الماء لتوليد القوة المحركة عند مصب النهر ١٤٥,٠٠٠

٢١٥,٠٠٠

ومصاحب البحث الذي اخذنا عنه هذا الحساب يرى ان مدخول السقي في السنة يبلغ نحو ٢٠٠,٠٠٠ فرنك . ومأمولة ان يكون سبيل المياه عند مصب النهر من طو ستين مترًا فتشأ قوة كافية لدفع ١٤٥,٠٠٠ متر مكعب من الماء كل يوم وهي قوة

توازي الف حصان بخاري. وزد على ذلك شكلاً آخر غير متواصل يُستعمل في اوان السقي تكون قوة المحرك ٢٥٠ حصاناً بخارياً. فإذا بيع محصول كل حصان بخاري متداول يبلغ ١٥٠ فرنكاً ومحصول الحصان البخاري غير المتواصل بشن ٧٥ فرنكاً اثنان الريس على ١٥٠,٠٠٠ ف. ومن ثم يزيد مدخول هذا المشروع اجمالاً على ٤٥٠,٠٠٠ ف وذلك فضلاً عن مدخول الماء للبلوب لجبل وعشيت وهو مبلغ زهيد لا يُعاب به.

اما نفقات هذا العمل فيشتتها للثنتون نحواً من ١,٧٠٠,٠٠٠ فرنك ولعلها تبلغ ٢,٠٠٠,٠٠٠ إذا حُصبت المصاريف الطارئة. اما النفقات السنوية لاستثمار هذا العمل فتكون بالتقريب ٥٠,٠٠٠ ف في السنة. فلو افترض ان الريس لا يتجاوز نصف الزمّل اعني ٢٠٠,٠٠٠ فقط بدلاً من ٤٥٠,٠٠٠ فيكون الريس الخالص عشرة في المئة (١) لكن هذا التقرير نظري. اقتراح يطبق مع الواقع لا تظن وذلك لاسباب اولها ما سبق الاشارة اليه ان جلب المياه الى جبل وعشيت ليس من دوائه ربح. يذكر كثلة سكان تلك التواحي. فيبقى سقي للزروع المصاحبة لحسب النهر. فان صاحب التقرير المذكور آنفاً يحسب نحو الف هكتار من القرية الجديدة المقصود سقيها فلمصري هذه مساحة كبيرة لا نعلم اين رآها. فاذا ابتعدت قليلاً من ضفتي النهر وجدت الاراضي لا تصلح للزراعة وهي عجزة متصلة بالادوية وليس ثمة بقعة منبسطة ولا سهل ذو تربة زراعية وانما تغطي قسطاً منها متفرقة قليلة السعة. فاذا أنشئت قناة في تلك الجهات ذات الحزون والبطون بلغت النفقات مبالغ جسيمة. وملاوة على ذلك ان كثيراً من ارباب القلاحة يأبون الاشتراك ويستقلون مصروفه. وحتا ان الاولى ان تُتخذ القني البسيطة القليلة النفقات تُشجّب المياه الى البقع اليابسة الواقعة جنوبي النهر. وقد بلغنا ان الشركة الجديدة للعودة حثتاً افندي البوري وامين افندي عبد الثور مهندس لبنان حوت على هذه الطريقة فانشأت قناة مرضها متر واحد في عمق ٥٠ سنتيمتراً وقد نُجز منها الى جهة بيروت ٨٠٠ متر

ولا نذكر ان القوة المحركة البالغة ١٢٥٠ حصاناً بنظرياً ذلت بال جدية بالاعتبار

(١) راجع تقريراً في استخدام خرايرام تاريخه ١٩٢١ سنة ١٨٩٢ وضمة المهندس كوايه (Ed. Coignet)

ألا أنها لسوء الطالع لا تأتي بفائدة كبيرة لبعد مقامها ولو كانت هذه القوة على جوار مدينة كبيرة مثل بيروت لأمكن استخدامها للتزويد الكهربائي. وكذلك تصلح هذه القوة لتسيير عجلات الترامواي اللبناني بالكهرباء. إلا أن شركة الترامواي لم تفكر في هذا الأمر حتى الآن ولعلها لن تفعل قبل سنين طويلة. وغلاصة القول يصعب الآن الاستفادة من نهر ابراهيم إلا بحول دون ذلك من العقبات

وقد أتسنا قليلاً في البحث عن نهري انكلب و ابراهيم لينبئ بثل الاول ما فازت به الممم وبثل الثاني ما يمكن فعله فلما يكون الانهيار التي هي احسن موقعا من نهر ابراهيم فان للمياه شروطاً جغرافية لا بد ان تستوفيا لفائدة الانتفاع بها ولذلك ترى عيوناً غزيرة في لبنان تجري دون عائدة لوقوعها في وسط الجبال وبمبدأ من المراكز الأهولة. وهذا ما حلل الاضراب عن ذكرها في هذه المقالة عن مجاري لبنان (نهر الجوز) هذا النهر ربما نضبت مياهه صيفاً عند مصبه. وعليه فلا نلظن

انه يمكن استعماله في غرس البساتين وتحريك الطوامين كما يفعل في اليرم وليس الأمر كذلك في نهر قاديشا (ابو علي) فانه كثير ليس لتي سهول طرابلس فقط بل لتشغيل عدة معامل صناعية لو ارد ذلك ارباب الصناعة. وما يسوق هذا المشروع قرب النهر من مدينة كبيرة غنية بالمحاصيل الأولية ولديها الوسائط الكافية بتصريف بضائعها ومخصولاتها

ثم يأتي بعد نهر قاديشا (نهر البارد) و (نهر عكار) ولا ينبغي عليها أمل كبير وذلك قلّة مياه الأول ولوقوع الثاني في مسيل عميق ضيق. أما النهر (الكبير) فانه خطير الشأن كما رأينا. فان تحققت آمناها وماد لولايه مكانه من الاقتصاد ادهرت تلك السهول المخصبة واغنى السكّان بإرباحه الطائفة

واعلم ان السواحل الفينيقيّة لم تكن قط في القرون النائرة مراكز لتجارة العالم بل ايضاً مواقع مهمّة لمراقب الزراعة واعمال الصناعة. فثال القدماء بهذه الموارد الثلاثة ارباحاً طائلة. وعدنا ان هذه الثروة لا تعود الى ايدي ابناءهم لذا حاولوا احياء الزراعة والفنون الأبشوط استخدام القوى الطبيعية التي قسمها الخالق على بلادهم لاسيّا انكثرت المائبة للخرونة في جبالهم. وبأجدا لو استطاعوا بهذه السطور ان نقلت الحواطر الى هذه الأمور النافعة او حوكتها للممم مباشرة بض هذه الاعمال الشريفة

الاحوال الجوية في لبنان

هذا بحث يصعب الخوض في غماره على طريقة علمية بالضبط والتدقيق وسيبى انه ليس لدينا أرماد تقي بالرام . اجل اننا لسالمون بان ميازين الحرارة ومقاييس ثقل الهواء صارت شائعة في بعض انحاء لبنان لكن اصحابها يكتفون في الغالب بالنظر اليها عند الحاجة وليس من احد يتكبر في تدوين درجات الترمومتر او البارومتر واذا باشر احد في ذلك لم يُمنَ بضبط العمل او حيلة بعد حين بحيث تضعيف الفائدة العلمية . وغاية ما لدينا من ذلك قوائم رصدية دُوّنت في بعض الاماكن وهي لا تتجاوز الستين او الثلاث سنوات وكلها مقصورة على رصد واحد في اليوم بدلاً من ثلاثة رصد فضلاً عن انها لا تدل على معظم درجات الحرارة او اقصى درجات هبوط الميزان (١) فينتج من ذلك انه لتسهيل تعريف معدل الحركات الجوية وبيان درجاتها مضبوطة

وعلاوة على ذلك لن احوال الهواء في لبنان تختلف اختلافاً ظاهرياً لا في تركيبه وموقعه من التباين . فانه من حيث الطور يُقسم الى ثلاثة اقسام الساحل والوسط والجرد . فالساحل يشبه في آثاره الجوية البلاد الحارة . وهواء الوسط معتدل . اما الجرد فاشبه بجبال الالپ ويرده كبردها . ويُقسم لبنان من حيث وجهته الى منطف شرقي يتحد الى البقاع والى منطف غربي يوازي بحر الشام فان هواء المنطف البحري ثابت في الغالب معتدل نوعاً . اما الوجهة الشرقية فعلى خلاف ذلك فانها في تقلبات هوائها من حارة ورطوبة اقرب الى داخلية البلاد في آسية المتقدمة .

(١) لو اراد احد قرأنا ان يمد هذا الحقل ويدون على طريقة نظامية رصد حركات الجو فخدم العلم بذلك خدمة طيبة . ونحن نؤسك له ان « الشرق » ينشر قوائمه شاكرًا وأكثر ما تفيد هذه الارصاد في بشري مثلاً لبلاد الجرد وفي بكنية لفظة لبنان الوسطى وفي فحة لخطوط لشرقي . ولا بد منا ان نذكر بالشكر مرصد ديرنا في البقاع المنشأ في كسار منذ سبع سنين فنشر ملحوظاته الجوية شهراً بعد شهر بكل تدقيق في مطبعتنا . اما ساحل لبنان فلا تختلف درجات حرارته من يبروت حيث تُدوّن هذه الملاحظات

قوى من ثم صفة قول القائل بان المسافر الذي يرتقي في سورية من ساحل البحر الى غابات الارز في مشارف لبنان يلقى في يوم واحد من اختلاف حالات الجو ما يلقاه مسافر آخر يرحل من صفة النيل الى شواطئ البحر الشمالي للمروف بالايبض واذا استئينا حارة قبط بلاد خط الاستواء وصارده اقاصي الانحاء الشماليه وجدنا في جهاتنا ما يتوسط بين هذين الطرفين من المظاهر الجوية

وعليه ليس الامر سهل مع هذا التفاوت البعيد ان تخصص الوجوه التي تشمل كل جهات لبنان فحسبنا ان ثبت هنا بعض ملحوظات عمومية مؤجلين التفاصيل الى فرصة اخرى عند ما نبعث عن احوال الجو في سورية فنضيف اليها ما يخص بلبنان



سواء تعتبر طبقات لبنان الثلاث او منطقتيه الشرقي والغربي لا تكاد تجد له في حصر المني الا فصلين وهما الشتاء والصيف او قل بالحري فصل الامطار وفصل السيوسه . ولعل الرائي الى مشارف الجبل يشعر بالفصلين الاوسطين اعني الحريف والربيع شعوراً اوفر على قدر توقعه في الطبقات العليا وذلك لتخلف زمن الحرارة وتأخر غور الزرع . الا ان هذه الاختلافات ليست بكافية لتنجح لبنان فينك الفصلين المعروفين بالربيع والحريف . وعليه يمكننا القول اجمالاً بان احوال لبنان فيما يخص فصول السنة متساوية متشابهة في كل طبقاته

اما اذا صرفت النظر الى الامطار فتجد اختلافاً يذكر بين اقسام الجبل من حيث طول الشتاء فان الوجه البحري يُجد قبل المنطف الشرقي الذي تتأخر فيه الامطار وهو في ذلك اشبه بجهات سورية الداخلية فيبتدى زمن امطاره بعد المنطف البحري وينتهي قبله . ولكن هل تكون مياه المطر اوفر في الجبل منها في السواحل ذلك امرٌ ذهب اليه البعض ولا يبعد قولهم من الصواب فان السماء ربما امطرت لبنان دون ان تنص السواحل بقطرة من سحبها . وقد يجري الامر على عكس ذلك الا انه اندد وقوماً . اما معدل المطر فاننا لا نظن انه يختلف كثيراً بين لبنان والسواحل ولعل هذا الفرق لا يتجاوز عشرة سنتيمترات الى خمسة عشر س . وما قولنا الا على الحدس والتخمين اذ ليست لدينا قائمة نسكد اليها

وتمّ ثبت بالامتحان ان الامطار تتقمّم بين شهور السنة على قدر ابتعاد البلدان عن خط الاستواء فيتقارب فصلا اليوسه والوطويه . فانّ معدل الامطار من ايار الى ايلول (وهو فصل اليوسه في سورّية) يبلغ :

في روبيّة	٣٥	في المّة بالنسبة إلى معدل مطر السنة
في برلين	٥٣	“ “
في بطرسبرج	٦٧	“ “

وهو امرٌ مَرَدٍ ايضاً في نواحي الشام . ففي اسكندرونه مثلاً حيث الحوارة اشدّ من بيروت بكثير ليست الامطار فادرةً في شهري تموز وآب . وكذلك بلاد قيليقية المجاورة اسكندرونه فانّ حرارتها فوق حوارة سواحل الشام ومع ذلك تهطل في صيفها الامطار بمعدل ستة في المّة فان قابلت ذلك بالشام وفلسطين وجدت من هذا التباين فرقاً عظيماً اذ لا يبلغ معدل المطر الصيفي عندنا الا سُدُس المّة فقط . وكذلك قد لحظ الاهالون في شمالي غربي الشام من السنة ١٨٩١ الى السنة ١٩٠٠ ثلاثة اطوار فقط من اليوسه دام كلّ منها مئة يوم . امّا لبنان فايّ طبقة رقيت منه تجد انقطاع المياه في صيفه يدوم اربعة اشهر بل خمسة وكذا قلّ عن بقية بلاد الشام وفلسطين

وكذلك اذا اعتبرنا جبل لبنان بين اللطائي جنوباً ونهر الكبير شمالاً وهو طول يبلغ ١٨٠ كيلومتراً نجد فرقاً بين امطار الجهة الشماليّة والجهة الجنوبيّة صيفاً . والمياه المنهمة في جبال عكا ووادي النهر الكبير من ايار الى ايلول تقلّ عن مطر بلاد الشقيف وعلى ضفّتي التاسميّة (١) . فيمكن اخذ القول عموماً بان كميّة الامطار في المنحطف البحري على طولهِ متساوية كما ان الزمن الفاصل بين اشهر العتولة واشهر المطر لا يكاد يختلف

وليس الامر كذلك في الضباب فانه في لبنان اوفر جداً منه في الساحل وهذا يصحّ ايضاً في البرد . امّا تعليل كثرة الضباب فن طبيعة الجبل اذ ان لبنان كجدار صخري عظيم يقوم كحاجز في وجه الانجرّة المتصاعدة في البحر مدفوعة الى داخل البلاد

بقوة الرياح الغربية . وعند هذا الجدار تتكاثر الضيوم التي تُرى في اعالي الجبل بين ٨٠٠ متر و ٢٠٠٠ م علواً . وفي بعض جهات لبنان يتكاثر الضباب حتى انه يتصادم اليها كل يوم مدة ثمانية اشهر من السنة وليس سيئاً علوها قطع بل موقعها ايضاً بالنسبة الى الجبل والى الاودية المحيطة بها فان كل ذلك لما يساعد على تراكم الضباب ولا نرى هنا دأماً للكلام عن حولة لبنان فأنه غني عن القول بان الحرارة تختلف مع اختلاف علو الامكنة ثم انما ذكرنا سابقاً ما يختص بالتلج اللبنانية (١) لما نقاوة الهواء وصلاحيته للصحة في لبنان فذلك امر مشهور لا يحتاج الى وصف فان كل هذا الجبل قد خُص بهواء جيد منمنش للقوى اللهم ألا الامكنة الواقعة بمجوار مصب الانهار وفيها الحثيات . وكذلك بعض القرى سمة سينة من هذا التلج وهو امر مستغرب لاسيما ان اكثرها واقع في بلاد يابسة لا تستمتع فيها للياه . فنطلب الى الأطباء الذين في تلك الجهات ان يفيدونا عن سبب تفشي الامراض في الامكنة المذكورة . أما بقية لبنان فان صفاء جوّه وجودة مياهه يقوّان هيكل الجسم ويجعلان سكانه اشداء . واللبنانيون في الغالب متوسطو القامة مقنولوا الاصحاب يحكمو البلية والفضل في ذلك لعشتهم في الهواء الطيب ولعدم ارتزاقهم بالصناعات المضكة ولهذا ايضاً لا تجد بينهم ألا امراضاً بسيطة . ولذا طوت المشارف ونجا وجدت منهم من هو ناصع اللون ابيضه . وقد مررنا كلام في ما يخص الشعب اللبنانية واختلافها في الصورة والميعة الى غير ذلك مما لا قائمة في تكراره

١٦

الفلاحة والاحراج اللبنانية

لا يستطيع اهل لبنان ان يرتقوا بالصناعة وحدها فهذا حكم راجح ابرأته غير مرة في احكامنا السابقة والسبب ظاهر لأن الصناعة تحتاج الى الماكن ولا سيما الى مناجم الفحم وكل ذلك تترك قليل في لبنان . ومن ثم ينبغي لاهل لبنان ان يسعوا في فلاحة الجبل وزراعتها وعليها يتوقف مستقبل لبنان لتفي غلاته بمشاهم . ومما

يضطرونهم الى السعي وراء ذلك وفرة السكان وغوهم سنة بعد سنة فانهم يجدون في ارضهم موارد رزق اوفر مما يظنون . وها نحن ذانين لهم ذلك في الاسطر التالية وليست غايتنا ان نكتب كتاباً مسبباً في احوال الزراعة اللبنانية^١ ندون قطعاً ما يشنا به تلوينخ الجبل فان للماضي حجة المستقبل . ونقسم كلامنا في هذا الباب الى قسمين يخص القسم الاول بالقبائل والثاني بانواع المزدحعات التي يمكن اللبنانيين ان يستندوا منها لرباحا جزية

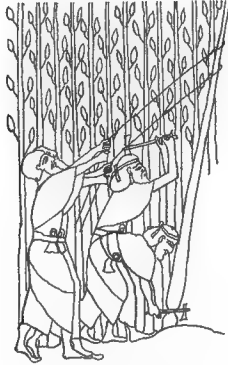
١

القبائل اللبنانية سابقاً وحاضراً

قد اطرا الكتبة لبنان وأفاضوا في مدح غاباته الباسقة منذ الاجيال النابرة العريقة في القدم . كما اثبتنا الامر في مقالتنا المعنونة جبال الالب ولبنان (المشرق ١ : ٢٢١) وشغفنا ذلك بمقالة ثانية (١) عن ارز لبنان فروينا ما كان لقبايق من الشأن الخلوي حتى ان كل الشعوب القديمة في الشرق لاسيما البابليين والفراعنة كانوا يجدون فيها حاجتهم من الحشب لأبقيتهم الفاخرة . ومن الآثار الهيردوتية ادلة واضحة على ان المصريين كانوا يستعملون جبل لبنان كغابة مؤسسة كثيرة الاشجار متكاثفة الاغصان لا يدي السائر فيها اديم السماء لظلمها الوارف (٢) وكان الفرياء لا يتجرئون في هذه الاحراج لأنهم يترجسون منها خوفاً لا يدرى فيها من ضواير الوحوش كالاسود والنمورة والذئبة . وكان الاهلون قليلين وهم يرتقون بما يقطعونه من الاخشاب كما ترى في صورتنا المنقولة عن بعض الآثار المصرية القديمة . أما الاشوريون والبابليون فلم يشاؤوا ان تبقى هذه الكوز في ايدي اخصاصهم المصريين فلذلك ننظر اصحاب الماديات البابلية ينتفخون بما جلبوه من اخشاب لبنان لبانيهم العظيمة كما ان قوشهم المنقورة في الصخور تنطق

(١) راجع الجزء الاول (ص ١٢٩)

(٢) المطب : Chabas : *Voyage d'un Egyptien en Syrie*, p. 312 — W M. Müller : *Asien und Europa*, p. 197-198 — Joret : *Les Plastiques dans l'Antiquité*.



قدماء اللبنانيين يقطعون الشجر

بآثرهم في صيد كواسر لبنان. مثال ذلك صورة ترفقنا باكتشافها في جبل اكروم شمالي
هرمل فوصفناها في بعض تأليفنا (١)

أما قدماء اليونان فلم يجسروا ان يتوغلوا في هذه الغابات التي كان البابليون
والفراشة نالوا من اطرافها فقط حتى قام الرومان تحت امرة يرميوس فتعقبوا فيها
المتلصصين من الايطوريين (٢) وضربوا على ايديهم ومنذ ذلك العهد ساد الامن واتخذ
السكان لهم منازل ثابتة فجعلوا يقطعون تلك الاحراج لحاجتهم الى الزددعات (٣)
وصار عدد القرى ينمو شيئاً فشيئاً وغرس الاهلون الكروم واهتشوا بزراعة الزيتون
فتوكرت وانتشرت وتخوف اصحاب الامر من ان تلتف الغابات فوضعوا الرسوم لقطعها

(١) راجع p. 50 Notes épigraphiques et topographiques sur l'Emésène,

(٢) راجع (ص ٤٩) والمشرق (٨٢٥ : •)

(٣) راجع (ص ٢٥)

ولاستثوا منها بعضها . غير أن لبنان لم يُسَرَّ جبلاً حافلاً بالسكان إلا بعد انتشار المارونية كما اثبتنا ذلك سابقاً (١) فكانت الغابات تنقص على قدر ما كان ينمو عدد القطيع . وفي ذلك العهد احتاج الخليفة معاوية الى عمارة فيجهر سفنها من خشب لبنان في عكا وصور وطرابلس كما ورد في فتوح البلدان للبلاذري (ص ١٥٣) وفي تاريخ توفانوس وتاريخ البطريك ميخائيل الكير (ed. Chabot. II, 445) . وكانت هذه الاساطيل تتكبد من عدد وافر من السفن بلغ مجموع بعضها ١٧٠٠ سفينة شراعية . وكان اذا ذهبت الانواء بقسم منها اسرع فيجهر غيرها بدلاً منها لانه لم يشاء ان يكون اسطول اقل من ٥٠٠ مركب . وهو لم يري عدد بالغ يشهد بلسان حاله على غنى لبنان بالاحراج والغابات كما انه دليل واضح على ما قدّمه بتوالي الاغصان من هذه الكوز الحشية . ودونك لسبباً اخرى قد سوت انتقاص هذه هذه الغابات ما عدا توفر السكان الذي سبق ذكرهم

سيأتي الكلام في فصل آخر من معادن لبنان في القرون الوسطى . وهناك ترى ان استخراج الحديد كان شائعاً في لبنان وكانوا يمدّون هذا للسفن على الطريقة للنسبة للكتيلان وهي طريقة تقتضي احراق الحشب الكثير . وكذلك استحضار الكلس قد اتسع نطاقه في لبنان لكثرة حجارته الكلسية والكلس لا يتبها الا بايقاد نار شديدة فذهب بذلك قسم من غابات الجبل

ثم انتشرت في لبنان تربية القز فشملت اشجار التوت قسماً من مكان الغابات . وزد على ذلك رمة الغزى واصطراع النعم الحشية وقلة اكلات الاهلين لنصب افراس جديدة فكانت هذه الاسباب كلها داعية الى تلف الغابات فاصبح الجبل اليوم اجرد اصلع لا تقرأ لناظره عين بما كان يزينة سابقاً من خضرة اجاجه ولوزه الشهيد الذي انشئت في عاصته الاسفار الالهية

وان قيل ان اهل لبنان اصابوا بدلاً من هذه الغابات مراعى اخرى استاضوا بها اجناً ان هذه الحيرات التي حظي بها القوم انما كانت مقصورة على منافع وقتية ولو فطنوا وادركوا كنه الامور لامكنهم ان ينالوا هذه الحير دون ان ينجسوا هذه

الحسائر الجسيمة. ومن المعلوم أن أعمال الحشَب تتوقى يوماً بعد يوم مع ترقى المدنية فتستدّر منافعة لهايات لا يضبطها احصاء وكلها فوائد جلية . لأنّ من يُخدع الاثلاث وامتعة البيت وادواته المختلفة ومنه يُستحضر اليوم ورق الكتابة ويثمة يتساعد كل يوم . حتى ان بعض المتولين اعمال السكك الحديدية يرون أنّ الحديد لرخص منه في عوارض هذه السكك . وكذلك ترى الكهرباء . يرقىها ولتقتار استعمالها تقوم اليوم مقام الفحم كما ان غاز البترول يثوب ايضاً عنه في اعمال صناعية عديدة فيستخدم في تحريك الآلات في العامل والمراكب والسكك الحديدية بل في طبخ الاطعمة . وبينما ترى بنية المواد تنقص قيمتها او يتهاود سعرها تجد الحشَب بخلاف ذلك يرقى سأم الصناعات ولا يُستغنى عنه بحيث يمكن القول انّ حرفة الحطاب كحرفة الفلاح اقدم ما عُني به المرء في بداية كونه وستبقى الى آخر اكون . فترى من ثمّ جمل الذين هبوا بهذه الثروة فضحوا مع لئاً قصاً من لبنان لا يصلح في الغالب لا سوى ذلك . وقد جرّ خرب هذه النباتات آفات اخرى نشأت عن قطعها . فمن ذلك فقد قسم كبير من التربة الزراعية التي تجرفها كل عام لمطار الشتاء . ومنها فحوب هيون مينة انقطعت مياهها او قلت . وكذلك كثفت الحواجز التي كانت كسدود في وجوه الانهار عند طيناتها واستنقعت للمياه في البطائح فانبتت منها الجرائم الويتة وذلك بدلاً من الروائح العطرة التي تنفوح من اشجار الازر والصنوبر والشربين . فانّ لمخالف كان اقام لبنان ليحطة كيارستان للمرضى وكستشفى يالج به اهل العاهات اسقامهم ويجددون فيه كما في جبال سورية صحتهم بعد ان انهكتها الاصاب او تناقلت عليها اعباء القبط فيمشوا قواهم بصفاء جوه وطيب هوائه وشذا عطوره وازهاره . ولا غرو انّ الزوار كانوا يتوردون اليه ترقى ليسرّحوا انظارهم في مشاهد الفئانة وآثاره القريدة المجتملة بتماظر الطبيعة كما انّ للرضى منهم كانوا يستطيعون ان يتماثلوا بالمعالجات الطبيعية التي اختبر نفعا اطباء زماننا كالعلاج بالهواء والاستحمام بالماء . والتور والتطبيب باللبن والعنب وترويض الجسم بالرياضات القوية . ففي لبنان صلاحية لكل هذه الاسباب الصحية التي لا ينالها الاوربيون في جبال سورية مع كثرة ضاها وكثورة سائها الا بان يتعرضوا لامراض شتى كوجع المفاصل والصلداع . وكان امكن اهل لبنان مع هذه الحيزات الميسرة ان يوسعوا مصادر اوتراقهم ببناء الفنادق

للقرىءاء وإنشاء الشركات لنقل المسافرين وغير ذلك مما يجلب لسويسرة ارباحاً فاحشة . وقد قُذبت هذه الوثائق كلها وخسر لبنان كل هذه المكاسب منذ جؤ الاهلون قبة عن غاباتهم بل قل عن موارد سعادتهم



اعلم ان تجارة الخشب قد صارت اليوم في ايدي اهل اوربة فيكسبون منها مبالغ طائلة . مع ان تربة تلك البلاد لا تصلح كثرة لبنان لنسج الشجر وذلك ان شجرة من الصنوبر مثلاً لا تبلغ في بلاد اسوج وزوج عشرين متراً طوًلاً في دائرة متر ونصف الا بعد ١٥٠ الى ٢٠٠ سنة أما في جنوبي فرنسا فان نحو هذه الاشجار اسرع من ذلك باربعة اضعاف ولا نشك انها في لبنان تنمو بزمن اقل من ذلك بستة اضعاف لحسن موقع هذا الجبل واعتدال هوائه . فترى من ثم ان اللبنانيين لو ارادوا امكنتهم ان يزاحموا اهل شالي اوربة في هذه التجارة الراجحة بدلاً من ان يذهبوا لهم ما لهم جلب اشغالهم

وهذا وإن تغافل السكّان والحمد لله لم يضر تماماً هذه الثابتات فان في لبنان حتى الان امكنة تظلها الاحراج وتشهد على غناها القديم . وقد تكلمنا في خلال بحثنا عن ارد لبنان في المراكز الثلاثة التي ترهب فيها غابات هذا الشجر الثمين واستلقتنا انظار اللبنانيين الى ما يتهدد غابة الباروك من عوادل الفساد

أما بقية الاشجار غير الارز فان طلبنا لها غابات كبيرة ليس غياًضاً صغيرة لا نكاد نجد منها الا في بعض الامكنة السحيمة كجبل اكرود شالي شرقي لبنان وهذا الجبل من ملحقات جبل مكّار تراه موازياً لبحيرة حمص وهو قليل السكّان وفيه غابة واسعة من السندبادن الباسق الاقنان . بيد ان اهل تلك الانحاء يحطمون منها الفحم فلا تلبث بعد مدة ان تلتف كما تلتف اخواتها في لبنان . ويا ليت هؤلاء الحطّابين يكتفون بقطعها فيبقى اهل لان يتودقتمو بعد سنين الا انهم تخفيفاً للعمل يلقون النار في اصول اكبر اشجارها فتجف مائيتها وتلتف دون ان يرجي لها اخضرار فيضحي مثل هؤلاء كمثل المرأة التي لم تتنعم ببيضة من ذهب كانت تبضيها لها كل يوم دجاجتها فلما طمعت بما هو لوفر قعدت رزقها . وكان قديماً اللبنانيين لوفر عتلاً كما ترى في الصورة التي اثبتناها آنفاً (ص ١٨٣) فانهم كانوا يتنعمون بخشب غلاتهم دون ان يستأصلوا شأفتها

وكذلك مقاطعة الهرمل فانها كثيرة الاحراج ينمو فيها خصوصاً ناعم الشجر وذلك على مساحة نحو ٢٥٠٠٠ هكتار . ومع كثرة النبات ترى ايضاً امكنة عديدة خالية منه . واشجار معامة الهرمل دون جبل أكرود في يسوقها وحسبها وهذا مما يبيض شيئاً من قعرها . والقمّامون يعيشون ايضاً في هذه الاحراج كيث وصفانهم في احراج أكرود غير انهم لا يحرقون الشجر من اصله كما يفعل لوليك

وترى في مقاطعة الضنية وفي منطف لبنان الشرقي بين الهرمل وبينات بعض الغابات الحسنة واشجارها في الغالب متوسطة الكبر ليست متواصة . ومن اشجارها الخاصة بها الشوح (*abtes cilicia*) وهو شجر جبلي نادر الوجود في الاصقاع الشامية لا يُعرف في غير جبال اسكندرونة ومديرية الضنية ويستحق ان يُفهرس في نولعي لبنان لحسنه فانه ينمو الى علو ١٥ متراً ونبت في مشارف الجبال بين ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ متر وفي غير هذه الحال لا تجد الغابات الا في بعض الودية للثة او على جوانب بعض السيول ومنحدبات النياض يتناز بينها الصنوبر والسرو . اما غابات السندليان التي كانت تربي منطف جبال جزين عند تومات نيسا فانها صارت اثرأ بعد عين . وترى بدلاً منها بقعاً سوداء تشهد على مساوي القمامين . ونذكر هنا بعض النياض لا لاتسامها بل تنشطاً لمن غرسها واستلقاها لظفر الاهلين منها احراج يت مري ومن زحلتا وبكاسين وبكفيا . فياليت اللبنانيين يأثسون بهذه الامثال فيعيدون لبلهم زينة السابقة

وبما نجد بنا ذكره مزراع الزيتون . وهي كثيرة في بعض الجهات حتى ان الذي يراها يحسبها آجاماً وغازيات . منها مزراع الكورة التي تمتد على طول خمسة كيلومترات في عرض الف متر . واوسع منها مدارس للثارة وعماطور الا ان بينها صنواً اخرى كاللوت والاشجار للثرة وقد استوقفنا ابصار قرأتنا على تلك النياض البديعة المنظر التي تجاري في خصبها غوطه حمشق واجمل مواقع سورية . الا ان السهم الانوز بين مزراع الزيتون هو للثويات فان صغرها تبلغ سبعة كيلومترات طولاً في عرض يختلف بين سكيلومتر وثلاثة كيلومترات وهي دون اغراس للثارة طولاً لكنها مرصوة متواصة لا يدخل فيها صنف آخر من الاشجار . ومن نظر اليها من عل خالها بمجرة كبيرة من الحفرة لتلاصق اشجارها وكلها في طو واحد نصب اكثرها

قبل ستين سنة . وكذلك مزارع قصبه زغرنا العامرة فانها واسعة جمية وان تكن اصغر من المزارع السابق ذكرها وتختلط بما سوى الزيتون
 ويهم اللبنانيين ان يوسعوا نطاق هذه الزروع لا وراءها من الارباح التي تبلغ اربعة اضعاف ربح الثغلات . لانّ مملك ما يستغل من زيتونة واحدة يساوي في السنة بين ١٥ الى ٢٠ فرنكا ولو بيع الزيت في الخارج لاتي بمكاسب طيبة لحاجة كثير من البلاد الاجنبية اليه فان فرنسة مثلاً تحتاج الى ٢٥,٠٠٠ طن من الزيتون فضلاً عما تجده في مقاطعاتها . فيأتيها من مستعمراتها ٨٠٠٠ طن لسدّ هذا النقص فيتي ١٧,٠٠٠ طن يمكن اللبنانيين ان يؤدوها بها . ولما ذلك على شرط واحد وهو ان يتخذ الزارعون الطرائق المستحدثة لصير الزيتون فان الزيت الطيب للستجب لا يُنال الا بالادوات الحصرية التي شاعت اليوم في اوربة (١)

٢

مزروعات شتى

نكره هنا ما سبق لنا قوله انّ الناية من بحثنا الحاضر ليست تأليفاً في الفلاحة او في ضروب النبات التي تزين لبنان . والمواليد النباتية متوفرة فيه لما خص به هذا الجبل من الدوائر المنطقية والطبقات المتباينة واختلاف التركيب الجيولوجي والواقع من قمم وادوية وغير ذلك (٢) . والقصد من هذه النبذة ان ندور، بسبب المعوقات المفيدة نستدعيها الى تعاليم التاريخ والى نتائج علم الجغرافية

اننا لا ننكر ما اصاب لبنان من الحسائر بتجرده عن غاباته القديمة الا انه لا يجوز القول بان الجبل قد خُصِبَ وثرثرت الارضية بدعوى ان الزراعة اليوم لا تأتي بالارباح المأمولة . والحق يقال ان بعض السيول قد نضبت وان السيول وغيرها من دواعي الحراب سحت بقم كبير من الثروة الزراعية وابرزت صخوراً سوداء لا يمكن فلاحتها .

(١) اطلب كتاب الفاخر ودع اخندي مدور في الفلاحة السورية (Syrie agricole, pp.

206, 212)

(٢) فليراجع كتاب المسير جوره في النباتات القديمة وله فصل في نبات بلاد الشام عموماً ونبات لبنان خصوصاً (ص ٢٣٤-٢٣٦)

لكن الجبل في ما سوى هذه الامكنة لا يزال طيب الثرى صالحاً للزراعة . ألا ترى مثلاً ما ينافي لبنان من حاصلات الكرم والتوت والتينغ الذي تود على اهله بالمكاسب الطائلة وقد كانت مدة من مرافق الجبل الحلاصة به . وان كانت هذه موارد الثروة قد خفّت فلا تقرب على الارض اللبنانية وأما تنقيت فقط احوال سوقها التجارية ولعل ارباب الزراعة في لبنان لم يصرفوا نظرهم الى تحسين طرق زراعتها على الاساليب للمستحدثة . مثال ذلك زراعة الكرم فان لبنان يواقها اي مواقة وترى اليوم اصحاب الشركات الاسرائيلية والالمانية في جهات فلسطين قد سبقت اللبنانيين في استثمارها

ولا غرو فان حصرنا هذا عصر التقدم وقد اصاب الفلاحة من ذلك نصيب كبير فلا بد اذن من استعمال الاساليب التي اختبر العلماء منافها لئلا يذهب شئنا سدى بجماعة النير . فاقولك مثلاً في جند اليابان لو تزلوا ميدان الرغى وفي ايديهم القوس والتشاب لمحاربة الروس المتسلحين بالبنادق وهم يطلقون عليهم المدافع . فكذلك الفلاحة فان لها اليوم ادوات تسهل طرائقها وتوفر غلاتها اضعافاً كثيرة ومع هذا ترى الاهلين لا يسرون في اتخاذها ويجرون على آثر اجدادهم في اساليبهم الخلة التي شاعت بينهم قبل القرنين او ثلاثة الاف سنة . مثال ذلك عصر الزيت فان اللبنانيين يستخرجونها في معاصرهم كما فعل الفيلقيون . أليس هذا شططاً وكيف يستطيع الاهلون بعد ذلك ان يلوموا الزراعة ويشكروا قلة ارباحها

هذا ويؤخذ من دروسنا السابقة ان لبنان منذ الطور التاريخي لم يختلف في هوائه اختلافاً يذكر وان لمطاره لم تكن اذ ذاك باوفر منها في عهدنا معاً زعم الزاعم ليثبت خلاف ذلك

وفاية ما يمكن التسليم به ان الامطار مع اتساع الاحراج قليلاً كانت متمسة على كل انحاء لبنان تقسيماً نظامياً يعم فصول السنة فيديم زمانها اكثر دون ان تتفرق بذلك كمية مياهها . وهذا ايضاً ضرب من الخلدس لا يمكن ان يحكم بصحة قطياً وعليه يسوغ القول بان النبات اللبناني هو اليوم كما كان سابقاً الاجناساً قليلة . فمن ذلك البُدي (papyrus) الذي ينبت يوفرة حتى اليوم على مقربة من بحيرة الحولة . وطى رأينا انه كان ينبت في الاجيال النابذة في اودية الجبل الحارة الكثيرة

المياه وعلى ضفاف الانهار ومسابحها وذلك لما كانت غابات لبنان باسقة تسرح فيها سباع الحيوان كالأسود والذئبة وتترج في انهارها التلييح كما سيأتي (١)
ومن النباتات المنسوبة الى لبنان شجرة اللبان أو الكندر وهذا الرأي ترويه مكرراً في لسفار الكتبة من أهل القرون الوسطى ككتبة بلاسند وأغما هو مبني على وهم لقوي فرعوا ان لبنان معناه اللبان لتوافق اسمها في اليونانية (Λιβανος) كلاً لم يثبت لبنان قط شجيرة اللبان التي هي من خواص اليمن وضواحيه . على ان هذا الجبل غني بنبوس أخرى وأشجار نقلت اليه فصائلها بعد هربها من الميلاد على ما نطق منها الشمس المعروف بالبرقوق (٢) والبرقال وقصب السكر . وما جاءنا من امركة التبغ والصيبر . وقد دخل أيضاً لبنان نباتات حديثة العهد مختلفة الاجناس إلا ان كثيراً منها بعد بركة من الدسر تضيع وتفقد خواصها الأصلية لاختلاف التربة عليها او بالحري لجمل الاهلين يربونها . وما يصح قوله اجمالاً ان لبنان يصلح لنمو اكثف النباتات والأشجار بحيث يضيحي كمدائق خفاء وبساتين فيها جامعة لشتات نبات المعمور . والسبب في ذلك اختلاف طبقات الجبل وتباين مواسمه . وهذه لعمرى منحة فريدة تكرم بها الخالق على لبنان فلو انتفع بها الاهلون لأغنتهم عن شكاوهم من قح الجبل وضوالة غلاته

*

وقد ذكرنا أننا الصيبر أو التين الشوكي . وغاية ما يتفنع به الناس لهم يتخذونه كسياج ليوهمهم او ياكلون ثمره الله . ولو دروا لامكتهم ان يستعملوه لقوائد أخرى اعظم واجل . وما تفرقة عن هذه الشجرة يصح في كثير غيرها . فمن ذلك انه يؤخذ على الفلاحة اللبنانية قلة اهتمام اصحابها بقربية الواشي ومن المعلوم ان الجبال انصب الى ذلك من سواها لاسيما انه يلحق برعية الواشي اعمال أخرى يرتقون بها كبيع اللعم واصطناع الجبن والحليب والزبدة واللبن . وما السبب في قلة تهامل أهل لبنان اقربية الواشي إلا قلة الراعي والاعشاب فان بعض

(١) راجع الكتاب السابق ذكره (ص ٢٩٠)

(٢) ويدل على ذلك اشتقاقه من اللاتينية

الامسكة قاحه جدا لا تجدد فيها الطرش لما ظا طول السنة وفي غيرها تحصل القربة في فصل القيط وتيس المراهي . فلاي سبب لا يُذود الصيّر الذي يبت في اي تربة كانت وهو يثبت على اشتداد الحرّ

ولكي يمكن الانتفاع بهذا النبات لا بُدّ من تزع شوكه منه . والاولى ان يُنرس ضرب آخر منه لا شوك له . واعلم ان ثمره ولاسيا اوراقه (الواحة) الضخمة المكتمة من احسن ما يُطبخ به الحيوان . وبعض الزارعين يؤنّه شلياً بالجذر بل افضل منه قوت المواشي . والجذر كما لا يخفى يُستخذ في اورية كلوفة الاتعام . والصيّر اذا غرس وطلع يقضب في سنته الثالثة او في الرابعة وهو انصب فاذا آلى على غرسه ست سنوات آلى بشره وبقي ثامياً الى السنة الاربعين فيحترق كشدب ساقه فيعود وينمو جديداً . وجميع ما يستعمل منه كل ستين بين ٣٠,٠٠٠ الى ٣٥,٠٠٠ كيلوغرام من العلف في كل هكتار

وليس الرأي هنا ان تزرع الاراضي الطيبة بالتين الشوكي بل الاراضي البور قطع التي لا تصلح لتغير ذلك من اللزروعات وان يُنرس منه ثلاثة او اربعة صفوف حول البساتين والاملاك الواسعة بدلاً من اكرام الحجارة التي تقوم في وجه السابلة واذا احتاج الناس الى علف للماشية في بعض السنين التجهوا الى هذه المونة القريبة التال ١١

ويوجد غير ذلك من الاشجار التي تؤدي لاصحابها خدماً مشكورة منها شجرة الخروب الذي يثبت من قسه في لبنان (٢) وكان هذا الشجر كثيراً في لبنان حتى ان اقليم الخروب دعي به (٣) اما اليوم فلا يرى منه في لبنان الا اشجار متفرقة قليلة البسوق مع انه شجر كثير المنافع في تلك الجهات . وما يقال عن اقليم الخروب يصح في بقية اقاليم لبنان فان مديرية البعوث كما يشهد على ذلك المعترون من الشيوخ كانت غنية بهذا الشجر قبل نصف القرن واكمه اليوم قد قطع وتلف فلم ينع الاهلين ان يستبدلوا تلك الاراضي البائرة باغراس غيره . وهذا التسل يبين للقراء ان الفلاحة

(١) راجع كتاب الاديب ودع مدوّ في فلاحه سورية (ص ٢٦٤)

(٢) كتاب جوده (ص ٢٥١)

(٣) وهو اسم قديم ورد ذكره في كتاب شمس الدين الدمشقي (ص ٢٠٠) وفي تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (ص ٨٨)

اللبانية لاذما قصرت في بعض الاحيان من الترقى والتحسن ربما سهت ايضا عن امثال الاقدمين وعلت عن آثارهم المصودة . وكان اجدادنا يعرفون فضل الخروب وقدوة قدره كما يؤخذ من هذا النص الذي سطره الشريف الادريسي في كتابه عن الناعمة التي هي اليوم قرية حقيقة قال (١) :

« والناعمة مدينة حسنة وأكثر نبات ارضها الخروب الذي لا يعرف في سبور الارض مثله قدرا ولا طيبا ومنها يجهز به إلى الشام وإلى ديار مصر واليهما ينسب الخروب الشامي اما وان كان في الشام كثيرا وطيها فهو بالناعمة أكثر وأطيب »

فهذا الكلام شاهد لامع على ان الخروب كان متوفرا في الاقليم الذي دُعي باسمه وان زراعته كانت معدودة كأحد مراضى لبنان الجنوبي . فإرعاك الله ماذا ينفع من ان يعود الاهلون الى توفير اغراسه لاسيما انه يأتي حورا في كل الامكنة القاحلة ولا يحتاج الى حناية خاصة كما ان قلة الامطار او كثرتها لا تؤثر فيه واللبانيون بفرس هذا الشجر لا يسدون قط لجلبهم بعض نضارته بل يرتقون ايضا بمحاصيله كما كان الامر في عهد الادريسي

وبما يزيد الخروب ثمنا ان ثمره سكري وقد اثبت الذين يهتمون بنظارة المواشي ان الملف انفع للانعام اذا دخل فيه السكر . وقد عرف قدماء المبرانيين منفعة قاطعوه الحنازير (راجع انجيل القديس لوقا ١٥: ٦ وكتاب التلمود) وغيرها من الرعاة . وبه ايضا علف اليونان والرومان مواشيتهم . واليوم يدخل فرنسا في كل سنة ١٩,٠٠٠ طن من الخروب ملابقتها وهذه الكمية تتسوق فرنسا من بلاد شتى ولا تقيدها الجزائر منه سوى الف الى اثني طن . وعمول الخروب يختلف على حسب عمر الشجرة وحسنها ومداريتها فيحيى من الشجرة سنويا بين ٢٥٠ كيلوغراما الى ١٠٠٠ ك من الشر يساوي ثمنها ١٠ فرنكات الى ٤٠ ف . وفي هذه الاعداد دليل ظاهر على فوائد غرس هذه الشجرة التي لا تطلب عاء كبيرا . وان لم يقصد الاهلون منها الربح يبيع ثمرها الا انهم يجدون فيها منافع غيرها كرمية المواشي . وثمرها كما سبق افضل طعم الدواب يقوم مقام غيره من الشجوع الذي يندر في بعض المواطن . وقد لحظ الاجانب فضله فصاروا

يقبلون عليه اقبالا يزيد مع الاعوام وهم يستعملونه في الصباغة وفي عمل السكر ويلفون به انعامهم . والبعض منهم يحمصون حبوبه فيجاولونها بدلا من القهوة (١) . وكذلك خشبه صلب مسط يصدر على الزمان دحرا طويلا فيرغب فيه لذلك . وغايه ما يؤخذ على الخروب انه كالزيتون لا ياتي بشوره قبل سنه العاشرة . لكن هذه الصعوبة ليس من شأنها ان تمنع من غرسه . ومن نظر الى الربح العاجل فقد الكساب الطائفة الآله (٢)

ويوجد غير ذلك من النباتات التي تصلح للاراضي اليابسة نذكر منها شجر التين واللوز . ومن المعلوم ان ١٠٠ كيلو من التين اليابس ربما يمت بائنة فروك اللهم اذا كان التين من الجنس الحسن وجعل في قلب مكبوسا كما يصنع اهل لزمير وهو من اكبر موارد الرزق لديهم (راجع الشرق ٧ : ١٠٦٠) فلو صرفنا النظر الى افارنا لتحسين اجناسها وتهيتها لراحت الرغبة فيها وأجدت باعتها تمعا عظيما اما اللوز فهو من الاشجار الوطنية (٣) التي لا يُنكر فضلها . وزادتها اسهل من سواها في لبنان لان شجر اللوز كالزيتون واكثر منه ينمو في الاراضي القاحلة والقرية الكنسية ومعظم لبنان تركب من هذا الصنف . ثم ان الشجر لا يقتضي عناية خصوصية وثمره يبلغ في الشجرة من ١٥ كيلوغراما الى ١٠٠ ك ويبيع باسعار حسنة فان مئة كيلو منه يدفع فيها من ٤٠ الى ١٢٠ فرنكا على حسب اختلاف الاجناس فيكون ممكنا حصول الشجرة بين ستة فرنكات وستين فرنكا . وهذا ما ساق الشركات الاسرائيلية في سواحل يافا الى ان تُكثّر من اذصاب اللوز فيقوم منه غابات في بعض حدائقها . ومن خواص ثمر اللوز ان تهيشه لا تستدعي شغلا لنقله وهو يبقى زمنا طويلا

وليس الامر كذلك في زراعة اشجار غيرها التي تسارع بعض الاهلين الى غرسها كالليمون مثالا (٤) فكل يعرف فضل ليمون صيدا . على البرتقال اليابوي وكثرة مايتبه

(١) راجع مجلد للتجارة للاب فيكورو على لفظة « خروب » (ج ٢ ص ٢٠٨)
(٢) ومن اراد غير ذلك في هذا الصدد فليج بكتاب الاديب ودع مدور (ص ٢١٢ و ٢٦٥ و ٤٣٣)

(٣) طالع كتاب جوده (ص ٢٩٥)

(٤) راجع في الشرق (٦ : ٢٨٩) مقالة الاديب توما اندي كيال في برتقال صيدا .

وطبيب طمعه إلا أن يرتقال يافا لزوج سوقاً عند الانكليز . والسبب أن ثمر يافا لفظظ قشرة فيبلغ انكثرة وهو على حسن حاله بخلاف الليون الصيدوي الذي يفسد في الطريق فيذهب رونقه . ولعل لهذا الداء دواء وهو ان ينجيخص الصيداويون قسماً من جئاتهم الثفاء للشكل اليابوي فيصدرون هذا الصنف للبلاد الاجنبية . أما البلاد المجاورة او النصة بخلوط نظامية كمصر وسواحل الشام والاستانة المليئة وجنوبي روسية فيزدودها باشكالهم الوطنية الطيبة لاسياً ان تربة صيدا تصلح لكل ضروب البرتقال ولأجناسه المختلفة . ولهم أن لا يجري الاهلون على مألوف حادثهم المغلة لأن ملازمة الطريقة الواحدة تؤدي بهم الى خسائر جسيمة . ألا ترى مثلاً أن بعض المراكب حملت سيرها الى صيدا وكانت قبل ربع سنوت في فصل الامطار ثمر بها لنقل محصولاتها . فلما رأت كساد سوق ليونها كُتت عن المجي . اليها

ومن الزراعات النافعة الحظيرة الشأن شجر الشمس وشجر اصنافه صفان معتبران هما للشمس النكلائي تكون نوقه مرة وللشمس اللوزي حلو النواة . وهذا الصنف هو الانضر والالذ والفرق بينهما من حيث الثمن بيد جداً إلا أن رغبة الفلاحين في الصنف الاول اعظم . وما هو يترى سبب ذلك ؟ قلّة اقتشار الشمس اللوزي . ولو اراد الزرايع لامكتهم توفير الجلس الفاخر بملية صغيرة سهلة جداً

*

ومجمل القول ان الفلاحة البنائية لم تنهض حتى الآن من خمولها . وكثيراً ما نعمل الشكاوى على الطليعة او تركيب التربة او العناية الصمدانية ولو كنّا من ذوي الانصاف لشكونا سهواً وغلطاً . نعم انه لا يمكن استئلال الحبوب والبزود من اراض حجرية او ماحة . ولكن ما لنا لا نوجه همّنا الى اصناف شتى ترى أكثر اهل لبنان لا يتشون إلا بالتوت ويكتفون بمرسه فقط كلهم لا يجحدون في سواء من الاشجار ما يقوم بجمايتهم او لايرجمهم ارباحاً مثله واوفر منه لاسياً ان بعضها لا يقتضي كالتوت فلاحه كبيرة ولا ايتاء سافات وسطوح ترب فاذا كان لدى الاهلين اصناف مختلفة زادت ايضاً مآتيهم وآمالهم . وعلى فرض أن صنفاً منها في بعض السنين لم يأت بالارباح المأولة استماضوا عنها بما يجحدون في غيره . وعلى هذه الصرة يقيم الفلاحون شغلهم على كل فصل السنة ولا يدعون قطعة من ارضهم دون فائدة

هذا وان قولنا السابق مبني كلاً على العلوم التاريخية والجغرافية والاقتصادية وذلك لا ينع صرف النظر الى خبرة ارباب الزراعة ومراجعة الكتب الخاصة التي صنّفها العلماء في هذا الشأن مكرّرين الشأن خصوصاً على التأليف الذي وضعه انكاتب الضليع وديع افندي مدور وقد استفدنا منه لتسليط هذا النظر في الفلاحة السورية . ونشئ ان يعرب قريباً لقوائده

١٧

ما تُقد في لبنان من قديم الحيوان

قد لحظ العلماء الباحثون عن طبائع الحيوان في الشرق ان البلاد السورية خيّت باصناف الحيوان بحيث ترى في القطر السوري مع قلّة اتساعه من سباع الحيوان والمواشي والدواب ما تجده متفرّقاً في اقطار مديدة ومناطق مختلفة من الطور . وهذا لمعري من المشاهد النادرة التي لا تكاد ترى لها شيئاً اللهم الا في النحلف الجبزي من جبل حملاً اعظم جبال الهند بل اعظم اطوار المبور . وانما نجد تليلاً لهذا الامر في موقع سورية وتركيبها الجغرافي فانك اذا استكنيت غور نهر الشريعة الذي هو اسفل من سطح البحر المتوسط باربعماية متر (وذلك امر فريد ليس لثله ثائر في الارض) ثم نظرت فقط الى هيئة لبنان تذكرت ما سبق لنا يانة من ان هذا الجبل جامع لخواص بلدان شتى متباينة كل تبائن ومن ثم يصلح لان يكون مأوى لمواليد الحيوان المختلفة

على ان غايقتنا في هذه المقالة ان نتصر على حيوان لبنان فقط وفي كثرة حيوانه ما ينبتنا عن ذكر بقية البلاد الشامية . لاسياً اذا اعتبرنا لبنان في الامم القديمة اذ كانت ترين قنّة غاباته الكثيفة قبل ان تُقطع اشجاره وتُستبدل بالزراع . فرائنا من ثم ان نبسط الكلام في قديم حيوان لبنان فنستقري الاصناف الحيوانية التي خلا منها الجبل مستدين في ذلك الى شواهد التاريخ الصادقة

*

الاسد ملك السباع قلة السبق وبه نفتح كلامنا . لم ينكر احد وجوده في بلاد

الشام وأما ادعى المسيو ستايفر في كتابه «فلسطين في زمن المسيح» (ص ٢٢٥) انه لم يبقَ له من اثر في اوائل تاريخ الميلاد . وكذلك الدكتور هـ . بروتس (H. Prutz) قد زعم ان روايات كتبة الفرنج في القرون الوسطى عن الاسود من الاساطير التي لا يوثق بها (١) وواقعة في هذا رأي الزمالة الشهيد سيتسن (Seetzen II, 228) فان اعتبرنا بلاد الشام اجمالاً عثنا على نصوص تثبت وجود الاسد فيها حتى في اوائل القرن السابق (٢) بل لا يستبعد وجوده حتى اليوم في بادية تدمر (٣)

اماً لبنان الذي يسمنا الآن اعتبره فان الشواهد على وجود الاسد فيه عديدة على اختلاف اطوار تاريخه . لابل قد وجدت قبل طور التاريخ في آثار هياكل اسود كانت تأوي الى الكهوف (٤) . ومن شواهد الازمان التاريخية ، اورد ذكره في سفر نشيد الانشيد حيث أشير الى أسد لبنان عموماً وحرمون خصوصاً قال (٨:٤) : « انظري من رأس اماتة من رأس سئير وحرمون من مراض الاسود من جبال النمر » . وحيثما جاء في الكتابات الميروغرافية قبل ذلك العهد ذكر « لبنانا » وهو جبل لبنان فان كاتبها يثني كجبل ذي احرار متكاثفة لم تمحن بالقطع تتجول فيها الضياع والديبة والاسود . وكان القراعة اذا خرجوا الى مضاد سباع البهائم والاسد قصدوا لبنان او لطفه في سهول البقاع او سهول حمص ووادي العاصي حيث كانوا يتصيدون النية كما سترى

وكذلك ملوك بابل وثور فاتهم بعد القراعة بقرن كانوا يحاولون قنص الاسود في لبنان . لنا على ذلك دليل محسوس في نصب اكتشفناه قبل بضع سنوات جنوبي غربي حمص على مسافة نحو عشر ساعات منها في سلسلة جبال متفرعة من لبنان يفصل بينها وادي خالد واسم الجبل أكروم . والنصب في وادٍ خرج حيث يسيل جدول ماء

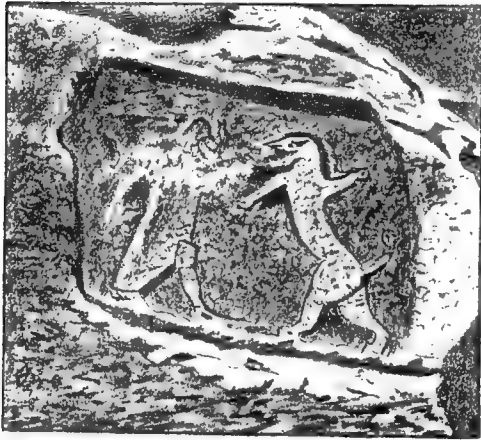
(١) راجع كتابه Kulturgeschichte der Kreuzzüge, p. 332

(٢) راجع الكتاب The City and the Land, 83 - وكذلك ورد في كتاب صبح الائمة لقلقشندي ان الاسد كان موجوداً في القطر الشامي في عهد المؤلف اي في اواخر القرن الخامس عشر (راجع النسخة المخطوطة التي في خزانه كتبا الشرقية (ص ١١٢٣)

(٣) راجع مجلة الملائين 1897, p. 403 Revue des 2 Mondes, 11 Juillet

(٤) راجع كتاب الاب زثرون البسوي (Haquisee géolog. du Liban, p. 65)

يُدعى نهر السبع شكله مربع تقريباً يبلغ قياس كل جانب من جوانبه مدين ونصف ترى فيه صورة أسد يصارعه رجل (انظر الصورة) والمصارع مننصب حافي الرجلين تراه يتبض يده شديدة فك الأسد الواسع المقعر بينا هذا يصب قائمته ليهجم عليه . وصورة الرجل مهممة ولا يرى السلاح الذي كان في يده والرجل كان يمسكه باليمنى ومع خلق هذا الاثر من كتابة لا شك في انه من مأثر الاشوريين (١)



صورة نصب آكروم

وقد اُكتُشف ليس بعيداً من هذا النصب اثر آخر يبين مضاه والواقف عليه

(١) راجع مکتابنا الذي عنوانه Notes épigraph. et topogr. sur l'Emésène, p.

etc. 49 وللاب س. رترقال بعث في هذا الاثر الجليل نشره في المجلة الكتابية, (R. B.

1903, p. 600-604)

هو السيو يونيون قنصل فرنسة سابقاً في حلب وجده منذ نحو عشرين سنة في وادي برية على مسافة نحو ساعتين من الهرمل في شالما اعني في وسط لبنان . وهذا الاثر عبارة من صفيحتين نصبهما ملك بابل نبوكدنصر الثاني وعليهما كتابات مسارية وضمن احدى هاتين الصفيحتين صورة كهودة نصب جبل اكروم تحمل صراع رجل واسد . وليس الرجل سوى ملك اشور بيته كما يلوح من مضمون الكتابة . وذلك ان نبوكدنصر سكن بومة من الدهر في دبة وهي قريبة من الهرمل ومن جبل اكروم فلا يجب ان تكون الآثار للكشفة في تلك الجهات بمسلة بعض وقائع الصيد التي تولاهما الملك الاشوري على مقربة من مقام مسكرو . وهذا دليل باهر على وجود الاسد في لبنان في القرن السادس قبل المسيح

وان تبيننا سياق الاجيال من بعد نبوكدنصر لا نجد شواهد واضحة على صدق مقالنا والسبب ان الكتب اليونان والرومان لم يروا عن لبنان الا القدر القليل فلا غرو ان سكروا عن مثل هذه الحقائق . ولا يقتضنا مع هذا بعض الدلائل المشيرة اليها فن ذلك اسم «البوة» وهي قرية شالي بعلبك على مسافة اربع ساعات منها واسمها القديم كما في العربية ليسوا (Liboa) يشبه اسم قرية بيت لبوت (metz met) في فلسطين (١) ولهايك هذا الاسم شاهداً على وجود الاسد في تلك الجهات عند سفح لبنان . ومثل هذا اسم مدينة ليونتوبوليس (Leontopolis) اي مدينة الاسود واسم نهر الاسد (Λεόντος ποταμός) وكلاهما على سواحل لبنان وان لم يتبين العلماء بضبط نقطة موقعها . ولا بأس لذا قيل بان في لسيهما دليلاً على وجود الاسد بجوارهما في لبنان

وزد على ذلك نصراً وردت في كتاب فتح البلدان (ص ١٦٧) للبلاخوي تنهى بوجود الاسد قريباً من انطاكية . وكذلك جاء في كتاب الاعتبار ان اسامة ابن منقذ كان يصيد الاسود في فواحي شيز . ومن غريب الشواهد ما اثبت فرسان الهيكل في قاندهم انه لا يجوز لهم الخروج الى الصيد ما خلا الاسود . وكان لهؤلاء الرهبان كما هو معلوم مراکز عديدة في لبنان (٢)

وما لا يتك شبهة في الامر خبر رواء صالح بن يحيى في كتابه تاريخ بيروت عن

(١) راجع مسجم الكتاب المقدم في باب الاسد

(٢) راجع ٤٦ n° ١٤٦, G. Schnürer: Die ursprüngliche Templerrage, p.

بعض امراء القرب في القرن الرابع عشر للميلاد في قرية عرمون الداخلة اليوم في مديرية القرب الأقصى من عمل الشوف. قال ما حرقه (ص ١١٣ من طبعتنا) :
 « ومن جملة مكابدهم منه (١) ان احدهم رأى اسداً قد تطرق إلى بعض الأماكن القريبة فحضره زين الدين بن علي وقال له ان دبا مجاور للسكان القلائي (يريد مكان الاسد) . وكان غروجه بالدب عن الاسد غروراً بزین الدين وطعاً ان يحدث له الاسد حادثاً) فوجه زين الدين ليلاً الى المكان الذي قيل له منه ولم يصحب معه احداً ومنه قوسه فكن هناك فلما مر به الاسد علم انه مفروء بالقول الذي قيل له ورى الاسد بسهم واحد متمداً على بيت القلب لمات الاسد منه . وعاد زين الدين إلى منزله وعند الصباح ارسل الى من اخبره انه دب يقول له : اذهب واتر بالدب الذي قلت حقه فانه مقتول بالمكان الذي ذكرت . قال ذلك متعجباً »

وهذه بيعة واضحة تدل على وجود الاسود في جهات القرب في القرن الرابع عشر وعلى الأقل بعض الافراد منها ، ولما توارت الليوث يقطع الاحراج من الجبل والتشار ذرع الثوت لصناعة الحور
 لما الاسد السوري فكان جنه قائماً بذاته وكان اصغر قامة من اسد افريقية واضعف منه قوة وكانت لبدته صهباء يخالطها شعر ارمي (٢) وهو كالتنوع الفارسي (leo persicus)



قال حضرة الاب زموغن (٣) : ليس قلبية انهار وسهول كافية لمراعي كبار الحيوان ذوي الجلد الفليظ (pachydermes) ومن ثم لا يُتظَر وجود هياكل حيوانات عظيمة قديمة . لكن الكاتب حينه قد اردف هذه الاسطر بقوله انه وجدت في الكهوف السابقة لطور التاريخ في لبنان بقايا عديدة من هياكل الكركدن (rhinocéros) الذي يجانس نوعاً آخر قديماً يُسمى تيكورينوس (tichorhinus) كان يرافق جبار الحيوانات المعروف بالثوت
 وفي مقالاتنا السابقة عن مياه لبنان (راجع ص ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٨) اقتبسنا

(١) يريد في إلى الجيش المادين لرين الدين بن علي امير انطرب
 (٢) طالع ، Nowack : *Hebraische Archeologie*, 78 ; *Dictionnaire de la Bible*, art. Lion
 (٣) Raquisse géologique, 6٩ راجع كتابه

بعض الدلائل التي يمكن ان يُستدل بها على وفرة المياه الجارية سابقاً من ميون لبنان وبنارها. وكان يتج من هذه المياه الجيرة تساعد على غرّ الزراع ونصب المراعي التي تحتاج اليها هذه الحيوانات لاسباب معاشها

وجود القيل في لبنان امرٌ ليس تحت ريب فترّد صحنّة الدروس الشرقية. روى المسير مسيرو في تاريخ الشعوب الشرقية القديمة (ك ٢ ص ٢٦٥) ان القومون نحوتمس الثالث لما عاد ظافراً من صفة الفرات تل في في (Nab) التي ظلّها اقامية للرافقة قلعة للضيق حيث تستقيم مياه العاصي في سهول واسعة كثيرة الادغال كثيفة الاصشاب. وكان هناك فيلة عديدة فاراد النورون ان يلهي بصيدها فوكل الى جنوده بان يحدقوا بالسهل ثلاً نقلت القيلة من الصيد فكان عدد القيل ١٢٠ فيلاً نقل عاجها الى مصر ١) فكفى بهذا المدد دليلاً على وفرة ذوي الحمرطوم في سورية

ثم ان في الآثار الاشورية ما يزيد على هذا دليلاً. قيل ان الحاج كان من جملة الجزية التي اداها للملك ينزي اهل بيت عديني وباطناي وهو يوصف كمحصول بلدي. اما موقع هذين البلدين فانه كان في شمالي سورية في ما يوافق حالياً ولاية حلب. وكذلك يتضح للمكان الاشوريون ثلثات فلاسر الاول ولشور بانديمال بانها قتلا في تلك الجهات عدداً عديداً من القيلة واسرا منها بعضها فتقلاها الى حاضرة ملكهما وكل ذلك دليل لامع على وجود القيلة مهملّة وحشيّة في بلاد سورية ٢)

اما داخل لبنان فليس لدينا شهادة جليّة على كيان القيلة فيه اللهم الا بعض الاسماء. كسن القيل قرية بجوار بيروت وخرطوم لضيعة في بلاد الشقيف لكن اشتقاق هذين الاسمين يمكن شرحه على غير طريقة. وعلى كل حال لما كان وادي «ني» اي اقامية السابق ذكره ملاصقاً للبنان يمكن القول بان فيلة كانت تصمد الى رأس العاصي في البقاع. فانه لمعلوم ان القيل الوحشي يقطع المسافات البعيدة انتجاعاً للمراعي. وكانت حالة بلاد البقاع في ذلك العصر كمالة بلاد اقامية. وكانت السهول المتوسطة بين لبنان والجليل الشرقي يتخلب عليها البحيرات والمستنقعات وتكثر فيها

(١) راجع ايضاً تاريخ مسيرو في الصفحة ١٨ ومجم الكتاب المقدس في مادة «فيل»

(٢) راجع كتاب حفرة الاب ديلاز البسوي L'Asie occidentale dans les inscriptions assyriennes, 25, 74

المرج الحصبية . ولا شك أن بعض هذه الحيوانات كانت تتروّد الى جهات مجيئة حمص وميون العاصي النبعة قريباً من هرمل فكانت تتوغّل في الغابات الكثيفة الثامية في منطف لبنان الشرقي لا سيّما عندما اخذ عدد السكّان ينمو في وادي العاصي فاضطّرت الفيلة ان تهرب وتطلب لها مأوى هادية لينة

اما منطف لبنان الغربي فلتوفّر سكّانه كانت احواله قليلة المناسبة لمعاش هذه الحيوانات المحبّة للزلة ألا في القرون النائرة قبل منشأ المدن النيقية الكبرى كطرابلس وبيروت وصيدا . اذ كانت السواحل مقاماً لبعض اكواخ الصيادين . فلا بأس ان يقال ان الفيلة كانت تطوف وتتنزّل غابات لبنان الساحلية قريباً من الاسود والدبّة وانّ بعضاً منها قعدت من وادي العاصي فثبتت وادي النهر الكبير وجاءت ترمي عند شواطئ البحر وقرح في نهر ادونيس وفي نهر بيروت والدلمود اذ كانت مياه هذه الانهار اوفر منها في عهدنا تتدفّق في السهول القريبة من معبها وتحصبها بشتاتاتها . بيد ان غور السكّان لم يلبث ان يلجها الى الحرب من وجه الانسان طلباً للامسكة الاقرة في شالي سورية او بلادها المتوسطة

ثم زادت عليها المخاطر في تلك الاقار ايضاً كما رأيت في ذكر صيد محوّمس الثالث ومنه يستتج ان الفيلة تواتر بزمان قليل وبلاد جنسها في بلاد الشام . واذا تصعّبنا تاريخ ملوك اسرائيل في عهد سليمان لم نجد ذكراً للفيلة الوحشية . ولعلها كانت تناءت الى جهات الشمال حتى بلغت وادي القرات وسواعده وهنالك كان يتصيدها ملوك اسود اذا ارادوا صيد الفيلة كما أولوا بصيد اسود لبنان وفقاً للشواهد الواردة في انصاب وادي نهر السبع ووادي يرسا

وما وجد ايضاً في لبنان من الوحوش المفقودة البقر الوحشي (aurochs) تصيده الملك الاشوري تغلات فلاسر الاول في القرن السابع لهمد دارد (١) كما ورد في الكتابات المسمارية . ووجوده في لبنان مقرر ثبت . لانه لا احد ينكر وجوده في بقية جهات سورية وعيشته بين ارجاء لبنان انصب لطباعه ان وجود حيوانات كبيرة كالاسد والذئب في لبنان كان من شأنه ان يجعل لناباته

هيئة غير المولدة ولا مأنوسة ومن ثمّ قهّم لماذا كان يشمل الرعب عند قطعها قدماء المصريين الذين كان يسوقهم الدهر أو طلب الارتقاء إلى المردية. فكان الرجل من وادي النيل أليف الأماكن المنيطة وللتأخر المتكشفة في بلاده إذا قصد الاقطار الشامية يوصي بآله لاهله لحرقه من السباع (١) فلم تكن سورية في حينه سوى غابة سوداء اجتمعت بها افواجاً وزرافات اصناف الحيوان الضارية كالاسد والثور والذئب واشباهها

*

ولم يكن مشهد الحيوان في مياه الانهر والبحيرات باضع حركة منها في الصحراء والحبال فكان يلعب فيها فرس الماء ويبحث التمساح وقد وُصف ذلك في سفر ايوب وصفاً بديعاً فانضأ في الشجر بالناء في التأخر فنما بهيوت ولؤلؤان في نصّ المؤلف الاكبي (٢) وقد ارتأى قوم من مفتري الكتاب المقدس ان واضع سفر ايوب اخذ معلوماته عن مصادر مصرية في وصف هذه الحيوانات المشتركة العيشة بين البر والماء. ولما نحن فتننا وجه اسهل حل هذه المسألة فلم يكن من حاجة لأيوب ان يمتد عن سورية لوصفها إذ كانت هذه الحيوانات موجودة فيها منذ ذلك الحين البعيد العهد واعلم ان وادي الاردن من غريب ما شوهد على سطح الكرة بوضعه الطبيعي وتركيبه الجغرافي بحيث يتمثل للعين انخفاض يبلغ عمقه عند منتهاه (عند بحر لوط) زهاء ١٠٠٠ متر دون البحر المتوسط ففي هذا الثور الذي لا مثيل له في الدنيا يسود حر شديد ابتدأه في اوائل أيار فيتأرجح ويقتدر ميزان الحرارة في النهار بين ٥٠ و ٥٠ درجة من ميزان ستيفارد وينشأ في تربة ذلك الوادي الحارة نبات اشبه بنبات خط الاستواء في افريقية لا يشبه نبات سورية وفلسطين بشيء.

فعلى شواطئ بحيرة الحولة تنمو طاقات البعدي الخضراء حتى يرمنا والبعدي نبات كان قديماً زينة مصر وعجدها ولا يرى منه الآن في كل وادي النيل اللهم الا في بلاد السودان الجنوبية . واي عجب اذا وجدنا بارضه تشبه ارض افريقية بقرتها الحارة

(١) راجع Maspéro : *Histoire ancienne*, II, ١٧

(٢) سفر ايوب (ف ٤٠ و ٤١)

ونباتها الخاص ما نجدُه من الحيوان في قارة افريقية . وهذا ما كان بلا رب في عهد ايوب فتشغل صيدئذ بحيرة الحولة تحرك مياهها التمسح والافراس النهرية وهي ترح بين ضياض البردي . فايوب حسب التقليد قطن حوران وسكن ناحية جولان فلا غرو اذا ما شاهد من اعالي شرفات هذا النجد اللطل على الحولة والاردن حيوانات البر والبحر الخلبة ووقف على احوالها دون ان ينحدر الى مصر . على ان فرس الماء في الوقت الحاضر قد خلت منه نواحي الشام ولم يزل فيها التمسح وهاك البرهان :

ذكر بطليموس وبلين واسطرابليون مدينة بجانب الكرمل اسمها مدينة التمسح (Crocodilopolis) (١) وقد اتى بلين (٢) فوق ذلك على ذكر نهر بهذا الاسم في تلك الحدود وهذا النهر العميق الماء الحامد الحركة يُظنُّ بِعموماً انه نهر الزرقاء المجاور قيصارية شمالي هذه المدينة وهناك يتكوّن منه مستنقع غريب المنظر ويدهى حتى اليوم باسم يجر عن حقيقة حاله اي مستنقع التمسح وعلى حافته تنمو بكثرة ضياض البردي وغيره من الشجيرات قاسم المدينة واسم النهر يسوّغان لنا ان نحكم بوجود تلك الزحافات فيها في غابر الزمن على الاقل فضلاً عما لدينا من الشهادات الجمة قديمة وحديثة تبين قس الشيء باستفاضة لا تقي في العقل شكاً . . .

ففي الجليل الحادي عشر ذكر الجوّالة الفارسي نصري خسرو جنوبي الكرمل وادي التامسح (٣) . وشهد على مثل ذلك في الجليلين الثالث عشر والرابع عشر مارين سائوتو وباك دي فيتري . فالثاني يقول : التمسح موجود في نهر قيصارية وهو يقدس الانسان والحيوان وطولة في الغالب قدر عشرين ذراعاً (٤) ولما تزل ريكاردوس قلب الاسد ملك السلطنة عند نهر الزرقاء اقدس التمسح اثنين من جنوده (٥) . ويقول برنارد الصهيو في المنتهي الى رهبنة مار عبد الامد والذي تجرّول في سورية في اواخر الجليل الثالث عشر : ان التامسح كثيرة في بحيرة قيصارية وانه لم يفت هو من شرها الا باجربة

(١) Strabon : Geogr. XVI راجع

Plin. : Hist. natur. V, XVII راجع

(٣) راجع الترجمة الفرنسية لشيفر (Schefer)

(٤) راجع Gesta Dei per Francos (ص ١١٠٢)

(٥) راجع Histoire de la guerre sainte (éd. Paris) ص ٥٦٦

وقد قال قزفة من بعده كثير غيره من زوّار الارض المقدّسة غير أنّها لا نورد
لهاهم لانهم رولة يرون ما مسعوا وليسوا شهود عين يحكون ما نظروا اللهم ألا
يوكرك الانكليزي سنة ١٧٧٣

*

هذه شواهد الماضي وأما في الحاضر فلدينا اصرح الادلة واصلت الشهود عن وجود
التمساح في الزرقاء بل وفي غيره من مياه فلسطين
فالا حاديت لقولة والاسانيد الروية عن نهر الزرقاء. يبلغ عددها الى ما لا يكاد
يتعدي وأولهم المرسل الاميكانى تومسون الذي كتب سنة ١٨٥٧ (١) ثم العلامة
بياروتي (Pierotti) مهندس ولاية القدس وقد مرّ في سيده نحو منبع الزرقاء على
قفاً سلخ تمساح انصها بقايا الرأس (٢) وفي سنة ١٨٧٧ قبض الالمانيون في حيفا
بالوضع نفسه على انثى التمساح (٣) وقد تعدّد مثل هذه الاكتشافات في السنين
الحس والعشرين الاخيرة. وفي سنة ١٨٩٣ وجدوا فيه هيكل تمساح وست بيضات
فدعي الميكل بالثين وأرسل الى القدس
وأما البيض فشئت واحدة منها وأرسلت واحدة الى العلامة صموئيل ميريل
فصل اميركة في اورشليم وبعث بالآخر الى باريس (٤) فهذه الاكتشافات المتعددة تدلّ
على ان التمساح يعيش ويتناسل في بطاح نهر الزرقاء. وغدوانه ألا انه ليس بكثير
التناسل لان سطح الارض الذي تفرّقه الاغدة لا يبلغ عشرة هكتارات
وهذه الزخافات موجودة في غير اماكن من فلسطين ففي السهل الكثير الرمل
للدفع ذي انكبان المتددة المتد بين حيفا وعكا مصب نهر القطع المعروف عند
الاقمين باسم قيسون فهذا النهر تنزدر مياهه عند آخر حدوده على مسافة ثلاثة الاف

(١) راجع The Land and the Book (ص ٤٩٧) . ثم ZDPV, XIII, 340

(٢) راجع مقالة التمساح في فلسطين للاب دي سنث اتيان (de S^t Aignan) ص ١٠

(٣) اطلب دليل يذكر العجبة الزاينة الالمانية (ص ٣٦٥) ولورته (Syrie d'aujourd'hui) ص ١٧٤

(٤) راجع المجلة الفلسطينية الانكليزية (PBF) سنة ١٨٩٣ (ص ١٨٣ و ٢٦٠)

متر عن البحر لأنه لا يصادف هناك الخدراً كافياً وتتصب في وجه الرمال للتكونه عند مجيئه فتعول الجواجز بينه وبين البحر فيستقم السهل وتتسع مستنقاعه وينبت فيها النباتات وتنمو فتتشبك سبلها ففي سنة ١٨٦٦ لولدت الجلالة الانكليزي ملك كريكور على زورق غدران نهر المقطع وبحراه الاوطأ فطلع عليه بنة من الماء تمسح وكاد يقلب الزورق فاذهله ما اتفق له بما لم يكن في الحسبان فوطاً يقاربه الى الشاطئ فابصر عليه آثار تاسيح متعددة . وقد التقي مرة ثانية في تلك النواحي بهذا الحيوان الهائل الذي لم يعد من سيل للارتياح بوجوده في نهر المقطع (١٠) . وحق اليوم لم يكتشفوا على شيء منه في بحيرة الحولة ولا في بحيرة طبرية وفي حكمنا انه كان فيها قديماً ورتجج وجوده في نهر الشريعة اليوم

وبما يحملنا على هذا التجميع ما جاء في رسل الزوار الاقدمين من القصص والانبساط عن تكبات بعض السواح ممن ذهب بهم التماسح عند استعمالهم في الاردن

وبعض حوادث اقرب هذا تريدنا في الامر صدقاً وللى اليوم ليس من حادث او اكتشاف في الاردن كما في الزرقاء والمقطع بما يقره الحقيقة عن كل ريب . وذلك متأت من صرسب الاردن في بحراه الاسفل (٢) ولعل التماسح موجود في النهر الاخضر جنوبي قيصارية كما وفي غيره من مياه تلك الناحية . وفي رأي العلامة لورته الذي فحص تمساحاً عشراً (مصبراً) ان تمساح فلسطين يختلف نوعاً عن تمساح النيل (٣) ومن المقرر الثابت ان تمساح فلسطين اصغر جداً ولا يزيد طولها على متر ونصف ولا بأس منها ألا على المولشي فتفتك بها احياناً

*

وأما الصب في هذا بيان طريق وصول هذه الزخافات الى الاقطار الشامية . أي اصلية ووطنية ام نقلت من خارج . فالرأي الاول قريب من الصحة على ما نرى

(١) راجع كتاب « ملك كريكور » المنون (The Rob Roy on the Jordan, 398)

(٢) راجع مقالة الاب دي ست اتيان السابق ذكرها

(٣) راجع كتاب الدكتور لورته (Syrie d'aujourd'hui)

وهو رأي العلامة لوت الذي ينكر كون اصلها من مصر . فالواضع التي ثبت بها وجود هذا الحيوان في فلسطين تشبه مصر بنوع نباتها فان كانت الوردات واحوال الجو والهواء واحدة في القطرين فلم لا يقتضيان ايضاً بنوع الحيوان . فلا شيء اخذ يحول دون وجود التماسح بل كل شيء يدعو اليه . على ان بعض العلماء يستصوبون القول بنقل هذا الحيوان الى فلسطين ورأى ان المصريين نقلوه اليها . ونحن نعلم ان فلسطين كانت جيلاً طويلاً في حكم القراضة فلا يبعد ان يكون من اقام في هذه البلاد من المصريين قد احبوا جوار هذا الحيوان الذي هو من معبوداتهم فاستصوبوه

وبما نعلمه ايضاً ان رمسيس الثالث بث بالتلميح وافراس الماء هدية الى تملات فلاسر ملك اشور (١) وربما وصل التماسح الى فلسطين لحادث نظير هذا وهما يكن من امر هذه التأويلات والايضاحات فقد تقرر لدينا وجود هذه الزحافات في كثير من مياه فلسطين الشائبة وكل شيء يحتملنا على التسليم بانها كانت اوفر عدداً في الازمنة العريقة في القدم وسواء كانت اصلية ام متولة فقد تولدت وفتكرت على وجه القطر

ولا يصعب علينا القول انه في عهد ما كان القليل محبوب احواج لبنان كان التماسح يبعث في مياه الجبل ومستنقعات كاليلطاني القريب من بحيرة الحولة والاردن وقد كان بلا ريب وافر العدد فيها قديماً على عهد ايوب البار . انما غر العيران واتساع الزراعة وامتداد الساكن اصعبت به ذلك ضربة قاضية على وجودها في تلك التواحي الندية . ولم يكن للفينيقيين حاجة في عبادتها كالصيرين ولا بد انهم بذلوا المجهود في استئصال شاة تلك البعيرة المؤذية او في حملها على المهاجرة الى جهات اعرق في الجنوب حيث نجد مجد منها بقايا في اهلنا

المعادن في لبنان

نقسم كلامنا في المعادن اللبنانية الى قسمين . فالتنا نبعث اولاً عن احوالها
الحاضرة ثم نستتري الشواهد التاريخية

١

حالة المعادن حاضراً

كلامنا في هذا القسم عن ثلاثة امور : اصناف الوقود ثم التناجم المعدنية ثم
الحجارة وانواعها

اولاً الوقود

١ فلنباشرن بالنعيم الحجري الذي قال في علم المعادن واعمال الصناعة مقاماً
راجحاً لا يحتاج الى بيان . ان الذين يجثوا في بلادنا عن طبقات الارض وتركيبها
مجمعون بان سودية خالية من النعم الحجري (houille) ولا يخرج لبنان عن هذا
الحكم العمومي . على ان في هذا الجبل طبقات من القصة (grès) تتضخّن
مستودعات عديدة من النعم الحشوي المتحجر (lignite) غير كامل النعم لكنها
بلفت في غناها ما هو كافٍ لاستثمارها

وهذه الاخشاب للتحجرة على ضربين . فنها ما تظهر فيه تقاطيع الحشب وهو
الحشب الحجري . ومنها ما استنعم الى ان قد قام أثر النسيج الباتي . وهذا
الصنف الثاني يكون فعماً اسود كالقير لامعاً وقريباً من النعم الحجري . واغلب
التناجم التي تروى فيها هذه الاخشاب النعمية ينتج فيها البيريت (pyrites)
الابيض (وهو مزيج الكبريت بالحديد) مع الصلصال ويصب فصلها عنه وهما
يجملان هذا الوقود غير صالح لاعمال الصناعة . وزد على ذلك ان فعماً اذا تكثف
للواء لا يلبث ان يثنت وتعلوه قشرة من عنصر الشب . ومستودعات هذا

الحشب المتحجر في الجبل هي في الناب قليلة الاتساع لا يتجاوز عمقها مترين . أما مواضعها في لبنان فدونك ما يستحق منها الذكر مباشرة بنواحي الجبل الشمالية .
 شاع أن في قاتمائية البترون قريباً من بشرى منجماً من المستعجرات الحشوية .
 وليس لدينا شيء من الاعلامات للدققة في هذا الخصوص فنكتفي بالإشارة . أما جهات لبنان الجنوبية فنسندنا من الايضاحات ما هو اوفى بالمرام فأن في المقاطعة الكسروانية في قرطبة وميدويا والتيطرة مناجم متعددة من الحجر الحشوي كان يهتم باستخراجها اصحاب العامل الحريية ولعلهم يستخرجونها حتى اليوم . أما منجم ميدويا فلولا بعده من المراكز الكبرى لصلح للمجاهات البيئية وناب مناب ضروب الوقود

واشهر طبقات النعم الحشوي المتحجر في قرنايل من مقاطعة المتن وقد صار الاشتهار باستخراجها من سنة ١٨٣٥ الى ١٨٣٨ تكن قيمة هذا النعم كانت ارفع من نعم انكسرة يد قله الى بيروت . وكانت علة هذه الاسرار الفاحشة قلة وجود اسباب المواصلات فيحتاج الى الدواب لنقل ما يُستخرج من التاجم . ولولا هذه الصعوبة لاضحى هذا العمل رابحاً لأن اربعين معدناً فقط كانوا يستخرجون من هذا النعم مئة قطار في اليوم . والنعم جيد رغماً عن انقطاع طبقاته وتجزئتها . وهذا النجم قليل السعة وسكة لا يتجاوز متراً

وفي المتن الاعلى مناجم فعمية أخرى متعددة يستفيد من بعضها ارباب العامل الحريية المجاورة . منها منجم مار يوحنا الآن اختلاط فعمة بالكبريت والحديد يصعد من استعماله . وفي فالوغا منجم آخر يوجد فيه جذور شجر تحولت الى هذه العناصر الثرية فاذا انكشفت الهواء صارت فتاتاً بعد قليل . وفي يزيدين منجم ثالث ليس بندي شأن

وهذه التاجم النعمية يصعب استثمارها لتلك اسباب المواصلات وبعدها عن المراكز الكبدية فضلاً عن كونها قلية المتق ضيقة النطاق تكثر فيها المواد الثرية التي لا يمكن افرزها الا بعد النفقات الباقية . فهذه العوائق كلها تقوم في وجه العمل وتزيد في صعبته وتقلل لرباحه المأمولة

وخلاصة القول أن طبقات النعم المتحجر الساقى وصفها لا يمكن تعدينها وأنما

يجوز استخدامها للمعامل الصناعية الصغيرة وللحاجات البيئية بشرط ان يُختار منها
أجودها وتُنتج تنقية حسنة من موائها القريبة

*

وان اعتبرنا قائماتية جزين وجدنا مناجمها النعمية في حالة اصلاح وان عدت
ايضاً الوسائل الجامة بينها وبين المراكز الكبرى حيث يمكن فيها . نعم ان صيدا
اقرب الى جزين من قرنايل الى بيروت ببعض كيلومترات لكن صيدا مركز قليل
الشأن فتكون قطعيتها لهذا النجم زهيدة

وهالك ما يُعرف من طبقات الفحم الحشبي المتحجر في قائماتية جزين :
اذا خرجت من صيدا في وجهة الجبل رأيت بازانك على حدود الانق من جهة
الشرق جبلين تنتصب قتما على شبه المخروط مع استدارة قليلة كان ارباب البحر
لترابة شكلها يستدلون بها الى موقع صيدا قبل شيوخ السفن البخارية . والقبائل
قريتان لا يفصل بينهما الا ميهط قليل العمق فدعيتا لهذا السبب بتومات نيجا او
بالتومات . وكان الاولى بان تدعى بتومات جزين لوقوع جزين عند سفحها . فان
غلب لسم نيجا فذلك على رأينا دليل على خطورة نيجا قديماً . ومن زاد هذه
القرية تحقّق صحة هذا القول لاسيما اذا رأى على مقربة منها تلك القلعة المنقورة في
الصخر الشهيرة بشيف طيرون او قلعة نيجا وقد سبق لنا وصفها (١)

ويشعب من تومات نيجا غرباً من جهة البحر شعب يُرى فوقها جنوباً جزين
مناجم من مستعجرات الفحم الحشبي تزيد هنا وصفها . ولا يخرج من دائرة الجبل
الغربي سوى منجم واحد يُرى على وجه الارض طوله ٥٠٠ متر وارتفاعه ٨٠٠ م بين
قريتي مشرفة ونيجا اعني في منحدر تومات نيجا الشرقي

فان اعتبرنا اذن المتخلف البحري وجدنا موقع اول منجم فحمي على مسافة ١٣
كيلومتراً فقط من صيدا . وقعته شديد الحلكة لامع ذو قطع جامدة يكسر كسراً
ولا يتفتت وهو على وجه الارض يباينة الناظر في واد صنيذ قرب المراح في حلو يختلف
بين ٧٥٠ الى ٨٠٠ م وهو يتصل بين الثغرا فوق الولدي الى حد ١٠٠ متر وان سرت

من ثم إلى جهة الجنوب امكنك ان تتبع آثاره متواصلة بين قريتي خرنيا وزحلتا على طول ١٢٠٠ متر وهناك لا يعود يُرى على وجه الأرض غير ان الصلصال المختلط بمواد فضيئة ورشيكية (schiste) يدل على وجوده في مسافة نحو كيلومتر . وفي بعض الانحاء قد استخرج منه الالوان بعض القناطير ولم يخفروا في عمق يتجاوز سبعة امتار . اما سلك هذه التاجم فيقارح بين ٥٠ سنتيمتراً و ١,٦٠ . وهذا مثلاً يدل على قلتها وعلى مسافة نحو ٣٠٠ متر شمالاً من عين الترخا حجارة من الشست حترية يند بين طبقتين من الحجارة الكلسية وتحتها طبقة من النعم الحشبي المتحجر . سمكها يختلف بين ٢٠ سنتراً الى ثلاثة امتار ونصف وامتدادها يبلغ زهاء الف متر وكذلك قرب الطريق المؤدية من حيطورة الى جزين طبقات أخرى من الشست المزوج بالخرى يراها الراي على طول امتدادها تقريباً ثم تتولر تحت قرية زحلتا وعمتها في بعض المواقع يبلغ من اربعة الى خمسة امتار . ومعدل ثخانتها اربعة امتار واستخراجها لا يستدعي شغلاً كبيراً . وهذا النجم لا يطلى سوى غشاء خفيف من القاب ويمكن تمدينه من الخارج دون فتح اسراب . وصلاحيته في الغالب استخراج غاز التنويد منه

من القردان اهم مستودعات النعم الحشبي المتحجر في قانقامية جزين واقع جنوبي غربي حيطورة على مسافة مشرين دقيقة منها وصاحب امتياز النجم سعادة للوكيز موسى دي فريج ومسافة ارض الامتياز زهاء مائتي هكتار

فمن التفاصيل التي فورها والمجاننا السابقة تعرف ما يمكن استخراجه من مستعمرات لبنان الحشوية . فالنجم القريب من حيطورة لا تظهر آثاره على وجه الأرض الا في بعض الانحاء . ومستودع النعم محصور فيه عادة بين طبقتين من صلصال صلب خشن قليل السك ويختلف سمكه بين ٦٠ سنتيمتراً وثلاثة امتار فيازم قبل تمدينه لإزالة ريع القربة او ثلثها لاحتوائها على مواد غريبة غير صالحة ككتاطيع الشست الاسود الصلصالي للزوج بالحديد والمحتوي على قليل من النعم

وبعد هذا العمل الاستعدادي يوصل الى النعم الحشبي الحقيقي وهذا النعم يختلف نوع تركيبه فهو سريع العطب في بعض الانحاء فينتت بسهولة وفي غيرها حالك لامع كثيف وكلا النوعين من الوقود الجيد

أما طبقة الناحية الغربية فأنما تتخذ خواص البيريت لقرنها من مستويات هذا المعدن ونصمها مخطط بخطاطيع البيريت الذي يبلغ سمكه بض مليمترات ولهذا السبب لا بد من تنقيته تنقية حسنة ولطراح كمية وافرة منه مع أنه من نوع الوقود الجيد - فكل ما اوردناه يستلزم زيادة الثقة في استخراج

ومما يلزم تلافيه في هذه الناحية تطاير روح الزاج المتكاثر والسبب من ضغط طبقات الزهم المروضة لحرارة الشمس ألا أنه يمكن ملافاة الامر ذلك بتشبيد الاكثين في معامل التعدين

على ان مناجم حيطورة بل اكثر مستويات النعم التثني للتخبر في لبنان تتضمن شيئاً من السبر المعدني الذي يتولد من صمغ الصنوبر والسر واسباهما . فهذا السبر اصفر كالشمس لامع ومكسره زجاجي شفاف واذا تكشفت كسره للهواء تقشقت

أما طرق استخاره فالطريقة المستعملة الى اليوم في منجم حيطورة هي الحفيرة ولا بد من فتح اسراب معها فهذه الطريقة تكبر مع بعض ضربات في النعم من البلوغ الى عمق امتار وفي استعمالها ربح لان نفقة الاستخراج لا تتجاوز فركاً و ٥٠ س في الطن . ولولا ارتفاع اجرة النقل لكنت زيادة التعميق في الحفر تزيد في الربح غير ان المنجم في الجبل يسول طرق الاستخار بواسطة الاسراب او الدهاليز فالمعدن بالاجمال قليل الانحاء فتصب منه المياه اذ ذاك في الدهاليز وهذه تصبها في السيل المجاور ولا يحتاج لتجديد الهواء وجليه الى القوآت المروكة وبما ان ليس فيه من الصخور الصماء الصلدة فلا حاجة الى استعمال قوة خارقة كالديناميت . فبعض دفاتر من البارود في النعم تكفي لرفع الطبقة الحرفية الموجود فيها النعم المطايب ولا يلزم لهذا النعم الا استعمال الآلات المتادة كالصخر والمول فلا يقتضي اخذ لهذا المعدن نقايون مخصوصون وكل هذا مما يخفف الثقة في استخراج

*

فبقي علينا ان نبث عن المحصول . فبحساب بسيط يمكننا ان نتقد بالتقريب مقدار النجم جملة اعني مقدار المحصول الصالح للوقود الممكن الانتفاع منه مباشرة وهذا امر ذو اهمية كبرى وبدونه لا يكون لتفاصيلنا السابقة الا فائدة نظرية . فحت

موقع النجم مباشرةً ببعض امتار عن سطح الأرض ترى طبقة بسبك ثلاثة امتار ونحن نكتفي بتعديل مترين وتزيد على ذلك بأن نطرح مترًا آخر وهذا كثير — بسبب الكتيب القيم والقيم المزوج بالمواد القريبة التي تقلل صلاحية للاستعمال ومن بعد تنقية المستخرجات الحجرية وطرح الناصر القريبة اذا قدراً مساحة النجم الصالح للتعمدين ١٠٠ متر فقط يمكن استخراج حجم من الفحم قدره ١,٠٠٣,٩١٦ متراً مكعباً والحال قد شوهد في العمل ان المتر المكعب من الفحم الخشبي المتحجر وزنه زهاء الطن فتكون كامل الكمية بوزن ١,٠٠٣,٩١٦ طناً فلو فرضنا استخلاص ١٠,٠٠٠ طن في السنة فيدوم عمل التعمدين ٨٠٠ سنة

فاذا كان الى الآن لم يُبذل الجهد في استخراج منجم حيطورة مع وجود الظروف الوافقة بسبب ذلك بلا شك الموثق التي اتينا على ذكرها مراراً والتي تحول زماناً طويلاً دون الانتفاع من كنوز لبنان اللعينة التي على قلتها لا يسوغ لنا ان نستغنى بها وزد على ما ذكرنا المارلة الاجنبية التي يبقى اثرها الى اجيال عديدة فيلزم ان نضيف الى مناجم اوربة والعالم الجديد التي كانت دائماً وتبقى زماناً طويلاً في الاستعمال مناجم الفحم الحجري الصينية التي لم تُمدن لحد الآن وهي وحدها تكفي وقوداً للعالم بأسره مدة الوف من الدهور وفي الممالك المعروفة سيما في بر الأناضول (١) مناجم حسنة لا بد من استغلالها مع اكتشاف غيرها من المستودعات المربح وجودها (٢)

فلو فرضنا ان الفحم اللبناني يبادل بمجودته الفحم الانكليزي وفحم هيرقة العثماني فانه يقصر عنهما بالرواج في السوق السوري . فمناجم هيرقة وبلاد النال مجديسيا قربها من البحر فائدة كبرى فانها تُنقل ترّاً من النجم الى مراكب الشحن ولا يجهد احدٌ رخص اجرة النقل في البحر (٣) فمن هيرقة ومن كديف (انكلكرة) الى بيروت

- (١) قد اكتشفوا في بلجيكة على مناجم فحم حجري عظيمة وقد حُسب دخلها لآلاف من الستين (٢) راجع كتاب (Verney et Dallmann) والمشرق ١٩٠٢ ص ٧٢٢ (٣) حقيقة ذلك تظهر بطل نورد — طريقة ايمان الخطة من روسيا الى مويسرة على وجهين الاول على طريق روسيا او جنوا ومنها بالسكة الحديدية والثاني على طريق اقرس او روتردام ومنها بالنهر . فبالطريق البحري وهو اطول من طريق البحر بثلاثة اضعاف يبلغ الاقتصاد نحو خمسين فرنكاً في كل صيغة من القطارات في السنة للتبوعة في التجارة الحاضرة : أكثر ما يمكن على طريق البحر وأقل ما يمكن على طريق البحر

لا تريد نفقات النقل على نفقات النعم للنقل إليها من داخل لبنان على متن البغال والجمال . فتأمل

٢ الحُمر

يُستدلّ عند أول وهلة على أن هذا المعدن كثيرٌ في لبنان . ففي الشرق والجنوب تحيط بالجليل اراضٍ يُشاهد فيها الحُمر بكثرةٍ في بلاد بشارة بُيى الحبر في حيلبل وُحريقة وفي غير مواضع من قانقامية صرد . غير أن أشهر مستودعات الحُمر في قضاء مرجييون واغناها منجم حاصبيّا الذي هو من املاك الحضرة السلطانية . وكناه وصفاً ان يُقال انه قد كان يُستخرج منه في اليوم ٨٠ صندوقاً ووزن كل منها ١٠٠ كيلو فنع ذلك ليس لبنانٍ على شيء من غنى الاقضية المجاورة له ولا نعرف في الجبل الا منجماً واحداً وهو منجم ملبخ في قانقامية جزين غير انه قليل المادّة . ولذلك عدلوا عنه بعد ان باشروا باستكشافه قلّة دخله لان نفقات الاستخراج باهظة والمحصول طفيف لذلك لا سبيل للمباراة مع منجم حاصبيّا . أما في قضاء البترون فآثار الحُمر دون ذلك فلا يُمتدّ بها ولا قبيجة لها تُرغّب باستكشافها . أما غير ما ذكر من اصناف الوقود المعدنية كالبتول فلا اثر له في تربة لبنان



ثانياً المواد والمخام المديّة

ليس للبحث في هذا الموضوع مجالٌ واسع وما نوردّه في هذا الفصل دون ما قدّمناه في فصل الوقود

فلنباشرنّ بالحديد ولولا مخافة الالتباس لسبقناه سيّد المعادن بدلاً من الذهب الذي خصّ بهذه التسمية على غير حق . نعم ان الحديد من حيث اللبمان الظاهر والقيسة المبرّدة اقلّ قدرًا من بقية المعادن كالذهب والفضة والنحاس والزئبق وغيرها لكنه أكثر منها انتشاراً في الكون واعظم منها فائدة للانسانية ولا يضاير في ذلك الا النعم الحديري الذي يشبه بسواد لونه وقوة فضايرته

ولقد يتبادر الى الذهن ان اغنى البلاد ما لا ولوسها تجاراً واقدرها صناعة هي

البلاد التي عرفت فيها معادن الذهب ومناجم الألماس والصحيح ان اغنى بلاد الله هي ما كارت فيها معادن الحديد ومناجم النعم الحجري فالمعادن الثينة اذا يتنفع منها بعض الخاصة انتم بها عليهم فتديهم زهواً وتزديهم لمواً وان توارت عن وجه المصور فلا يتحقق بالانسان ضرر كبير بل يتخلص من اكبر مهبج اللاهواء البشرية . اما فقد الحديد فيحدث في الهيئة الاجتماعية اضطراباً شديداً وفي اعمال الصناعة اختلالاً عظيماً ويكفي لاثبات ذلك ان الزراعة التي هي اهم الحرف ووجب الصناعات لا قيام لما بدونه.

فان كان حق التقدم مستحقيه با يوثقون من الحدم الجلية فليس بين المعادن من يستحق التقدم والسيادة نظير الحديد

وقد اتحد شعراء اليونان واللاتين الاقدمين ان يختصروا تلخيص العالم ويقسمونه الى ثلاثة اطوار ملتبين كل طور باسم معدن فيدعون الاول والاقدم بالصر الذهبي والثاني بالنضي والثالث بالحديدي فلم يؤيد الاختبار قام التأييد اقتصاد الشعراء ولا حق التاريخ امانتهم لاسترسالهم الى مخيلتهم الساعية وراء الصور الالامسة والتشابه الساطعة غير مباين بتطبيقها تطبيقاً كاملاً على الحقيقة الراهنة

على اننا لو نظرنا الى استعمال الحديد المتمدد ونوره للتواصل الى حد انه كاد يقوم مقام كثير من المواد كالحشب والحجر لتجربنا ان نسمي عصرنا العصر الحديدي ومن هذا الوجه يكون قد سبق الشعراء فعرفوا المستقبل وهم لا يدرون . لكنهم لم يدركوا ان الحديد يعني مع التمدن قديماً على قدم ويسير كتمناً كتحف مع النجاح الذي لا يكون بسواه . وما لا يُنكر ان اكثر الاشياء استعمالاً واعظمها نجاحاً الحديد والورق فالورق وهو ارق الاشياء والحديد وهو اصلها كاتا الباملين العظيمين المساعدين على التقدم والنجاح احياً ومادياً — نفي النجاح بالقسبة والتقييد لا على الاطلاق زبد النجاح الذي احتج عليه الشعراء الاقدمون كما يفعل اليوم اصحاب الفنون الجلية وطالبو الحسن المقول . ثم ان الحديد شهاً بالصر العملي الذي نأى به نجوء التريب لي كلمة التوائد على قلّة الحاسن . فحيثما احتدى الحديد على الحشب والحجر وحوها حجبها ما لمكة ان يقوم مقامها في مقامات الفنون الجلية فهو الحادام الذي لا بد منه وان قلت ظرافته بازاء الجاذب الثقتان وهو انما يحب فائدته لا للاحتار

على أن في عصرنا الحاضر لا يحل شيء محل الفائدة . فحب الانتفاع عمل على انتشار الحديد وغو الصناعة والتجارة وهذان الفرعان قد أصبحا من اعظم العوامل في انفاذ الحديد . فن قبل مائة سنة لم تكن الراكب والآلات والسكك الحديدية ولوازم الطويحية فان كل هذه لم يكن يُستدّ بها بالنسبة الى العصر الحاضر ثم اصبحت آخر الزداعة وصناعة البناء من اعظم « أكالة » هذا المعدن . وقصارى الكلام انه ايسر علينا ان نعدّد حاجتنا الى الحديد من ان نبين الحد الذي تقف عنده تلك الحاجات . فهذه التفاصيل توضح لنا على الاقل عظم شأنه فتري اننا لم نُبرها التفاتنا عبثاً



اما معدن الحديد فهو لحسن الحظ كثير في قَصَص لبنان وأثرته وشاهد في طبقاته تتكرّر من حبات متناجزة كبض السبك أو كالمس أو الحصص المتجمّعة . وقد يُرى احياناً مختلطاً ومحصّراً في كتل كلسية ملبّدة او في مواد معدنية معروفة باسم سپاث (Spath) . وهذه المواد غنية بمعدنها غزيرة (١) لأن كمية الحديد فيها من ٥٠ الى ٦٠ بالمائة ومن هذا الوجه لا يدانيه الا معدن « مقطع الحديد » في جزائر الغرب اذ تصل كمية الحديد فيه الى ٦٥ بالمائة

وهذا المعدن منتشر في اكثر انحاء لبنان وعلى سطح الجبال وفي بطن الوديان سيما في اقصية البقوع وكسروان واللق وقد استُخرج منذ الازمنة النريقة في القدم كما ثبتت فيما بعد وكما يلوّح من غرم الحثّ والنسالة المنتشرة في كثير من انحاء الجبل . ونخص بالذكر جهات مكّار ودوما وبيت شباب والمشرفة والفوزل وودبة الجباري النهرية مثل نهر الكلب ونهر ابرهم . فمن هذه المعادن كانت تؤخذ مواد المسبك والمعامل الحديدية القائمة في تلك الانحاء . ولتت هذه المعامل مستعملة الى اوائل العصر المنصرم وتما يزيد اهمية المعادن اللبنانية فضلاً عن غزارتها وغطائها جرداً مادتها قائمها تصلي اجود الحديد الذي يُستخد منه افضل الفولاذ واصلحه لادق الاعمال وارقي كالآلات والدافع وتصفيح الراكب وقد اشتهر حديد لبنان بلونه ومرونته ولا يبعد ان منه كانت تحمل اسلحة دمشق الطائرة الشهرة كالسيوف الشامية التي طالسا

(١) ان معدن الحديد يُعتبر غنياً اذا كانت كمية الحديد فيه تتجاوز ٥٠ في المائة

أعزم بها المارون وفنى عليها المولون وقد قُصد اليوم سرّ اصطناعها . ولما دخل الحديد القريب الى لبنان في الجبل الماضي كانت الافضلية للحديد اللبناني في عمل أنصال الدواب وصناعة المسامير وما شاكل ذلك

على ان معادن لبنان مع غزارة مادتها وجودتها لا تجدي نفعا متبراً لتلك الذرائع في استغلالها اذ ليس من وقود لتشغيل المسبك وقد مرّ بك أنّها ان لا وجود للنعم الحجري في لبنان غير أنّه يمكن الاستعاضة منه بالحشب كما كانوا يصنعون قديماً وذلك كان من اعظم البواش على اتلاف الاحراج في لبنان وهاك بيانه :

قديماً وقبل اكتشاف النعم الحجري كانت تُعالج معادن الحديد بالحطب في لبنان كما في اوربّة . فافهم كانوا يوقدون الحطب في المواقد الممدّة لتذويب الحديد وصيّبه .

وبعد الحساب وجدوا أنّه يلزم مائة كيلو من الحطب للحصول على ١٧ كيلو من نعم الحطب ويجب احراق مائة كيلو من النعم لسبك ٣٤ كيلو من الحديد وذلك كتابة عن اتلاف ١٧٠٠ كيلو من الحطب لاستغلال ١٠٠ كيلو من الحديد . وكان المسبك الواحد يسترق من الحطب ما تتلّهُ سنوياً مساحة ٢٠٠٠ هكتار من الاحراج (١)

فلم يكن ذلك لم تكن لتكفي اوسع الاملاك . الآن حركة المعامل كانت اذ ذاك خفيفة لان الحاجة الى الحديد لم تكن شيئاً بالنسبة الى مصر الحاضر فالكود القديم كان يصبّ من ١٠٠٠ الى ١,٥٠٠ كيلو يومياً لما الان قائم يُسبك في اليوم زهاء ١٢٥,٠٠٠ كيلو وفي بعض المعامل ثمانية او تسعة اكرار . فاذا اتّضح ذلك ظهر

جلياً الضرر الجسيم اللاحق بشجر لبنان والناجم عن مسابك الحديد القديمة وعرفت ان لا سبيل للانتفاع من معادن الجبل الحديدية على كثرتها ووفرة مادتها

ولا سبيل ايضاً لصبّ هذه المعادن والاعتناء بها بنقعات قليلة الا باستحضار الذرائع الموجودة في اعظم البلاد الصناعية نظير انكلترا وبلجيكا . اعني بوجود

مناجم نعم حجري قريباً من معادن الحديد وقد عرفت بما مرّ بك أنّ لا وجود لهذه الناجم في لبنان ولا يسدّ هذا الحلل استغلال النعم الحجري من الخارج لما

يستلزم من النقعات الباهظة

فليس يستطيع لبنان مباداة البلاد الأجنبية في معادن الحديد مع سهولة استخراجها وجودة صفتها . لذلك رأى مسبك لبنان الوحيد في بيت شباب مضطراً الى استعمال الحديد الاجنبي . ولا مناص من هذا الاضطراب الا باستعمال المياه كقوة محرّكة في معالجة المعادن ولا يمكن ذلك الا حيث المعادن قريبة من مجاري المياه والينابيع القوية كما في وادي نهر الكلب وفي جوار ميروبا فهناك المعادن الجيدة وما يزيد الاسف أن لبنان لا يمكن ان يستمض عن استثمار الحديد باستخراج غيره من المعادن اذ لا وجود لها . فالتنازل عن الذهب والفضة اللذين ذكرهما بعض الكتبة ممن لا يقرّون في الامور ولا يتقنون في المباحث فقد اكّدوا وجودها في لبنان بجانب غيرها من المعادن كالتحاس والتوتيا ١١

فلا حاجة لنا بنقض هذه الزاعم التي لا صحة لها ولا سند . ولقد تباهى غيرهم باكتشاف مناجم الزئبق في لبنان (٢) فالزريق معدن ثمين (٣) واستباره يودع الجبل بغائده عظمى الا انّ هنا ايضاً تنبّ الوهم على الحقيقة فبهت الاعين بدلائل وهمية كاذبة . فالزريق المكتشف وجد بكية زهيدة في موضعين بجانب السكة الحديدية من بيروت الى الشام اعني في عين صوفر وعين مشرح فقد كان ذلك بلا ريب موضع المعامل القديمة ايلم مد السكة وما الزريق المكتشف الا كميات وقعت من آلات المهندسين . ولقد سمعنا باكتشاف معدن نحاس في القن الاعلى فهذه الاكتشافات لا تستلفت الانتظار لعدم كفاءة اصحابها فليتنا ان نتظر حكم رجال الخبرة وفحص المساطر . ونحن نتمنى ان يكون ذلك صحيحاً وليتنا نستطيع تكذيب الدكتور لورته (٤) القائل ان ليس في لبنان من المعادن ما يُعول عليه

*

ثالثاً الحيطرة ولوازم البناء

ان الحيطرة كثيرة في لبنان ويمكن استثمارها طويلاً ونقلها الى البلاد الاجنبية

(١) راجع كتاب فضل الله فارس الى حلقه : جغرافية سوريا وفلسطين (ص ١٢١)

(٢) راجع الرسالة الموجهة الى البشير (في ٢٣ ايلول سنة ١٩٠١)

(٣) راجع للمشرق (٥ : ٨٨٧-٨٩١)

(٤) راجع كتاب - الدول الاجنبية - المقدمة ص ١٩

وقد تأخذ الدهشة الغريب اذ يطوف لبنان ويسرح نظره في حجارة ابنته فهذه الحجارة الجميلة سواء كانت منحوتة او غير منحوتة تجمل لأبسط المساكن هيئة جليلة لا يألئها السائح الا في قصور وطى . فباحثنا قليل يستعكم البناء ويحصل له هيئة صلابه وبكائه ترددي بمرور الاجيال . ولحسن الحظ ليست الصلابه بالظاهر فقط بل بالحقيقه ايضاً فقلنا نرى على سطح المصود بلداً فيه ما في لبنان من لوازم البناء بكثرتها وحسنها وصلابتها . فلا طاقة للرطوبة والبراميل الجو الاخرى على إتلافها . فهذه الحجارة الانكليسيه لها تقاطيع زجاجيه في المواضع المنحوتة حديثاً ولونها ابيض كالماء وقد يتحرك على مرور الزمان بفعل أشعة الشمس الى شيء من الصفره الذهبيه أما في منحدرات الجبل السفلى وعلى الشواطىء البحرية فتكثر مقالع الحجارة الرمليه وهذا الصنف لونه اصفر وحجره جيد صالح للبيان وكل المعالجات الماسره والاماكن الآلهه بالسكان من صور الى طرابلس مبلية بحجروهم ومن خواصه انه سريع التثنت سهل النحت لدى خروجه من القلع فيتصلب في الهواء ويصلح للملاط أكثر من الحجارة الانكليسيه الجميله المتقلبه داخل الجبل

والحجر الرملي مثقوب غالباً بثقب طويه اسطوانيه ضيقه على شكل لولب كانها صنع للمخز ودياً كان ذلك من قرض المولم الحبرية (١) مدده الاطوار الاولى الجيولوجيه . وقد فات هذا التشرح فهم ريان فذهب فيه مذهباً غريباً فان أكثر مدافن جيل مخفورة في هذا الحجر فنياً كان ريان يفحصها شاهد ثقباً اسطوانيه في قبة القبور القديعه فتوهم تليلاً لوجودها أن الاقدمين كانوا يلجأون قبل حفر المدافن الى سبر الحجر لقصد امتحانه (٢)

على انه ليس بوسنا ان نعدد بالتفاصيل كل ما في لبنان من مواد البناء على وفرة اصنافها ولا يسنا الا ان نذكر انواع الحجارة الجميله المتأخره بكثافتها وصلابتها فانها تستعمل للاعمدة والودج وعتبات الابواب واسكفاتها الى غير ذلك من الاعمال المتعبه كصيف المرافق اذ ان امتداد طرق العريات في لبنان يسهل نقلها الى البحر . ومن اصناف الحجر الجيد ما يستخرج من المقالع الموجوده في اسفل

(١) راجع : *Dawson : Egypt and Syria*, 79

(٢) راجع الجزء الاول ص ٦٥ و ٦٦

قرنة شهوان ويبت مري بالقرب من دير مار روكس وفي غير مواضع وايناسرت من الجبل ترى من الحجارة الصالحة للتبليط والتليس وحجارة لعمل الكلس والرحى أما البلور فهو كثير في لبنان . وبمكس ذلك الرخام فهو نادر الوجود في الجبل وليس من الصنف الجيد اللهم اذا استثنينا بلاد الجبّة فإن فيها مقالع رخام صالحة للصقل والحلي الحسن ونذكر اننا شاهداً امثلة منها في بعض بيوت اهدن القديمة وكذلك في النيبان في الكرسي البطريركي الجديد . ومما يستحق الذكر مقالع الرخام الموجودة في جمهور ودير القلعة فرخامها ذو عروق حمراء (١) وفي دير القلعة ايضاً حجر صلب مستدير وفي تحوم في قضاء البترون وبعض انحاء البقاع مقالع حجرها صلب لونه ابيض يحيطه الصقل لامعاً كالرخام ويؤخذ منه البلاط للصقول والاعمدة الصغيرة الالامعة (شحات) . أما الرخام الابيض الجليل من صنف رخام ايطالية والرخام السّاقى وحجر الصوان فلا وجود لها في لبنان . وما يشاهد في المدن القينقية القديمة من اعمدة الصوان مثل جبيل الحاوية على عدد وافر منها فانها منقولة من مصر على أنّ حجارة لبنان لم تكن تستعمل الى السنين الاخيرة إلا في محلهما والمدن المجاورة فقليل يروى وقد راجت السوق فيها دواجا حطياً ومن بضع سنوات باشرت مصر بأخذ لوازم البناء من لبنان لتدرة الحجر فيها وقلة صلاحيته كما ان الامر جار في مقالع لبنان القريبة من البحر مثل نهر الكلب والماملتين فإن المراكب تستطيع ان تصل اليها وتشحنها بأقل نفقة أما المقالع البعيدة فالوسيلة لتقل صادراتها ان تكون من الصنف الاعلى كمقالع قرنة شهوان ومار روكس ودير القلعة وغيرها فانها تُطلب الى البلاد الاجنبية وما من مانع يحول دون اتساع تجارتها اذا ان امتداد طرقات العربات في لبنان يسهل كثيراً طرائق ايصالها الى البحر . وقد أخذت شركة ترعة السويس على ما قلن حجارة من لبنان لتوسيع احواض بورسعيد فكان العمل مرضياً والاقتصاد حسناً

فهذا كله يدعو الى التشجيع وتحمل على مواصلة العمل للاكتشاف من حجارة

(١) فمن قطع دير القلعة اعمدة الكاتدرائية المارونية وكنيسة كليتنا

لبنان ولا يخامرنا ريب أن مقالع لبنان لم تُكتشف جميعاً سيما مقالع الحجر الحصى والرخام المادي فإذا اتسع نطاق هذه الصنعة عادت بالفائدة على الكثيرين من الفعلة كعجلة المقالع والتأمين فستمد المادان للفقرة من لبنان

٢

معادن لبنان القديمة

لقد انجزنا الكلام عن غنى لبنان المعدني والحق^١ اولى ان يقال ليس لبنان من هذا الوجه ذا ثروة طائلة وغنى وفير . فلو انهم البناء متوفرة فيه إلا انها ليست من اعلى درجة في الجودة . ومعادن الحديد كثيرة الانتشار في الجبل ألا انها قليلة لعدم وجود الوقود لتشغيل السابك والمعامل . وكذلك الفحم الحشوي المتحجر فان في لبنان منه شيئاً . فإذا شئنا ان نعرف ما لهذا الوقود من الشأن والاعتبار في نفس مركزه يكفي ان نؤد في ذهننا ان اصحاب المعامل الحريّة للجسارة لمستودعاته حدثت عنه تباعاً الى الفحم الاجنبي . فوالحالة هذه ليس لاهل لبنان ان يبنوا الآمال على استحضار المعادن ولا يُبتنوا النفس بتحسين مستقبل البلاد بسببها

لكن هنا يجئنا آخر ترى هل كانت هذه الحال حال لبنان القديمة ؟ ألم يفتق للبنان ما اتفق لادراض كثيرة كانت تحضبة غنية قرغت على توالي الاجيال واصبحت قديمة ؟ أو لم تقزع من اعماق لبنان كنوزه المعدنية القديمة ؟ فهذا السؤال على وعجال لأن لواب البحث والاقتصاديين منذ الان قد وجدوا بعد الحساب ان اغنى مناجم الفحم الحجري في اوربة لا بد ان تنفد يوماً ولا يمر على بعضها جيلان او ثلاثة حتى تكون قد قُدت فلم لا يصح ذلك في لبنان وقد ظهرت فيه آثار الصمران وحركة الاشتغال من نحو ١٠٠٠ سنة والادلة على ذلك صريحة واضحة فهذه الدلة الطويلة تكفي كل الكفاة لتطيل ما حدث في حال معادنها من التغيير والانتقال

وما يزيد في ارجحية هذا الرأي كون لبنان قسماً من فينيقية والحال ان بلاد

على أن هذه الحلال من نحو الصنائع واقتدار الاشغال المعنوية لم تكن خاصة
بهد الفيلقيين بل بقيت بعدهم اجيالا عديدة واستمرت الى اواخر العصر المتوسط .
ولم تطل هذه الاشغال في المدن الممتدة على طول الشواطئ البحرية من مكاء الى
اللاذقية فكانت المنازل من نحو خمسة اوستة اجيال مكنبة على العمل وكانت تصنع
مصنوعات عظيمة وتصدر صادرات وافرة . ففي اواسط الجيل الرابع للميلاد يذكر
يونير (Junior) الفيلسوف اللاتيني « مدينتي طرابلس وجبل الصنابطين ومدن
صيداء وصرقند وعكا الزاهرات وخص من بين هذه المدن اللاذقية وجبل وصور
وببوت بانها ترسل انسجتها الى جميع الارض وتكثر صرند فوق ذلك ارجوانها » (٢)
ولنا في الجيل العاشر شهادة المقدسي الجغرافي العربي وبما أنه سوري النشأة
فشكل لشهادته قوة كبرى قائمه بعدد بين صادرات سورية المعولة الى الخارج من
مراقي البحر من قيصريه الى السويدية النجدة الحري والصايون والرابا والزجاج والاوب
والسرج وآنية النحاس والحوض او الأثنان والحديد والكبريت والملح والرخام (٣).
وفي العصر التالية يصف الادريسي والمدمشقي وابن بطوطة حركة الاشغال الصناعية

(١) راجع كتاب يزار 367: 307-306, I, *Les Phéniciens à l'Odyssée*, (Bérard: 353, 253, *Hebraische Archæologie*, Benzinger: 409, 376, 414, etc.)

(٢) وهذا نصه بمفرده: *Tripolis et Byblus, ipsæ civitates industriosæ sunt: iterum optimæ civitates Sidon, Sarepta, Ptolemais... Laodicia, Byblus, Tyras, Beritus omni mundo linteamen emittunt, Sarepta vero purpuram præstat.*

(٣) راجع في تأليفه «أحسن التفاسير في معرفة الأقاليم» ومفرد سوربة (ص ١٥١-١٨١)

ألف الحديد اللبناني المحمول اليه من مرعاً بيروت الى حد أن أهله لم يغيروا بين اللغتين اعني « الحديد » و « صناعة بيروت » . وكمثل ذلك جرى في اللغة العربية القصوى للهندي والشرقي فانها اصبحا مرادفتين للسيف وقد كاتا في الاصل يدلان على السيوف المصنوعة في الهند وفي « مشارف » البلقاء شرقي بحيرة لوط . وقد كان زمام تجارة الادوات البنيّة وآنية الحديد والقتل والنحاس في الجيل التاسع قبل المسيح بايدي الفينيقيين في سوق مصر عتي (١) . والقنسي (٢) يأتي على ذكر معادن الحديد في بيروت الموجودة في مصر . وبهذه الجملين يقول الشريف الادريسي اثناء كلامه عن بيروت : « وبقرية منها جبل فيه معدن حديد طيب جيد القطع يستخرج منه الكثير ويحمل الى بلاد الشام (٣) » . وقال ابن بطوطة (٤) : « ان الحديد يحمل من بيروت الى مصر » فهذه الشهادات متباعدة فلتأخذنا على غر صناعة الحديد في لبنان حتى اواخر الجيل الرابع عشر . ولما ما قدمنا من تفاصيل قل الحديد وحمله الى الخارج فيسدلّ ليس فقط على رواج في سوق مصر بل يرجع ايضاً على ان اسلحة دمشق كانت تُصنع من معادن لبنان كما اورداً آنفاً

وقد يُشتك من وراء هذه الشهادات ما التحق باخراج لبنان من الضرر الجسم بسبب تلك الصناعة التي نستطيع ان تتبع حركتها مدة الف سنة . فمواقد المسالك كانت بمثابة لجة التهمت غابات الارض العظيمة



على انه ليس بعد الحديد معدن شاع ذكره بين صادرات الصناعة الفينيقية القديمة نظير النحاس . والعجب في ذلك ان هذا المعدن لم يبق في اليوم أقل اثر في لبنان كما سبق لنا ذكره فني هذا سر غامض على المؤرخين ويستلقت انتظارات الجيولوجيين الذين يحولون ابحاثهم من كل شهادة لا يجدونها مسطرة في بطون الارض فلتبشر بايراد الترداة شهادة اولاً : فانه مذكور في سفر الملوك الثاني (٨ : ٥-٨)

(١) راجع كتاب مولر (W. M. Müller : Asia and Europe, 306)

(٢) في كتابه السابق ذكره (ص ١٧٤)

(٣) I. 133, ٢

(٤) طبعة جيلديستر

ان دلود اخذ من ملك صوبة نحاساً كثيراً جداً . فاين محلُ صوبة المذكورة ؟ من المرجح انها كانت قائمة في سهل البقاع وذهب بعض علماء عصرنا على انها نفس المدينة المدمورة « مات نحاسي » في كتابات قلّ المارونة (١٥٠٠ قبل المسيح) ثم سماها اليونان (١) فيها بعد كلّيس . فما اغرب هذا الاتفاق فلفظة كلّيس معناها في اليوناني نحاس وفي مات نحاسي كل يرى كلمة نحاس . وعليه اذا صحّ ان صوبة وكلّيس ومات نحاسي ما هي الا ثلاثة اسماء لسمي واحد فيكون المقصود بها للمحل المشهور بمادنه القائم في جوار لبنان

غير ان الآراء متضاربة في تعيين موضع كلّيس فقال بعضهم انها معلّقة - زحلة ورجح غيرهم ونحن من رأيهم (٢) انها عين جار في اسفل الجبل الشرقي المقابل للبنان (٣) - فلي كل حال ليست للمسافة بين الوصفين بيده لنا على حلّ هذا الشكل الجغرافي يتوقف تخصيص معادن النحاس القديمة للبنان او بالجبل الشرقي الذي يقابله

ثم اتنا زى الكتابات المصرية والكتابات الاشورية قبل التوراة تشير الى وجود كميات عظيمة من النحاس في لبنان او في ما يحاوره ومنها ٨٤,٠٠٠ كيلو من النحاس اخذها رماديار الثالث ملك الاشوريين من ملك دمشق فهذه الكمية الوفيرة الموجودة في محلّ واحد تدلّ على انها من صادرات المحلّ وليست من الخارج وانما نجد فضلاً من ذلك في كتابة تحوّمس الثالث ذكر « نحاس اسبوي آلى و فرمون مصر من بلاد راتانو بزر وانتصار (٤) » وراتانو كما هو الشائع في كتابتها الان هي الناحية التي يستقيمها الليطاني وقد سبق لنا تفصيل ذلك (٥)

على ان هذا التهر يبين ان يُعتبر بلداً للبنان لانه يجري على شواطئه او يمرّ في اراضيه - اما العلامة جينسن (Jensen) فانه لا يقف عند هذا الحد بل يذهب ان

(١) راجع كتاب Buhl : *Geogr. des alt. Palästina*, p. ١١٥

(٢) راجع (الصفحة ٤٠)

(٣) Pauly - Wissowa. *Encyclop.*, III 2091

(٤) Müller : *Asien und Europa*. 126, 127

(٥) راجع (ص ٢٢ و ٢٣)

راقتو او لانغو من لسامي لبنان نفسه او لا اقل من ان تدلّ على ناحية الليطاني (١)
وفضلاً من ذلك فالكتابات المصرية تسمي عادة فينيقية باسم « ذاهي » وتعمل
بين صادرات هذه البلاد ليس فقط الزيت والصل والحمر كما لا ينهل لئ انسان بل
ايضاً النحاس والرصاص واصناف الحجارة للتنوعة الخ (٢) وفي غير موضع تذكر
آنية الحديد والنحاس كمناعة مختصة فينيقية (٣) ومن المعلوم انها كانت تملأ منها
اسواق اشور وبابل (٤) واسواق بلاد اليونان في اودبة واسية . افلا يسوغ لنا بعد هذا
كله ان نستنتج وجود معادن النحاس في جبال فينيقية ؟ ورويدك ايها القارئ فلا
تسجلن باستنتاج النتائج لكلا تبدي حكماً عن غير تروء كلف . ومن المحتمل ان الفينيقيين
كانوا يستخرجون النحاس من املاكهم في جزيرة قبرس او من « الاسيا » (٥)
الشهيرة بمادتها النحاسية والمثلون مرقها على مصب نهر العاصي ولعل اسم النحاس
العربي مأخوذ من اللفظة الاشورية « الاسيا » كما ترى . وزعم غيرهم انها قبرس لسناد
على وجود معادن النحاس فيها وعلى رأيهم ان منها كان يؤخذ النحاس لتشغيل معامل
فينيقية . فليست المسألة اذن جلية كما يظن . اما نحن فنرجح رأياً متوسطاً
فاننا نعلم مع كثير من العلماء الذين اوردنا شهادتهم وغيرهم فظنوا كبريت (٦)
ويئسن وغيرهما (٧) بوجود معادن نحاس في لبنان لكنها قليلة . لذلك اضطرر
الفينيقيون ان يستجلبوا من الخارج ما كان ينقصهم في لبنان . ولهذا السبب نفسه قدت
هذه المعادن وقرغت مجملتها حتى لم يبق لها اثر على حد ما زاه في جزيرة لبس في
البحر المتوسط فمادتها الحديدية التي لا يكاد يصدق غناها القريب لا يزال

Zeitch. f. Assyriologie, 1895, 345-346 (١)

(٢) راجع مولر (ص ١٨٢)

(٣) مولر (ص ٣٠٦)

(٤) Zeitch. für Assy. 1887, p. 36, 37 ومنها هذه العبارة الواردة مراراً في شعر

هو مبروس « صيدا التينة بالنحاس »

(٥) وكانت تسمى ايضاً اميا Zeitch. f. Assy. 1895, 262

(٦) راجع تأليف H. Kiepert : *Alte Geographie*, 167

(٧) Zeitch. für Assy., 1895, 363, 365

يُستخرج حديدًا منذ النبي عام (١٠٠) أما النحاس الذي كان من اعظم صادرات هذه الجزيرة في اقدم الازمان قان ذكره قد باد منها فيما بعد
 فليس امان ان نصد الشهادت المختلفة التي لوردناها اوهاما محتقة واما ان نعلم
 بوجود معادن غير الحديد في لبنان ومنها النحاس فلولا هذه المعادن كما كانت وجدت
 صنائع الفلبين المدنية ولا كانت لتشتت انتشارها القريب
 فهوثة مع ما هي عليه من النشاط والاستعداد الفطري للتجارة والملاحة لا تنال
 الفوز بشغل المعادن نظير انكسار ذلك لخلوها من المعادن لان نجاح الملة يتوقف
 على التواميس الطبيعية التي مع كل قوتها تتميز عن مقاومة النفوذ الخارجي. وهذا بما
 يزيد فضل الجغرافية التاريخية فانها تطلنا على بعض هذه التواميس
 فاذا اتنا درس لبنان وطبقاته الجيولوجية سوف نجد بلا محالة برهين طبيعية
 وادلة مادية تثبت حق لبنان الاعظم في قديم الزمان (٢)

اما الحجارة ولوازم البناء فاننا لا نعلم منها شيئاً الا ان فرديا ملك بابل كان
 يستجلب لانيته من لبنان قبل المسيح ثلاثة آلاف سنة ليس فقط احتساب الارز
 بل ايضاً الرخام الابيض وغيره من الحجارة وما زالت ملوك اشور تخدح حذوه الى
 الجبل الثامن قبل الميلاد . على انه لم يذكر شيء عن صنف الحجارة للقول مع
 الرخام ولا عن طبيعتها الا ان ما يقتضيه نقلها الى البلاد البابلية من المشقة والنقمة
 لبعد المسافة يسوغ لنا ان نستنتج انها لم تكن من الحجارة الصادية بل من اصناف
 الرخام الجيد وانواع الحجر التالي الثمن . فلي هذا يتضح ان لبنان كان من هذا
 القيل ايضاً اغنى بما هو اليوم

لكن لا بد من ابداء ملاحظة هنا كما فعلنا اثناء كلامنا عن النحاس : ان
 اكتسابات الاشورية والبابلية الباقية حد الانجاز والتصة باقدم الازمان ليست بناية
 الضبط والتدقيق بنوع انه لا يتيسر لنا الحكم الفصل فيما اذا كان الكلام عن لبنان

(١) 433 - 432 *Europe Méridionale* : Elisée Reclus

(٢) ففي سنة ١٧٣٦ يزكك السائح كرانجه الفرنسي وجود معادن نحاس بشوها قليل
 من الضفة بين عجلتون والمافرة . . فهذه التلميحات المهمة تدل على ان السائح نقل ما سمعه
 ولم يفحص بنفسه . وإلا لكان حدد موضع هذه المعادن

الشرقي او الغربي وبعبارة اخرى عن لبنان الحقيقي او عن الجبل الذي يقابله .
 فبخصوص هذه المباحثة الثانوية فلترجع التأليف التي لوردنا ذكرها في هذا المصد .
 فيستطيع القارئ ان يتمّ انجاءه الشخصية ويقابل بين التعليلات التاريخية التي جملتها
 عن غنى لبنان العدي في الزمن القديم

١٩

النتائج التاريخية

من درس اعلام الاماكن اللبنانية

ليس بين المطلعين على اساليب علم التاريخ في عصرنا من مجهول فائدة البحث من
 درس اسماء الامكنة فستأذن قبل الخوض في الموضوع بشعداد منافعها بما امكن من
 الانجاز نندرك منها الحقيقي وارتباطه الجوهرى بتاريخ لبنان وجغرافيته . فبوصفا
 لهذه القوائد نستدرك ما لعله يطرأ على بال القارئ من سوء التفاهم . ليس غرضنا
 في هذه المقالة لنوعاً لكن تاريخياً محضاً وجغرافياً صرفاً اذ لا نقصد البحث من اسماء
 اللواضع اللبنانية من حيث تركيبها اللغوي ومعناها الاصلى بل جل ما نوداه ان
 نستنتج من درس هذه الاسماء ومن سياقها وتنسبها على سطح الجبل نتائج تؤدي
 بنا الى معرفة ماضي لبنان

١

١ اعلم ان درس اصل الاسماء المكنانية اعظم ظهير واكبر نصير للتاريخ لان
 اعلام للكان ترجع الى اقدم اصول اللغة اذ المتبادر الى الذهن ان الرجل اول ما
 يبدأ بتسمية محل اقامته باسم يعرفه ويخبره . لذلك روى اعلام اللواضع ابقنت لنا
 ذكر حوادث ومواقع لا نجد لها اثرأ في اعظم التواريخ اسهاباً واكثرها

تفصيلاً ١٦ . وقد يتفق ان اعلام للكان وحدها تذكر بما جرى لبعض الشعوب من الحروب وما طرأ عليها من الحوادث السياسية والدينية . فهكذا كل موضع دخل في تركيب اسم دير وقصر وبرج ومجدل (٢٦ يدل على انه كان ثمة دير او قلعة ولو كانت غير الدهر قد درست ذلك البناء ولم يُبقَ له لا طلل ولا رسماً وربما كنا لا نندي اصل الاماكن اللبنانية ولا نعرف قدم مبدعها فاذا ما عرفنا على اعلام فينيقية او آرامية استطلعنا ان نستدل على ان اصل تلك المواضع يتصل بالهسد الذي كانت فيه تلك اللغة شائعة في لبنان . واذا وجدنا موضعاً مدعواً باسم احد الآلهة القديمة كنعانية كانت او بابلية فلنا ان نستنتج انه سبق التاريخ للمسيحي وانه وُجد في هسد كان الاهلون يصدون تلك الالهة . وعليه فدرس اعلام للكان يقوم مقام ما اغفلته الادلة الكتابية ويدعم التقاليد المحلية وبدونه لا نستطيع سبيلاً الى تحقق النصوصات المبهمة الحالية من الحجة والمارة من البرهان فضلاً عن انه يجدينا حلاً عن اقدم الآثار التاريخية وافضل الاسانيد ويسرّ لنا ان ننسب تلك الدلائل الى قرون سبقت اختراع الكتابة وتحديد اللغات على خط علمي منظم . فمن المعلوم ان الانسان سبق الى تطلق قبل الكتابة واوّل ما استعمل في كلامه تسمية المواضع التي تكتسبها باسماء التابها . وقد قدّم شيء كثير من تلك الاسماء الاولى وهذا مما يجتثا على بذل الجهد وصرف العناية الى جمع ما بقي من تلك الاعلام والاستفادة منها ما امكن فسواء كانت تلك الاسماء لمستيات دائرة او وضعية فانها تعين على احياء الحوادث الجغرافية التي باد ذكرها

٢ وتساعد اعلام للكان على معرفة آثار الشعوب الذين عبروا البلاد وخلفوا اسماءهم في بعض الاماكن . ومما بينا في ابجاثنا المتقدمة من اصل الامم اللبنانية القديمة ان اللغة التي تست بها الامكنة هي اشدّ دلالة ولوضوح بواطنها على الاحوال السالفة من الكتابات عنها . فالكتابات باللغة اللاتينية وقس عليها اليونانية انما تدل على ان تلك اللغة التي كانت هي للعول عليها في الاحكام الشرعية وليست اللغة الشائعة

(١) ان بروتز (Prutz : *Kulturgech. der Kreuzzüge*, 397) يبدي شغل هذه الملاحظة عند تكلامه على الانفاذ الفريضة الداخلة في اللغات الاوروية أثناء القرون المتوسطة (٢) مع فروعها « مجدل ومجديون ومجدليا »

بين الشعب. وعلى عكس ذلك اسماء الراضع فان الشعب لا يضمها الا في لغة يفهم منها. فينتهي في لنته اسماً يطابق للمسمى بدلاته على يميزت ذلك المكان للمأهول حديثاً. وقد يتفق ان يختلف شعب شعباً آخر فيغير الاسم القديم بلم أحدث يدرك مناه. مثال ذلك جبل قريب من جزين يسمى «جبل طورا» وهو مركب من اسمين عربي فسراني وكلهما الجبل فمثل هذه التسمية للكثرة تدل على وجود شعبين (١)

٣ طائفتا اعلام للكان على نظامات الشعوب ومبادئها ومبادئها القديمة كالاسماء التي تضاف مثلاً الى سوق وجسر. وذلك بعد ان تكون السنون والدهور طوت الحوادث التي دعت الى تلك التسمية مثل «سوق القرب» في قضاء الشوف وليس الآن هناك سوق

٤ تسوغ لنا ان تقف على حالة الارض الساقطة ونطلع على الموارض الجغرافية من مناجم وغابات وغدران بدت حتى لم يبق لها اثر الا طراً عليها من التلبيسات الجيولوجية والاقتصادية والاجتماعية. ولنا ترى حاجة الى ايراد امثلة على ذلك

٥ وبان جميع الاعلام للكائنة الا ما قل كانت في الاصل اسما. جلس لا اسما. علم فيكون درسها جزءاً مكنثاً لمجم اللغات القديمة ومساعداً على احيائها فمن هذا القليل تكون اسماء المواضع احسن طريقة في دراسة اللغات والفضل وسيلة للتوصل الى ابعاد اصولها

٦ تبين لنا ما كان في اقدم الازمان للاحوال الجغرافية والطبيعية من التأثير في عقول اجدادنا (٢) وتكفي وحدها للدلالة على اهمية الينابيع والانهر لاسياً في الشرق حيث الماء من الشروط التي لا بد منها لتبقى العمران. فاول ما استوطن البشر بجوار الينابيع وضواحي الانهر واقدم المدن ههنا مدينة نشأت على مجرى المياه. فلما مدينة بيروت الا مدينة الينابيع والآبار كما يتخذ من مدلول اسمها التيفتي

٧ تظهر لنا ما كان للجبال من التأثير في الرجال الأولين حتى عبدوها في الاصل

(١) وفي صلبية جبل إتنا (Etna) يدعى احياناً «جبل جبل» (mont Gibel) بكارار
اسمين احمسي عربي ومعنى كليهما الجبل
(٢) راجع مجلة الشركة الألمانية في فلسطين (ZDPV, 1904, p. 95)

كأهله على حد ما حدث في لبنان وجبل حرمون (جبل الشيخ) ورأس الشطة والصكول والجبل الاقرع كما سبق لنا بيانه
 بقي علينا ان نكرر التنبيه بان مجتمنا الحالي يكون جغرافياً محضاً اي اننا نقتصر
 على ان نتخذ من اسماء الاماكن في لبنان أدلة تكشف لنا عن جغرافية لبنان
 التاريخية في الزمن القديم . ولما تأملنا بالمباحث اللغوية كالتعديلات التي تواتت على
 اسماء الامكنة فاننا نحيل القراء الى الكتاب الذي ألفه الدكتور كمبفير (Kampff)
 (meyer) في هذا الموضع وعنوانه « الاسماء القديمة في سورية وفلسطين الحالية » (١)
 حيث يبحث عن هذه المشاكل بدقة وحذقة وسعة اطلاع كما هو دأبه في كل تأليفه

■

ولكي يمكننا ان نجني من هذا البحث جميع الثمار التي نستهبها ونحصل على جميع
 الفوائد التي يتضمنها كان لا بد ان نحصل على لوائح كلمة لجميع اسماء الامكنة
 الموجودة الآن في لبنان مع الروم وتقسيم المقاطعات والاحواز والناييع والادوية .
 وفوق ذلك كان ينبغي لنا ان نبعث في الكتابات القديمة عن الاسماء المكانية التي
 قدت وقصارى الكلام كان يلزم ان يكون لدينا فهرس تتضمن اسماء المواضع فقط
 كاللائحة التي وردت في مجلة الحفريات الفلسطينية (PEF) (٢) بلاد فلسطين بل
 مجموع شامل لوصاف لبنان ورسومه على نخط المجموعات انكنايية المؤلفه لجميع
 انكنايات القديمة (٣) . فلا حاجة الى القول انه لا يوجد نظير هذه اللوائح والفهارس للبنان
 لما لاتعة روبنسون وعالي سبيث فلا تخلو من فائدة (٤) إلا انها غير محكمة الوضع فضلاً
 من انها ناقصة . فالذي يسمى بعمل لائحة تقي بالطلب يجند العلم خدمة جليلة ويمكنه
 ان يبني جداول على تقسيم قاتناتميات الجبل ويدرسها متبهاً التعديلات التي ألغاها اليها
 قبل الآن ثم يجمع التقاليد والاسانيد المحلية التي تتعلق باسماء الامكنة . والمشرق مستعد

(١) راجع المجلد ذاته (ZDPV, XV et XVI)

(٢) المشروع حسن الا انه غير كامل ولا يمكننا ان نعتمد دائماً على روايات المؤلفين الانكليز

(٣) راجع مقالة هيلانة جوليان التي حواها « الحاجة الى مجموع الاعلام المكانية في العالم

قديم » (Beiträge z. alt. Gesch. 1902, II, p. 2)

(٤) وهي منشورة في (Biblical researches in Palestine, vol. III)

نشر هذه اللائحة مع الشكر لن يفضّل عليه . وكنا نودّ لو نُشرت سائمة لجبل لبنان قودع فيها اسماء الاعلام للكائنة . فيُتخذ لهذه الغاية ككلّ دليل لبنان المنشود في ادولة جريدة لبنان فانّ فيه لائحة لمحات الجبل الحالية الا انه ينبغي ان يكتل ما فيه من القصص مع التمييز والتفريق بين القرى والزارع واضافة بعض دلائل ونحن لم نقف على كتاب في هذا الموضوع جامع للفوائد نظير تاريخ بيروت الذي نشره في المشرق حضرة الاب لويس شيخو ثم طبعه على حدة . فهذا التأليف الجليل لم يقابل اياه الجبل بالمقابلة التي هو حقيق بها لاسيما من يتشبهم تاريخ لبنان وجغرافيته . فانه قد يسدّ خلل اللوائح الوصفية الى حد ما . وأخص فوائدها الكتاب بل اهم ما يضمنه من الايضاحات قائمة في وفرة اسماء لبنان الجغرافية المذكورة فيه كاسماء القرى والاملاك وايضاحات عن حدود المقاطعات القديمة وغير ذلك بما لم يرد ذكره الا في هذا الكتاب . فاننا لا نجد التواريخ الكبيرة تكتث كثيرا للبنان كما املت تأليف الجغرافيين الكبار فاذا اتوا على ذكر هذا الجبل فافهم يذكرونه عرضا دون لساهب ولا تفصيل . ثم ان كثيرا من المصاحف القديمة باحت برمتها ولم يبق من آثارها الا اسمها الذي لم يزل ملسوما الى حقل او خربة لا شأن لها ولا اعتبار . ففي تاريخ بيروت نجد كثيرا من هذه الاسماء المندثرة كسم « ديمطون » مثلا . وكأنه الصك الاول الشاهد لوجود عدد من قري لبنان ان لم يجر القول بانّ فيه قد دون تاريخ ميلادها . فيجد بنا اذ ذلك ان ثني احبب البناء على نشره ولا سمنا الا ان نضع طلاب العلوم التاريخية والجغرافية على الامعان في مطالعة ونحن نتعهد لهم بالقة والفائدة مما قد جئنا منه فواتد شتى ولا تولى فواظب على مطالعة استراحة لجداوه

٢

واول ما نجد في بحثنا عن اسماء المواضع في لبنان تغلب اللتين السريانية والعربية عليهما . اما العربية فانها تدلّ على حداثة عهد الساكن والمنازل لانّ هذه اللغة خلقت اللغة الآرامية من عهد قريب كما اسرنا اليه في بحثنا عن لغات لبنان القديمة (١)

وفي أوّل وهلة تستعوذ علينا الدهشة ويشملنا العجب قلّة ما نشاهد من الأسماء النكمانية أو الفينيّة البحتة مع أن أهمّ الأسماء التي استوطنت لبنان وأقدمها كانت تنطق بهذه اللغة . وليس الكلام عن أسماء مدن الساحل نظير صيدا، وبيروت وجبل وغيرها إذ لا مشاحة في أن أصلها بالفينيقية وتسميتها كالقنة لأن تطلّعا على حالة الفينيقيين الأوّل (١) وأمّا ما كان منها في داخل لبنان فمثل مجدل وفروعها مجدل ومجدليا (٢) ثم البيرة (٣) وعرامون (٤) وغيرها بما يأتي ذكره

فهذه الأسماء تقدم مهددا عانت مشقّة عظيمة في صيغها على صفوف الدهر . ولو امكنّا تجريدتها من قشورها الأرامية أو العربية التي تحجب صورتها فتجلبها مجرولة لوجدناها أوفر حدّاً وأقرب إلى اللقطة ومثال ذلك البيرة التي مرّ ذكرها فانها تظهر لأول وهلة لها كلمة عربية لشبهها بلفظ البئر وهكذا قلّ من كثير من الأسماء التي أوّلها عين أو وببت أو كثر . فهذه الألفاظ لا تختلف بالعبرانية والآرامية والفينيقية وقد نقلت كما هي إلى العربية (٥) . فلشدة الشبه بين اللغات الثلاث يحصل غالباً القلب والتبديل في صيغ الكلمات فيصعب إذ ذاك معرفة الصيغة الفينيقية الأصلية كما في كثر تبنيت بجانب التبطية حيث نجد اسم تبنيت العائز الشهرة في تاريخ فينيقية . وفي شالي بيروت جدول ماء كان يدعى باسم الإله «موت» وهو الإله الجعبي بلوتون (Pluton) عند الفينيقيين . فلما أقيمت فيها بعد الديانة الفينيقية وأهملت أساطيرها وأغلقت أسماء آلهتها أبدل موت بموت وأضيف إليها أداة التعريف فقالوا «نهر الموت» وزاد الشعب على ذلك فأخترق حكاية حبيب هائلة جرت فيها الدماء مدلولاً . فهذه سبعة العوالم في اشتقاق الكلمات فانهم يفسدون صورها شيئاً فشيئاً ثم يجدون لها معنى في لغتهم فيفقدون أنفسهم ويختارون قصصاً وحكايات لتمسير الوهم الذي توهموه وسوف نورد أمثلة جديدة في سياق كلامنا على هذا النحو . لكننا نأسف على أن بعض المؤرخين

(١) راجع تاريخ الفينيقيين (129) Pietschmann: *Geschichte der Phönizier*

(٢) المطب للمجلة الآسيوية الآلانية (442) ZDMG, 1875, p.

(٣) راجع Kampfmeier, ZDPV, XVI, 20

(٤) راجع كتاب العلامة كلرمون غانو VI, 70 Recueil d'Arch. Or.,

(٥) راجع كتاب الآثار البيرية للعلامة نواك (Nowack)

يخضعون لهذه الترهات فيقدّمون لنا كأدلة بحقيّة اختلافات الشعب الروميّة
 اما بتيّة اللغات كاليونانيّة واللاتينيّة فانها قليلة في ابناء الموضع اللبناني فليس
 في هذا ما يدهشنا بعد النتائج التي توصّلنا اليها بالبحثنا عن اشتقاق الالفاظ في لبنان
 ولا يصعب التسليم بهذه الملاحظات اذا سرّحنا الطرف في خريطة لبنان شمالاً ووسطاً
 وجنوباً في المنحنيات البحريّة والتحدّيات الجبلية فيستقرّنا الانذهال لما نرى من كثرة
 الاسماء السريانيّة صرفاً مثل كغرو وكغور وشير وتصغيرها الرابي سُوير بمعنى الصغر
 وغيرها كما لا يحصى عنده مثل نيجا وشقيف وكفرحّا ودلّيا ورشعين وكل كلمة
 تألّفت من « راس » كناية من راس ومن « طور » اي الجبل الخ . والاسماء التي
 تتضمّن بصيغ اواخر الكلمات السريانيّة مثل آيا (أجل) وآنا (أجل) واوان (أجل)
 علامات الجمع والتصغير . وكفى بهذا المصير وحده شاهداً على أنّ لبنان ارض
 ارامية ان لم يشهد بذلك التاريخ . فهذا الموضوع لا يكاد يُبلّغ كنهه او يُعبّر
 غوره اذا اردنا التوغّل فيه . هناك بعض امثلة زيادة على ما اوردنا فين طوراً هي
 حُصّ (هين الجبل) ورشيّا (راس الماء) ودير قرقعة وهو
 اليوم ديو للمكيين هو دير الجسبة (حُصّ) وبيت مري (حُصّ) وبيت
 السيد وترعون (مُلوّح) الابواب وجزين (حُصّ) التكرز
 وبين هذه الاسماء السريانيّة ما يستلفت نظراً خاصاً وهي الاسماء الكثيرة في
 لبنان المبتدئة بحرف ب (ح) اختصار (حُصّ) بيت وهو اختصار قديم محض
 بلمات سورّيّة . وقد ورد ظليّ هذا الاختصار في اللغة الفينيقيّة وفي التلمود وفي لسان
 قريبا من الفلسطينية المذكورة في التوراة ومنها بيتان ܡܝܬܐ = ܡܝܬܐ التي تُرى
 حتى اليوم قريبا من نهر الاردن جنوبي بحيرة طبريّة ١)
 وذكر كتبة اليونان مدينة في جزيرة العرب قريبة من البحر الاحمر باسم
 (Badoumpia) وغني عن البيان انها بيت شمس حُصّ (حُصّ) ويكتبونها ايضاً ٢)

١) راجع المجلة الآسيويّة الالمانية 1873, 325 ; 1860, 651 (ZDMG) ثم كتاب بنه
 فينيقيّة (G. Kampffmeyer) ومقالة الدكتور كمبر (Mission de Phénicie, 85)
 (Wetzstein : Reisebericht الى حوران ZDPV, XV, 87, 111)
 ZDMG, XXVII, 325 راجع ٢) über Hauran, 110

بكتياً (Bacteraemia) وهذا يؤيد كلامنا. أما امثال ذلك في لبنان فكثيرة نورد منها
(حمه حاهله) اي البيت الدخري وهي مركبة من حمه و حاهله
صخر ومثلها بكيفا في اقليم الحروب ومجددون وبياقوت اي بيت حدون وبيت
باقوت (١) وفس على ذلك برما ويزمل وبتار وغيرها لما سوف يرد ذكره

وقد يسوغ لنا ان نحكم على الفور والبدهي ان بلداً نظير لبنان غزير النابيع ومناخه يقتضي وجود المياه لا بد من ان يكون لمصدر الماء دخل في تركيب اعلامه . وموصفة هذا الحكم تظهر بالمشاهدة قد استعمل الحكارنا اسم قرية ميوميه (وليس « ميه وميه » كما يكتبها دليل لبنان) قريباً من صيدا في اقليم التفاح فاعتقدنا ان الكلمة الفينيقية الدالة على الماء داخلة في تركيب هذا الاسم ويقابلها في العبراني « **מַיִם** » فكما قدم عهد القرية ويوجد ينبوع ماء مشهور كان سبب تسميتها بهذا الاسم . غير ان الالامات كتبت في اول الامر سليمة . فلما جئنا متأخرأ في نواحي صيدا لم نتمكن على ميعان ماء في وسط ميوميه لكننا شاهدنا في سفح القرية ينبوعاً من اجود ينابيع تلك الاطراف القاحلة واعنيها . ففي حين مرورنا كان جميع الاهلين في قلق واضطراب لان بعض اصحاب الطامع سعوا بحكم المياه التي يستقي منها الناس والحدائق المجاورة فند تأملنا تلك المياه الحسنة الخارجة من بطن الارض ادركنا سبب تسمية ميوميه بهذا الاسم الفينيقى

ثم في لفظة ميديا لاء. الغريز ورشيأ رأس لاء. تظهر لليمان كلمة صحمأ السريانية أما الاسماء التي تبدأ بكلمة عين فهي أكثر من أن تُحصر (٢) وهذا دليل آخر على تأثير المياه وقضائها في تسمية المساكن والاماكن. وهنا يُبدي نفس الملاحظة التي أبدتها على الباء المختصرة من «يت» وذلك ان عين تُختصر أحياناً فتُناظف عن فين طورا تُكَفَّف «عنطورا» وعين دارا «ندلارا» واليرقان يسمونها عنديس (Andaris). وهذا مما يدل على أن عادة إبدال عين بـهـي قديمة وأما هل ان عنديس من لبنان فراجع الجزء الاول (١٢) وكذلك قرية عنبال (٣) في ناحية الشوفين فاصلها عين بال.

(١) نسبة الى حمّدون وياقوت ولا يُطْمَأِئِنُّ التَّارِيخُ مِنْ إِخْبَارِهَا شَيْئًا

(٢) انا نعمل ذكر الاسماء التي تبدأ بساقية وقدير

(٣) يظهر ان منال وعينل في بلاد بشاره من اصل واحد وفي البشير ١٢ كانون الاول

وقس عليها مواضع اخرى من سوربة نحو «نجر» «عين جار» في البقاع و«ندقت
«عين دقت» في عكار وعين دُور في فلسطين وهي تُلفظ وتُكتب اليوم «ندور» (١).
وقد تُدغم النون بالحرف الذي يليه نحو «مطور» «عين ماطور» (٢).



أما الاسماء العربية للعضة فهي كثيرة ومعروفة ولا حاجة الى ايراد امثلة عليها
ويكفيها ايراد اسم «البذينة» لكثرة انتشاره. والاسماء التي تتألف من «واس
وظهر ووادي ودير ودور» ولشبابها وكثيراً ما يُتفق ان اللغتين تشتركان بالاسماء
اللبنانية كما رأينا في الامثلة المتقدمة فختلطان وتقدجان امتزاج الماء بالراح بحيث
تشترك الكلمة العربية بالسريانية او تلتصق صيغة الجمع والتخفيف العربية بكلمة
من صيغة ارامية ويسهل تحقق ذلك من الامثلة التي سبق لنا ايرادها. وفي بعض
الاسماء كما في «نفه» يتحدّر الفصل بين اللغتين فلا نعرف أصرية هي ام عربية
وقد اقبلت لما اعلام الاماكن آثاراً شتى تدلّ على مرور العرب والآراميين بلبنان
بجلاف بقية الشعوب التي ورد ذكرها في الفصل الذي بحثنا فيه عن سكن لبنان من
الامم القديمة فتروّأ اليه القراء. ليطالوا خاصة المقالة التي دار الكلام فيها على الحثين
فاننا اثبتنا فيها على ذكر اسمين جغرافيين يتصل عدهما بهذا الشعب على ما نظن. اما
الفراصة فع طول عهد استيلائهم على فينيقية لم يهتروا باستعادها ولم يُعِنُوا باقامه
الآثار فيها لكنهم كانوا يهصدون تدبير شؤونها الى عمال وطنيين مكثفين بوضع
مراقبين عليها (٣). أما جنودهم فيها فكانت قليلة وكانوا من المتطوعين (٤) فضلاً عن
ان قسماً كبيراً من لبنان لم يدخل تحت حكمهم زمناً طويلاً. لاتنا نعلم ان اسلاك
الفراصة في فينيقية امام وعيس الثاني كانت تنتهي عند نهر الكلب
أما الرومان فلا نستطيع ان نغزو الى لغتهم إلا اسم غوسط التي مُورضت

١٩٩٠ و يذكر مراسل من جنبل ان الرسائل المبروة الى قرية ترسها ادارة البريد غالباً الى جنبل

(١) راجع Kampffmeyer, ZDPV, XVI, 55

(٢) راجع تاريخ بيروت (ص ٨٨) والمجلة الفلسطينية ZDPV, XV, III

(٣) راجع الجزء الاول (ص ٧١) كتابات تل هسارنة

(٤) راجع كتاب مكس مولر W. Max Möller, : Die Ägypter als Eroberer

بأغرسطا (Augusta) نسبة إلى أغرسطس ونحن نعلم بهذا الاشتقاق لكن باحتراز . وبين غسطا وميروبا مزودة صغيرة تُدعى طبرية فهل يا ترى تشتق من اسم طلياريوس نظير طبرية الجليل الشهيرة ؟ وإن صحَّ هذا التأويل فمن يكون طلياريوس هذا ؟ قد زعم حضرة الحوري نجيب صاحب تاريخ الموارنة (ص ٥٧٦) أنه الامبراطور طلياريوس البيزنطي لكن هذه الشهادة ليست بكافية إذ لم يذكر ذلك احد من المؤرخين الاقدمين

ثم اننا لا نعد من اصل لاتيني اسم «اسطبل» في اقليم التفاح ولا المجلات العديدة التي تبدأ بقصر ويرج فان هذه الاسماء وان كانت في الاصل مشتقة من اللاتيني الا انها قد دخلت في اللغة العربية من صدر بعيد حتى اصبحت كأنها اصلية ومثلها الكورة اسم احد الاقضية في لبنان فأصلها يوناني «Xopos» اي الناحية . والمري قريباً من سكا فلا يبعد من انها تشتق من آكلمة اليونانية «ἀρίον» ومثلها اللاتينية horreum وكلاهما بمعنى المري والمخزن ومن الاسماء التي يمكن نسبها الى اللغة اليونانية طبريا وجربتا (١٠) أما طاميش فلها من ارطاميش «Ἀρταμίσ» وهي إلهة للوثنيين كما ان جونية يُحتمل اشتقاقها من اليوناني «γυνή» اي الزوجة . وأما البترون والقلمون جنوبي طرابلس فانهما من الاسماء السامية صفحتها اليونان في لغتهم وجعلوها منها كما صيروا جبيل «جبلوس» وكذلك دقة في كسروان يشبه لفظها «δῶρον» وهي شجرة النار كما ان ثاؤوس (قريباً من كسبا وشطلين) هي «vaδς» . لكن رمان يتساهل كثيراً فيرى الاصل اليوناني في عدة اعلام لبنانية نظير دلبتا وريون وعجلتون مع أن اصلها السرياني لا شبهة فيه . وفي رأيه ان كل الاسماء اللبنانية المنتهية في لين وأون وأوش مثل غرقين وريون وحشوش هي يونانية الاصل (١١) فهذا الزعم لا يستحق ان نعيه التفاتاً . وبالجملة ليس في لبنان أكثر من عشرة أعلام

(١) راجع الجزء الاول (ص ٢٠٨ و ٦٩) ما نقلناه عن افطيس فان اشتقاقنا من اليوناني هو من الامور المشككة . وقد ذكر الشريف الادريسي ثلثي صيداء بلدة باسم قلمون لم نعرف من امرها شيئاً ولها تحريف «حلمان» القريبة من غر الادلي . وكذلك ثلمون المرسومة على الخريطة الفرنسية شرق البترون هي تصحيف قزمنون

(٢) راجع كتابه سنة فينيقية (238, 229, 246, 141 Mission de Phénicie)

مكاثية يمكن ردّها الى اصل يوناني فهذا العدد اليسير لا يكاد يُعبأ له بالاسبة الى الاعلام اللبنانية المتعددة التي ثبتت ساميتها

اما اكثر الاسماء توغلاً في الابهام فهو اسم كسروان فمن العلوم اتنا نستخلص منه بلا عتاء اسم العلم كسرى ولكن كيف نفتره؟ ومن هو كسرى هذا؟ وكيف وقع اسمه على هذه المقاطعة اللبنانية؟ يقول قائل انه اسم احد متقدمي المردة وليس ذلك جواباً شافياً لأن المردة كما افاد التاريخ تزحوا من لبنان ولم يخفوا فيه سلاطنتهم . وكذلك لا نسلم بالتقليد الذي يردّ « قب لياس » (في البقاع) الى قبر لياس . وهو زعيم اخر من زعماء المردة في قولهم . وليس قب لياس في رأينا اشدّ وضوحاً او بالحري اقل ايهاماً من انطلياس (١) والسيو غورباتيس في تأليف حديثه (٢) يسلم برأي من يرجع هذه الاسماء الى المردة ويؤمن بانهم اتوا الى لبنان من بلاد القرس لكن قبل العهد الذي يذكره توفان المؤرخ اليوناني وهم الذين دعوا كسروان باسمه أوأوبه من بلادهم . لكن التاريخ لا يذكر شيئاً من امرهم ما خلا توفان وهذا المؤرخ اليوناني يخالف كل المخالفة رأي غورباتيس في عهد دخولهم لبنان . اما نحن فلا يسعنا الا ان نشاطر سيادة الطران يوسف دديان رأيه ويوضح لنا انه دحض بسديد براهينه زعم العالم الايطالي دحضاً منجماً . وعدنا ان اشتقاق اسم كسروان مشكل لم يحلّه احد الى الان

اما اللغة الفرنجية فلم يبق منها في لبنان الا ما قلّ ونذر فكانوا يستعملون النبطية (Le Monestre) ويطلقون اسم (Franche-garde) على قلعة يقال لها الان المنطوة وهي بجوار صيدا . ويدعون قلعة نبحا القريسة من جزيّن (Caven de Tiron) ويستعملون قلعة الشقيف جنوبي النبطية (Beaufort) . ولم يبق من هذه الاسماء الا الاسم الاول الذي صغره ونقلوه الى اللغة الفرنسية وكذلك اسم دير

(١) قرأنا في ذخائر لبنان لجانب ابراهيم بك الاسود: « كلمة اخلياس لا تخلو ان تكون منحوتة اما من اخوان وايلياس واما من انطس ايلياس واما من اقوة لياس وهذا الاخير هو الاربع » (كذا)

(٢) راجع: *Gubernatis : Rassegna Nazionale, Mardaiti e Maroniti*

البلند فهو منتول عن كلمة (Belmont) كما اثبتنا ذلك في موضعه (١)
وقد رأى حضرة الاب ابراهيم حوفوش في «خربة السويس» تليحاً الى الشعب
السويسري (٢) فنحن لا نحال التسليم بهذا التفسير ممكناً لان السويسيين لم يُعرفوا
في اقطارنا فضلاً عن ان اطلاق اسم السويس على الشعب السويسري كان بعد ذلك
الحدود ومن المحتمل ان اسم «روس الفرنج» (في قضاء جزين) و«جوف
الفرنج» بجوار تنورين من آثار ذلك العصر غير اننا لا نستطيع ان نبت هذا المعنى
حكما جازماً

واما اسم جومق (بناحية جبل الرحيل) الذي ورد ذكره اثناء كلامنا عن
الجرامة فانه يجلد اسم الجرامة وهو شعب ارامي (٣) تذكره كتبة العرب وهم
لا يفرقون احياناً بين الجرامة والجرامة فهؤلاء الجرامة ليس لهم اثر في اسماء المواضع
البنائية وذلك دليل على انهم اجتازوا لبنان اجتيازاً ولم ترسخ فيه اقدامهم
ومن الاسماء التركية اسم الزوق وهذا الاسم من الاعلام المكائنة الموجودة معاً
في كسروان وفي عكار (٤)

اما النتيجة التي نستمدّها مما قدّمناه في هذا الفصل فهي عجز اللغات غير السامية
وقصورها من التأثير في تسمية الامكنة البنائية العجيبة بوجدة نوعها . وهذا بما لا
نشاهدّه الا في اقل من البلاد اما اوروبا فانك تجد في اسماها مساكنها اشكالاً والواناً

(١) تسميع الابهام (١: ١٤٩)

(٢) المشرق (٥: ٢٩٨)

(٣) افرقة من الاشوريين الاقدمين او «هم اهل الموصل في الزمان القديم» (التفشيدي
١٢٠: ٢٢) راجع Chwolson: Die Ssabier, II. 697 ويقتوت في سجع البلدان (٤: ٦٤)
يوسى الى وادي جرمق على مقربة من سيدا وهو وادي جبل الرحيل . ثم قابل بين نصي ابن
التيبة الهذلي قال الاول (ص ٧٧ سطر ٢٠) : «الروم ملكائنة يقرأون الانجيل بالجرمقائنة»
وقال الثاني (ص ١٢٦ سطر ١٦) وشرح قوله اصعب لان الكلام فيه من روم اروبة : «الروم
كلهم ملكائنة يقرأون الانجيل بالجرمقائنة» . فمن يتقدم اليها يشرح معنى الجرمقائنة يقدّمنا
فضلاً وجسلاً ومن المقرر انه ليس المراد بها السريانية اذ ان الجرمقائنة على قول ابن القتيبة لغة
روم اروبة القسسية

(٤) Robinson : op. cit. 183



أننا قد بينّا في سياق الكلام عن دخول النصرانية الى لبنان قبل الهجرة بثلاثة سنة ما عانت من المكاره ولاقت من المصاعب حتى استتب لها الامر وتوطدت دعائمها (١) ولم يتم انتصار النصرانية على الوثنية قبل اواخر القرن السادس واولئ السبع وذلك بفضل الشعب اللاروني واسماء الساكن تؤيد هذه النتيجة التي لا سند لها الا الادلة التاريخية

أما لامر شائع في جميع البلاد النصرانية أن تُسمّى الساكن باسماء القديسين فشيوع هذه العادة يظهر ما لعبادة القديسين من الشأن والاعتبار عند بني جلدتهم ويبيّن لنا اهمية الابنية الدينية التي نشأت حولها المدن الحظيرة. فمن هذه المدن سانت اتيان في فرنسا وسان لويس في المالك المتحدة وسان باولو في البرازيل . فمما يقضي بالجب ان الاسماء المكانية التي تنسب الى اسم قديس قليلة جداً في لبنان نعرف منها ما ر شيئا في الزاوية وماو ماما في بلاد البقّين اما في بلاد عكاك فان روبنس يذكرك في لوانج (٢) مار ليّا وهو اليوم خربة . وتؤيد عليه اسم مزوعة مار توما (٣)

اما الاسماء التي تتألف من دير ودور فهي اكثر شيوعاً لكنّها اقلّ مما يلبي ان تكون في بلد اغلب سكّانه نصارى . وعلة ذلك هي ما نظنّ انحصار الطائفة المارونية زمنّا طويلاً في شال لبنان فانها لم تجاوز حدود نهر ابراهيم كما اثبتنا في حجة مراضع الآ في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ونحن نعلم ان كثيرين يرفضون حتى الان التسليم بواينا . فما علينا الا ان نوضح للشناظر أنّ تسمية الاعلام الوضعية لا تقضي لهم ولا تتناول رأيه . فقد ظهر من الابحاث التي نشرها حضرة الاب ابراهيم حروفش في الشرق عن اديرة كروان القديعة انها متأخرة عن الجليل الخامس عشر . فايّ تفسير لهذا الشذوذ غير تفسيرنا . ثم علينا ان نعتبر أنّ الاديرة الكبيرة كانت قديماً

(١) تريح الإصدار (١٧٠٥-١١٢)

(٢) راجع تأليفه (ص ١٨٣)

(٣) وهذا الاسم مذكور في لائحة نفضل علينا بها حضرة الحوري بولس طسه وقال ان اعلم اليوم مسلمون

نادرة في لبنان لأن الميثة الرهبانية فيه كانت في بادئ أمرها تقوم في الحلاوة والعرلة شأن السناك والزماد فأكثر الاديرة الكبيرة سيما جنوبي نهر ابراهيم بُنيت بعد تأسيس الرهبنة البلدية . وهذه بعض الاسماء التي بدأ بدير : دير القمر ودير قويل ودير بابا ودير دوريت وقد ورد ذكر جميعها في توليخ الفرنج في القرون الوسطى (١) وفي تاريخ بيروت (١٩٢-٢٨٢) . فهذه القرى سبقت عهد القرن الحادي عشر ولعلها قامت على انقاض اديرة مبنية قبل الاسلام . وما يحملنا على هذا الاستدلال وجود تلك الاديرة بناحية لم يستوطنتها غير الدروز قبل القرن السابع عشر . وقد من لنا أن في هذه الناحية موضع الديو الذي اقامه في لبنان القديس رثيلا وقد ورد ذكر هذا القديس في كلامنا عن ابتداء النصرانية في الجبل (٢) . وهما نحن نورد بعض اسماء مما يبدأ بدير غير ما ذكرناه . ففي معنى لبنان الشرقي دير الاحمر (شمال غربي بمبلك) ودير طنجيش على منحدر جبل الباروك المشرف على القاع ودير دالوم ودير جانين في بلاد عكار (٣) ودير الزهراني في وادي النهر المذكور

وقد تبين لنا من ابحاثنا المتقدمة عن العاديات اللبنانية أن لبنان بلد تأصلت فيه العبادات الوثنية ودرست اصولها وانتشرت فيها للمياكل والابنية التي تحمي ذكر الديانات السامية . فاسماء الاماكن تدعم شهادة العاديات وتوضعا على منوالها (٤) فبفضلها تُدرك جليا امر تلك الانقراض الدلوسة وغايتها وبفضلها تكمل قص التآريخ ولايضاح ذلك نشغذ بعض امثلة بما يحضر الحاضر على سبيل الاتفاق :

فان كنا نجعل انتشار عبادة الالهة الفينيكية ثابت في لبنان فالاعلام المكانية تطلتنا عليها فمن تلك الاعلام كفر تانيت الواردة في تاريخ بيروت (٥) وعنتيت جنوبي

(١) راجع المجلة الفلسطينية (ZDPV, X, 276, 277) اما تفسير اسم دير القمر في كتاب اشبار الاميان (ص ٢٩) فهو الى القرابة اقرب منه الى المكتبة والعدد على ما لاح لنا

(٢) راجع الجزء الاول (ص ١١٢-١١٤)

(٣) وغيرها في تلك الناحية . راجع روينسون (183-190)

(٤) راجع ابحاث غلدسيهر (Goldziher: *Mobamm, Studien*, II 334 336)

(٥) لسالمح بن يحيى (ص ٢٢٦)

شرقي صيدا، ١٦ وميثقت على منحى لبنان الشرقي على سفح تومات نيجا الى الشرق. وايت تليت وحدما الإلهة السامية التي حاش ذكرها في الجبل كُنّا الى اليوم نشبه بوجود إلهة كان الاراميون يؤذون لها اكراما خصوصيا ويدعونها شيا. وقد استلقت اليها الانظار بحالاته حضرة الاب سبستيان رتوال (٢) قد اكتشف بحقه المعروف اسم هذه الإلهة في «كفرشيا» قريبا من بيروت «بيت شاما» (على طريق زحلة الى بعلبك) «وشامات» في بلاد جبيل ونحن نضيف الى ما تقدم اسم «بعلشيه» (في المتد الاملي) فهذا الاسم الذي يبدأ بعل هو عندنا من اغرب الاسماء الاولى والاصلية في لبنان (٣). فكل يعلم أن الآلهة كانت تُعبد في المياكل السامية ازولجا فكل من الآلهة كل باذنه ما يقابله ذكرًا كان أو أنثى وسقى اليوم لم يكن مقابل شيا للمأعروف وان كان يسوغ الاستدلال على وجوده بالاستقراء. اما الآن فقد اكتشفت حديثا كتابة يونانية شالي سوريّة فيها ذكر الإله (Elymas) (٤) فهذا الإله لا نحاله ألا زوج شيا الذكر لأن بعلشيه لا تعني إلا بعل شيا امهي مُقابله الذكر لأن لفظ البعل عند الساميين اذا جاء منفردا كان يدل على كيد الإله ويشير الى اله محلي او خصوصي اذا أُضيفت اليه صفة كما نراه واقعا ثم لن قرية درب السين (وعلى الاصح درسين) (٥) شرقي صيدا بقرية منها تذكرها باله آخر هو الإله سين او القمر للكرم خاصة في بلاد بابل ومابين النهرين وكان له في حران هيكل مشهور ومنها امتدت عبادته الى سوريّة لأن حران كانت مبنية على طريق القوافل التي كانت تتعاطى الاتجار في تلك الاصقاع وفي سوريّة الشمالية مواضع يدل اسمها على انتشار عبادة القمر. فمن ذلك كفر باسين في جبل سمعان (فربي حلب) ويجوار افلمية القديمة موضع آخريدمي بهذا الاسم. فلفظة باسين تتوكل من با وسين: والتأويل بيت سين اي مسكن او هيكل

(١) راجع Guérin, Galilee, II, 516 وقد أهملت هذه البلدة في الخريطة الفرنسية

لبنان وهي غير كاملة في الجنب (٢) راجع المشرق (٧: ٣٢١ - ٣٢٥)

(٣) وقد نلّ بعضهم انه تصيف «بعل شمين» اي بعل الهوات وهذه تسمية شائعة

عند بني سام راجع اخبار الاميان (ص ٢٦)

(٤) Bulet, corresp. hellénique, 1902, p. 182

ZDPV, VII, 215 (٥)

الاله سين . وكان العرب في الجاهلية يبدونه أيضاً (١) ولعل هذه العبادة قتلها
نهم الى لبنان قبياة الايطوريين وهي عشيرة من عشائر العرب سكنت قديماً في
لبنان كما سبق لنا اثباته

وترى أيضاً في لفظة «كنز قاهل» شالي انكورة اسم قاهل وممناء القدير وهو
من اسماء الجلالة عند العرب الاقدمين (٢)

وما نبتنا اليه في بطشيه ودربسين ينطبق ايضاً على اسم دار بشتار. فهذه اللفظة
كما سبق شرحها في غير موضع (الجزء الاول ص ١٣٧) ما هي الايت عشتار
اي هيكل عشتروت . وعشتروت هذه من مبودات اللبنانيين الخاصة ولذلك كان
اليونان ينسبونها الى لبنان فدعوها «Aupharas» (٣) فالجزء الاول من الكلمة جرى
عليه من الابدال ما جرى في لفظة دربسين التي كانت في الاصل داربسين فحولها
الشعب الى درب السين (٤) ولم يتبسه الى أن الباء الابتدائية هي اختصار بيت
ثم قدم على بشتار قطة دار ومدلولها البيت ولا عجب في هذا اذ في العامة ميلاً
لفطرياً يحلمهم على وضع معنى للالفاظ القديمة التي يفوتهم ادراك سرها . وبناءً على
هذا البدأ كتب العامة «مجد البنا» (٥) (ضيعة في الجرد الشالي) وكان حقها ان
تُكتب مجدل بَنا. وهكذا قل من «مجد المعوش» والصحيح «مجدل معوش» وجرى
الشعب على هذه الطريقة لانه لم يكن يعرف ان مجدل هي لفظة كنعانية قديمة
ومعناها قلعة فنقلها الى لفظ عربي متشابه

ومن للرجح ان اسم بززا المجاورة لدار بشتار هو ادغام بيت عزيز. وعزیز هذا
كان الما عند الساميين تتصل عبادته بعبادة الشمس (٦) وكان له مزيد الاكرام في

(١) قابل ايضاً اسم جبل طورينا 29-31 Grimme : *Mohammed*,

(٢) راجع الجزء الاول ص ٤٥ وتجد هناك صورة عشتروت ص ٤٦

(٣) راجع الجزء الاول ص ٤٥ وتجد هناك صورة عشتروت ص ٤٦ (Clermont-
Ganneau : *Rec. Archéol. Orient.*, III, 188

(٤) اما رافان (Mission de Phénicie, 512) فيريد ان تحذف الباء ويكتب الاسم
درب السين. غير انه من الضرورة إبقاء الباء كما يستدل من اسم كفر ياسين الشائع في شمال سورية
(٥) وهكذا كتبها صاحب دليل لبنان

(٦) راجع (Revue Archéol., 1903, p. 129-130)

الرها وفي حص كما يُستدل من انكسابات اليونانية العديدة التي قرأنا فيها اسم
» Ἀζύκος « ١)

أما الاعلام المركبة التي اول جزءها «عبد» ثانيا اسم للمي عادةً ولذلك لقبوا هذه
الطائفة من الاقناط بالاسماء الالهية . وعندنا ان عبدلي (من بلاد البقون) تتصّن
اسم الله ولعلّه بصيغته اللطيفة إيلو في اللغة البابلية او في العبرانية بدلًا من الصيغة
السريانية او العربية المشبعة والمقصية . وعما يريد هذا التأويل هو انها لا تلفظ عبد الله
بالتضخيم والاشباع بل عبدلي حصّو كحّ بكسر الدال اللطيفة او بالاشمام

وقد اطلعتنا كتابات تل الميرنة على شدة نفوذ بلاد بابل في اقطارنا الشامية .
فلا عجب اذن ان وجدنا شيئاً من آثار الديانة البابلية في سورّة وقد شاهدنا مثالا على
ذلك في ادخال عبادة الاله سين . وقس عليه الاله البابلي نبو (وفي العربي نبا)
فاننا نجد اسمه في «قصر نيا» شمالي زحلة على منحنى لبنان الشرقي (٢) . ولا بدع
ان اورحنا كئذكار بابلي اسم «كهر غرود» في بلاد جليل وهي خربة وقد ذكرها
عدة من علماء الافرنج (٣) ونحن لم نشاهد هذا المحل كما اننا لم نشاهد «قلعة تدمر» .
فذلك نكتفي بالاشارة اليها ولا تزيد على استنبها تأويلا . على اننا نرى قري
كثيرة ومزارع عديدة تسمى باسماء الالهة القديمة فمن هذه القرى بدادون (في الغرب
الشمالي) فانها تتركب من ب = وت والصيغة السريانية أون الزيدة في اواخر الاسماء .
أما داد فإله قديم لبني سام ونجدته في قطة دده (انكورة الشائلة) كما نجد في
عنصدي (الكنورة الوسطى) اسم الاله صدق (٤) . وفي «مراح كيون» في اقليم
الفتاح يظهر اسم زحل احد مبودات الشعوب السامية وقد كان معروفاً عندهم
باسم كيون (٥) . قال ابو العلاء المعري:

إذا عطسوا كيوناً عطت واحدة فكان له كيون أول ساجد

(١) راجع تأليفنا في آثار حمى *Notes sur l'Énéide, passim*

(٢) وشها «كفر نيا» في جبل سمان غربي حلب . وجاء في «ذخائر لبنان» (٢ ص

١٣٥) ان نيا اسم امير عربي . وهو تفسير قصي

(٣) راجع بحث فينيقية (ص ٢٠٢)

(٤) راجع Winckler, *op. cit.* 473, 483

(٥) راجع Winckler, *op. cit.* 409

الآن أكثر الآلهة شيوعاً عند الكنعانيين والفينيقيين هو البعل فلم يكن ممكناً أن يُغفل اسمه في تسمية الأماكن اللبنانية ولنا دليل في اسم بعلشميه ومثله سَبَل في بلاد الشيف (١) . وكمل قريباً من الزينة (كسروان) - وكرومال في وادي فيدار - وسبل وبسبل (٢) شمالي قضاء البترون - وعَبَال بدلًا من عين بعل (٣) في الشوف . فلهذا الإسماء لا تزال محافظة على اسم زعيم آلهة الفينيقيين لها صالبا فلعلها الكلمة الكنعانية «*bal*» وهذه الكلمة ليس مناسبا صورة وضم فقط بل هي اسم أحد الآلهة السامية المسماة صالم (٤) فيكون إذن معنى بصالم (في المتن) بيت صالم أي بيت الصنم أو هيكل الإله صالم ومن العبادات التي شاعت كثيرا في سورية هي عبادة الشمس وإلى هذه العبادة ينتسب اسم «عين الأسد والشمس» في إقليم الحروب . وما يزيد هذا الأسم أهمية هو قسنته لاسم اله آترو وهو الإله الأسد الذي اظهرت وجوده للعيان كتابة اكتشفت حديثا في جبل سمعان (٥) يُقرأ منها اسم الإله الأسد باليوناني (Λέων) . وفي بعلبك كان الإله جانيوس «*Γεωργιος*» يُعبد بصورة أسد . وتقبل الآلهة بصورة أسد كانت عادة شائعة في سورية (٦) . وقد تحدثنا النفس بأن ننزول إلى تلك العبادة الاسدية (٧) اسم مدينة الأسد (Λεοντοπόλις) ونهر الأسد (Λέωντος ποταμός) وكلاهما على منحدر لبنان الشرقي (٨) بين نهر الليطاني ونهر الكلب لكن مركزهما لم يُعرف تماماً (٩)

(١) راجع V. Guérin, *Gablie*, II, 530, 541

(٢) ولعلها الخالي لا يناقش رأينا في شيء فإعادة جارية في جميع البلدان على الأعلام التي لا يقيم مقام الوضي بأن يحدث تبديل في اللفظ أولاً ثم في سكتاتها

(٣) راجع أخبار الأيمان (ص ٢١)

(٤) راجع Winckler, 473

(٥) راجع Bullet. corresp. hellénique, 1902, p. 183

(٦) راجع مجموع الآباء اليونان لمن (Migne, PP. GG., CIII, c. 1292)

(٧) راجع مقالة الأب روترفال بهذا الخصوص : (Revue Archéol. 1905, 48 - 53)

(٨) وكان اللبنانيون الوثنيون يذرون لأكتهم مقدمة صور الأسد (Mission de

Phénicie, 397)

(٩) راجع مقالنا عن إسماء أضر لبنان القديمة

واماً ما يتعلق بعبادة الشمس مقابل « يت شمس » وهو من الاعلام الكثيرة الشيع في فلسطين ١)

ومثلها العبادة لاله رمّان ٢) التي شاعت في طرّي العالم السامي في بلاد اشور كما في بلاد العرب وفي جميع البلدان المتوسطة بينهما . فمن تلك العبادة دُعيت اماكن عديدة باسماء تدخل في تركيبها لفظة رمّان نحو عين الرّانة وبرمّانا ولعلها بيت الاله رمّان . ولما أغفل على مدى الزمان اسم هذا الاله حُصبت هذه التسمية نسبة الى شجر الزمان وليس له وجود في تلك القصة وقد يتفق ان يكون ذلك في بعض الاماكن بشرط ان لا تكون في مواقع باردة لا يعيش فيها الرّمان . وليس لنا ان نهمل اسم « كرمي » العريب وقد يمكن ان يكون اسماً الهياً لان « عم » من صفات الالهة عند بني سام الاقدمين ٣)

فهذه هي الآثار المهمة التي ابقها العبادات الوثنية في اعلام الساكن البنائية وهي كلها عبادات سامية وهذا طبيعي في اراض سكاها ساميون . واما ما اختص بالعبادات اليونانية والرومانية فيدل عليها اسماء بلوئي وطاميش ولعلها مشتقان من اسمي ابولون وارطاميس او ديانة (Diane) . لكن هذا الاشتقاق لا يتجاوز حدود التضمين وقد يمكن ان نقابل بطاميش دير ارطاميس (ومسا) او اوليحمص في حوران وهو مذكور في كتابة سريانية من الحيل السادس ٤) . وظن البعض انه ورد لابلون ذكر آخر في لبنان وهو اسم مغارة بالقرب من صيدا يدعونها مغارة « لابلون » وهذا الاسم مصنف والصواب « مغارة طبلون » وهو اسم مكاني نجهل اصله لكننا لا نفلته متعلقاً بعبادة لابلون اله الرومان . وقد اوردنا في الجزء الاول (ص ١١١) اسماً غريباً في باه وهو اسم « وجه الله » الذي كانت تسمي به اليونان رأس الشقعة وكذلك اسم ضيقة « وجه الحجر » القائمة على ذلك الرأس قاسم وجه الحجر من آثار عبادة قديمة والمكان يُدعى باليونانية (Θεουπόρων) او (Αιθεροπόρων)

١) راجع سلجم التوراة و 369 Winckler

٢) راجع كتاب حضرة الاب لاجرانج (Lagrange) في البيانات السامية (ص ١٢-١٣)

٣) Winckler, 480

٤) ZDMG, 1875, 436

وكلاهما ترجمة الاسم العربي فقد كان بين طوافيت العرب صنم اسمه حبر وكان للايطوريين مركز على هذا الرأس من أهم مراكزهم يقال له جيجارتا فلملهم هم الذين ادخلوا تلك العبادة الى لبنان (١)

وفي بعض كتابات دير القلمة ذكر الاله يدعى (Απερηνος) وقد استعقت هذه الكتابة لتفلسر المستشرقين أي استلقات قساؤوا عما عساه أن يكون ذلك الاله المجهول الى هذا الحين وابن هيكلة . فإذا حذفنا آخر الكلمة « νος » الدالة في اللغة اليونانية على النسبة بقي « Απερη » وبهذه الطريقة نحصل على اسم المصل المنسوب إليه هذا الاله . وقد بحثنا عن حقيقة هذا العلم فنحن على فكرة بادئ بدء اسم فرمطي التي ورد ذكرها مراراً في تاريخ بيروت (٢) لصالح بن يحيى وهي قرية من كرمق بينها وبين نهر الدلمور . فرمطون هي اليوم خربة ولا ريب انها كانت قديماً ذات بآل وشأن كما يستدل من نسبة الومطوني الذي عرف به كثيرون من اصراء العرب فهذا الاسم يشابه الاسم اليوناني ولا فرق بينهما سوى ان ال التثريف داخلة على الاسم اليوناني بخلاف العلم العربي الحالي منه

الآن في الاسماء اللاتينية الكنائسية اسماً آخر يوافق كل الواقعة حل هذا الشكل وهو اسم القرية فرمطي او فرمطي في ناحية جبل الريمان (٣) وتجربة منها عزار الي ركاب الذي تبلغ في اكرامه وتاولة الناحية وما هو الا الاله المبود قديماً في فرمطي والاله (Απερηνος) المذكور في كتابة دير القلمة

فمنّا مرّياً من التفاصيل يتبين عظم قدر المبادلات الوثنية في لبنان والصاحب الكثيرة التي ناصبها النصرانية حتى توصلت الى نصر الحق على الباطل وبها تدرك معنى كلمة الابنية الوثنية في لبنان . فدرس الاعلام الكنائسية يطعننا على ان المبادلات الوثنية كانت مع الابنية المختصة بها اوفر عدداً في قديم الزمن وانه لم يبق من اثرها الا لسايا . بعض المواضع فاذا ما حصلنا على لوائح وصفية وافية بالمطلوب امكنا ان نضيف زيادات كثيرة على ما قدمنا

(١) اطلب بنة لبنانية لبنان (Mission, 402)

(٢) راجع مثلاً لمصنعت ٧٦ و ٨١ و ١٢٢ و ١٢٦ و ١٨٠ و ١٨٥

(٣) ويوجد موضع آخر يدعى حرتق في جبل الصعيرة

واعلم انَّ فائدة درس اعلام الاماكن لا تنحصر في معرفة عبادات المشركين فقط فانَّ الجغرافية والتاريخ يجنيان منه اعظم جدوى. فمثال ذلك «خربة صيدون» في قضاءية جزين تحمي وتحفظ ذكر صيدون وهي صيدا وتدلّ على انَّ نفوذ ام المدن الفيليقية امتد الى داخل الجبل

وقد نبّه بعضهم الى أنَّ فُرَيْدِيس وهي كلمة فارسية شائعة الاستعمال في سورة تدلّ عموماً على حطائر صيد قديمة لذلك الفرس (١) وهي عادةً مواضع تكثر فيها المياه ومن ثمَّ الغابات والطرائد شيثان يستترم احدهما الاخر. وما من موضع احقُّ بهذا الاسم من فريدس الباروك فهناك سهل يهيج تسقيّه ينابيع الباروك الفريزة يشبه في تنظيره وترصيفه حظيرة صيد كبيرة وعلى اكثافه ارز الباروك (٢) هو بقية من الغابات القديمة التي كانت تحتلّ فيها حيوانات متنوعة

وفي بطرآن من قضاء الكورة آثار عديدة من قبور واحواض كبيرة كلها منحوتة بالصخر وقد وجدنا بينها اخوة تدعى اشمويت زجج كونها انقراض هيكل اشمون الاله الفيلقي (٣) الذي يطبق على الاله لسكولاب اله الطب عند اليونان. وكان الصاري القدماء ارادوا تقديس ذلك للكلاب فاقاموا هناك معبداً باسم القدسية اشموني اضمي اليوم خراباً والاهل يكرمونه وقد احتادت النساء اللواتي يشعن بألم في الصدر ان يسمحن موضع الوجع بما مصبوب على حجر من حجارة للمبد القديم. واشموني عند الشرقيين ام السبعة الفتية الشهداء المذكورين في سفر المكابيين لكن الكتاب للقدس لا يذكرها اسماً ولعلَّ الشرقيين اشتقوا اسمها لشموني من العبرانية *shimon* اي الثامنة لانها قُتلت بعد اولادها السبعة

*

قد ابناً غير مرة أنَّ لبنان يتاز بفاكهة الزاخر وغاباته للثمة. انا اليوم فمن يسرح الطرف في ذرى هذا الجبل ويواه اجد في اكثر اماكنه قليل الاحراج والاشجار نسب

(١) راجع الجزء الاول (ص ١٢٤)

(٢) المطب المشرق (١: ١٧٧)

(٣) راجع المجلة الاسيوية الالمانية (ZDMG, 1905, 499 etc)

البناء التحسّس والمباقة ولارتاب يصدق ما رويانا من الأدلة القديمة . غير أنّ تسمية الأماكن تشهد بكثرة الأشجار والنبات في لبنان قديماً . ومن ذلك المساكن المسماة « غابة » أو « غابات » والتي يدخل في تركيبها اسم شجرة كالاعلام الآتي ذكرها : « سندانة وبلوط وصمصافة وجوز وحور ودلبة ودلبنا وزغور ورمانة وخروب ولوز ولوزية وبطم ومشمس وزيتون » مع اشتقاق هذه الأسماء ورفوقها وتصغيرها وإضافتها إلخ . فاسم نهر الداهور أو كما يدعوه اليونان تلميراس يتضمن اسم النخل الذي يقال له بالفينيقية تامير (تمر) ويدلّ على قدم هذا الشجر في لبنان (١) . وبعض هذه الأشجار كانت بالنة في الكتلة حتى تسقط بها المقاطعات والأقاليم على نحو : « جبل الريحان وأقاليم التفاح وأقاليم الحروب » كما أنّ ذلك فيا سبق من مقالاتنا عن الزراعة والأحراج في لبنان

ومما يقضي بالعجب هو أننا لا نرى في جملة النباتات الداخلة في الاعلام اللبنانية اسم الارز سيد الأشجار في لبنان . فعلة ذلك أنّ الأهلين بأحدروا في أول أسهم إلى قطع غابات الارز واستغلوا خشبها بآفاق غالية حتى تجاوزوا في عملهم كل حدود الترويض والنظافة كما سبق لنا أيضاً (٢) فالأرياح القاحشة هي التي حرّضت أشجار الارز إلى الميت بها وخربها حتى لم يبق منها إلا القليل وهذا القليل لم يسلم من تعدي الإنسان الأفضل القمم النخيلة التي بنت عليها مع أنّ الارز يؤثر الموضع العالية الممتدة الهواء فلا يكاد ينبت في موضع ينقص ارتفاعه عن ثمانمائة أو سبعمائة متر والراكر للمأهولة نجد أكنها قائماً في الوسط . على أنّ الشرائع الرومانية (٣) المختصة بالأحراج كانت ثلاث أو كانت حينما شرع الممران يتأصل حقيقة في لبنان أي في عهد وصول الوارثة إليه وقد كان اقتلاع الأشجار بلغ مبلغاً عظيماً حتى لم يبق أحراج تستحق الاعتبار إلا في الصرود العالية . فمجرد وجود هذه الشرائع والكتابات

(١) راجع غراسطيق اللة الهنبيقية للاملة شرودر فصل حام الدولة الالمانية سابقاً في بيروت (P. Schroeder : *Phœnix, Sprache*, 135) وكتاب جوره (Ch. Joret : *Les*

(Clermont-Ganneau : *Rec. arch. orient.*, ٧, 328 ; *Plantes dans l'antiquité*, 369)

(٢) راجع الجزء الأول (ص ١٤٩)

(٣) راجع الجزء الأول (٢٢-٢٣)

العديدة المنصوصة فيها وهي تُرتي على المائة لما يوضح لنا جلياً الحاجة للناس الى تلك الوسائل لوقاية الاشجار وما ان هذه الكتابات ليس لها وجود الا في لبنان فيسوغ لنا ان نستنتج ان غايتها انما كانت حماية لورث ذلك الجيل

ومعها كان من الامر فكلفة المواضع اللبنانية التي تُسمى باسماء الاشجار او بما يرجع اليها من الحرف والهن كحصرة ومناصر دليل على ان لبنان كان ارضاً سادت فيها الزراعة بخلاف سواها من الصنائع كشغل المادن مثلاً . فالاسماء العلمية لها اهيئة كبرى من هذا القبيل فانها تؤيد نتائج بحثنا السابق . فاننا لا نكاد نصادف في جميع لبنان اسماً يلتمح الى تلك الصنائع الا اسم « مادن » في ناحية النبطرة و « القرزل » على السفح الشرقي وهي لفظة سريانية معناها مسبك او معبل حديد وهذه للاحظة نفسها تتناول الينابيع المعدنية او الحارة فكثيراً ما نجد في اسماء الاماكن لفظة عين . اما اسم حمام او ما هو بمعناها فلا وجود له البتة . ويؤيد ذلك علم طبقات الارض فانه يبين لنا ان الطبيعة لم تجد على لبنان بوفرة المادن كما ضمت عليه بالينابيع المعدنية والياه الحمة لاذ ليس فيه صخور بركانية

واما ما يدل على وجود الحيوان من اسماء المواضع اللبنانية . فليس بالواضح الصريح قلعل اسمي « مدينة الاسد » و « نهر الاسد » المار ذكرها بشبران عند جغرافي اليونان الى وجود الاسد قديماً . واليوم لا نعرف من الاعلام الحاضرة المشتقة من اسم الحيوان الا اسم بسمرة اي بيت غمرة وكفرقريس : اما من القيل قديماً من بيروت وخطوم في بلاد الشقيف فلا يكفيان للدلالة على ان القيل وجد قديماً في لبنان لو لم تكن عندها غير ذلك من الادلة التي اوردناها في ابجاثنا السابقة (١)

ولمّا يُنظر على الال كثيرين من القراء اننا اسهنا في هذا الوضع . ويقول قائل : ما الفائدة من جميع هذه الاقتراضات الوهمية ومن هذا التشريح القوي وما المنفعة من هذا الدرس بالمكسر وبالتنقيب عن البقايا للتحجيرة في بطن الامة

والتاريخ التي لا سبيل الى احيائها ؟ فقد اجبتنا على هذا الاعتراض في افتتاح مقالنا وفي سياق كلامنا ونجيب عليه الآن لآخر مرة

ان كل من تروى في مطالعة للقاتلات التي ادرجناها مشد ظهور الشرق عن احوال لبنان القديمة وتاريخه وجغرافيته لا بد له من ان يكون لاحظ ما لاحظناه نحن انفسنا وهو اننا نعرف ماضي لبنان بش المعرفة اذا لم نستخدم إلا على الشهادات والادلة الكتابية التي توى اليه لاسيا اذا كان مدار الكلام على ما تقدم موده . فالحقيقة ان هذه الشهادات جميعها من كتابات مرسومة على الحجارة وادلة في كتب الرُرخين والجغرافيين وآيات من مؤلفي الكتب المقدسة او غيرهم من الكتبة بنات الشرق والغرب لا تتناول إلا بعض صفحات

لكن ما قولنا من بقايا الابنية القديمة المتفرقة على سطح الجبل ؟ فانها عجبا بكما . لا تتعلق ببنت شفة ومن التادر ان نجد بين اتقاضها جزءا من كتابة او عبارة ضامة في كتاب تقصع من تاريخ بناتها واسمها والترض منها . ومن طالع الجزء الاول من « تجميع الابصار » عرف ذلك حق المعرفة

فلذا قدري وماذا نعلم من مساكن لبنان القديمة ؟ لعمري ان ذلك يكاد ان لا يكون شيئا . فلو استثنينا مدن الساحل فاننا لانجد ذكرا للموضع مأهول في لبنان قبل التاريخ المسيحي . ومن بعد التاريخ المسيحي لا نصادف كتابا يصف اماكن لبنان قبل القرنين الحادي عشر والثاني عشر . فجل قصدا كان اذن ان نعوض بعض الترميز من سكوت التاريخ ونسد بملاحظاتنا المتقدمة ذلك الحلل فاذا لم نتوقف الى سيدو جمه فلا اقل من ان نسد بعضه وما لا يعلم ككلاء لا يترك جلة فان العلم بالمعنى خير من الجهل بالكثرة

فكم من موضع في الجبل ليس له ذكر في كتاب وليس فيه شيء من العاديات حتى ولا لحد منقر في صخر يدل على مرور الانسان فيه . فهذا مما يحضنا على ان نلقم من لشقاق اسمه أثرنا لماضي وان نستخدم من دراسة اصول اللغات القوائد التي ضمن علينا بها التاريخ والنصوص المكتوبة . فان كان التلم يونانيا او لاتينيا فيسوغ لنا ان نستخدم من ذلك على ان الموضع الذي يدعى بهذا الاسم يتصل بتاريخه لهد شيوخ هاتين الفتين في سورة . وان كان الاسم يدل على عبادة وثنية فترجح أنه

من عهد انتشار تلك المبادئ في الجيل اعني في الاربعة الاجيال الاولى للمسيح او قبل ذلك لاسيما ان كانت تلك الاسماء ترجع الى عبادة فينيقية او آرامية او اشورية. فتلك نتيجة ابحاثنا وهي على ما نظن من الاهمية بمكان اذ تمهد طريقاً لمعرفة تاريخ نشأة المساكن وهي في بيان الحقيقة بثابة لا تقل كثيراً عن الأدلة انكسائية

اما اولئك الذين لا يملكون الألى الاثار المكتوبة فينتى عليهم ان يستجروا انه لم يكن في داخل الجيل من مراكز مأهولة قبل التاريخ المسيحي الا ما ندر لان التواريخ لا تذكر قبل الجيل العاشر الا ثلاثة اسماء مسماة صريحاً باسمائها اوردوا اسطرابون ١٦ وهي جيجارتا ووروما وصنان

فلا ننكر ان الصبر لم يبدأ حقيقة في لبنان قبل عهد الرومانيين غير انه من المعلوم ايضاً انه كان في لبنان اكثر من ثلاث قرى قبل التاريخ المسيحي فمن اراد الوقوف على الحقيقة فليطالع ما كتبناه في مقالاتنا عن كيفية استعمار لبنان وعن سكانه الاقدمين الا اننا في مرض هذه الابحاث لم توصل حيثنر الا الى نتائج بعيدة وادلة غير وافية بالمرم. لما الدليل الصريح على ان لبنان لم يكن خالياً من السكان في قدم الزمان كما يوهه سكوت التاريخ والكتابات فاننا نجد خاصة في اعلام المواضع التي حصناها وبيننا ان بعضها فينيقية وبالتالي مقدمة على التاريخ المسيحي بزمان طويل

على ان هذه النتائج وغيرها من الدلائل التي لا حاجة الى العود اليها تحتج حتماً ان كان من حاجة وتعدرتنا فيما اذا كنا توقعنا طويلاً واسهنا كثيراً في مثل هذا الموضوع الذي مع ضمتنه له فضل الحداثة والابتكار فيما يختص بلبنان على الاقل وغاية ما نتمناه ان يستهض بحثنا هذا الضعيف المهتم المالية لابعاث حديثة فنهى اذ ذلك نسبنا لاننا باسطرنا السابقة ههنا السبيل الى ذلك وفتحنا باباً لطريقة بحثنا من هو اقدر منا

خاتمة الكتاب

فهنا وعند هذه الامنية نقف بعد استئذان القراء الافاضل الذين بكل لطف
ومجامة رافقونا في سياحاتنا الطويلة في ماضي لبنان . على اننا لا ندعي اننا في مقالاتنا
المتقدمة وفينا بالمطالوب او استفدنا المأدة واستفزعنا للموضوع فاننا ننادر لبسان ونحن
نعلم ان مسائل كثيرة فائقنا دون ان نتعرض لها ومشاكل شتى تركناها او لم نحلها
حلاً مرضياً

وعسى ان يأتي بعدنا من هو اسعد منا فيتعهدنا ويحكم فيها حكماً نهائياً او
يوضحها احسن مما اوضحنا - ونحن نشك في الختام ان ما بذلناه من الجهد والكرد
يرفع طرفاً من الغباب الذي يحجب عنا ماضي لبنان ويحت ذوي الفضل ولعل العلم
على ان يحنوا حدوتنا ويكملوا ما بدأنا به فيظهروا للبيان فضل هذا الجبل الشهير
الذي اذاعت مديحة انكسب للقدسة وهو لا يزال من ابداع عاصم واجمل مشاهد
سورية الحالية .

فهرس

تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار

الجزء الثاني

صفحة		
٣	اسم لبنان وسعة نطاقه في التاريخ	الفصل الاول
٦	في التوراة	
٧	حد اليونان والرومان	
٨	كبة العرب	
١٠	ما تستفيد سورية من لبنان	الفصل الثاني
١١	المنافع المدغرافية	
١٢	في الملك اللبناني	
١٣	احتلال الجوز	
١٥	انهار لبنان : منافسا وامازها	الفصل الثالث
١٦	منافع انهار لبنان جغرافيا واقتصاديا	
١٩	اسماء انهار لبنان قديما وحديثا	
٢٣	سكنى لبنان في قديم الزمان	الفصل الرابع
٢٩	الأمم البائدة في لبنان	الفصل الخامس
٣٠	الحنثيون	
٣٦	اليونان	
٣٩	الايثوبيون	
٤٠	الرومانيون	
٤١	المرددة	
٤٥	الجراجمة	
٤٨	السجيم	
٤٩	انتشار الامة المارونية في لبنان	الفصل السادس
٥٠	الموازنة قبل دخولهم لبنان	

صفحة

٥٢	هجرة للوارثة الى لبنان	
٥٧	الوارثة في لبنان بعد ليل الحاس مشر	
٥٨	بحث جنرال في سيرة القديس مارون الناسك	الفصل السابع
٥٩	وصف مقاطعة كوساجية والقورية	
٦٣	مدينة قرص	
٨٠	دير مار مارون	
٩٣	في ثلث لبنان القديمة	الفصل الثامن
٩٨	رسم خواط لبنان	الفصل التاسع
١٠٧	بحث في أنجاد وأغوار لبنان	الفصل العاشر
١٠٩	أودية لبنان	
١١١	منطقة الثلج المثلثة في لبنان	
١١٢	وصف قسم لبنان	
١١٥	الغاور والمسور الطبيعية	
١١٧	النفقة التي عندما تنتهي المساكن واليات	
١١٨	مياه لبنان ورسم مجاريها	الفصل الحادي عشر
١٢٠	رسم جيون لبنان	
١٢٠	كيف تكونت جيون لبنان	
١٢٥	اختلاف جيون لبنان	
١٢٥	جاري المياه في الاسراب	
١٢٧	رسم للجاري النهري في لبنان	الفصل الثاني عشر
١٢٧	انقادات عمومية	
١٣٧	الحساب والسدود النهري	
١٣٥	الاحار المائلة	
١٣٨	الاحار ومدود المتاحات	
١٤٠	مياه لبنان البحرية	الفصل الثالث عشر
١٤٤	الظواهر البحرية السورية	
١٤٣	امعان البحر في الشواطئ اللبنانية	
١٤٦	جزر قديمة بازاء بيروت	
١٤٦	أكبة الرمل	
١٥٠	ارتفاع الساحل البحري	

صفحة		
١٥٤	السواحل اللبنانية	الفصل الرابع عشر
١٥٧	سهل شكا	
١	وصف رأس الشفة	
١٥٨	رأس خر الكلب	
١٦٠	حصن مركز المدن اللبنانية	
١٦٢	المرافئ اللبنانية : طرابلس والبترون وجبل وميداء	
١٦٥	لمحة اقتصادية في مجاري المياه اللبنانية	الفصل الخامس عشر
١٦٦	المبادئ الصورية	
	كيفية الاستفادة من الاثار اللبنانية : الليطاني والزهراني	
	والاولي والدامود وخر بيروت وخر الكلب وخر ابراهيم	
١٦٩	وخر الجوز والي علي والبارد وخر مككرو والنهر الكبير	
١٧٣	شركة مياه خر الكلب	
١٧٥	مشروع مياه خر ابراهيم	
١٧٨	الاحوال الجوية في لبنان	الفصل السادس عشر
١٨١	الزراعة والارواح اللبنانية	الفصل السابع عشر
١٨٣	الغابات اللبنانية سابقاً وحاضراً	
١٨٨	مزروعات شتى	
١٩٥	ما قد في لبنان من قديم الحيوان	الفصل الثامن عشر
١٩٦	البحر في لبنان	
١٩٩	الصيد	
٢٠٢	الصيد	
٢٠٧	المعادن في لبنان	الفصل التاسع عشر
٢	حالة المعادن حاضراً	
٢	اولاً : الزئبق . الفحم الحجري	
٢١٣	الحجر	
٢	ثانياً : المراد والمناجم المعدنية	
٢	الحديد	
٢١٧	ثالثاً : الحجارة والوازم البناء	
٢٢٠	معادن لبنان القديمة	
٢٢٢	الحديد	

صفحة	التعاص	الفصل العشرون
٢٢٣	التعاص	
٢٢٧	النتائج التاريخية من درس اعلام الاماكن اللبنانية	
✓	منافع هذا البحث	
٢٣١	الاعلام للريانية	
٢٣٣	تفسير حرف الباء الداخلة على الاعلام اللبنانية	
٢٣٥	الاعلام العربية	
٢٣٦	✓ اليونانية واللاتينية	
٢٣٧	✓ القرصية	
٢٣٩	✓ المصرية	
٢٤٠	✓ وشيوخ السادات الوثنية في لبنان	
٢٤٧	✓ والملك الباقى في لبنان	
٢٤٩	✓ ✓ المحدثي في لبنان	
٢٥٢	خاتمة الكتاب	

فهرس الموهوم والمواد

التي وردت في جزئي كتاب ترويج الابصار على ترتيب حروف المعجم .
فالخروف الرفيعة تدل على صفحات الجزء الاول ما لم يتقدمها عدد ٢ الاسود الدال
على الجزء الثاني مع ما يقب من الاعداد الرفيعة

- ١ —
الاراميون في لبنان ٢٨, ٢٩: ٧ في القوربي
٦٠-٦١, ٦٧-٧١ لثهم ٢٨, ٢٤-٢٦
و ١١٥ الاعلام الارامية في لبنان ٢٢٢-
٢٣٥
ابراهيم (خر) نهر ادونيس ٦-٧: ٥٨-
٥٩: ٢: ١٧٧-١٧٥
الينودوس القديس في بيروت ١٠٦
الاجرس والنوايس في لبنان ٩١
الاحراج والنايات اللبنانية ١٨١: ٢-١٩٥
الاحوال الجوية في لبنان ١٧٨: ٢-١٨٢
ادريانوس القيصر واكاره في لبنان ١٧
١٠٢,
اذه (الهرمون) وكتيبته ٨٤ و ٨٨
اذه (جبل) واكارها ٦٨-٦٩ و ٨٤
كتيبته ٩٠
ادونيس ارموز وعبادة في لبنان ٢٨-٤١, ٤٢
و ٤٩, ٥٥-٥٨, ٥٩, ١١٢
ارز لبنان ١٣, ١٣٤-١٤٢
ارسمس العابد اللبناني ١٠٦, ١٠٩
الاسد في لبنان ١٩٥: ٢-١٩٩
الاشراب اللبنانية وياها ١٢٥: ٢-١٢٧
اساء الاسكنة اللبنانية وهاكها تاريخية ٢:
٢٢٧-٢٥١
اسكندر ساويرس وماره في لبنان ١٠٣
اشجار لبنان ١٨٢: ٢-١٩٥
الاشوريون واكارهم في لبنان ١٠-١٢ لثهم
٧٢-٨١: ٢: ٩٣-٩٤
الاعلام المكتوبة في لبنان وهاكها التاريخية
٢: ٢٢٧-٢٥١ الاعلام الكرامية ٢٢٢-٢٢٥
الرمية ٢٣٥ اللاتينية واليونانية ٢٢٥-٢٢٦
القرينية ٢٢٧ الاعلام المصرية ٢٢٩-٢٤٠
الاعلام الدالة على الوثنية واكتها ٢٤٠-
٢٤٧
اغريبا وماره في بيروت ٢٥-٢٦
اقتا وميكتها واكارها ٤٩-٥١, ١٠٨, ١١٢-
١١٢: ٢: ٢٨
اقيان او امنيان الشهيد احد طلبة بيروت ١٠٧
اكويتنا شيدة جبل ١٠٥
الأمم البائدة في لبنان ٢٩: ٢-٤٩
اموير البيروني في عهد القراة ٧٦
اميا القينية ٧٦: ٢-٥٢
امينوفس الثالث وامينوفس الرابع وهاكها في
لبنان ٧٢-٨١
اميون ٧٦ اكارها ١٤٤
انطلياس ٤-٥ نهر انطلياس ٢: ٢-١٧٢
أنفة ١٥١-١٥٢
امدن وكتيبته مار جرجس ٨٢, ٨٥, ٩٣

- كنيسة مار ماريا ٩٢، ٩٣ آثارها ١٢٢ - ١٢٣
الاولي (خبر سيناء) ١٨: ٤، ١٩: ١٧١،
الايثوريون في لبنان ٣٣ - ٣٤ : ٣ : ٢٩-٤٠
ب ب
البايلون وكنائسهم في لبنان ١٠-١٢ لغتهم في
لبنان ٧٤-٧٥ : ٣ : ٢٤-٢٣
يولس (اطلب جميل)
البيرون وكنائسها ١٢١-١٢٣
بجديديت وكنائسها ٧٠ كنيسة ٨٤، ٨٧-٨٨
البحر : مياه لبنان البحرية ٧ : ١٤٠-١٥٤
مظاهر البحر السورية ١٤٢ اكنبة الرسل
البحرية ١٤٦ ارتفاع الساحل البحري
١٥٠-١٥٤
برجا او طبرجا وكنائسها ٥٧-٥٨، ١١٩
برومة او بورومة (القلعة اللبنانية) ٢٣، ٢٤
٣ : ٢٥
البردي في لبنان ١٨٦: ٣-١٩
بزيرا وكنائسها ١٤٣ : ٣ : ٢٤٢
بسكنا ١١٧: ٢
بشارة (بلاد) وصبرها ٢١٣
بشري وكنائسها ١٢، ١٤، ١٦، ١٧ جبنة
بشري ١٢١-١٢٣
بشلي ١٢٦
بطرس الرسول في بيروت ١٠٣
البل ومباده في لبنان ١٥-١٦، ٤٢-٤٦
و
بلشيه واسمها ٣ : ٢٤١
البقاع وموقعها ٤ : ٢
بحر الريح في لبنان ٢٠١: ٢
بقسية وكنائسها ١٢٨
بكفيا وكنيسة مار جدا ٨٩ اسمها ٢٤٤: ٢
- بلاط وكنائسها ٦٨
البكسند (دير) وكنائسها ١٥٤-١٥٦ : ٣ :
٢٣٨
بلونة ١٢، ٢٩
بمبيوس قاتح سورية ولبنان ٢٣، ٢٤ : ٣ :
٢٥، ٢٩-٤٠
بميل (البروني اسقف قيسارية الشهادة ١٠٧
بوركتو (الاب اليسوعي) وكنائسها عن اكار
لبنان ٢٨-٢٩
بيت خشبو ٢٩
بيت شاما ٣ : ٢٤١
بيت حري ودير القلعة ١٢-٢١
بيروت : نهرها ٤ بيروت العتيقة ١٤ اسمها
القديم ١٦-١٧، ٢٦، تركيها في عهد الرومان
وملكتها ٢٦-٢٨، ١٠٦-١٠٧ في عهد
القراخنة ٧٤-٨١ دخول الصليبية فيها
١٠١، ١٠٢، ١١٢، ١٢٠، مشاهيرها ١٠٦-
١٠٧ كتابها ٢٩-٣٠ ضواحي بيروت
وجزارها قديما ١٧: ٢-١٨
ت تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ووالده
٢٣١: ٢
تايتس الاله اللبنانية ٣ : ٢٤٠
تاودويطوس مترجم حياة القديس مارون
٥٨: ٣-٥٩ ترجمة حياته واعماله في قورس
٦٤-٧٠
تدافوس الرسول في بيروت ١٠٢
ترنج ١٣٦
التركان في لبنان ٣ : ٥٧
تريارس (اطلب الله)
تل المارونة وسومات كنائسها عن لبنان في
القرن الرابع عشر قبل المسيح ٢١ : ٧٣-٨١
التمساح في سورية وفلسطين ٢ : ٢٠٢-٢٠٦

- ثُمُوز (اطلب ادريس)
 توفيل لماروني ٢ : ٥٥
 تولا وكنيسها ٩٠، ٩١، ٩٢
 تومات يها وقلعتها ٢ : ٢٠٩، ٢٢٧
- ❧ ث ❧
- ثاوث الوثني في لبنان ٤٥
 ثاوديسوس الكبير ولبنان ١١١، ١١٢
- ❧ ج ❧
- جبة بشرقي ١٣١ : ٥٢ : ٢
 الجبل الشرقي او جبل الشيخ وجبيل حرمون
 ٢ : ٧-٥، ٢٣٠
 جبيل وأكثارها القديمة ٢٨، ٦٠-٦٣ مدافنها
 ٦٦-٦٧ نوابسها ٦٦-٦٧ بلاد جبيل ٦٧-
 ٧٢ جبل في عهد الفراعنة ٧٤-٧٩ دخول
 الصليانية فيها ١٠١-١٠٢، ١٠٥ جبيل
 الشقة او باليلوس ٧-١٤، ٨
 الجراجرة اصلهم وسكناتهم في لبنان وحواسم
 ٢ : ٤٥-٤٨
 جريتا وأكثارها ٧٠
 جريس (القدسي) وكرامته في لبنان ٨
 جرمق والجرامة ٣ : ٢٢٨
 جزيين وناجم نعمها ٢ : ٢١٠
 جون حكار ٢ : ١٥٤-١٥٥
 جونية وصرها ٥-٨ اقوال العرب في جونية ٦
 جيجرنا او جيجرنا (القلعة اللبنانية) ٢٣
 ١٤٩-١٥١ : ٢ : ٢٥
- ❧ ح ❧
- حاصيا وحُصْرُها ٢ : ٢١٢
 الحثيون في لبنان ٢ : ٢٩-٢٣
 الحجارة اللبنانية ومقاتلها ٢ : ٢١٧-٢٢٠،
 ٢٢٦
- حدثون وكنيسها وأكثارها ٨٦-٨٧، ٨٩-
 ٩٠، ٩٥
 حداث الجبة وكنيسها ٨٤، ١٣٣
 الحديد وناجمه في لبنان ٢ : ٢١٢-٢١٧،
 ٢٢٢-٢٢٣
 حرمون (جبل) ٢٤ : ٢ : ٥، ٢٣٠،
 ١٥
 حصن سلجان ١٥
 حلة وأكثارها الحثية ٢ : ٢٠-٣١
 الحُصْر وناجمه اللبنانية ٢ : ٢١٣
 حشوش ١٤٩-١٥٠
 حيطورة ومنجم نعمها ٢ : ٢١٠-٢١٢
 الحيوان وما فقد منه في لبنان ٢ : ١٩٥-
 ٢٠٦
- ❧ خ ❧
- خراط لبنان وافتقارها ٢ : ٩٨-١٠٧
 الخروب في لبنان ٢ : ١٩١-١٩٣
 الخشب المتصجر وناجم الفحم في لبنان ٢ :
 ٢٠٧-٢١٣
- ❧ د ❧
- دار بشتار وأكثارها ١٤٢ اسمها ٢ : ٢٤٢
 دابل وكنيسها ٨٤
 الدامور وصرها ٢ : ٢٠، ١٧١-١٧٢
 ددب السين واسمها ٢ : ٢٤١
 دقة ٢٨
 دوما وأكثارها ١٠٧، ١٢٧-١٢٨
 دير القلعة وأكثاره وعبادته ١٢-٢١
 دير مار ملون ١١٠ شهادته ١١٨-١١٩
- ❧ ر ❧
- رأس الشقة (جبل) ١٤٥-١٤٨ : ٢ : ١٥٦-
 ١٥٨
 رشكيدا وكنيسها القديمة ٨٥، ٩١
 رشيا واسمها القديم ٢ : ٢٣٤

ش ش

شامات وذكرها ٧ : ٢٤١

شطين وكينيتها ٨٨

شط العرب ٧ : ١٣٧

شنور وشاغور ٢ : ٢٣

الشقيق (قلعة) ٣ : ٢٣٧

شككا ٢ : ١٥٦

الشمس ومبادتها في لبنان ٢ : ٢٤٤

س س

السبيير او التين الشوكي ٢٧ : ١٩١-١٩١

صريا وجونية ٨٥

صغار وكينيتها ٨٥, ٩٠

الصليبيون وآثارهم في لبنان ١٢, ٩٧, ١٢٣

١٤٤, ١٥٣, ١٥٤ - ١٥٦

صتي (جبل) ٢٤ - ٣٥

سور وصيداء في عهد الفرافنة ٧٥-٨١

صوّر : مقبرة وتبع انطلياس ٤ مدخل مقبرة

انطلياس ٦ جسر الماطلين ٨ مدخل مقبرة

جيتنا وشبع نهر الكلب ١٠ بطن مقبرة

جيتنا ١٣ رسم هيكال البعل في دير القلعة

وأثناء ١٦ قناة نهر يبروت ٢٨ قلعة

سراپ ٣٧ اثار فنية والمشفة ٣٨ الزهرة

الليانية ٤٤ قلعة قفرا ٥٤ برج ٥٩

مكوكات يرمند الساج ١٥٥ صورة احد

خزاة الخطين ٣ : ٢٢ صورة المشتري

البليكي في دير القلعة ٢٧ خارطة اسطرايون

٩٩ رسوم لمجاري المياه ١٣٠ - ١٢٣ السد

مند مصيب نهر ابراهيم ١٣٤ خارطة لبنان

البحرية ١٤٤ رسم جبيل ١٥٠ صورة مرفأ

صيدا ١٦٤ منقر الليطاني قريبا من قرية

برغش ١٦٩ صورة نصب اكروم ١٩٧

الرمائية واول ظهورها في لبنان ١٠٩ في

القرونية ٧٤-٧٨

الرومان : سكنتهم الساحلية ٩٠ آثارهم

في لبنان ١٠, ١٥, ١٨, ٢١-٢٤, ٤٩

٥٦, ٦٥, ١٢٣, ١٤٩ ; ٣ : ٢٦-٢٨

٤٠-٤١

ريب ادي وابنه ازيرو التينيكين في حد

الفرافة ٧٥-٧٩

ز ز

زيدة (قاطرها) ٢٩

زغرتا ١٥٠

الزمراني (نصر) ٢٤ : ١٧٠-١٧١

الزهرة ومبادتها في لبنان (اطب حقاويت)

هيكال الزهرة في القفا ٥٠-٥١, ١٠٨

الزيون ومنارته في لبنان ٧ : ١٨٧-١٨٨

الزيتنة (مجرة) ٤٨

س س

ساحل طرا ٣٦

ساحل لبنان البصري ٣ : ١٥٠-١٥٤ السراحل

الليانية ١٥٤-١٦٥

سراپ الاله في لبنان ٧١-٧٢

الريانية (الفة) في لبنان ١١٥ في بلاد قورس

٧ : ٦٧-٧١ ; ٩٤ ٩٨

سكنا ١٤٧

السلوقيون وآثارهم في لبنان ١٠, ١٢, ٢٢

; ٣٤ : ٦٠

سمر جبيل وكينيتها ٩١ آثارها ١٢٣-١٢٥

سمعان السمودي القديس ولبنان ١١٦

سن القيل ٤ : ٣ : ٣٠٠

سكان (القلعة الليانية) ٢٣, ٣٤ : ٣ : ٢٥

سنير (جبل) ٤٤-٣٥

سورية : فتح الرومان لها ٢٢-٢٦ ما تفتيده

من لبنان ٣ : ١٠-١٥

الدمع ويناجه في لبنان ٢ : ٢٠٧-٢١٢
 الفرسويون : خارطة ضباطهم اللبناني ٢ :
 ١٠١-١٠٢
 قضا وقلمها او هيكلها ٥٢-٥٧
 القلاحة والاسراج اللبنانية ٢ : ١٨١-١٩٥
 القليل في لبنان ٢ : ٢٠٠-٢٠١
 قبيضة واحوالها في عهد القراخنة ٧٥-٨١
 القنيليون وادارهم في لبنان ١٥ قسم ٢٥
 ديانتهم ٤١-٤٦، ٤٦-٤٧ بحارهم وتجرهم
 ٧٦-٧٧ : ٢ : ١٥٠-١٦١
 قس ق
 القنسية (خر) ١ : ٢ : ٢١٢
 قناتلي ومناجم فحمها ٢ : ٢٠٨
 قزحياً وديانة القدماء ١٢، ١١
 القطن وكنيستها ١٢
 القلمة (اطلب من القلمة)
 قلعة الحصن ١٢٥-١٢٦
 قلمون ١٥٢-١٥٥
 قنطر زيدة ٢٩
 قنوين وكنيستها وديرها القديم ١٢، ١١١
 القويديع ومعناها ٢ : ٦٢-٦٣ اطبا وقتهم
 ٦٧-٧٠ انتشار الصراية فيها ٧٣-٧٤
 البشة الرحانية في القويديع ٧٤-٧٨
 قويس قاعدة القويديع ٦٢-٦٣
 القياصرة في لبنان ١، ٢٥، ٢٢
 قيس القروي في المورخ ٢ : ٥٥
 قس ك
 الكركدن في لبنان ٢ : ١٩٩
 كرميان وسكانه ٢ : ٥٧ - ٥٨ اسمه
 ١٣٧
 كرايلين واسمها ٢ : ٢٤١
 كرتبيت ٢ : ٢٢٢
 كقرحاتا ٢ : ٢٢٢

ط
 طابيش (دير) ١٢ اسمه ٢ : ٢٢٦
 طرابلس والصراية فيها ١٠٣-١٠٤، ١٠٦
 مقامها ٢٤ : ٢ : ١٣٦
 طليطوس الشهيد اللبناني ١٠٤
 طح ح
 حاديات خر الكلب ١٠-١٢
 الحاقورة وكنيستها مار بطرس ١٢
 مبادات وانكارها ٦٩-٧٠
 ميدله وكنيستها ٨٤، ٨٧، ٩١
 السجم في لبنان ٢ : ٤٨-٤٩
 الغرب في لبنان ٢ : ٢٢ : ٢٥
 حزوته ٢ : ١١٧
 حشمتوت او الزهرة الالهة اللبنانية ١٧، ٢٨
 ٢٩٠، ٤٤-٤٥، ٥٠-٥١ : ٢ : ٢٩٠
 مكا في مراسلات الى البشارة ٧٥
 حشمت ٦٩
 حطورا ٢ : ٢٢٢، ٢٢٤
 حناتا ٢ : ١١٧
 حن صوفر ٢ : ١١٧
 حيون لبنان ونكوشها ٢ : ١١٨-١٢٠ اختلافها
 في جرجا وكنيستها وديجات حرارها
 ١٢٠-١٢٥
 حغ
 الحباب والاسراج اللبنانية سابقاً وحاضراً ٢ :
 ١٨١-١٩٥
 غريغوريوس البجائي في بيروت ١٠٦
 غزير ٢٦
 غوسطا ٢٨ اسمها ٢ : ٢٣٥
 غينة وانكارها ٢٨-٢٩
 ف
 فنفا وقلمها ٢٦

- كفرحي وكبشما ٨٤ آثارها ومدرستها
١٢٨-١٣١
كفرشليمان وآثارها ٨٨-٨٩، ٩٢، ٩٧،
١١٩
كفرشما واسمها ٢ : ٢٤١
الكلب (خرنوسكوس) ٨-١٢، ٥٢ : ٧
١٢٨-١٣٩ جسور نهر الكلب وطولها
١ : ٨-١٣ رأسها ٢ : ١٥٨-١٥٩، ١٧٣-
١٧٥
كليمس (جبل لبنان) ٧
كنائس لبنان القديمة وغوامها الهندسية ٨١-
٩٩ تنظيم الكنائس في لبنان ١١٥
الكنائس في فينيقة ٧٤ : ٢ : ٩٤
الكنورة وآثارها ١٤٣ اسمها ٢ : ٣٦
كوماجينة وموقعها في سورية ٥٩-٦٣
كسبريت (هنري وريشرد) : غريغتهما
لبنان ١٠٠، ١٠٦، ١١٣
* * *
اللاجية (القة) في بلاد الشام ٢٤-٢٥، ٣٧
لاوتنوبوليس (مدينة فينيقية) ٥
لبنان واحواله في القرن الرابع عشر قبل المسيح
وفقا لملاحظات تل (المارة) ١٢-٨١ كنائس
لبنان القديمة ٨١-٩٩ دخول النصرانية فيه
١٠٠ اول مبشر ١٠٠ تراخ النصرانية
والوثنية في لبنان ١٠٤ مبادئ الميث
الرومانية في لبنان ١٠٩ تربي النصرانية في
القرن الرابع ١١٢ تنظيم الكنائس في لبنان
١١٤ انتصار النصرانية عاقبا حل الوثنية
في لبنان ١١٦ لبنان وازدهار ١٣، ١٣٤-١٤٣
اسم لبنان وسنة تاسيس في التاريخ ٢ : ٣-٤
١٠ لبنان الشرقي ولبنان الغربي ٥-٧
فوائد لبنان لبلاد الشام ١٠-١٥ منافع
- اغار لبنان جغرافيا واقتصاديا ١٥-١٩
سكنى لبنان في قدم الزمان ٢٢-٢٩ الاسم
البائدة في لبنان ٢٩-٤٩ الميثون ٢٩
اليونان ٢٤ الايطوريون ٣٩ الرومانيون ٤٠
المردة ٤١ المراجعة ٤٥ الحجم ٤٨ الموارنة
٤٩-٥٨ فئات لبنان القديمة ٩٣-٩٨ رسم
خرائط لبنان ٩٨-١٠٧ بحث في انجاد
واغوار ١٠٧-١١٧ اوديه ١٠٩-١١١
منطقة تلوجج الفراء ١١١ اقمصة واقصة طوها
١١٢-١١٣ طافوره ١١٥-١١٦ جسوره
الطيبة ١١٦-١١٧ مياه لبنان ومجاريها
١١٨-١٢٩ مجاري مياه لبنان في الاسراب
١٢٥-١٢٧ مياه البحرية ١٤٠-١٥٤ لمحة
اقتصادية في مجاري المياه اللبنانية ١٦٣
الاحوال الجوية في لبنان ١٧٨-١٨١
الفلحة والامراج اللبنانية ١٨١-١٩٥ ما
فقد لبنان من قدم الحيوان ١٩٥-٢٠٦
المعادن في لبنان حاضرا وسابقا ٢٠٧-
٢٣٦ نتائج التاريخية من دس اعلام
الاماكن اللبنانية ٢٢٧-٢٥١
فئات لبنان القديمة ٩٣-٩٨
لمحة اقتصادية في مجاري المياه اللبنانية ٢ :
١٦٥-١٧٧
الوز اللبناني ٢ : ١٢٣
لوسيس الشهد في لبنان ١٠٥-١٠٦
الطاني (نهر) ١ : ٩، ١٨ : ٢، ١٩، ٢١-٢٣
١٣٠
اليسون في لبنان ٢ : ١٢٣-١٢٤
* * *
ماحوز (عين) ٥٨
مارون (مار) (النايك) بحث جنرال في سورية
٥٨ : ٢، ٩٣ مولده ونشأته ومكان تنسكه
وموت ٧٦-٧٩ مقام دير الشهد وما جرى

<p> ✱ ن ✱ ناوس ويكلاها ١٤٢ اسمها ٢ : ٢٣٥ النحاس في لبنان ٢ : ٢٢٣-٢٢٦ النصيرية في لبنان ٢ : ٤٨ - ٤٩ ; ٥٧ جبل النصيرية (بروجيوس) ٢ : ٨-٩ النورية (السيدة في رأس الشقة) ١٤٥-١٤٦ نورما (الشهيد) ١٠٥ - ١٠٦ نهر - انهار لبنان : نهر بيروت (مافوراس) ٤٠٢ و ٤٠٣ : ٢٠٧, ٢٠٨, ١٧٢ نهر انطلياس ٤٠١ ١٧٢ نهر (الكلب) (اطلب الكتب) . نهر ادونيس او نهر ابراهيم (اطلب ابراهيم) . نهر الاسد او اليطالي (اطلب الفيطالي) . نهر القاسمية ٩ : ٣ ; ٢١, ٤١ نهر العاصي وبعث ٥٣ نهر الاولي (اطلب الاول) . مناطق انهار لبنان جغرافياً واقتصادياً ٢ : ١٥-١٩ رسم المجاري النهرية في لبنان ١٢٧ - ١٢٢ المصايب والسدود النهرية ١٢٢ انهار لبنان الطامة ١٢٥-١٤٢ لحة اقتصادية في الانهار الفينانية ١٦٥ - ١٧٧ الزهرالي ١٧٠ الاولي ١٧١ الداور ١٧١ نهر بيروت ١٧٢ نهر الموت ٢٢٢ نهر انطلياس ١٧٢ نهر الكلب ١٧٢ نهر ابراهيم ١٧٥ نهر الجوز ١٧٧ نهر قاديشا (ابو علي) ١٧٧ تيسا وقلعتها ٢ : ٢٢٧ </p>	<p> في ٨٠-٩٢ تنازعات اليافية والمراثة ٢ : ٥١-٥٢ مافوراس (نهر بيروت) ٢ : ٤ , ٢٠, ١٧٢ الناولة في لبنان ٢ : ٤٨ - ٤٩, ٥٧ المراثة اللبنانية ٢ : ١٦٣-١٦٥ المرودة في لبنان واصلم ٢ : ٤١-٤٥ مرج وكنيستها ١٨٩ اكارها ١٢٢ المسيح (السيد) في لبنان ١٠٠-١٠١ المسيحة وكنيستها ١٤٤ المشرفي (الاله) في لبنان ١٦ , ١٨ و ٧٠ المشرفي المليكي في لبنان ٣٧-٢٨ المشش في لبنان ٢ : ١٩٠, ١٩٤ المشفة وكنيستها ٣٩-٤١ المصايب والسدود النهرية في لبنان ٢ : ١٢٢ المصريون وكنيستهم في لبنان ١١-١٢ معدا وكنيستها ٧٢-٧٣ كنيسة ٨٥, ٨٧ المعاقلين ٢٨, ٧ : ٢ : ١٢٦ مراب وقلعتها ٣٧-٢٨ منارة الزاهب عند العاصي ١١٠-١١١ المكتيون في لبنان ٢ : ٥٤ منسج ٢ : ٦٢, ٧١ المنيطرة ٢ : ٢٢٧ المراثة اصلهم وانتشار اسمهم في لبنان ٢ : ٤٩-٥٨ تناصبتهم للطاقة ٥١-٥٢ للمراثة والصلييون ٥٥-٥٦ موس المشي ١١٢-١١٣ المونوليون في وادي العاصي ١٢٠ المياه اللبنانية ومجاريها ٥١-٥٢ : ١١٨ - ١٢٩ مناطقها ٨ , ١٥ - ١٩ مياه لبنان البحرية ١٤٠ - ١٥٤ لحة اقتصادية في مجاري المياه اللبنانية ١٦٥-١٧٧ ميريا واسمها ٢ : ٢٢٤ ميه وميه ٢ : ٢٢٤ </p>
<p> ✱ ه ✱ الهرمل ٢ : ٢٦٦ هيرودس الكبير في بيروت ٢٨ هيلة (القديسة) وآثارها ١٠٨ ✱ و ✱ وادي جرجي ٢ : ٢٢٨ وادي قزحيا ٩٢ و ١١١ </p>	

يوحنا قم الذهب ولبنان ١١٥	وادي سميل ١٤٧، ١٥٠
يوقيان الملك واثره ١١٢	وادي النهر الكبير ٧ : ١١٢-١١٤، ١٢٠
يوليس قيسر في الشام ٢٥	وجه المجر وقتلها ١٤٦، ١٢٣ : ٧ : ١٥٧
اليونان وآثارهم في لبنان ١١، ٦٥، ٦٨، ٧١	*** ي ***
١٢٧، ١٤٧ : ٧ : ٢٤-٣٩	البلطوية (البدنة) في لبنان ١١٧-١١٨ : ٧ :
اليونانية (الفنة) في الشام ٢٤-٣٥ : ٧ :	٥٢-٥١
١١٥	اليسونة بجريها وآثارها ٤٦-٤٩ : ٧ :
	١١٧

